ديوان

حكيم سوزنى سمرقندى

ترجمة و تقديم: محمد محمد يونس

سلسلة الشعر

المركز القومى للترجمة

1542

دیـــوان

حکیم سوزنی سمر قندی

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة الشعر
المشرف على السلسلة : رانيا فتحى

- العدد: 1542
- ديـــــــوان حكيم سوزنى سمرقندى
- محمد محمد يونس
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة ديوان:

حكيم سوزنى سمرقندى

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526Fax: 27354554

ديـــــوان
حكيم ســوزنى سمر قندى

ترجمة وتقديم:

محمد محمد يونس

2010

د

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

سمرقندى؛ حكيم سوزنى
ديوان حكيم سوزنى سمرقندى/ ترجمة وتقديم: محمد محمد يونس
ط ١ ـ القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٦٠٤ ص ، ٢٤ سم
١ ـ الشعر العربى ـ تاريخ ـ العصر العباسى الثانى
٢ـ الشعر العربى ـ دواوين وقصائد
(أ) يونس؛ محمد محمد (مترجم ومقدم)
٣ ـ العنوان ٨١١,٥

رقم الإيداع ٧٣٣١ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى : I.S.B.N 987 - 977 - 704 - 011 - 2

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

مقدمة المترجم.. 7

الترجمة

- القصائد.. 39
- الغزليات.. 501
- المقطعات.. 535
- المسمطات.. 579
- الرباعيات.. 589

مقدمة المترجم

يعتبر "السوزني" من الشعراء المغمورين الذين لم يلق عليهم النقاد وكتاب التذاكر إلا بصيصًا من الضوء لم يتجاوز الإشارة إلى براعته فى فن الهزل والهجاء فقط دون حديث عن حياته أو الفترة والمنطقة اللتين شهدتا حياته ودون دراسة إطلاقًا لأشعاره الجادة، اللهم إلا ما كتبه "د. شاه حسينى" – محقق الديوان – فى تقديمه لشعره، عن حياة "السوزني"– فقط –، وهـى وإن لـم تكن كافيةً، فإننا لا ننكر دروها المساعد لما استخلصناه من شعر الشاعر نفسه على تقديم صورة لحياة "السوزني" المهملة تمامًا لدى الباحثين والنقاد الذين كتبوا عن الأدب الفارسى وأرّخوا لشعرائه.

ملمح عن حياته:

لا تكاد المراجع والمصادر وكتب التذاكر تذكر شيئًا عن حياة شاعرنا "السوزنى" اللهم إلا فقرة أو فقرتين لا أكثر تتناقلها فيما بينها. وانفرد "د٠شاه حسينى" محقق الديوان عن كافة المراجع والمصادر وكتب التذاكر بحديث عن حياة هذا الشاعر المغمور وإن كان هذا الحديث مختصرًا ولقد رجعنا فى إعداد هذه اللمحة عن حياة الشاعر إلى ما كتب، وأفدنا منها إفادة ينبغى أن ننوِّه بها.

نشأته:

ولد "السوزنى" فى حدود سنة ٤٨٤هـ فى مدينة "نسف" أو "نخشب" – على اختلاف التسمية– فى "سمرقند" من أسرة رقيقة الحال كما نفهم من قول المستشرق "اته" :"إن السوزنى ينتسب إلى الطبقة الدنيا من الشعب"(١) ومن قول الاستاذ "سعيد

(١) هرمان اته (الترجمة الفارسية) ص١١٨.

نفيسى": "قضى السوزنى كل حياته فى نخشب وسمرقند وبخارى يحترف الخياطة"(١). أضف إلى هذا أن ليس فى ديوانه ما يشير إلى أنه كان فى سعة فى حاله أو حال أسرته، بل نفهم أيضًا من كثرة مدائحه وارتباطه بمسقط رأسه التى أشار إليها "نفيسى" وانعدام ترحاله، ما يبين رقة أحواله المعيشية، واستقراره فى المكان الذى يحصل فيه على قوته وقوت ذويه من عمل الخياطة.

وهناك غموض شديد حول نشأة "السوزنى" بسبب غموض أشد حول أسرته التى عاش معها، وكل ما يعرف عن هذه الأسرة أن كتب التذاكر تدعو أباه "عليا" بينما يشير محقق الديوان إلى أن اسمه "مسعود" ولكن هذا لا يعنينا كثيرًا بقدر ما يعنينا أن أباه كان شاعرًا أيضًا وهذا يُفهم من قول "السوزنى" عن أبيه:

"لستُ ابنًا لأبى فى الشاعرية، إلا أننى ذو ثقة وتعلق بمجلس مولاى"(٢).

وقوله:

"موهبةُ ابن مسعود- فى الشاعرية- لا تتجاوز دائرةَ القول، على حين أصبحت موهبةُ الأب فريدةً فى الأشعار"(٣).

وإن كان ذلك كذلك حقًا، فإن "السوزنى"- لا شك- قد تعلم الشعر صغيرًا وأخذه عن أبيه، نشأ فى بيئة عائلية تهتم بالعلم والدراسة وقرض الشعر رغم ضيق أحوالها المعيشية، ومن ثم فمن الطبيعى أن يهتم "السوزنى" بالدراسة والتعليم بدوره.

---

(١) سعيد النفيسى: تاريخ نظم ونثر ٩٨/١.

(٢) مقدمة الديوان ص بيست وسه والبيت:=

بشاعرى پدر خويش رانه فرزندم اگرنه معتقد مجلس خداوندم

(٣) السابق والصفحة نفسها والبيت:

طبع پسر مسعود از گفتهء نرفتند چون طبع پدر گشت بأشعار طرف بر

دراسته:

اهتم "السوزنى" منذ نشأته بالدراسة وتلقى العلم، فيقول دولتشاه:" اهتم بالدراسة فى البداية ولكن مال طبعه إلى الهزل"[١] ويفهم من أقوال "عوفى"[٢] و"فروزانفر"[٣] و"ذبيح الله صفا"[٤] أنه تلقى تعليمه فى "بخارى" وليس فى موطنه "سمرقند" دون إبداء أسباب فى ذلك، وهى- كما هو معروف- ترجع إلى ما عُهد عن "بخارى" أنها كانت منذ السامانيين حتى ذلك الوقت إحدى المراكز الثقافية الممتازة كما يفهم من قول الباحثة "تاماراتالبوت" فى صدد حديثها عن فترة حكم السلاجقة: "نافست بخارى عاصمة السامانيين مراكز الشرق الثقافية- أى بغداد وبلاد ما وراء النهر وخراسان- ويعود سبب ذلك إلى وجودها على ملتقى القوافل التى تربط العالم الشرقى بالعالم الغربى، حاملة للمدنية علم الصين والعلم القديم، مما أدى إلى إنعاش الأفكار الخلاقة"[٥] هذا بالإضافة إلى تجاور "بخارى" "لسمرقند" وقربها منها.

ولم تتجاوز دراسة "السوزنى" فى "بخارى" من العلوم الدينية الأخبار والتفسير والحديث ثم اهتم بالشعر[٦] بالإضافة بالطبع إلى تعلم اللغة العربية واتقانها كى يتمكن من دراساته الدينية هذه، وإلى تعلمه أيضًا للغة التركية أو الإلمام – على الأقل- بكثير من مفرداتها كما هو واضح من استعماله لبعض هذه المفردات التى سنشير إليها مع الاستشهاد فى موضعها من هذا الكتاب.

ويلاحظ على أشعار "السوزنى" مدى استفادته من دراساته الدينية فى "بخارى" كما يتبين من خلال كثرة استشهاداته المباشرة وغير المباشرة من القرآن والأحاديث وتأثره بالأساليب الدينية، وهذا ليس غريبًا؛ بسبب أن الصلة كانت قوية جدًا فى هذا

---

(١) دولتشاه، ص ٧٩.
(٢) محمد عوفى، ص ١٩١.
(٣) فرازنفر ص، ٣١٥.
(٤) ذبيح الله صفا ، تاريخ أدبيات ٦٢٢/٢.
(٥) تاماراتالبوت، (الترجمة العربية) ص ١٤١.
(٦) فروزانفر، ص ٣١٥.

العصر بين السلاجقة الأتراك - الذين يمثلون القوة المادية الحاكمة - والخلافة الإسلامية فى بغداد - التى تمثل القوة الروحية السنية أيضًا - والتى كان السلاجقة يحرصون على مباركتها لمن يحكم إيران منهم. ومن ثمَّ شجع السلاجقة تلك الدراسات، ولهذا غلب على هذا العصر الاهتمام بالدراسات الدينية التى درسها "السوزنى" وإن لم تَحُل دراستُه لها بينه وبين استغراقه فى لهوه وهزلياته فى فترة شبابه.

ولا يُعلم على وجه التحديد الفترة التى استغرقتها دراسات "السوزنى" فى "بخارى"؛ ولكن الراجح أنه ظل بها حتى انتهى من دراسته كما يفهم من "محمد عوفى"[(١)]. ويشير "ذبيح الله صفا" إلى تطور خطير لـ "السوزنى" وهو أن "السوزنى" بعد أن تعلم فترة فى المدرسة تعلق خاطره بصبى يحترف مهنة الخياطة، فاهتم هو الآخر بتعلم تلك الصنعة، وبسبب هذا العشق انطلق لسانه يجرى بالشعر"[(٢)].

ولا يفهم على وجه التحديد من عبارة "ذبيح الله صفا" :"أنه تعلم فترة فى المدرسة وإن كان يعنى أن "السوزنى" ترك الدراسة بعد فترة وانشغل بحب الصبى الخياط أم أنه قد أكمل دراسته وتعليمه؟! ويمكننا أن نتصور أن "السوزنى" لم يهمل دراسته بل أكمل تعليمه؛ لأن رواية "ذبيح الله صفا"، هذه ومن سبقه إلى قولها ينبغى أن تؤخذ بشىء من الحذر للآتى:

١- الثابت أن الشاعر قد تلقى الشعر عن والده لا عن طريق ما فجَّره هذا الصبى الخيَّاط فى داخله من ينابيع الشعر كما تزعم الرواية.

٢- ما الصلة بين عشق "السوزنى" وصبى خياط رائع الحسن والجمال وأن يتعلم صنعته بل ويتقنها؟... وهل يستلزم عشقُه له أن يتعلم صنعتَه؟!

والرأى على ما أعتقد هو أن شاعرنا تعلم مهنةَ "الخياطة" ليواجه مصاعب الحياة وقسوتها خاصة أنه كان من طبقة فقيرة، وربما يكون قد أكمل دراسته فى

---

(١) محمد عوفى، ص ١٩١.
(٢) ذبيح الله صفا، تاريخ أدبيات ٢/٦٢٢.

الوقت نفسه ولم يتركها ليتفرغ لعشق غلام ويتعلم صنعته كما تقول الرواية السابقة. وربما قال الشاعر الشعر فى موقف إعجابه بالغلام – مع القول بأن الشاعرية كانت موجودة لديه على شكل استعداد وموهبة – ثم جاء هذا الموقف الذى يحدث كثيرًا للشعراء، فساعد على إطلاق هذه القوة الكامنة وتفجرت فيه ينابيع الشعر. ومن المعروف أن كتب التذاكر تلجأ عادةً إلى تفسير ظهور شاعرية الشعراء بظهور شخص مؤثر كما فعلت مع "سنائى الغزنوى" و"فريد الدين العطار" و"جلال الدين الرومى" وغيرهم ولكن لا يمكن التسليم تمامًا بها وفى الوقت نفسه لا يمكن إهمالها. ويمكن الاستناد إلى أشعار الشاعر فى مثل هذه المواقف باعتبارها المصدر الأساسى لاستنباط مثل هذه الأقاويل وفيما يتعلق بشاعرنا توجد نصوص تدل على عشقه لهذا الغلام الخياط ولكنها ليست بالكم أو الكيف الذى يتناسب مع القول بأن هذا الغلام هو السبب المباشر فى اتجاه شاعرنا إلى الشعر بعد أن ترك الدراسة وهامَ بالصبى حبًا.

إذن فتعلم شاعرنا للخياطة كان لمواجهة صعوبات الحياة والدليل على ذلك أن هذه المهنة بالذات كانت منتشرة فى عصره، ويدعم هذا الرأى قول الباحثة "تامارتالبوت" :"ونستدل من البقايا القليلة للأنسجة الحريرية السلجوقية المطرزة على كفاية الحائك السلجوقى فى هذا المضمار. إذ اهتم السلاجقة اهتمامًا كبيرًا بنوعية الملابس والأقمشة التى يستعملونها"(١) .

وربما كانت الفترة التى عمل فيها "السوزنى" بالخياطة قصيرة؛ فليس فى أشعاره ما يدل على استمراره العمل بها ولم يهتم بتبيان أو بذكر أثر هذه الصنعة عليه سوى اتخاذه منها تخلصه ولقبه.

نزق الشباب:

الرّاجح أن سبب ترك شاعرنا لمهنة "الخياطة" يرجع إلى أنه وجد فى أشعاره المدائحية مصدرًا طيبًا للرزق فى شبابه وبخاصة مدائحه لأمراء "الإيلك

---

(١) تامارتالبوت، ص ٢٢٠ – ٢٢١.

افراسياب" و"آل برهان" القاطنين فى "بخارى" و"سمرقند" ومدائحه للسلطان "سنجر" والسلطان "أتسز" وغير هؤلاء جميعًا، وكان ينال من عطياهم ما يكفيه عن مهنة يمتهنها... وتزداد الأمور وضوحًا بقول محقق الديوان أن السلطان "سنجر" قد منح "السوزنى" منصبًا له صلة مباشرة بأمور الناس(١). وهذا هو ما يفهم من هذا البيت مثلا:

"أيها الملك أنا عبدٌ أكثر عجزًا من كل عاجز، فمنك كان هذا التقديم لى على رؤوس الناس"(٢).

ومدائح "السوزنى" تشير إلى تقدير ممدوحيه له وعطاياهم فيقول فى ذلك "أنا العبد الغريق فى بحر برّه وإحسانه، وأسبح فيه بيد وقدمى بالشكر والثناء"(٣).

وقوله:

"أنا أحسن القول أمامه عن كافة أتباعك، ذلك لأنه وهبنى الجاه بسبب حسن القول"(٤).

ومن هنا تحسنت أحوالُه وجاءه يُسْرٌ بعد عُسْر، فدفعه هذا اليسر – المفاجىء – فى حياته إلى أن ينعم بما ينعم به شابٌ مندفعٌ فى غيِّه وفجوره، فانحرف عن جادة الصواب وصار شابًا فاسقًا مخادعًا منطلقًا فى ملذاته عاطلا فاسدًا بلا عمل إلا الترفه وتحقيق الرغبات وهذا هو ما يفهم من قوله:

– "أنا فى وقاحة نظرات المتهتك دعىّ النسب، محترف الفساد محطم المحراب"

---

(١) مقدمة الديوان: سى وچهار.

(٢) الديوان ص ٧ والبيت:=

=پادشاها بنده اى عاجز ترازهرعا جزم ... از توهست اين برسر خلق توسالارى مرا

(٣) الديوان ص ٢٧٦ والبيت:

من بنداه ام غريق بدرياى بّراو ... ازدست وپابه شكر وثنامى زنم شناه

(٤) الديوان ص ٨ والبيت:

خوب گفتارى كنم ازخلق تودرپيش وى ... زانكه اودادست جاه ازخوب گفتارى مرا

- "إنِّى لو تعرف، فى حىٍّ الهذر والجرأة وسوء الفكر، وثابٌ سريعُ الخطو"

- "أنا أشبه البرذون الشموس، ولا يخطر لى بفكر الإساءةُ إلى الممولى ولا الخوف من الهلاك"(١).

ولم يكن "السوزنى" فى مقتبل عمره يتحرج من فعل شىء غير لائق، فهو يفعل كل ما يستطيع ويقول كل ما يريد، فأسلم قريحته للهزل والكلام واللغو، فأصا معاصريه بلسانه، وربما لم يسلم أحدٌ وإن قلَّ شأنه من سيف هجائه وصار جزءٌ مهم من أشعاره ثمرة للباطل ونصيبًا للفساد"(٢) ولقد اندفع "السوزنى" فى هزلياته اندفاعًا شديدًا دون شك فى هذا، وحديث النقاد عن عنفه فى هجائه وارد وكثير... والشىء الذى نحب أن نعالجه هنا أن "السوزنى" لم يبدأ فى إنشاد هزلياته وهجائياته بدافع الشباب وعنفوان ثورته ... لا بل اندفاعية الشباب هذه ساعدت فقط وزادت من حدة هزلياته ولم تكن هى البداية، أما بدايته مع الهزليات فهناك آراءٌ متعددةٌ حول هذه البداية:

(أ) هناك نصٌ للباحثة "تاماراتالبوت" أشرنا إليه من قبل تعد فيه هجائية الشاعر "الأنورى الطوسى" فى السلطان "سنجر" مقلدًا "الفردوسى" فى هجاء السلطان "محمود الغزنوى" بمثابة الشرارة التى أشعلت نيران هذا النوع من الشعر فى قلب "السوزنى" فقرر أن يكتب أشعارًا هزلية على منوالها من فرط إعجابه بها.

(ب) هناك رواية أخرى ذكرها "دولتشاه" تجعل بداية "السوزنى" مع الهزليات أسبق زمنًا مما ذكر "تاماراتالبوت" إذ يرى أنها تعود إلى فترة دراسته فى المدرسة "ببخارى" فتقول الرواية : "حدث أن اتفق علماء المدرسة والشاعر

---

(١) مقدمة الديوان ص سى وسه والأبيات هى:

حرام زاده سروشوخ چشم وقلاشم	فسادپيشه ومحراب كوبم ودكاك
بكوى شوخى وبيشرمى وبدانديشى	اگر بدانى من نيك چستم وچالاك
ستور بدرا مانم كه مى نيند يشم	نه اززيان خداوندونى زبيم هلاك

(٢) فروز انفر، ص ٣١٦.

"خمخانه"[١] على أن يهجو "السوزنى" فهجاه هجاءً ركيكا وعارضهم "السوزنى" فى ذلك"[٢].

(جـ) يرى "محقق الديوان" د. شاه حسينى" أن من أسباب اتجاه "السوزنى" للهزليات يرجع إلى قضائه أوقاتًا كثيرةً فى مطالعة دواوين الشعراء الهجائيين أمثال "طيان"[٣] و"حكاك"[٤] مستشهدًا بقوله عن ذلك بنفسه:

"هزليات طيان رفيقتى ومؤنستى، حكايتى المفضلة هى خرزه نامه لحكاك"[٥].

ومع ذكر هذه الآراء ولا اعتراض عليها ولا نرفضها، فإن لنا رأيًا آخر يمثل بداية "السوزنى" مع الهزليات، وهو أننا نرجح أن تكون بداية "السوزنى" مع الهزليات راجعة إلى بدايته مع الشعر نفسه، فإذا كان قد أخذ الشعر عن أبيه فلا ريب أن أخذ منه مع الشعر الهزليات فقول "السوزنى":

"موهبة ابن مسعود فى الشعر لا تتجاوز دائرة القول، على حين أصبحت موهبة الأب فريدة فى الأشعار"[٦].

– أقول – فقول "السوزنى" السابق يدل على اقتفائه أثر أبيه، وأبوه كان هجاء أيضًا كما هو واضح من قول "السوزنى" عن أبيه مفتخرًا بانتصاره على خصومه فى الهجاء:

---

(١) يقول عنه فروزانفر ص٣١٧: إنه يتخلّص بجلالى وكان هو وأجداده مسيحيين.
(٢) دولتشاه ص ٧٩.
(٣) هو طيان مرغزى المشهور بطيان ژاژخاى من شعراء القرن الخامس الهزليين.
(٤) أحد شعراء القرن الخامس الهزليين.
(٥) مقدمة الديوان ص سى ودو والبيت هو:
رفيق ومونس من هزلهاى طيان است   حكايت خوش من خرزه نامه حكاك
(٦) سبق ذكر هذا البيت منذ قليل فى هذا الفصل نفسه.

"بسيف هجاء أبى هُزم أبوك مائة مرة، وألقى سلاحه ونجا برأسه"[١]

فلا ريب – إذن– أن يكون قد تلقى هذا النوع من الشعر عن أبيه أما ما سبق من روايات، فهى – إن صحَت – لا تمثل– فى رأيى– بداية "السوزنى" مع الهزليات بل تمثل ما يكون قد قوى هذه النزعة عنده ودعمها.

المهم أن شاعرنا قد ظلَّ طوال شبابه وحتى مشارف شيخوخته منخرطًا فى غيه وفساده... منطلقًا إلى هزلياته وهجائياته وإن حافظ فى الوقت نفسه على ما ينشده من أشعار جادة لا تخرج فى موضوعها عن "المدح" و"الغزل" ثم صارت فى شيخوخته "توبة" واستغفارًا ". "ولقد تبادل الهجاء مع شعراء كثار من معاصريه أمثال "عمعق البخارى" و"سنائى الغزنوى" و"الأنورى" و"أديب صابر" و"رشيدى السمرقندى" ولقد سبب الأذى لهم جميعا بلسانه الحاد، وكان من بينهم شاعرٌ يدعى "خمخانه" نرى فى ديوان السوزنى أن السوزنى قد سلك طريق المبالغة والإصرار فى هجائه"[٢] ويتمثل عنف "السوزنى" فى هجائه فى أن ما أنشده من أشعار فى هذا النوع من الشعر لا يتجاوز ثلث مجموع أشعاره كلها إلا أنه نال بهذا الثلث شهرةً فائقةً فى هذا المجال وفاق فيه أترابه.

والرّاجح أن "السوزنى" قد ظلَّ على غيِّه وفساده هذا حتى الشيخوخة أو مشارفها، هذا واضحٌ من قوله:

"وصلتُ الشبابَ بالشيخوخة فى الفحش والهزل، ولم أخجل قط من (صفة) الشاب أو (صفة) الشيخ"[٣] .

---

(١) مقدمة الديوان، ص بيست وچهار والبيت:

ازتيغ هجاى پدر من پدرتو　　　　صدره بهزيمت شدو سربرد وسپرماند

(٢) ذبيح الله صفا، تاريخ أدبيات ٦٢٢/٢ – ٦٢٣.

(٣) الديوان، ص ١ والبيت:

بفحش وهزل جوانى به پيرى آوردم　　　　كه هيچ شرم نبود ازجوان وپيرمرا

وكما أسلفتُ كان "السوزنى" يجمع فى شبابه بين الهزليات والأشعار الجادة، وهذا واضح أيضًا من قوله لممدوحه "تاج الدين":

هناك شعراء قليلو القدر والقيمة من حدود مصر حتى أرض طمغاج
أنا الأفصح بين كل الشعراء وأنا التاج على رأسهم جميعًا.
ليس ثمة شاعرٌ مثلى فى الجدِّ والهزل سواء فى الروم أو خلخ أو قيجاج (١)

تعقل الشيخوخة:

يبدى كتَّاب التذاكر اهتمامًا ملحوظًا بتوبة "السوزنى" باعتبارها حدثًا مهما فى أخريات حياته دون تفصيلات. ومن الطبيعى أن يحس "السوزنى" فى شيخوخته بما فعله فى فترة الشباب، وأن ما تبقى من العمر لا يستأهل التمادى فى الغى والفساد؛ فكفَّ عن الهزل والهجاء واتجه إلى إنشاد الأشعار الرائعة فى التوبة والاستغفار وطلب الرحمة من الله عز وجل. ويحدد "بديع الزمان فروزانفر" الفترة التى تاب فيها الشاعر واتجه إلى الصلاح بأنها سن الستين(٢).

ومن أجمل ما قاله "السوزنى" فى توبته قصيدة يعرض من خلالها لما كان فى حياته من سوء وفحش. وعنوان القصيدة هو: "توبه ازگناهان" أى :"توبة عن الذنوب" وأولها :

حينما صار جسدى أميرًا على أهواء قلبى، أقبل جيش من السفاهة نحو صدرى.

وفيها يقول عن الفترة الكئيبة التى مرَّت بحياته وتاب عنها:

---

(١) الديوان ص ٤٦ والأبيات:

شعرايى كم ارزوكم قيمت ... ازحد مصر تاحد طمغاج
ازهمه شاعران منم افصح ... همه را ازمنست برسرتاج
همچو من شاعرى بجد وبهزل ... نيست درروم وخلج وقيجاج

(٢) فروزانفر، ص ٣١٦.

لقد سرتُ فى طريق الشيطان ووقعتُ فى شراكه، وبسيرتى السيئة صرتُ أسوأ من الشيطان نفسه.

لم أكن يومًا فى حياتى بدون ذنب، فكأنك تقول إن الخلو من الذنب عندى ذنب.

نبتت فى أعضائى كلُّ ألوان الذنوب، مثلما تنبت مختلف أنواع الأعشاب من الأرض الندية.

وغدًا فى يوم الحشر سوف تشهد أعضائى على أعمالى إن أنكرتُ يومى هذا(١).

ويبدو أن شاعرنا كان صادقًا فى توبته بحيث لم يعد إلى هزلياته وسفاهاته مرة أخرى؛ فأشعاره التى أنشدها فى التوبة والاستغفار تنبىء عن صدق توبته.

وبعد توبته سافر إلى "الكعبة" وأدى فريضة الحج وزار "يثرب" وكان قد طلب من ممدوحه عونه فى ذلك:

"سأدعو له فى المزار يثرب ببركة العمر، فليس فى الدنيا بأسرها مزار أكثر بركة منها"(٢).

ويثير صاحب تذكرة "آتشكده" قضيةً أثناء حديثه عن توبة "السوزنى" فيقول: "إن السوزنى فى أخريات حياته وصل إلى أبى منصور الترمذى وتاب على يديه

---

(١) الديوان ص ٢٦٩ والأبيات:

چون برهواى دل تن من گشت پادشاه — آمد به پيش سينهء من ازسفه سپاه

رفتم براه ديو وفتادم بدام او — وزديو ديوتر شدم ازسيرت تباه

يكروزپى گناه نبودم بعمر خويش — گوئى كه بودپى گنهى نزد من گناه

هرگونهء گناه زاعضاى من برست — چون از زمين نم زده هرگونهء گياه

فردا بروز حشرگر امروز منكرند — اعضاى من بوند براعمالى من گواه

(٢) الديوان ص ٧٨ والبيت:

درزيار تگاه يثرب بركت عمرش خوهم — زانكه دردنيا نباشدزان مباركتر مزار

من المعاصى ثم اتَّجه من هناك إلى الحكيم سنائى الغزنوى وتبارك بصحبته وبمقامه العالى ثم تشرف بزيارة الحرمين الشريفين وكافح بعد ذلك فى تعظيم علماء الدين وترك طريق الهزل"(١).

وعن قضية لقاء شاعرنا بالشاعر "سنائى الغزنوى" التى آثارها صاحب النص السابق يقول "هرمان اته" : "لقد ترك السوزنى هذا النوع من الشعر وشُغل بالأشعار الجادة ثم اتَّجه إلى بلخ والتقى بالشاعر الصوفى سنائى- فى الوقت الذى ترك فيه سنائى الهجاء ودخل عالم التصوف- وأسرع إلى زيارة مكة بعد سنائى"(٢).

والحقيقة أن قصة لقاء شاعرنا بالشاعر "سنائى الغزنوى" بعد توبته ينبغى أن تؤخذ بشىء من الحذر للآتى:

(أ) الغالب أن "السوزنى" قد تاب عن هزلياته وشغل بالزهد والتوبة وهو فى الستين من عمره تقريبًا. وبما أنه قد مات عن ٨٥ سنة سنة ٥٦٩هـ على الأرجح فإن توبته تكون فى حدود سنة ٥٤٥هـ على وجه التقريب ، فى حين أن وفاة "سنائى" كما هو مكتوب على قبره سنة ٥٢٥هـ أو كما يرجح الباحثون فى أدب سنائى سنة ٥٣٥هـ(٣).

(ب) يرى "فروزانفر" ونحن نتفق معه أن هذه الرواية لا تخلو من الإشكال لأن "السوزنى" هجا "سنائى" وهجائياته هذه موجودة فى ديوانه وليس فى كل زهدياته ما يشير إلى لقائه "بسنائى" بعد توبته(٤) .

---

(١) آذر، ص ٣٤٢.
(٢) هرمان اته، (الترجمة العربية) ص ١١٨.
(٣) ارجع إلى كتاب: الحكاية والتمثيل فى حديقة سنائى الدكتور رجاء جبر ص ٢٢ وما بعدها، الكويت، ١٩٨٢م، وذلك فى تحديد وفاة سنائى الغزنوى.
(٤) فروزانفر، ص ٢١٦.

ارتباطه بموطنه:

يمكن القول بأن "السوزنى" من الشعراء ذوى الانتماء المطلق لمواطنهم؛ فلم يعرف عنه أنه ترك "نسف" و"سمرقند" و"بخارى" حيث وُلد وعاش وتعلم - إطلاقًا اللهم إلا إلى موضعين اثنين فقط: "يثرب" أدى فريضة الحج و"بغداد" حاضرة الخلافة الإسلامية فى ذلك الوقت، وكانت صلتها بالسلاجقة على أفضل ما تكون الصلة ويقول شاعرنا عن بغداد ونهر دجلة:

ألا طالما بقيت بغداد قائمة فى الدنيا، فليبق نهر دجلة عامرًا بالماء.
فليبق نهر دجلة ومدينتى بغداد فإن دجله تناسب جيدًا بغداد [١]

ولعل هذا الارتباط الذى كان بين شاعرنا وموطنه سبب فى كثرة استعماله للألفاظ العامية المنتشرة فى منطقته، وسبب أيضًا لأن يقول "ريبكا" بأن الميزة الحقيقة للسوزنى أنه برز من بين الشعب ببساطة حقيقية نادرة"[٢].

بنوه:

يقول "السوزنى":

من بين جميع الشعراء كان لى الحكمُ المسيطرُ على جسدى.
لم يجر اسمُ المرأة على لسانى، مع أننى لم أخِطْ شفتى بالإبرة الخاصة بى[٣].

---

(١) الديوان ص ٣٧٠ والبيتان هما:

الاتادر جهان بنياد بغداد	هميدارد به آب آباد دجله
بقاى دجله وبغداد من باد	كه بابغداد نيك افتاد دجله

(٢) ريبكا (الترجمة العربية)، ص ٣٣٨.

(٣) مقدمة الديوان ص چهل ويك والبيتان هما:

مرمرا بوداز همه شعرا	پادشاه وار حكم برتن خويش
نام زن برزبان من نگذشت	كه لبان نازدم بسوزن خويش

يتضح من البيتين السابقين أن شاعرنا ظلَّ فترة مضربًا عن الزواج متمتعًا بعزوبيته.. إلا أن هذا الأمر لم يطل؛ إذ سرعان ما اتخذ لنفسه زوجة وأنجب منها عدة أبناء تتركز الأضواء على ولد منهم يدعى "ضياء الدين" يرى "محقق الديوان" أنه هو الذى جمع أشعار أبيه ودونها بناءً على قول "السوزنى" نفسه فى قصيدة يمدح فيها أحد ممدوحيه:

حتى تفضّل ضياءُ الدين بعد استحسانك لشعرى بجمع هذا الكلام الغثِّ من الشعر (١).

ويذكر المحقق أن هذا الجمع قد تمَّ ودوِّن فى حياة "السوزنى" ويضيف بأن "ضياء الدين" هذا كان شاعرًا أيضًا وربما سار على درب أبيه، وأحيانًا كان ينسب إلى نفسه أشعار أبيه مما سبب للأب آلامًا من هذا السلوك(٢).

وكان "للسوزنى" ولدٌ آخر يدعى "محمودًا" ويقول عنه مخاطبًا أحد ممدوحيه:

عندى ابنٌ سمىٌّ لأبيك، يا مَن خصالك محمودةٌ مثل اسم أبيك (٣).

وهذا هو ما أمكننا استنباطه والوصول إليه عن حياة السوزنى وأسرته.

---

(١) السابق ص چهل ويك والبيت فى الديوان ص ٣٤٠.
تاضياء الدين زبس تحسين توبر شعر من   جمع فرمود اين دوسه ژاژ پريشان مرا
(٢) مقدمة الديوان ص چهل ويك – چهل ودو.
(٣) السابق ص چهل ودو والبيت .
پسرى هست مرابا پدرتو همنام   اى خصال توچو نام پدرتو محمود

الديوان

النسخة التى اعتمدنا عليها فى ترجمتنا لشعر "السوزنى" الجاد قام بتحقيقها وطبعها " د. ناصر الدين – شاه حسينى" فى طهران سنة ١٣٤٤هـ، ويفهم من مقدمته لهذه النسخة أنها المرة الثانية التى يحقق فيها ديوان "السوزنى" ويطبعه، أما المرة الأولى فقد قام بنفسه بجمع كل أشعار "السوزنى" وتحقيقها وطبعها كاملة فى مطبعة أمير كبير، ولكن هذه الطبعة قوبلت بانتقادات شديدة أرجعها المحقق إلى أن من أوكل إليه مهمة الطبع أثناء سفره لم يقدم بعض صفحات من الديوان إلى المطبعة، ولهذا آثر – إزاء هذه الانتقادات العنيفة – أن يعيد طبع الديوان بعد أن يعيد تحقيقه ثانية بصورة أدق، ومن ثم قسّم أشعار "السوزنى" – طبقا لنصيحة الأستاذ "فروزنفر" له – إلى قسمين حسب الأغراض: القسم الأول، ويشمل أشعار "السوزنى" الجادة فقط. وقد أتم المحقق تحقيقه وطبعه – وهو الذى بين أيدينا – وقد اعتمد المحقق فى تحقيقه له على ثمانى نسخ ذكرها فى المقدمة .

أما القسم الثانى، فيشمل أشعار " السوزنى " فى الهزل والهجاء، ويقول إنه في سبيل تحقيقه وطبعه الآن. ولا نعلم إن كان قد فعل أم لا. وبالنسبة للقسم الأول من أشعار " السوزنى" نكتفى فى هذا السياق بذكر بعض ما استحسناه فى التحقيق وما نأخذه على المحقق، فمن المحاسن :

١- حرص المحقق على أن يقدم لهذه النسخة بمقدمة تحتوى على بعض إشارات عن حياة " السوزنى"، وهى وإن لم تكن كافية، فإنها – على الأقل – أنارت لنا الطريق وساعدتنا فيما كتبناه عن حياة الشاعر .

٢- حرص المحقق الشديد - بعد الهجوم عليه فى الطبعة الأولى - على أن يسند أمر مراجعة التحقيق للأستاذ "جلال الدين همائى " ومن ثـم ألحـق المحقـق ملحوظات الأستاذ " همائى " على التحقيق، بآخر الديوان تحت عنوان "مستدركات".

٣- اهتم المحقق بتقسيم أشعار الديوان حسب أغراضها مع ترتيـب أشـعار كل غرض ترتيبًا أبجديا حسب قوافيها، كذلك اهتم باسـتخراج الكلمـات الـصعبة "المعنى" من الديوان وهى كلمات عربية وفارسية وتركية وشرحها فى قسم ألحقـه بالديوان تحت اسم "لغات"، وإن كنا نلاحظ أن الغالبية العظمى لهذه الكلمـات مـن الكلمات العربية وربما كان ذلك من المحقق لأنه يقدم الديوان إلى القارئ الفارسـى بالدرجة الأولى، ونلاحظ عليه أيضا أنه اعتمد فى شرح هذه الكلمات على معانيهـا المعجمية أكثر من معانيها الدلالية . أما المآخذ فنكتفى منها بما يلى:

١- فى الديوان قصيدة وقطعتان أصابهما التكرار : فالقصيدة تكررت بلفظها فى ص ١٠٨ وص ١١٣ وكذلك القطعة الأولى ص ٣٦٩ - ٣٧٠، وص ٣٢٩ - ٣٣٠- والقطعة الثانية قطعة طويلة فى ٢٧ بيتا ص ٣٤٧ - ٣٤٨ وهى عبارة عن أكثر من قطعة وادغمت فى قطعة واحدة مشوهة. والجدير بالذكر أن المحقـق قـد أشار فى مقدمته إلى التكرار الذى حدث فى القصيدة والقطعة الأولى معلـلا ذلـك بأنه قد حدث سهوا أثناء مراجعة الأساتذة الكبار لتحقيق الديوان قبل الطبع . ولنـا أن نتساءل: لماذا لم يمنع هذا التكرار حسب أصول التحقيق، اللهم إلا أنه لم يـدرك هذا التكرار ثم نبه إليه شخص ما بعد طبع الديوان فتدارك الأمر بذكره فى مقدمته.

٢- فى الكثير من أبيات "السوزنى" أخطاء بسيطة من التحقيـق لوتـداركها المحقق فى وقتها لتغير المعنى إلى الأفضل نكتفى منها بمثالين :

به ترك شروبه اتيان خير دارم امـر   همه مخالف امراست ترك اتيـانم [١]

---

(١) الديوان ص ١٩٣ .

الشطر الأول حدد الترك للشر والإتيان للخير حسب أمر الله، والشطر الثانى يبين أن الشاعر خالف الأمر أى خالف الترك – أى أتى به – وخالف الإتيان – أى تركه – ومن ثم كان من الأفضل وضع حرف العطف مع (ترك اتيانم) فى آخر البيت وتكون (ترك واتيانم) مثلما أتى بها " ذبيح الله صفا " (١) فى استشهاده بهذه القصيدة .

هست آسمان چوسفره وخورشيد همچو قرص انجم چوكوز ومه چوپنير اندر آسمان (٢)

كلمة (كوز) التى فى الشطر الثانى معناها المعجمى (أحدب) ولا يستقيم تشبيه الأنجم بالأحدب، اللهم إلا إذا كان المقصود بها (گوز) أى حبة (الجوز) فيستقيم التشبيه ، وبخاصة أن لهذه الكلمة لفظة أخرى، فى نسخة أخرى وهى (لوز) مذكورة فى هامش الصفحة فى الديوان .

(١) گنج سخن لذبيح الله صفا ٣٤٧/١ .

(٢) الديوان ص ٢٢٥ .

فنون الشعر عند الشاعر

فنون الشعر، ضروب الشعر، القوالب الشكلية ... إلـخ كلهـا مـصطلحات يطلقها النقاد والباحثون على نوع من الدراسة تهتم بالشكل أو بالقالب الذى يختـاره الشاعر ليصب فيه أغراضه وموضوعاته، وهو شئ بالغ الأهمية ؛ فتناسب الشكل مع المضمون مطلوب من الشعراء بالدرجة الأولى كى تتم عملية التوصيل والتأثير للأفكار فى نفس القارئ، ومن هنا يفضل البعض أشكالا أو فنونًا شـعرية معينـة لمضامين معينة يرون أنها أنسب لها وأفضل .

وفنون الشعر عند "السوزنى" التى تحتوى على أشعاره الجادة خمسة ، وهى وفقًا لترتيبها فى الديوان ولأهميتها أيضا عند الشاعر: القصيدة، الغزلية، القطعـة، المسمط، الرباعية. وتعد "القصيدة" أهم هذه الفنون عنده على الإطلاق ؛ إذا احتوت على الغالبية الغالبة لأشعاره .

ولم يكن " السوزنى" من الشعراء الذين وظفوا فنًا شـعريا معينـا لغـرض محدد؛ بل نرى " قصائده " تحتوى على أغراض متعددة، صحيح أنه يغلب عليهـا "المديح " إلا أن للتوبة والاستغفار والوعظ والرثاء والفخر مكانًـا واضـحًا بـين قصائده ، وتحتوى "غزلياته"، على غالبية ما أنشده فى المدح، وهو الغالب عليهـا، والغزل والإرشاد وقطعة عن الخمر وأخرى عن الموت، أما "مـسمطاته" فـدارت كلها حول المدح . فى حين انحصرت "رباعياته" فـى الغـزل والمـدح والـوعظ والإرشاد، ورباعية واحدة فى الغزل بالمذكر.

ويشير هذا التنوع فى أغراض كل فن شعرى إلى أن "الـسوزنى" لا يتقيـد بقيود معينة يسير وفقها بل يميل إلى التحرر وإن لم يكن لتحرره هذا تأثير يحتذى.

أسلوب السوزنى من خلال أشعاره وآراء الباحثين:

"السوزنى" شاعر له طبيعة خاصة قد تبدو متناقضة؛ فهو شاعر هَزْلى هجَّاء، موحش فى هزله وهجائه، وهو شاعر جاد فى أشعاره التى أنشدها فى "المدح"و"العزل" و"الاستغفار والتوبة" و"الرثاء" و"الفخر" وهو فى أشعاره الجادة ملتزم بعيد كل البعد عما أتى به فى هزلياته، ولم يعرف عنه أنه خلط الجد بالهزل، بل أعطى لكل غرض أسلوبه المناسب؛ بمعنى أنه كان مغرقًا فى هزله وهجائه إلى درجة الفحش وله طريقته الخاصة به فى أدائه الهزلى ولن ندرسها؛ لأن البحث التزم منذ البداية ألا يتعرض لها، وكان له كذلك أسلوبه الملتزم فى أشعاره الجادة – وهى موضع البحث – المميز بسمات معينة، تختلف دون شك عن أسلوبه فى هزلياته، وهى سمات وإن كانت تقليدية منتشرة فى عصره بين الشعراء؛ لأنها منبثقة أساسًا من نمط ثقافى معين منتشر في العصر وهو **الثقافة الدينية** التى سادت العصر السلجوقى نتيجة للصلة الوثيقة التى ربطت بين السلاجقة والخلافة الإسلامية فى بغداد، ولكنها – مع ذلك – سمات جيدة معبرة تعطى شعر الشاعر جمالا ورونقًا وقوة .. صحيح أننا لاندعى أن "السوزنى" تفرّد بهذه السمات عن الآخرين لأنها مأخوذة من ظروف العصر، ولكن نقول إنه مما يحسب "للسوزنى" **أنه اختار** هذه السمات بالذات **وانتقاها** لتعبر عن غرض معين يهدف إليه أو موقف محدد يحدث له وإلا **فلِمَ اختارها** بذاتها **أوانتقاها** دون غيرها إن لم تكن لها أهميتها؟!

هذه السمات التى اختارها الشاعر وانتقاها دون غيرها ليعبر بها عن أغراضه ومواقفه الأدبية تعكس بوضوح وجلاء الجانب الجاد لشخصية "السوزنى" المثيرة التى ينعكس منها هذا القدر الهائل من الثقافات الدينية والفارسية والعربية والتركية والتاريخية والمحلية وأحسن الإفادة منها فى أدائه الشعرى لأشعاره الجادة. فمن يقرأ هذه الأشعار لا يكاد يصدق أن مَنْ قالها هو من له هذا الباع الطويل فى الهزليات والهجائيات ... ولهذا أركز على القول بأن هذه السمات وإن

كانت عامة إلا أن دور "السوزنى" فى اختيارها وانتقائها دون غيرها للتعبير عن موقفه الأدبى يحسب له .. فهى فى نظره دون غيرها أكثر مطابقةً للحقيقة، فعنصر الاختيار والانتقاء إذن مطلوبان وهو ما يحسب للسوزنى.

وقبل أن نذكر هذه السمات التى استنبطناها من أشعار الشاعر الجادة نعرض لآراء بعض كتاب التذاكر عن أسلوبِ السوزنى، ويلاحظ أن بعضهم ردد ألفاظًا معينة يمكن أن تُطلق على أى شاعر فى أى عصر مثل السهولة والوضوح والنقاء.. إلخ وبعضهم – وإن كانوا قلة – لمسوا بعض هذه السمات الأسلوبية التى سنعرض لها مثل "فروزانفر" حين قال : "تميز السوزنى ببيان سهل وأسلوب بسيط عذب بحيث ربما لا يوجد فى كل ديوانه بيت واحد فيه تعقيد، ويتجلى فى غالب شعره **روح الدين** واضحًا وكذلك يعتمد **على الاقتباس من الحديث والتفسير.** أسلوب بيانه يشبه تمامًا أسلوب الفرخى حيث يتضح فيه نفس السهولة والخيال السهل البسيط، ولكن السوزنى تميز بأن بدَّل الجد بالهزل وأكثر فى **استعمال الألفاظ العربية** التى تقل فى شعر الفرخى وهو إلى جانب ذلك يحب أسلوب العنصرى ويؤمن به ويعده أستاذه دون أن يقتفى أثر أسلوبه تمامًا.

ويمتاز ديوان السوزنى أيضًا بغلبة **ألفاظ فارسية** أصلية، لا حدَّ لها **وبمفردات لغوية ربما تكون محلية**، ولهذا السبب فهو يعد واحدًا من مصادر المعجم الفارسى"(١).

هذا الكلام للأستاذ "فروزانفر" يشير إلى أهم سمات أسلوب السوزنى ومكونات شعره وهى سمات أو مكونات دينية وأجنبية (عربية) وفارسية ولهجية محلية، بالإضافة إلى سمات السهولة والبساطة والعذوبة . وإلى مثل هذه السمات يشير الأستاذ "سعيد نفيسى" فيقول : "بلغ السوزنى منتهى قدرته فى الهجاء والهزل، ولكنه كان مقتدرًا أيضًا فى المديح والغزليات، فصيحًا وعاليًا وبسيطًا يعرف لغة

---

(١) فروزانفر، ص ٣١٦.

شرق تركيا، **ويعد أول شاعر استعمل ألفاظا تركية فى الشعر الفارسى ويرد فى شعره كلمات كثيرة من لهجة ما وراء النهر،** ولهذا السبب يبدو فى شعره صعوبة"[١]، ويلاحظ أن "سعيد نفيسى" قد أضاف على سمات "فروزانفر" سمة أخرى وهى معرفة الشاعر أو درايته بألفاظ تركية واستخدامها فى شعره. أما "ريبكا" فيقول: "صار أسلوب السوزنى قدوة فيما وراء النهر ووَجد له مقلدون من بينهم "أبو على شطرنجى" و"لامعى بخارائى"[٢] أما " العوفى" فقد اكتفى بكلام يقال على أى شاعر آخر: "فى أسلوبه الجاد والهزلى كان نادرة الزمان وأعجوبة العالم"[٣] أما "ذبيح الله صفا" فقد ركز على صفات السهولة والفصاحة واليسر فى أسلوب السوزنى[٤] .

ولو تركنا آراء النقاد جانبًا وتناولنا ديوان "السوزنى" الذى يحتوى على أشعاره الجادة لوجدنا الشاعر قد اعتمد على سمات معينة فى أسلوبه أو أدائه الشعرى تعد انعكاسًا لشخصيته العلمية وتعكس فى الوقت نفسه نوع الثقافة التى حصل عليها من "بخارى" واستفاد منها فى هذا الأداء، ويمكن إجمال هذه السمات أو بعبارة أدق هذه المكونات التى للشاعر فى عصره على النحو التالى:

١- الإفادة من تقاليد الدين .

٢- الإفادة من التقاليد الأجنبية (العربية والتركية).

٣- الإفادة من التقاليد الفارسية.

٤- نصيب الشاعر الذاتى وإبداعه.

---

(١) سعيد نفيسى : تاريخ نظم ونثر ص ٨٩-٩٩.

(٢) ريبكا (الترجمة الفارسية) ص ٣٣٩.

(٣) محمد عوفى : ص ١٩١.

(٤) ذبيح الله صفا : گنج سخن ٣٤٧/١، تاريخ أدبيات : ٦٢٢/٢.

التصوير والإيقاع

نريد من مصطلحي: التصـــوير والإيقـــاع الوقوف عند الجانب الذاتى أو الإبداعى للشاعر فى أدائه الشعرى وأسلوبه من خلال أشعاره، أو بمعنى أدق من خلال الشكل الخارجى لشعره وهو غير الشكل الخاص بالنظم كالقصيدة والقطعة، بل هو يدخل فى إطار دراسة الشكل الأدبى؛ لأنه من الثابت أنه توجد علاقة بين المضمون وبين وسائل التعبير – التى نحن بصددها – وستعتمد دراستنا لها على أهم المعطيات فى دراسة الأسلوب بدون التقيد بمذهب معين بل نحاول المحافظة على الأسس العامة لهذا النوع من الدرس وتذوق الباحث الخاص به شخصيًا.

وإذا كان التصوير والإيقاع متلازمين ولا ينفصلان فى شعر الشاعر، فإننا هنا – كمحاولة للفهم – سنفصل بينهما.

أولاً – التصوير:

قد نستعمل كلمة "التصوير" هنا على إطلاقها ونهدف من ورائها دراسة ما عند الشاعر من تصوير شعرى وتصوير بلاغى (بديع وبيان) على أن نضع فى الاعتبار ما بينهما من فروق فى الدرس الحديث تدفعنا إلى دراسة كل واحدة منهما منفردة لنعرف ما تحت أبيات الشاعر أو بنيتها.

١ – التصوير الشعرى

بداية نشير – فى هذا المجال – إلى أن "السوزنى" لم يكن عنده فى الغالب الأعم من أشعاره المدحية – وهى أهم أغراضه وفنونه كمًا وكيفًا – تتابع فى الموضوع تتابع أو وحدة فى الموضوع؛ بل يمكن التغيير والتبديل بين أبياته المدحية بالذات والتقديم والتأخير فيها، فكأن الوحدة عنده فى البيت الواحد فقط وتنتهى الفكرة بانتهاء البيت، وترتب على هذا أن انحصرت معظم صوره الشعرية فى البيت الواحد. أما غزلياته فربما تجاوزت الفكرة – ومعها الصورة أيضًا – إلى ما هو أكثر من بيت. وربما يرجع السبب فى ذلك إلى طبيعة "السوزنى" المدحية

ونظرته إلى ممدوحيه "النماذج" و"المثل" عنده والتى يخلع عليهم كل ما يعن له من صفات مثالية عديدة لا تحتاج كل صفة منها عنده إلى أكثر من بيت واحد، خاصة وهو شاعر قصير النفس كما هو معروف.

٢ – التصوير البلاغى :

فى مجال التصوير البلاغى، يمكن القول أن "السوزنى" لم يشتهر اشتهار الشعراء ذوى الأسلوب البديعى المصنع الذين يشار إليهم دائمًا فى كتب الأدب وإن لم تقل الصنعة عنده عنهم بأى حال من الأحوال؛ وربما رجع السبب فى ذلك إلى أن أشعاره الجادة التى تحتوى على صنعته وصوره البديعية والبيانية كان ينظر إليها دائمًا فى المرتبة الثانية بعد هزلياته وهجائياته، ومن الطبيعى ألا يُلتفت إلى صنعته لقلة الاهتمام بشعره الجاد الذى يحتوى على هذه الصنعة. ومن الطبيعى أن شعره الجاد يمشى على النمط البديعى المنتشر بين شعراء هذا العصر.

اهتم السوزنى بالصور البيانية من استعارة وكناية وتشبيه واعتمد عليها فى توضيح أفكاره وتجميل معانيه وأبعادها عن أسلوب الخطابة أو المباشرة فى القول.

أما **الصور البديعة** والتى تعرف بالمحسنات فلقد اعتمد الشاعر عليها اعتمادًا عظيمًا فى أدائه الشعرى وبناء أفكاره وبخاصة فى الصفات المثالية التى يخلعها على ممدوحيه ولا يكاد يخلو بيت واحد دون محسن من محسناته وبخاصة "الجناس" و"اللف والنشر" و"المقابلة"، وهى أهم المحسنات عنده وإن لم يهمل الأنواع الأخرى.

ثانيًا : الإيقاع

يمكن القول إن "السوزنى" كان فى إيقاعه مرآة للشعر الفارسى التقليدى ــ أى فى فترات الازدهار الأولى حتى القرن الثامن الهجرى - وكان

ملتزما تمامًا بالنسق العروضى الذى كان سائدًا فى عصره، ويؤكد هذا عاملان أساسيان مستنبطان مما مضى :

أ – اهتمامه المتزايد ببحور "الهزج" و"الرجز" و"الرمل " التى نالت ما يصل إلى نسبة ٧٠% من مجموع أشعاره .

ب– إهماله التام لبحور : "الطويل" و"البسيط" و"المديد" و"الكامل" و"الوافر".

وبعد هذا الاستعراض السريع لأبرز ملامح شعر سوزنى سمرقندى، ننتقل إلى ترجمة أعماله ليتعرف القارئ بنفسه على الجوانب الإبداعية لهذا الشاعر المهم فى تاريخ الأدب الفارسى.

محمد محمد يونس

مراجع

أولا : مراجع كتبت بالفارسية:

١- آذر بيكدلى (لطفيعلى): آتشكده. تهران ٢٧٧ هـ .

٢- امير خواند (مير محمد بن سيد برهان الدين): روضة الصفا جـ ٤ تهران ١٣٣٩ هـ. ش .

٣- د. حسين فريور: تاريخ أدبيات ايران وتاريخ شعرا. چاپ پانزدهم ١٣٥٢ هـ. ش .

٤- حمد الله مستوفى قزوينى : تاريخ گزيده جـ١ نشر براون. طبع ليدن ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠م .

٥- دولتشاه السمرقندى : تذكرة الشعراء. بهمت محمد رمضانى. تهران ١٣٣٨ هـ. ش .

٦- ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران جـ٢ چاپ چهارم. تهران ١٣٤٧ هـ. ش .

٧- ذبيح الله صفا : گنج سخن. جلداول. چاپ پنجم تهران ١٣٥٤هـ. ش.

٨- ريبكا (يان) : تاريخ ادبيات ايران. ترجمه إلى الفارسية د. عيسى شهابى. تهران ١٣٥٦: هـ. ش .

٩- د. زهراى خانلرى (كيا) : فرهنگ ادبيات فارسى درى .

١٠- زين العابدين مؤتمن: تحول شعر فارسى : چاپ سوم. تهران ١٣٥٥ هـ. ش .
١١- سعيد نفيسى: تاريخ نظم ونثر در ايران ودر زبان فارسى. تهران ١٣٤٤ هـ. ش .
١٢- سعيد نفيسى : تعليقاته على كتاب لباب الألباب. چاپ نفيسى. تهران ١٢٣٦ هـ. ش .
١٣- السوزنى السمرقندى : ديوان حكيم سوزنى سمرقندى. باهتمام دكتر ناصر الدين ـ شاه حسينى. تهران ١٣٤٤ هـ. ش .
١٤- شاملوئى (حبيب الله) : تاريخ ايران از مادتا پهلوى. تهران ١٣٤٧ هـ. ش .
١٥- د. صادق رضا زاده : تاريخ ادبيات ايران. چاپ دوم ١٣٥٢ هـ. ش .
١٦- ضياء الدين سجادى : شعر فارسى در قرن ششم هجرى قمرى. مجموعه سخنرانيهاى دومين كنگره تحقيقات ايرانى. جلداول به كوشش حميد الدين زرين كوب. مشهد ١٣٥١ هـ. ش .
١٧- عباس إقبال اشتيبانى : تاريخ مفصل ايران. بكوشش د. محمد دبير سياقى تهران ١٣٤٦ هـ. ش .
١٨- د. عبد الحسين زرين كوب شعر بى دروغ شعر بى نقاب تهران ٢٥٣٥ ملكيه.
١٩- العنصرى (أبو القاسم حسن): ديوان العنصرى. بكوشش د. محمد دبير سياقى تهران ١٣٤٢ هـ.

٢٠ – د. عيسى صديق: تاريخ فرهنگك ايران. چاپ هفتم. تهران ١٣٥٤ هـ. ش.
٢١- فروزانفر (بديع الزمان): سخن وسخنوران. چاپ دوم. تهران ١٣٥٠ هـ. ش.
٢٢- القزوينى (محمد بن عبد الوهاب) : حواشيه على كتاب لباب الألباب لمحمد عوفى. تصحيح براون طبع بريل. ليدن ١٣٢٤ – ١٩٠٦م .
٢٣- محمد بن قيس رازى: المعجم فى معايير أشعار العجم. تصحيح قزوينى. تهران ١٣٣٨ هـ. ش.
٢٤- محمد تقى بهار : سبك شناسى. چاپ چهارم. تهران ٢٥٣٥ ش.
٢٥- محمد عوفى: لباب الألباب. تصحيح ادوارد براون انكليسى. تصنيف محمد بن عبد الوهاب القزوينى طبع بريل ليدن ١٣٢٤ هـ – ١٩٠٦م
٢٦- مهدى توحيدى پور : گلهاى جاويدان در پوستان ادب ايران. تهران ١٣٣٦ .
٢٧- د. ناصر الدين ـ شاه حسينى : مقدمة ديوان حكيم سوزنى سمرقندى تهران ١٣٤٤ هـ. ش .
٢٨- هدايت (رضا قليجان) : مجمع الفصحاء. بكوشش مظاهر مصفا جـ٢ تهران ١٣٣٩ .
٢٩- هرمان اته : تاريخ ادبيات فارسى. ترجمه إلى الفارسية رضا زاده شفق. چاپ دوم. تهران ٢٥٣٦ هـ. ش .

ثانيا : مراجع كتبت بالعربية :

٣٠ – د. إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر. الطبعة الثالثة. القاهرة ١٩٥٢م .

٣١ – ابن الأثير (أبو الحسن على) : تاريخ الكامل. القاهرة .
٣٢– ابن رشيق القيرواني : العمدة فى صناعة الشعر ونقده. الطبعة الأولى. طبع بيروت ١٩٨٣م .
٣٣– ابن قتيبة : الشعر والشعراء. تصحيح مصطفى السقا. الطبعة الثانية. المكتبة التجارية. مصر .
٣٤– أبو تمام : ديوان أبى تمام. ضبط وشرح إيليا الحاوى. دار الكتاب اللبناني. الطبعة الأولى ١٩٨١م .
٣٥– د. أحمد الساداتى : محاضرات فى تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها. القاهرة ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦م .
٣٦– د. أحمد الشايب : الأسلوب، دراسة نقدية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. الإسكندرية ١٣٥٨ – ١٩٣٩م .
٣٧– احمد عطية الله : القاموس الإسلامى. المجلد الثالث. القاهرة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م .
٣٨– ارمينيوس فاميرى: تاريخ بخارى. ترجمة د. أحمد الساداتى. القاهرة ١٩٦٥م
٣٩– د. إسعاد قنديل: فنون الشعر الفارسى. القاهرة ١٩٧٥م .
٤٠– بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى. ترجمة د. أحمد السعيد سليمان ١٣٧٨ – ١٩٥٨م .
٤١– بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية. ترجمة حمزة الطاهر ط٤ القاهرة ١٩٦٦م
٤٢– بارتولد : دائرة المعارف الإسلامية : ترجمة عباس محمود وآخرين جـ٣ .

٤٣- براون (ادوارد جرانفيل) : تاريخ الأدب فى إيران : نقلـه إلـى العربيـة د. إبراهيم أمين الشواربى. طبع مصر ١٣٧٣ – ١٩٥٤م .
٤٤- البندارى الأصفهانى (الفتح بن على) : تاريخ دولـة آل سـلجوق. الطبعـة الثالثة. طبع بيروت ١٩٨٠م .
٤٥- البيرونى (أبو الريحان محمد) الآثار الباقية عن القرون الخالية. طبع ليبـزيج ١٨٧٨ – ١٨٧٩م .
٤٦- تامارا تالبوت رايس : السلاجقة تأريخهم وحضارتهم. ترجمة لطفى الخورى وإبراهيم الداقومى طبع بغداد ١٩٦٨م .
٤٧- حامد عبد القادر: قـصة الأدب الفارسـى. الجـزء الأول. القـاهرة ١٣٧٠ – ١٩٥١م .
٤٨- حامد عبد القادر : القطوف واللباب. الجزء الأول. القاهرة ١٩٥٤م .
٤٩- د. خانلرى (پرويز ناتل): أوزان الشعر الفارسى. ترجمة د. محمد نور الدين عبد المنعم. طبع الأنجلو مصر ١٩٧٨م .
٥٠- د. درويش الجندى : ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده. القاهرة ١٩٦٩م .
٥١- الراوندي (محمد بن على بن سليمان): راحة الـصدور وآيـة الـسـرور. ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربى وآخرين. القاهرة ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م .
٥٢- د. رجاء جبر : الحكاية والتمثيل فى حديقة سنائى. طبع الكويت ١٩٨٢م .
٥٣- رشيد الدين الوطواط : حدائق السحر فى دقائق الشعر. ترجمـة د. إبـراهيم أمين الشواربى. القاهرة ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م .
٥٤- سامى الدهان : المديح. الطبعة الرابعة ز دار المعارف ١٩٨٠م .

٥٥- ستانلي لين بول : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة. ترجمة د. أحمد السعيد سليمان جـ١. دار المعارف ١٩٦٩م القاهرة.
٥٦- د. شوقي ضيف : فصول في الشعر ونقده. دار المعارف بمصر ١٩٧١م .
٥٧- الشوكاني (محمد بن علي) : نيل الأوطار جـ٤ طبع ونشر مكتبة الدعوة الإسلامية .
٥٨- عباس العقاد : ابن الرومي. حياته من شعره. طبع القاهرة .
٥٩- عباس العقاد : أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. الطبعة الثانية. دار المعارف بمصر.
٦٠- - د. عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق. الطبعة الأولى. القاهرة ١٩٥٩م.
٦١- د. عبد النعيم محمد حسنين : نظامي الكنجوي. الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
٦٢- د. عبد الوهاب عزام : ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام. مطبعة الجزيرة. بغداد ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .
٦٣- قاسم غني : تاريخ التصوف في الإسلام. ترجمة صادق نشأت. القاهرة ١٩٧٢م
٦٤- القزويني (محمد بن عبد الوهاب) : حواشيه على كتاب جهار مقالة لنظامي عروضي سمرقندي. ترجمة الدكتورين عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب. الطبعة الأولى. القاهرة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .
٦٥- د. محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن. الطبعة الثالثة. دار النهضة بمصر .

٦٦- د. محمد غنيمى هلال : مقدمته على كتاب مختارات من الشعر الفارسى. القاهرة ١٩٦٥م .

٦٧- د. محمد فتوح أحمد : شعر المتنبى. قراءة أخرى. دار المعارف ١٩٨٣م .

٦٨- د. محمد موسى هنداوى : سعدى الشيرازى طبع مصر ١٩٥١م .

٦٩- النرشخى (أبو بكر محمد بن جعفر) : تاريخ بخارى. تعريف أمين عبد المجيد، نصر الله مبشر الطرازى الطبعة الثانية. دار المعارف ١٩٧٧م .

٧٠- نظامى عروضى سمرقندى : چهار مقاله. ترجمة الدكتورين عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب. الطبعة الأولى. القاهرة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م .

٧١- ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٥ ، ٨ تصحيح محمد أمين الخانجى الطبعة الأولى ١٩٠٦م .

٧٢- د. يوسف خليف : حركات التجديد فى الأدب العربى : مجموعة مقالات فى كتاب. دار نشر الثقافة. القاهرة ١٩٧٩م .

القصـــائد

حرف الألف[1] (ص ١-٣)

١ - ما إن أدركتنى السّتون حقًّا حتى انحنت كالقوس قامتى الـسامقة كالـسهم، وولَّى ما كان لىَ من ربيع وخريف.

وطارتِ الستون كالسهم الذى انطلق من القوس، وولَّـى العمـرُ وانحنـى ظهرى.

ولم يبقَ لى حظٌ ولا نصيبٌ من الوقوع فى شرك تجعيدة قوس الحواجـب وسهم القدود.

أنا كالكوكب المحترق من شمس الخريف، مادام حالى قد خضع للـشمس وعطارد.

فرؤيةُ القمر فى الليل الغربيب تَبْدو لىَ أكثرَ حيرةً من رؤية النجـوم فـى النهار السّاطع.

فهكذا أصاب النقصانُ نورَ مقلَتىَّ؛ لأنه لم يبدُ لىَ قمرٌ سوى السُّها.

الآن "الشقائق" و"الزرير" لعينىَّ سـواء؛ فكيـف؟! لأنَّ عارضـى الـشبيه بالشقائق[2] صار الزريرَ [3].

لقد وصلتُ الشبابَ بالشيخوخة فى الفحش والهزل، ولم يكن لىَ أدنى خَجل من (صفة) الشباب والشيخوخة.

---

(١) يقصد ما جاء من أشعاره على قافية حرف الألف ويتبع ذلك ما جاء له على بـاقى حـروف الأبجدية، ويبدو أن هذا من صنع المحقق . وأرقام الصفحات المصاحبة للعناوين هـى مـن عندنا وتشير إلى موضعها فى النص الفارسى.

(٢) أى : حمرة.

(٣) أى : الله.

ولم يزد تعدادُ طاعاتى عن الواحدة أو الاثنتين، بينما بلغت ذنوبى مبلغًا خطيرًا.

١٠ - لقد صرتُ من الفسق والعصيان فى لهيب السَّعير؛ لأننى لم أعشْ لحظةً واحدةً فى بَرْد النَّدامة.

ما أكثرَ ما اقترفتُ من الذنوب الصغيرة والكبيرة، وصارت خطرًا لدن الكبير ولدن الصغير.

أنا أستحقُّ عذابًا للكبيرة فى كلِّ صغيرة، إن لم يَعْفُ الخالقُ الكبيرُ عنِّى.

لِىَ من السلطان[1] كاتبان للشرِّ وللخير، وليس لِىَ لحظةُ اختيار واحدة فى هذا وذاك.

فَرَغ كاتبُ الخير منِّى، ودبَّج الكاتبُ الآخرُ عنِّى ألفَ كتاب شَرٍّ.

لم يصدر منِّى خيرٌ وكلُّه فى قلبى، مع أنَّ الحقَّ سيقبل عبثى الذى لم يكن فيه خير.

فالحقُّ يقبل النَّدمَ ولو للحظة واحدة، فلِىَ لسانٌ ناطقٌ بالحقِّ وصَدْرٌ قابلٌ للحقِّ.

خُلقتُ بكلِّ ذنب مشار إليه، فقد كانت وسوسةُ الشيطان لِىَ أسوأ مشير.

لم يبقَ طريقٌ سيِّىء فى أرجاء العالم، إلا كانت لى فيه - هذه الوسوسةُ - أسوأ رفيقة.

على أى حالٍ، لم يُجتث بصلُ حُسْنى، حتى ولو يَجْدر تَحطَّمُ رأسى مثل الثوم.

٢٠ - لقد صرتُ كمدينة جامعة لكلِّ سوء، وأخشى من أن تكون جهنمُ لِىَ مصيرًا.

لم يخلق الله لِىَ شبيهًا فى مجال الفسق والفساد والخطأ والجرم والزلل.

---

(١) أى : الله.

وأنــا لا أقــول: إنَّ لــه نظيــرًا، ولا أعرف- غيره- لى مجيــرًا مــن جور هذا الجسد الجائر.

سقطتُ بفعل الشيطان فى شراك المعصية؛ فمَنْ لىَ غيرُه معينًا مــن هــذا الشراك؟

يحفظنى سلطانٌ لا وزيرَ له[1]؛ من قصد باب ســلطانٍ بغــرض التكــسب منه؟!

ويهبنى من كوثر فضله العسلَ واللَّبنَ مثلما تهب المربيةُ الطفــلَ العــسلَ واللبنَ.

حينما أتأمل فى خَلْقه لىَ، أقول: إنَّه قد شكَّل مادةَ عجينى بالسّوء.

أيها الإلهُ الودودُ، جاء تنورُ عفوك حارًّا وتصير التوبةُ فيه ناضجةً.

اعتقادى فيك أنك لا تجعل العاقبةَ عقوبةً لىَ لا فى القليل ولا فى الكثير.

إذا ما رأيتَ منِّى ذنبًا تافهًا؛ فلا تحاسبْنى عن تافهٍ يَبْدر منِّى.

٣٠ - أتيتُ من نفسك بصوت النَّفير[2]، فأغِثْنى من نفسى حين يصدر النَّفير[3].

أنا لو أموت؛ فلا انطفأ شمعُ ضميرى؛ لأنَّ دينى تكون قريرةً من نوره.

بفضل رحمته لم يبقَ من بحر جرمى أثرٌ؛ فلو كان لى جرمٌ لمــلأ الأرضَ إلى السماء.

لو أنَّنى فى الظَّاهر فى ظُلمةٍ بسبب الجرم والزَّلل؛ ففى ضميرى ضياءٌ من نور دينك.

وأنا حين أنازع الشيطانَ أثناء الموت؛ فكــنْ نــصيرى حتــى لا يَــسْلبنى الشيطانُ دينى.

---

(١) أى : الله.

(٢) أى : الخَلْق.

(٣) أى : البعث والنشور.

وأنا حين أنتزعُ من أعماق صدرى إلى شفتى لحظةً من النَّدم؛ فلا تَـدفَعنْى إلى حافة هاوية السَّعير.

ألا فأرسلْ إلىَّ ملكًا يتسلَّم روحى ويقبضها؛ لأنَّ الإيمانَ يكون بشيرًا لـىَ على السلامة.

واجعل "النَّكير" ملقِّنَك لىَ فى القبر وقت السؤال حتى يجرى الصوابُ على لسانى.

قال الرسولُ: أميرُ القول هو الشاعر؛ لو تدعونى أميـرًا بهـذه القـصيدة الجديرة بهذا اللقب.

إن يكن الأميرُ من أهل السيف والتاج والعرش؛ فأعْطنى تاجًا من الفـضل وعرشًا من الحكمة.

٤٠ - احفظْ سيفَ لسانى ليجرى هكذا؛ لأنه وقت النظم لا يفرِّق أحدٌ بينـى وبـين "جرير".

خرج إلى العالم (السوزنى) لقبَالىَ من حرِّ نار سـقر، كمـا تخـرج رأسُ الإبرة (سوزن) من الحرير[1].

فصِلْنى إلى جَدِّ "الحسن" و"الحسين" وابْعَثْنى معهما يوم الحشر.

فى مدح نصير الدين (ص٣-٥)

١ - صـار العشـقْ رَسْمى وطريقى وسيرتى ومذهبى، وكلُّ ذى بصيرة يـراه لى ويرانى له.

---

(١) يشير إلى الفترة التى كان فيها شديد الهجاء ولوعًا به؛ كأنه اشتق من النار؛ والتوريـة هنـا قائمة على العلاقة اللغوية بين (سوزن) بمعنى الإبرة التى يخز بها صدور أعدائه من الشعراء ويثقب بها أعراضهم، و(سوز) المادة من الفعل (سوختن) بمعنى أن يحرق.

فلىَ بسببه تارةً معاناةُ "فرهاد"، فى حين أنَّ السَّعادةَ تنبعث من معشوقى مثل "شيرين".

فأنا هائمٌ بوجهٍ حَسَن؛ من رؤيته يصير محيًّايا كالسماء بسبب دمعى الشبيه بالثُّريا.

"ديلمى"[1] الشَّعر، يصيب شغافَ قلبى وأعماقَ روحى كلَّ لحظة بسَهم من لحاظه بغير عراك وجدال.

صفحةُ وجهه تُشبه البستان فى فصل الربيع حقًّا، ومقلتايا تشبه سُحَب فصل الربيع فى الانهمار المتواصل.

ياقوتُه الدُّرى[2] يبيع السُّكر، ودائمًا ما يُعَيِّينى مشتريًا لذلك السُّكر.

ويرغب فى ألفٍ من جَزْعى[3] ثمنًا لدُرِّه المثقوب[4]، كى يبيعنى قطعةَ سُكّرٍ واحدةً من ياقوته[5].

يعقد من العَنْبر[6] الزِّينةَ على الورد[7] والنِّسرين[8] ويا للعجب، ودائمًا يجعلنى شاهدًا على تلك الزِّينة.

فصيَّرتنى زينتُه المعقودةُ تلك ملتهبًا وذابلاً كالعنبر على النار والنِّسرين على رياح فصل الشتاء.

١٠ - وأضرمتْ تجعيدةُ طُرَّة شمس الصين هذا وبهاءُ وجنته النَّارَ فى قلبى ولفحت وجهى.

---

(١) أى غجرى الشَّعر، والديلم مشهورة بالمقاتلين الأشاوس.

(٢) أى : ثغر.

(٣) أى : قرارة عينى.

(٤) أى : ابتسامته.

(٥) أى : ثغره.

(٦) أى : الخال.

(٧) أى : الخدّ.

(٨) أى : الوجه.

وَيعقد دائمًا حول الوَرد المعقوف[1] من المسْك والغالية، حتى يُغلق بذلك طريقَ قطف الورد أمامى.

ذلك السَّيدُ الذى فى طريق الثناء عليه والمديح له، يتجدَّد كلَّ لحظة بستانى وروضتى.

وذلك الفاضلُ الذى يقول له صدر الدين والدُّنيا: أنت لىَ الصديقُ الطيبُ والناصحُ الأمينُ يا"نصيرَ الدين".

هو زينةُ المُلك الذى يقول ملكُ بلاد الشرق والصين: إنَّ قلمَ "نصير الدين" يمنحنى الزينةَ.

ويقول ملكُ الترك والعجم: إنَّ من تدبيره يصير غلامى مثلَ مائة من مَلك "زاول" و"غزنه".

ولو أنَّنى أرسل رسالةً بقلم "نصير الدين" لانقادَ لىَ بذلك قيصرٌ من "قسطنطينة".

يقول العرشُ فى ذلك: إنه يسحقنى فى ذلَّة بأقدامه؛ لأنَّه فى علِّيين من علو شأنه.

ويقول مركبُ الإقبال: لقد كنتُ وثَّابًا جامحًا إلى الآن؛ فأحضرونى مسَرَّجًا لأجل امتطائه لى.

ويقول الجودُ: مادامَ "معن" و"حاتم" و"أفشين" قد رحلوا؛ فإنَّ كفَّه تكون لىَ بمثابة "معن" وحاتم"و"أفشين".

٢٠ - أيها الحكيمُ العاقلُ، لطالما ازداد عقلاً وحكمةً؛ فالعقلُ لا يلقِّننى سوى الثناء عليك والمديح لك.

يصير لى منك الإحسانُ والاستحسانُ أيضًا؛ فأىُّ مديح لا يكون لديك مستحسنًا؟!

---

(١) أى : الوجْنة.

وطالما صارت عروسُ طبعى مجلوّةً على صدرك؛ فقد امتلأت كفّى وعباءتى بالعطاء والصَّداق.

فأنت أولُ صهر لعروس طبعى، ولا يرغب عن مصاهرتى سوى العِنّين.

لىَ من مديحك عند عظماء الدَّهرِ الحشمةُ والجاه والشأنُ والحرقةُ والمكانةُ.

لقد تمنطقتُ مثلَ "القُمرى" بالمنَّة من إحسانك، وصادنى مثلَ "الشاهين" جودُك وعطاؤك.

يكون الاعتقادُ حقًّا أنك تشبه مؤشرَ الميزان لأجل شعبك أمام المثقال والدِّرهم.

وقتَ الصباح أعتكف فى "زُحل"، وكلَّ مساء أتوسَّد أعتابك.

ولا تُبصر عينى البصيرةُ ضياءَ العالم؛ إنْ لم أتكحل بثرى حافر مطيتك.

طالما يتحلى صدرى بعُقد عشق خدمتك؛ فأنَّى للدهر الحاقد المغير أن ينظر إلىَّ بعين الحقد؟!

٣٠ - وطالما يعلم الفلكُ أنَّ حيرتى هذه ليست منّى، وطالما تقول الأرضُ: إنَّ سكينتى هذه ليست منّى.

فأنا من هذه الناحية أدعو لك وأرجو لك البقاء، وهذه الأرضُ وهذا الفلكُ يردِّدان من بعدى: آمين.

فليهبك اللهُ عمرًا مديدًا إلى يوم الحشر، وليكن دعائى هذا مستجابًا فى التَّوِّ واللَّحظة.

فى مدح شاه مظفر طمغاج خان (ص٥-٦)

١ - الملكُ المظفَّرُ "طمغاج خان" الموفق، الذى تكون دورةُ الفلك الجامح مطيتَه السلسلةَ القياد.

لا يوجد ملكٌ دونه على وجه البسيطة؛ فهو مطاعٌ نافذُ الرأى بما لا يجوز ويجوز.

الملكُ العظيمُ العطاء سيدُ الصغير والكبير، أخذ الصغيرُ والكبيرُ منه سبعَةَ عطاءات.

اختار الملكَ "طغان خان" برأى صائب منه للسفر إلى "الخَطا"(١) لكشف الخَطأ بها.

فسافر إلى مَلك "الخَطا" وعاد موفقًا، وكان على صواب فى الذِّهاب وفى الإياب.

وكان غرضُه فى غُدُوِّه ورَوَاحه؛ أنْ يبسط طائرُ "الهما"(٢) على جيش "الخَطا" ظلَّ مِلَّة الإسلام.

فهو سلطانُ الترك الميمون (شبيه الهُما) ركن الدين، الذى أظلَّ الدنيا بمظلة السَّعادة.

وهو الذى راعى تمامًا فى حقِّنا حقَّ الإنصاف؛ لأنَّنا رعايا إنصافه.

والذى حَوى بين طيَّاته صلاحَ أمر الدين؛ فله حقًّا هذا القلبُ وهذه القوةُ والجسَارةُ والمقدرةُ.

١٠ – مِنْ أجلنا انطلق إلى الطريق البعيد الطويل، كما ينطلق السَّيلُ من عَلٍ.

ذهب ملكُ العرش بالإقبال وعاد إلى تخت مُلك الأجداد وعرش الآباء.

وأسعدَ هذا الملكُ الموفقُ ملوكَ العالم بالجلوس ابنًا على عرش مُلك الآباء.

فأقبلَ الأمراءُ من كلِّ حدب وصوب إلى بلاط ملكٍ لا يناظره أحدٌ للتهنئة.

ولثمتْ شفاهُهم بلاطَه العظيم، وردَّدوا كالببغاوات كلمات المديح والنَّميمة.

لقد كانوا جيشًا من الرَّدىء والطَّيب مثل الشوك والتَّمر، والملكُ يفصل بعلمه بين الشوك والتَّمر.

---

(١) "الخَطا" أو "قبائل الخَطا" قبائل تركية سكنت شمال شرقى إيران فى عهد السلاجقة سنة ٥١٨هـ.

(٢) طائرٌ وَهْمى عند الفرس يشبه العنقاء فى أدبنا العربى، ويقال: إنه لو بسط جناحه على أى شخص لصار سعيدًا موفقا، ويضرب به المثل فى السعادة والتوفيق.

لو تشبُّ الثورةُ حتى من "سدِّ الإسكندر"؛ فإنَّ حسامَ الملك يطفيء هذا الاضطراب.

وإذا بدا ظلمٌ من "العنقاء" تجاه "الصَّعوة" فى دائرة حكم الملك؛ فإنَّ "الصعوةَ" تنتزع ريشَ "العنقاء".

فى حياة مَلك العالم أطال الله عمرَه، ولا يثبت الظُّلمُ كما لا ينمو العشبُ الذابلُ على وجه الأرض.

مرحى أيها الحفيدُ "لأفراسياب" و"أفريدون" أنت وحدك الجديرُ بمُلك العالمين كليهما.

٢٠ - كأنك "أفراسياب" وقت الوغى "وپشنك" وقت المحفل و"أفريدون بن آتبين"(١) وقت اللقاء.

يرتفع علمُ "كاويان"(٢) من رمحك، مثلما تخرج هراوةُ(٣) "أفريدون" من دُرَّتك.

وتمنح إشارتُك البشارةَ إلى جيشك بالحملة على الأعداء وتحطيم جيشهم.

وأمامَ تحرُّك جيشك، ينفصم جيشُ عدوِّك عن موضعه مثل انفصام الرمح من كنانته.

يذيب شعاعُ سيفك الدِّرعَ على وجه الخصم، حتى ولو كان من الزَّهر والحديد والشوك.

---

(١) أفراسياب وأفريدون وپشنك؛ ملوك فرس قدماء خلَّدتهم شاهنامة الفردوسى.

(٢) علم ينسب إلى من يسمى "كاوه"، وتقول الأساطير: إنه كان حدادًا فى أصفهان وله ولدان قتلهما الضحاك ليطعم من مخهما ثعبانين كانا على كتفيه، فما كان من "كاوه" إلا أن رفع جلدًا يقى ثوبه من شرر كور الحدادة على رمح، وجعل من الجلد والرمح علمًا للثورة على الضحاك.

(٣) "گاوسر" هى عصا رأسها على هيئة رأس البقرة.

وليس ثمة عجبٌ لو أنَّ سيفَك الصَّقيل يفصم عُرى "الجوزاء" عن السَّماء فزعًا منه.

وفى كلِّ ليل بهيم من ليالى السَّماء الزَّرقاء، كان يجوب فى كلِّ بحر لأجلك لعدة أيام.

وكلَّ هذه الدُّرر التى فى بحار الحكمة، كان يلتقطها "الحكيمُ السوزنى"[١] وينظمها فى عقد المديح والإطراء.

فهو المادحُ والدَّاعى والنَّاظمُ والناثرُ الذى يثنى عليك بالنظم ويدعو لك بالنثر.

فلا انقطع الدُّعاءُ والثناءُ عن مجلسك، ولا تأخَّرَ الثناءُ عليك ولا الدعاءُ لك بالبقاء.

٣٠ - فَلْتُظلُّك مظلةُ الظَّفر من كلِّ ناحية، من اليمين إلى اليسار ومن الأمام إلى الخلف بالدُّعاء والثناء.

فدائمًا ما تكون للملوك رغبةٌ فى الدعاء والثناء لك، ليكون لهم ذخيرة الغَد.

وحيثما تذهب وحيثما تؤوب، ليكن اللهُ لك قرينًا أيها الفريدُ بين الملوك.

* * (ص ٦- ٨)

١ - أيها المحسن![٢] طالما تحفظنى فى الدنيا؛ فاحفَظْنى على طيب السُّمعة وحُسْن العمل.

وما دامَ طريقُ العمل الصالح خيرًا من كلِّ طريق؛ فلا تَحِدْ بىَ عن هذا الطريق.

وما دمتُ أراعى حقَّ الصحبة مع خلقك فى كلِّ عمل؛ فأعنِّى إنْ أساءوا بىَ الظُّنونَ.

يُطلق الخلقُ علىَّ اسمَ "عمر" تشبُّهًا بالصاحب العادل؛ فأنِصفْنى من جور الفلك وظُلمه.

وطالما أنَّ طريقَ سُنَّة سَمِيِّى[٣] هو الباقى؛ فاجْعلْنى على سبيل سنة سَمِيِّى.

---

(١) أى الشاعر نفسه، وهذا تخلُّصه الشعرى.

(٢) يخاطب الخالق عزَّ وجل.

(٣) أى عمر رضى الله عنه.

لقد كان خَلقُك فى سبات عميق عن إنصافى؛ فاكرمْنى بإيقاظٍ من نوم الغفلة.
ما دمتُ أرى جاهى من فضلك ولا أراه منهم؛ فاحفَظنى من الخيلاء والتَّجبر.
أيها الملكُ، أنا عبدٌ أشدُّ عجزًا من كلِّ عاجز؛ فمنك هذا التَّقديمُ لىَ على رؤوس الخلق.
حينما أجلس فى الهودج وآخذ فى السير، يصير الهودجُ مثلَ سفينة من دموع عينى.

١٠ - صرتُ مُنْعزلاً مع قلبى المكلوم لفقدان فلذات كبدى، وأحاط بى لأجلهم هَمٌّ مقيمٌ.
كنتُ أنثر الجواهرَ على رؤوسهم من كفِّى، والآن تَنتثر جواهرى(١) من جذور أهدابى.
بغير "ضياء الدين"(٢) المحنَّك وبدون أولاده، بدا كلُّ شىء واضحًا فى الدنيا أمامى معتمًا.
وضع الشوقُ فى قلبى وعينى بيتَ نارٍ وسحبَ محنةٍ مثل النور ونبت الشَّعر.
صار قلبى منفطرًا على أبنائى وأحبابى، ولم يصب أحدٌ فى الدنيا بمصيبتى.
أتجرَّع الهَمَّ طَوال عمرى وليس له نهاية، ولطالما يزيد هَمِّى همًّا.
ما إنْ اتخلَّص من وعكةٍ حتى يحلَّ موتُ ابنٍ؛ فحتَّامَ تتجدَّد على رأسى آلامي وأحزانى؟!
يحقد الفلكُ الصَّدىء على سعاداتى ويصيب قلبى بصدأ الغمِّ والهَمِّ.
ليس فى روضة الجنة برعومةٌ تشبهه(٣) وصارت روضتى لكلِّ من رآها أمرًا محزنًا.
لا يلِيق بى مثلُ هذا الألم وهذا الأنين، مع مالىَ الآن من جاه ووقار.

---

(١) أى : دموعى.
(٢) أحد أبنائه، ويقال: إنه هو الذى جمع أشعار أبيه ودوَّنها. [مقدمة الديوان ص چهل ويك].
(٣) أى : ابنه.

٢٠ – ما إن حُرمتُ من ذلك القوت والغذاء الروحى[١]، حتى صار دمعى بلـــون الياقوت[٢] ووجهى بلون الدينار[٣].

ولسوف يكون الملكُ العادل مشتريًا لدينار وجهى ولياقوت عينى.

الملك "سنجر" ذلك السيدُ الذى كلُّ مَنْ رأى لـــه طلعتَـــه البهيـــةَ، تفـــاءل بالسعادة.

وطالما أردّدُ أمامَه مديحى له وثنائى، حتى يقوّى الخـــالقُ قلبـــى ويطلـــق لسانـى.

فأنا أُحسن القولَ أمامه عن كافة خلقك، ذلك لأنَّه وهبنى الجاه بسبب حُسن القول.

فأنا فى نعيم السلطان ولى زراعتى وتجارتى؛ مادام سُوقى رائجًـــا أمـــام عرشه.

هذا ما أفعله ياربُّ مع خلقك؛ لأنه فى يوم الحشْر، لـــن يـــصيبنى بـــسبب أعمالى همٌّ ولا محنةٌ.

فأنا أريد للخلق من الملك سعادةً، حتى أكونَ فى يـــوم الحـــساب مرتـــاحَ الخاطر.

أيها الخالقُ، أنا أعتمد على أمل فضلك وكفَى، حتى تحملنـــى فـــى عـــزٍّ وتبعثنى فى إقبال.

---

(١) أى : ابنى.
(٢) أى : حُمرة.
(٣) أى : صفرة.

فى مدح طغان تكين (ص ٨-٩)

١ - ما أكثرَ عطاءَ الله ولا خلافَ فى ذلك ولا خطأ، وللمَلك منها سبعُ عطايات.

واحدةً منها أنَّه عادَ إلىَ العرش، وكان قد مضى صوب "الخَطا" بأمر الملك.

وقد ضرب الحكيمُ مثلاً بقوله: يأتى الصَّوابُ من الخطأ؛ فالصواب يمضى ويجىء أما الخطأ فلا يزول.

سعدَ ملوكُ العالم أيَّما سعادةٍ ببلوغ "طغان تكين" مُلكَ بنى البشر.

فهو يُنْعم على أقاليم الدُّنيا السَّبعة بالعطايا السَّبع، مثلما تَنْعم السموات السَّبع بالنجوم السَّبع.

الله– وحده – يعلم من أين ينبع نفاذُ أمر سلطان المشرق والمغرب؟ وإلى أين يمضى؟

لقد نَبتَ أصلُ شجرة دولة المَلك من على صفحة الصَّخرة الصَّماء، وبلغ فرعُها الملأ الأعلى.

وبلغ دوِّى طبل دولة الملك من الملأ الأعلى، مسامعَ الصَّخرة الصَّماء وصارت له مصغيةً.

وأذاعَ القمرُ والشمسُ خبرًا عن محفل المَلك، فنثرَ الهواءُ الذَّهبَ من قمة الشجرة(١) على الصحراء.

١٠ - ورغبةُ الملك تنثر الذَّهبَ على الرَّعية؛ مثلما صار فرعُ الشجرة ناثرًا للذَّهب من الهواء.

وامتلاكُ الرَّغبة(٢) غيرُ جائز لدى أهل الشَّريعة؛ إلاَّ رغبة الملك العادل؛ فهى جائزة.

---

(١) أى : الورود.

(٢) أى : العشق.

أيها الملكُ، عطاؤك قد أغلق يدَ الجور والظُّلم، وفتح للخلق يدًا بالدعاء.
ولم يبقَ أثرٌ للظلم والجور والجموح أيضًا؛ فقد حلَّقت فى الهــواء رؤوس أصحابهم بسيفك الشّبيه بالقلم.
وبقى أتباعُك وما أكثرهم وليظلُّوا هكذا، بينما قام القضاءُ بتأديب أعدائك.
فإذا ما تُجرِّد سيفَك الصَّقيلَ، تنفصم عُرى "الجوزاء" على المجرة.
ومَنْ رأى الظِّلَّ قرينًا للشمس، يتمثَّلك دائمًا ظلَّ الله.
الشمسُ تنضج كلَّ نَيِّىء بنور شعاعها، وتحرق دائمًا الطَّمعَ النَّيِّىءَ[1] فــى قلب الأعداء.
وتستولى الشمسُ بسيفها[2] على الأرض برًّا وبحرًا، وتخرج لسانَها[3] مــن سنام الجبل[4].
وأنت كلُّ ميادين عراكك مع تماثيل الجبل بالسيف؛ فإنْ لم تكن أنت شمسًا؛ فلماذا هذا العراك؟!
٢٠ - يفتح الخالقُ بابَ الفضل بيد عَدْلك؛ لأنَّه يجعل الفضلَ مكافأةً لعَدْلك.
يكون للملوك تفاخرٌ دائمٌ بالتَّاج والعرش والخاتم، وهذه الثلاثةُ حَفيَّةٌ بك.
فكنْ "سليمانَ"على العرش و"أفريدون" بالتَّاج؛ "فالسَّماءُ" تحت إمْــرة فَــصّ خاتمك.
فليكن لك بين الملوك عقلُ الشيخ وحظُّ الــشَّابِّ؛ لأنَّ الــشيخَ "الــسوزنى" بمديحك يصير شابًّا.
فأنت ملاذُ العالم وملكُ العالمين؛ فلتكن ملاذًا وقت الفناء وملكًا وقت البقاء.

---

(١) أى : الساذج.
(٢) أى : أشعتها.
(٣) أى : شعاعها.
(٤) أى : قمته.

فى مدح السلطان ركن الدين (ص ٩-١٠)

١ - لقد أنْعَمَ اللهُ بالعطاء لملك العالم، الملكِ المعظَّم سليلِ الملوك.

كم من الكنوز التى أنفقها الملكُ على خلق الله بالعطاء الذى ناله من الله.

"قلج قراخان" صهرُ "أرسلان خاقان" الذى جَدَّ ونالَ كنوزَ الصَّحراء وخبيئها.

ملكُ العالم سلطانُ الشَّرق ركنُ الدين، الذى تكون به مدينةُ "سمرقند" جنَّةَ الدُّنيا.

من نور طَلْعته يبدو بهاءُ "أرسلان" صافيًا، مثل الخيال فى المرآة.

لقد استقرَّ فى "دار المُلك سمرقند" الشَّبيهة بالجنَّة، على عرش مُلك الدنيا مثل كلا جَدَّيه.

الجدّ الأول، الملكِ بلا نظير "أفريدون"، والجدّ الثانى، الملكِ بلا قرين "أفراسياب".

فما فعله الملكُ بدُرَّته فى الهيجاء دائمًا، هو ما فعلته هراوةُ "أفريدون" بـ"الضحاك"[١].

لقد جلسَ الملكُ على عرش المُلك مثل "أفراسياب" وصارت الدُّنيا تحت إمْرته موفقةً مونقةً.

١٠ - كأنَّك نقول: إنَّ "افراسياب" قد حَمَلَ على الأعداء بسيف الرَّدَى وقت الوغى.

وصار أشرارُ العالم أخيارًا تهيُّبًا منه، حين حلَّ بهم من المَلك الجزاءُ من صَنيعهم.

طلب الملكُ من البحر دُرًّا؛ لينثرَه يوم محفل الأمير الميمون المقدم.

---

(١) بالفارسية "مارسار" وهو لقب الضحاك.

فَدَبَّت الغيرةُ من البحر فى أوصال الفَلك؛ فقال: نجومى أفضل من الـدُّر، وأنا خيرٌ من البحر.

فأَشِرْ إلىَّ حتى أنثرَ فى الحال على محفل الأمير بما يليق.

أيها الملكُ؛ مُرْ حتى ينثرَ الفلكُ كواكبَه الدُرِّيةَ وأنا أنثرُ دُرَّ المديح.

فلو يُقبَل نثارُ "السوزنى" الشَّيخ؛ يصير بقبوله شابًّا.

حَفِيٌّ بك أيها الملكُ عقلُ الشَّيخ وحظُ الشَّابِّ؛ لأنَّ الشَّيخَ والـشَّابَّ يثنيـان عليك ويدعوان لك.

وأنا سأدعو لك بالبقاء على المُلك أيها المَلكُ؛ لأنَّه يكون للعالم إبقــاءٌ فــى بقائك.

أيها الملكُ، لتَعِشْ طويلاً، ولتَصِلْ إلى رغبة القلب سريعًا، ومن دورة الفلك المتتابعة ليَصِرْ لك البقاءُ الطَّويل.

فى مدح علاء الدين محمد بن سليمان (ص١١-١٢)

١ - تأتى قدمٌ فى ركابٍ عالى الشأن بتراب الفتح والظَّفر أمام عيوننا.

فيصبح الترابُ الآتى من الرِّكاب العالى بالنَّصر والظَّفر توتيًا فــى عــين الرَّعية.

العالى القدر "علاءُ الدولة والدين" ذلك الذى لا كان للدولة وللــدين رُقــيٌ بدونه حتى يوم الحشر.

الخاقان "محمد بن سليمان" الذى لملكه أساسُ مُلْك المَلك "سليمان".

ذلك الملك الذى طالما يكون ملكًا؛ فله من الله نصرةٌ على العدوِّ كلَّ يوم.

هو النَّاصرُ لدين الله والرسول، وكيف تجوز النُّصرةُ فى الدنيا بدونه؟!

طيبُ المقدم ولخلق الله ترحيبٌ به وإقبالٌ عليه لما له من قوَّة ومقدرة.

لقد أطاح بأعداء الدين مثل نبات "الكراث" من على وجه البسيطة من حدود "الصين" إلى بلاد "الخَطا".

فسَلبت يدُ الفلك رأسَ عدوٍّ الدين بسيفٍ له نداوةٌ تُشبه "الكراث".

١٠ - وأطاح بالمكرو بالحيلة هؤلاء المعادين لدين الملك.

بعظمة طائر الملك الميمون صار الكون بغير مكرٍ ولا حيلة حتى أصبح يشار إليهما كما يشار إلى العنقاء والكيمياء.

ذلك الملكُ الذى فصل سيفُه الصَّوابَ عن الخطأ لكلِّ مَنْ رأى الصَّوابَ خلافًا له.

ذلك الملكُ الذى ألقت هيبةُ قوة جيشه الاضطرابَ فى "الختَن" وبلاد "الخَطا".

ذلك الملكُ الذى إذا عَزَمَ على الصَّيد، يُيَمِّمُ وجهَه صوبَ صيد العدوِّ أينما كان وحيثما يكون.

ويصبح عدوُّه على سنِّ رمحه الملتهب كالسفود، مثلَ طائر يدور فى حلقة السفود(١).

سمعتُ أنَّ للياقوت خاصيةً وهى أنَّه يُهَيَّأ من خلال هواء الرَّوث العفن.

وقد صار شكلُ الهواء عفنًا من جيش الكفار، ومن فساد أفكاره وأغراضه المتلوِّنة.

واحمرَّ نصلُ رمح المَلك كالياقوت من دم الأعداء، وقد اجتَثَّهم من الجذور.

وسواء أكان للياقوت عفونةُ الرَّوَث أم لم يكن؛ فما معنى إحضار الرَّوَث ولماذا؟

---

(١) أى : الشواء.

٢٠ - الخاقان هو الحاملُ لقضاء الله، وكلُّ محنة وشرٍّ وبلاء مناسبٌ لأعداء الدين.

فينزل على رؤوسهم قضاءً وبلاءً حين يرغبون فى الفرار منه.

ولو يَسْعى أحدٌ جاهدًا إلى القضاء بالحرب؛يصير مغلوبًا ويضيع سَعْيُه هباءً.

اختار اللهُ النُّصْرةَ للملك مكافأةً؛ حين عَزَمَ الملكُ على الحرب.

فالنُّصْرةُ جديرةٌ بالملك والملكُ جديرٌ بها، والإقبالُ يرشد المكافأةَ صوبَ الجدير بها.

فالنُّصْرةُ من عند الله والجهادُ من المَلك، والهزيمةُ من الكفار والدُّعاءُ من المؤمنين.

فأنَّى للعدوِّ أن يرى مؤخرةَ جيش الملك؛ ما دام الدعاءُ الطَّيبُ يكون من ظهر الغيب.

فَلْيُبْقِ اللَّهُ ملكَ العالم، بما يخرج عن حَدِّ الغاية وعن حَدِّ النِّهاية.

فى مدح السلطان سنجر (ص١٢-١٣)

١ - امبراطورَ العالم "سنجر" معزَّ الدنيا والدين، عزيزَ الدين والدنيا وصاحبَ الجاه المتزايد.

سيدَ الفاتحين الذى يكون أقلُّ غلمانه أفضلَ من "جمشيد" و"أفريدون" و"الإسكندر" و"دارا".

فهو يخلع بالروح وبالجاه ويلاطف صاحبَه؛ لأنَّ له دولةً - ممتدةً - من اليوم حتى ذلك اليوم الذى ليس له غدٌ.

فسلطانُ السلاطين يلاطف بالمال وبالجاه، ولا تقوى عليه الدنيا بسُوء الصَّنيع ولا تتجرَّأ.

هو الصاحبُ العادل، السلطانُ صاحبُ أعلى مكانة، وهو الملكُ رفيعُ الجاه صاحبُ أعلى منزلة.

السلطانُ ذو الحضرة الأعلى والخاقانُ عالى الشأن، الذى تجاوز بقدره وهمَّته العالية الملأ الأعلى.

وللصاحب العادل فى كلِّ وقت سطوعٌ متزايدٌ على مُلْك المشرق والصين، وعُلوٌّ هامةٍ مثل شمس المشرق.

حاسدو جاهه دائمًا مثلُ الشمس عند الغروب: الوجه مصفرٌّ والجسدُ مرتعدٌ من كيد الفلك الأزرق.

أيُّها الوزيرُ الذى يكون لك كلَّ يوم إشراقةٌ جديدةٌ على فلك الجاه والحشمة والدولة مثل شمس العالم المشرقة.

١٠ - لا يُعَدُّ الفلكُ قرينًا لك فى الجاه والحشمة والدولة، وبذلك المعنى أنت شمسٌ؛ فالشمسٌ بلا قرين.

أنت ذلك الصاحبُ العادلُ الذى صار صقرُ عدله وإنصافه صائدًا حتى اختفى بسببه الظُّلمُ مثل العنقاء.

أنت ذلك الصَّاحبُ العادلُ الذى إذا لم يكن لصاحب "الرى" [1] بعضُ علومك ما كان مثلُه عالمًا.

أنت صاحبُ العدل وصاحبُ العلم وصاحبُ الدَّولة، والحقُّ أنَّ الصَّاحبية[2] مناسبةٌ لك بالعدل والعلم والدَّولة.

أنت تجاهد لتكون سَميًّا فى هذا المعنى مع "الفاروق"؛ لأنَّك تُحيِي سنتَّه بأن تكون سميَّه فيه.

فأنت على هذه الشَّاكلة فى العدل، ومن تلك السِّيرة فى الجود؛ لأنَّك أعطيتَ يدَ البُخل شرابًا من يد "أبى يحيا"[3] .

---

(١) يعنى به الصاحب بن عباد.

(٢) أى : الرياسة.

(٣) أى عزرائيل، والمعنى: أنه بجوده قد قضى على ظاهرة البخل.

لقد أذنب خاطرى إن لم يحسن الفكرَ فى وجودك؛ حاشا لله أنْ يُشَبِّه كَفَّك المعطاءَ بالبحر وبالمنجم.

فكلُّ تلك الأشياء التى تُستخرج من البحر والمنجم بمشقَّة، يهبها كفُّك أسهلَ مما يهب المنجمُ والبحرُ.

يقينًا، أنَّ الله لم يخلقْ سُوءًا فى خَلقك وخُلقك؛ وليكن اللهُ لك حافظًا من عين سوء الأعداء.

مثلما تنثر رياحُ الخريف وسحبُ الربَّيع الدِّينارَ[١] على قمم الأشجار وتغطِّيها بمائة ديباج[٢].

٢٠ - فليكن وجهُ عدوِّك مصفرًّا مثل دينار الخريف، وهامةُ أحبابك مخضرَّةً مثلَ ديباج الربَّيع.

يقال دائمًا: إنَّ المرأَ لا يفرغ من العشق؛ فلا كان فى قلبك عشقٌ سوى من متعة الحوريات.

ولا خلَت روحُك وقلبُك من اللَّهو واللَّعب للحظة، وليُصِب الهمُّ وتعبُ الغَمّ روحَ حاسدك.

وليكن عيشُك هنيئًا، وليكن صدرُك مهَّيئًا للسعادة مع رفيقة حسناء، وكفُّك مع كأس صهباء.

فى مدح قلج طمغاج خان (ص ١٣-١٥)

١ - بسعد الطَّالع الميمون صار "قلج طمغاج خان مسعود " ركنُ الدين والدنيا مظفَّرًا على الأعداء.

"قلج طمغاج خان مسعود" ركن الدين والدنيا، صار مظفَّرًا على الأعداء بسعد الطَّالع الميمون.

---

(١) أى : الزهور.

(٢) أى : الخضرة.

لقد كرَّرتُ هذا البيتَ، وكلُّ بيت مكرَّرٌ فى مدح الملك المنصور المكرِّ فى الهيجاء هو الأفضل.

فالهيجاءُ لن ترى، إنْ أمكن لها الرؤية، قرينًا للملك، اللَّهـم إلاَّ إذا أنجبَـت الشَّمسُ ابنًا.

من سيفه يتكدَّر كلُّ متمرِّد وطاغية ويضطرب حالُه من هذا المكان حتـى "قسطنطينة"(١) و"جابلقا"(٢) وجابلسا"(٣).

أيها الملكُ، مُخْمِدَ كلِّ غوغاء، إنَّ بنات النَّعش(٤) على الفَلك تُخْمد الغوغاء الصَّادرة من "الثُّريا" خوفًا من رمحك.

حينما يصيد "صقرُ" عدله وإنصافه الظالمين، يضحك "القطا" على "الشاهين" ويبكى "القُمرى" من "العنقاء".

إن لم يأتِ هذا الشجاعُ من نسْل "أفريدون" و"أفراسياب"؛ فإنَّـه أتـىَ مـن عظمة "أفريدون" وشبَهًا بـ "أفراسياب".

لقد عَبَر نهر "جيحون" مع الأخيار والأشرار، وشَقَّ بـسيفه البتَّـار علـى الصحراء "جيحون" أخرى.

١٠ – هو الفاتحُ ومَلكُ العالم كأنَّه "دارا" و"الإسكندر"، يغزو العالمَ مثلَ "الإسـكندر" ويمتلكه مثل "دارا"

فليس لـ "دارا" هذه المقدرة، ولا لـ "الإسكندر" تلـك الـشَّجاعة، فحبَّـذا الشجاعةُ ومرحى للمقدرةِ لملك الملوك.

---

(١) مدينة فى بلاد الروم.

(٢) كناية عن المغرب.

(٣) كناية عن المشرق.

(٤) مجموعة نجوم تسمى الأولى بنات النعش الصغرى أو الدُّب الأصغر، وتسمى الثانيـة بنـات النعش الكبرى أو الدُّب الأكبر.

يتّجه حاسدو الملك بالاحتراق وبالغرق إلى النار من حرقة الصّدر، وإلـى البحر من ماء العين(١).

لماذا يُخفَى الصّراطُ ورُعبُ النّار طوال الدّهر؛ مادامَ قد بدا على البّحر من حَرْبته نموذجُ الصراط ؟!

يا مَنْ سيفُك البحرُ المتلاطمُ والدّيباجُ الملوّن؛ لأنّ جـواهرَه مـن البحـر وألوانَه من القبّة الخضراء(٢).

يليق فى خاتم مُلكك فصٌّ خاتم "سليمان"؛ فيكون تحت إمْرتك كلُّ أخـضر ويابس.

مرحَى لعشق العبث لك برأس الأعداء؛ حتى يطيح هذا العشقُ برقابهم من رءوسهم طالما لا يكون لهم انحناءٌ وطاعةٌ.

لقد أظهرتَ لطغاة عصرك من فضل الله، كما أظهر "موسى" اليدَ البيـضاءَ لـ "فرعون" وأتباعه.

وهكذا يصير العالمُ معمورًا من إنصافك المتاح الذى صار سـقفًا متاحًـا متمكنًا من "بلخ" إلى المسجد الأقصى.

فلك أن تنال عرشَ السُّلطان من الأخسَّاء بالأهلية له؛ لأنَّ الرّوحَ الطـاهرةَ للسلطان تدعوك مرحِّبةً بك.

٢٠ - وصار مُلكُ العالم مسلَّمًا لك كسبًا وميراثًا؛ سواء بالسَّيف وبـالفتح أو عـن الأجداد والآباء.

كلُّ مَنْ تجاوز حدَّ العبودية والطّاعة وصار متمرّدًا ، أصبح جـسدُه فـى سيفك جَسَدين مثل "الجوزاء" .

---

(١) أى : الدموع.
(٢) أى : السماء.

وأنت فى السَّلطنة مثلُ القمر، لك مثلُه عدَّةُ منازل، وكلُّ منزل تَتبختر فيه يصير لائقًا لك.

أنا لا أقول: ليس لك شبيهٌ وكفؤٌ؛ فهذا لو أقوله كفرٌ؛ فلو كان لك شبيهٌ وكفؤٌ، فأنت مَلِكُ الأشباه والأكفاء.

العالمُ كلُّه ملكُك أيها الملكُ مثلما كان لـ "أفريدون"، ويليق لأبنائك؛ لأنك مثلُ "أفريدون" تجعل الأجزاء كلاً.

لقد بَسَط طالعُك الشَّابُّ ظلَّه مثل طائر "الهُما" وتظلَّل به الرَّعيَّةُ شيوخًا وشبَّانًا.

ووصلت الثَّروةُ من كنزك إلى العلماء والجهلاء، وصار الثناءُ عليك والمديحُ لك وِرْدًا لكلِّ جاهل وكلِّ عالم.

وقد أوضح "للأنورى"[1] إمام أهل الحكمة، أنَّ عيوننا بصيرةٌ بطَلْعتك وبثَرىَ أعتابك.

والأديبُ "السوزنى" دائمًا ما يأتى بالرَّسَن وبالإبرة؛ كى ينظم فى خدمتك عقدًا من خواطر لؤلؤه المتلألىء[2].

ويطلب من المجلس الأعلى السَّماحَ له بالدُّعاء وإنشاد المديح وهو يجثو على ركبتيه فى عديد المواقف.

٣٠ - فلْيُبْق اللهُ المجلسَ الأعلى لمَلك العالم، وليَبْقَ ملكًا عليه ما بقى العالمُ.

وليكنْ قلبُ ملك العالم قرينًا للطرب وفردًا[3] عن الغَمِّ، من اليوم الذى له غدٌ، حتى ذلك اليوم الذى ليس له غدٌ.

---

(١) أوحد الدين محمد الأنورى الملقب بحجة الحق ت ٥٨٣هـ وهو من مادحى السلطان سنجر ومن شعراء فن القصيد. (د٠ زهراى خانلرى).

(٢) أى : أشعاره.

(٣) أى : بعيدًا.

حرف (ب)

فى مدح على بن الحسين ذو الفقار (ص ١٦ – ١٧)

١ – أنت يا مَنْ استوليتَ بالنَّصر على مُلك " آفراسياب"[١]،أنت شـمسُ المُلـك ومُلْكُك يماثل مُلْكَ الشَّمس .

مُلْكُ الشـمس ومُلْكُك مـن الشـرق إلـى الغرب ، إلاَّ أنَّ الأولَ متغيِّـرٌ والثانى له ثبات.

يتضاءل نورُ قرص الشَّمس أمام نور رأيك ، ويفوق جيشُك الذَّرَّاتِ عـددًا بغير حصر .

شمسُ الفلك سلطانٌ الأنجم ، وأنت سلطانٌ على ملـوك العـصر ومالـكٌ للرقاب .

حينما يسطع سيفُ الشَّمس فى جُنح الليل من جراب الصُبح ، يماثله خروجُ سيفك من جرابك .

لو تضرب ذلك السَّيفَ الشَّبيه بسيف الشمس على جبل ؛ فلا شـئ يحـول بينه وبين إصابة الجبل حتى ساكنيه من الثِّيران الوحشية

بإقبالك ، تُهَيِّئُ الشمسُ من التراب ذهبًا ، لتجعلَ منه نَعْلاً لركاب جيـادك المطهَّمة.

لا تشرق الشمسُ في الخيمة الفيروزية اللَّون[٢] وبلاطناب علـى خيمتـك الميمونة إلا فى حالة النَّصر .

فأنت ظلُّ الله ، والشمسُ مِلكُكَ ، وخلقُ الله يطلبون منك الإنصافَ وإدراكَ العَدل.

---

١) أسرة حكمت " بخارى " و "سمر قند " وتحدثنا عنها في قسم الدراسة من هذا الكتاب .

٢) أى : السماء.

ليس ثمة مَنْجَاةٌ لأحد فى الدنيا من الشَّمس والظِّلِّ ، وبدونهما يصبح العـــالَمُ خَرِبًا.

فأنت الظِّلُّ ، والخَلْقُ ينعمون بعَدْلك ، وأنت الشمسُ وللعالم منك الـــضِّياءُ والنورُ والإشراقةُ .

أنت شمسُ العطاء وظلُّ الوَهْب ، ولو سألتُ الشمسَ والظلَّ سَــرْعانَ مـــا يأتى الجواب.

ماءُ المُلك يكون من " ذو الفقار" مستساغًا ، ولن يماثلك أحدٌ مـــن الملـــوك ذوى الماء الآسن .

يختفى الفلكُ خلفَ نور جِرْم الشَّمس،حين يأتى حجابٌ من الـــسَّحاب أمـــام نور صفحته .

هو " علىٌّ "(١) ؛ لأنَّ من انعكاس لمعة سيفه "ذو الفقار"(٢) علـــى الفَلـــك ، تنطق الشمسُ كالشِّهاب مخضَّبةً بالدَّم رعبًا .

لو كان فى عهدك ما يناظرك ؛ لأتى إليك وأنت على العـــرش مهنِّئًـــا أو حاجبًا لك.

لقد أحضَرَ " ذو الفقار " نفسَه ، وأنت سَميُّه ، إلى عرشك على سبيل الهدية وهو مخضَّبٌ بدم أعدائك .

لكَ النَّسبُ إلى " ذو الفقار " أيها الملكُ ، ولك جوهرُ " نوح " وأنا بـــدوْرى أعُدُّك أيها الملكُ بمثابة الأم والأب .

وأرجو لك عُمْرًا يناهز عُمْرَ " نوح "، و"ذو الفقار" فى يدك يغتال العدوَّ من وسطه .

أنت المَلكُ والمُلْكُ طوعُ يدك ، وأنت " ذو الفقار " انتسابًا واكتسابًا .

---

(١) أى : سَمِىٌّ لسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

(٢) اسم سيف على بن أبى طالب .

أنت المَلكُ وليس شرطاً أن تكون مَلكَ " آفراسياب" ، فلَكَ مُلْكُ المُلْكِ أيها الملكُ، وأنت أفضلُ من " أفراسياب"[١].

تنال الحَضْرَةُ من جاهك حُرمةَ " أم القرى " ، ويحظى المنبرُ من اسمك برفعة " أم الكتاب " .

قال أحدُ الخطباء : حين يستلُّ " على بنُ الحسين ذو الفقار[٢] سيفَه " ذو الفقار " من الغِمْد ، فهو " أبو تراب " [٣].

ألا فاسْعَدْ يا مَنْ أوْجَدك الخالقُ من الاستحسان صرفًا ومن الإحسان محضًا واللُّطف صافيًا .

فلتكنْ بدعاء الشيخ والشَّاب آمنًا من آفة الفلَك الشيخ ، يا مَنْ أنت أصلُ الأمان للشيخ وللشاب .

فى مدح نصير الدين (ص ١٧ – ١٨)

١ – يا مَنْ وجهُك الحسَنُ يشبه الشمسَ ، كيف أقول يشبه ؟! بل هو الشَّمسُ .

أتعرف لأى سبب يقصد المسافرُ وجهَك قبل الشمس ؟!

ليس لوجهك فى الحُسن بديلٌ ، مع أنه سيكون بديلاً للشمس .

لو تعقد الشَّمسُ لنفسها نقابًا من المسك ؛ فسوف تأخذ شكلَ وجهك وطرَّتك.

وثَغْرُك الضَيِّقُ تقول عنه : ربَّما أنَّ نحلَ العسل يطلب الشمسَ بزنباره .

الماءُ الذى ينسكب من العين لرؤيتك ، هو ماءٌ ينسكب من مُقَل الشمس .

يا مَنْ تَحْظَى الشمسُ بقدرٍ ومكانةٍ ، حين تَتَّصف بصفات وجهك المشرق .

---

(١) أحد أبطال الفرس وتوران القدماء وهو ابن پشنگ ملك توران فى عصر الكيانين .

(٢) أى : ممدوح الشاعر .

(٣) كنية سيدنا على بن أبى طالب .

ماذا أقول عن صفاتك العديدة ؟! فأقلُّ وصفٍ لوجهك أنه الشمسُ .

لا تُسَبِّبْ خَلَلاً بالخَطِّ المسكى[١] ؛ فإنَّ الشمسَ[٢] لا تَتَوارى بالخلل .

١٠ - قَدِّم الرَّاحَ التى تشبه دمَ الحَمَل ؛ لأنَّ الشمسَ تقصد برجَ الحَمَل .

فقد صار برجُ الحَمَل لك منزلاً وحَيًّا ، والشمسُ طلعةُ " دهقان أجل"[٣].

فأنت الوزيرُ المشهورُ "نصيرُ الدين" الذى يكون شمسًا على فَلك الدين والدول .

أنت شرفُ الدولة العالى الذى تكون الشمسُ رأيَه بلا أى علل .

كلُّ من رآه متصدِّرًا المجلسَ يقول : لعلَّه الشَمس .

فى البكور تُسرع الشمسُ مثلَ القمر لأجل خدمته .

وحين تظهر من بين قمم الجبال فلتقبِّل بابَ أعتابه .

ومن الطَّالع المسْعود أن تكون الشمسُ على الفَلك من الخدم والحشم له .

ولأجل تنعُّمه يليق له الفَلكُ مجلسًا والشَّمسُ حَمَلاً .

لقد صارت الشَّمسُ مثلَ الدِّرع وتدفع عنه سهمَ النحوسات " زُحل " .

٢٠ - يا مَنْ تصدَّرْتَ عظماءَ العصر ، وبَدَوْتَ مثل الشمس على ناصية التَّل .

نورُك لا يختفى ؛ طالما لا تختفى الشمسُ تحت الإبط .

عدلُك قد رَفعَ الظُّلمَ عن العالم ، مثلما ترفع الشمسُ قطرةَ الطَّل عن العشب.

لقد منح كفُّك المعطاءُ كلَّ ما فى المنجم للجميع على سبيل الخراج وهو ما تفعله الشمس .

حيلةُ عدوِّك لا تخال عليك ؛ ذلك لأن الشمسَ لا تختفى بالحيل .

---

(١) أى : الكحل.

(٢) أى : وجهك.

(٣) هو الممدوح نصير الدين دهقان أجل أحمد سمسار ، وله قصيدة أخرى فى الديوان ص ٧٤ وعنوانها "در مدح دهقان اجل أحمد سمسار" . وستأتى ترجمتها فى موضعها من هذا الكتاب.

ما يفعله غضبُك بجسد خصمك ، هو ما تفعله الشَّمسُ برءوس الكُلِّ .
لا تشرق الشمسُ على رأسك إلا بالسعادة وفق تقدير الأزل لها .
ولطالما تحميك الشمسُ كالدِّرع مع سيف الجبل .
فلْتَتَعقَّب الشمسُ أعداءَك للانتقام وفى كفِّها سيفُ الأجل .

من مدح شمس الملك (ص ١٩ – ٢٠)

١ – سافر سلطانُ الشَّريعة[١] بالحشم والرِّفاق إلى " الخَطا " بعزم شـديد ورأى سديد لدفع الشَّر .

وطَلَبَ عَدْلَ "أنوشيروان" من مَلك "الخَطا" ، وحين تحقَّق ما أراد ، عاد من "الخَطا" بالصواب .

وكان غُدُوُّه ورَوَاحُه طلبًا للأمان لبلاد الإسلام من أهل " الخَطا " .

فالشخصُ الذى يكون مُظهرَ الدَّعوى مُدركَ المعنى ؛ إن لم يتـسنَّ لـه أن يعضَّ الصخرةَ ؛ فعليه أن يقَبِّلَهَا .

ولأنه لا يتسنَّى له التَّمنطقُ بـ "جاهد الكفار"[٢]؛ فالأفضلُ له فتحُ باب "لكم دينكم ولى دين"[٣].

فالشخصُ الذى أراد سَحْبَ رقابَ أهل الهُدى فى طَنَاب الجـور والظُّلـم ؛ صار مسحوبًا بالطَّناب منه .

فالملكُ تعالى مالكُ الرِّقاب العادل الذى تكون رقابُ الملـوك فـى طـوق إمرته.

---

(١) هو الإمام شمس الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز بن مازه من آل برهان رئيس بخـارى (مقدمة الديوان ص چهل وپنج).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهـنم وبئس المصير". (سورة التحريم آية ٩) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : " لكم دينكم ولى دين" . (سورة الكافرون آية ٦) .

يُذيقه[1] شرابَ العدل ويجعل العدوَّ غنيمةً له ، والرَّعيةُ والحشمُ فى بُلهنيـــة من هذه الغنيمة والشَّراب .

ومدام فى السَّفر يكون العنانُ متصلاً بركاب الملك ؛ فقد جاء مع الملك إلى الحضرة أيضًا العنانُ والركابُ .

١٠ - ومرادُ الملك أن يستفيد منه أولو العزم ، وهكذا يكون أثرُ العلم يـا أولــى الألباب.

مَرْحَى لحفيد " برهان " وسيف " و " شمس" و "حسام"[2]؛ فهو حسامُ الحجة برهانُ السؤال سيفُ الجواب .

هو ذلك الحسامُ ؛ لأنَّ سيفَ حُجتــه يُظهــر الحُجَّــةَ للخــصم ولا يَــدْخل الجرابَ[3] .

فيا شمسُ[4] أنا أدعوك سَحابًا ؛ فيا هذا وذاك ، أنت بالنور المولود شــمسٌ وبكفٍّ العطاء سحابٌ .

ما لديك من فضائل يفوق من ناحية الحصر مالدى نور شمسِ الفلــك مــن ذَرَّات.

لو كانت صحيفةُ ألقابك هى صفحةَ اللوح ؛ فإنَّ الألقابَ ممدوحةٌ بك ولستَ أنت الممدوحَ بالألقاب .

أنت سلطانُ ممالك الشَّريعة مثلُ جدِّك وأبيك ، رجالُــك المــصطَفُّون فــى ميدان المنبر والمحراب .

---

(١) أى : الممدوح .
(٢) أمراء وملوك أسرة " آل برهان " و " ابن مازه " فى بخارى والتى أكثر السوزنى من المديح لهم (الديوان. المستدركات ص ٣٩٥) .
(٣) أى : يظل مسلولاً.
(٤) أى : الممدوح .

أتباعُك فى يقظة من المساء إلى السَّحر ؛ فهم فى حرب على أهل البدعة تشبه حرب " رستم " و " سهراب " .

ورجالُك المحاربون بسيف اللِّسان ورمح القلم ، قد خضَّبوا صفحةَ الكتاب بدم المداد .

أنَّى لأحدٍ أن يفعل شيئا وقد أجلستَ هناك نوابًا على شهادة لا إله إلا الله .

٢٠ - فلأئمة الدِّين من حَدِّ " الصين " و " الختن " إلى حدِّ " مصر " و " اليمن " المصيرُ والمآبُ إليك(١) .

لا يرى أحدٌ لك نظيرًا فى النَّوم ، كما لا يرى النَّاظرون إليك النومَ وقت التعلم.

أنت الوارثُ العظمةَ من الأسلاف ، والخيرُ فى الأعقاب مؤثَّرٌ عن الأسلاف(٢).

أنت ملكٌ على " آل برهان " ملكٌ " على آل سيف " ويجدر بك ملكًا لأهل علم "خطَّاب"(٣).

كلُّ مَنْ يقرأ كتبَ الشرع على " آل برهان " فى حشرٍ من الناس على ناصية الجسر صار معتوقًا من العقاب .

أنت عزيزُ " آل عَبْدَى العزيز " من جانبين : الأول من جانب الأم والآخر من جانب الأب .

أنت عزيزُ مصر " بخارى " بهذين النَّسبين ؛ فلتبقَ عزيزًا حتى وقت " فلا أنساب "(٤).

---

(١) أى : فى المشورة.

(٢) إشارة إلى القول المأثور " خير خلف لخير سلف " .

(٣) إشارة إلى أن نسبه يعود إلى سيدنا عمر بن الخطاب عن طريق سيدنا عمر بن عبد العزيز كما يتضح من البيتين : ٢٥ ، ٢٧ .

(٤) أى يوم القيامة إشارة إلى قوله : " فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون " (سورة المؤمنون آية : ١٠١) .

ودائمًا ما يناديك الخطباءُ باسم " عمر " ؛ لأن لك أبًا يكــون أبــوه وجــده "الخطَّاب".

فليكن خطيبُ منبر مصر فصيحَ اللِّسان فى الثناء والمديح لك على معاشــر الأحباب .

لو كان الشُّعراءُ الآخرون كاذبين فلا ضيرَ ؛ " فالسوزنى " ليس كاذبًا فــى نظم مدائحك .

٣٠ - لقد خلقك خالقُ الخلق من الرَّحمة الخالصة ، وحيثمــا تكــن يكــن مكــانُ الرَّحمة الخالصة .

وحيثما تذهبْ أو حيثما تَجِئ ؛ فلا كان المجئُ والــذِّهابُ إلاَّ فــى طريــق أفضل .

فى الموعظة والنَّصيحة (ص ٢٠ – ٢١)

١ - فى هذه الدنيا التى هى سَراى الغَمِّ والهَمِّ والمحنة ، نحــن هــائمون علــى صفحة الماء كالقشَّة ، مكدَّرون كالسَّراب .

العالمُ خرابٌ ونحن مثلُ " البُوم " ولا عجبَ فى هذا ؛ فالعجــبُ ألاَّ نــشبه "البُومَ" فى الخراب .

رُحْنَا فى سُبات الغفلة ، وتَجَرَّعْنا شَرْبَةَ الجهل ، حتى أصبحنا من قــسوة الفتنة بلا شراب ولا نوم .

نحن شواءُ نار الحرص ، وذلك من فجاجتنا ؛ حقًّا إنَّهم يشوون كلَّ فجٍّ .

نحن نقرأ كتابَنا ولا نعمل به ، ولا حيلةَ لمادحينا من أهل الكتاب .

نحن نزرع المطلوبَ بالحرص ، حتى يصير وبالاً علينا مثلما الشَّعْرُ على السِّنجاب .

ليس لأحدنا التُّقى والتفكيرُ فى الآخرة ، ولهذا يليق بنا كلُّ ألوان العقاب .

تخلَّفَ " عُقابُ " طاعتنا عن التَّحليق ، وصرنا صيدًا للمعاصي مثلما "القطاةُ" رصيدٌ " للعُقاب " .

نحن جميعًا نعرف دائمًا طريقَ الصَّواب من الخطأ ، وسلكنا طريقَ الخطأ وتركنا طريقَ الصواب .

١٠ - لوَيْنَا العِنانَ عن طاعة الحقِّ ، وامتطينا صهوةَ جواد المعصية على الباطل.

لو أنَّ الله – تعالى – يريد الحسابَ وكفىَ ، لكفانا خجلُ الحساب إنْ نكن نعقل .

فلو أن المَلكَ يخصِّص لذنوبنا الثِّقال علينا أخفَّ أنواع العذاب ؛ فهل تكون لنا طاقةٌ به ؟!

نحن جميعًا نطهو فى تنُّورٍ خَشَبىٍّ ، ونرتدى دائمًا على أجسادنا ثيابًا من ضوء القمر [(١)].

إنْ لم يَخْلُ رأسُنا من العقل ؛ لما كنَّا قدا ندفعنا إلى الوَحْل مثل حمار أحمق.

فى هذه الدنيا التى لا يزيد العمرُ فيها عن لحظتين اثنتين ، لا يُجْدى فيها نفعًا التأخيرُ أو التبكيرُ .

فما المُجْدى فيها ؟ هو أن نتوب عنها مرَّةً واحدةً ، مادامَ اللهُ التَّوابُ لم يغلقْ بابَ التوبة .

ندور جميعًا فى دوامةِ المعصية ؛ على أمل الخلاص ومن فرط الرُّعب من الغَرق .

ينبغى أنْ ينهمر سيلُ النَّدم من العينين ، على أمل أنْ يصير السَّيلُ دوامةً.

---

(١) أى : نفعل مالا فائدة منه .

ونُطَهِّر كتابَ العصيان بدمع العين ،لأنَّ سوادَه يشبه القذارةَ التــى عَلِقَــت بالثِّياب.

٢٠ - ولو أنَّ نَسَبى يعود إلى "سَلْمان"(١) عن طريق الأب ؛ فما فائدة هذا النَّــسب والفلكُ يقول لا أنساب .

ومادُمنا نذكر " سَلْمانَ " ؛ فادْعُ ، لربَّما يصير دعاؤك فى حقِّى مُستجابًا .

وطالما سيكون الفلكُ الدَّائرُ المنيرُ بحكم الله الوهَّاب ترابًا حالكًا .

فكنْ مثلَ "أبى تراب"(٢) و"الجنيد"(٣) و "شقيق"(٤) و"شبلى"(٥) سالكًا طريــقَ طاعة الله الوهَّاب .

فلتكنْ منَّا ومنك التَّحيَّةُ على رسول الله ، بما يزيــد علــى ذرَّات الــشَّمس وقطرات السَّحاب .

فى مدح السلطان مسعود بن الحسين (ص ٢٢ - ٢٣)

١ - طَلَّت " الشَّمسُ " من برج " الحَمَل " على مشاهدى محفل مالك الرقاب .

فأىُّ منظر تراه بذلك ؟ وماذا رأت ؟ لقــد شــاهدت ملكــا علــى عــرش "أفراسياب"(٦).

ملكًا شهيرًا مثلَ "أفراسياب"(٧)، ملكًا موفقًا مثلَ " أفراسياب " .

---

(١) سلمان الفارسى الصحابى الجليل .

(٢) كنية سيدنا على بن أبى طالب .

(٣) أحد شيوخ الصوفية المشهورين فى القرن الثالث الهجرى ويلقب بسيد الطائفة ويقال : إنه من أصول إيرانية

(٤) هو شقيق البلخى الزاهد المعروف .

(٥) أحد كبار مشايخ الصوفية من أبناء خراسان وتلميذ الجنيد ورفيق الحلاج .

(٦) أسرة " آل آفراسياب " التى حكمت " بخارى " و"سمر قند " فى عصر الشاعر .

(٧) هو " أفراسياب بن پشنــگ " ملك توران فى عصر الكيانين وقد خلدت شــاهنامة الفــردوس اسمه .

ملكًا فى الوغى مثلَ " أفراسياب " ملكًا فى محفل الشَّراب مثلَ " أفراسياب"
ملكًا ينتسب إلى " أفراسياب " فى المُلك والإمارة .
هو المَلكُ " مسعود بن الحسين " الوارثُ بحقٍّ عرشَ الأب ومُلكَه .
مَلكُ الشَّرق الذى من طالعه المسعود يكون فتحُ الباب لسعادات الأيام .
هو مثلُ "طمغاج خان" الجَدِّ وجدِّ الأب ، وينتسب لأسرة "طمغاج" المذيبــة للركاب(١) .
تَشَكَّل طبعُه وفطرتُه خَلْقًا وخُلُقًا من الإنــصاف الخــالص ومــن العــدل الصَّافى.
فمن إنصافه يقتلع قرنُ الغزال مخلبَ الأسد الهصور ونابَه .
ومن يقظة عين عدله ، لا تَرى الرَّعيَّةُ الظُّلمَ حتى فى النَّوم .
ينحسر الظُّلمُ أمام عدله ، مثلما ينحسر الظِّلُّ أمام الشمس .
عندما يعلو صوتُ الخطباء ذوى الصوت العذب فوق المنبر .
يُستجاب كلُّ دعاء يدعونه من أجله بقول : آمين ، من الرُّوح الأمين .
مَرْحَى لركن الدنيا والدين المَلك ، فقد عَمَّرْتَ العالمَ الخَرِب .
أنت العادلُ على أبناء الدُّنيا والدين ، أنت مبيِّنُ السؤال ومبرهنُ الجواب .
أنت شابٌ فى الحظِّ وشيخٌ فى التدبير ، وصحيحٌ فى العزم وصائبٌ فى الرأى.
أنت فاتحُ العالم ؛ فامْلكْه ، ولا كانت لك منه فتنةُ الانقلاب والاضطراب .
من عدْلك ومن اعتدال الهواء ، ترفع ريحُ الصَّبا النِّقابَ عن وجه الورْد .
فَتَخْرجُ حورياتُ الجنَّة من خلف الحجاب فى فصل الرَّبيع واحدةً واحدةً .
مثلَ – خروج – إكرامك وأفضالك بلا حد ، مثلَ إنعامك وإحــسانك بــلا حصر .

(١) من الفروسية .

مثلَ خروج الشَّمس من بُرج الحَمَل حارةً مشرقةً على محفلــك المبــارك الميمون.

يصير عدلُك طائرَ " الهُما " الذى يُظلِّلُ من الهواء هامةَ الشيخ والشّاب .

لا يرون فى عهدك عينَ شخصٍ باكيةً سوى السَّحاب .

من إنصافك وعدلك ، الرَّعدُ فقط هــو الــصّائحُ النّــائحُ مِثــلَ " دعــد " و"رباب"[1].

فى محفلك صار " النّاى " صائحًا و" الرَّبابُ " نائحًا مثلَ " دعد " و"رباب".

لو تقفز النّارُ من البرق ؛ فإنّها تفعل ذلك لأنها تَشْوى قلبَ عدوّك .

لا تستنشق الكلابُ شواءَ قلب أعدائك خشيةَ عُسْر الهَضْم .

يتساقط عرقُ وَرْدِ وجه أحبابك شرابَ وَرْدٍ عشقًا .

٣٠ - ينظم "السوزنى" الدُرَّ الصافى بما يليق بمديحك مثلما يفعل "العنصرى"[2].

طالما يكون للأرض ثباتٌ وللفلك إسراعٌ مثلُ حزمك وعزمك .

ويكون لثبات الأرض ولسرعة الفلك مزدودٌ إلى طول بقائك .

فلا طُوى كتابُ بقائك ، ولو يُطوى كتابُ هذا وذاك .

فى مدح طمغاج خان (ص ٢٤ – ٢٥)

١ - الطّالعُ اليقظُ للملك خسرو مالك الرقاب ، جعل سيِّئ الطّالع فــى سُــبات النوم على وسادة الغفلة.

---

(١) اسم معشوقين فى قصص العشق الفارسية مثل ليلى والمجنون وخــسرو وشــيرين ووامــق وعذراء .

(٢) أحد شعراء العصر الغزنوى وأحد مادحى السلطان محمود الغزنوى . ت ٤٣١هـ .

وحين استغرق فى سُبات الغفلة كان يرى الهلال وكأنّـه سـيفٌ ملطّـخٌ بالدماء على وسادة كأنها سيفُ الشمس[1] .

فالغفلةُ عن طاعة السلطان هى التّمردُ بحقٍّ ،والسّيفُ أو الطّنابُ للمتمردين أمرٌ حتمٌّى.

هذه الخيمةُ الدائرةُ المزينةُ [2] بلا طناب ، هى رياحٌ ذاهبةٌ وماهى برياح، وماءٌ بارقٌ وما هى بماء .

تشبه فى الليل سيفَ الملك المرصَّع ، وتشبه فى النّهار طالعَ المَلِـك حـين يزول الحجاب .

فشمسُ ملوك الشّرق ظلُّ الله " قلج طمغاج خان " مالكُ الرّقاب تجلس على العرش .

دعوةُ الملك بالشّمس والظّل شيءٌ رائعٌ ، فهو شمسُ ظلِّ الهيبة وظلُّ شمس الإشراقة .

والشّمسُ والظلُّ لازمان لعُمران العالم ، وبغيرهما العالمُ خَربٌ .

هو ملكُ " توران " لأنه لو يستل السيفَ من الجراب فى " توران " ؛ تُفقَـد الرءوسُ على رقاب المتمردين من " إيران " .

١٠ – للملك " توران " و" إيرانُ " كسبًا وإرثًا ؛ الكسبُ بالسّيف وبـالفَرس والإرثُ من "أفراسياب" .

وحيثما يعدُّ ملكُ العالم الجيشَ لمواجهة العدوّ ؛ تكنْ له النُّـصرةْ والتأييـدُ وأيضًا العنانُ والرّكاب .

وحين يُرتِّب الملكُ جُنْدَه للقتال ؛ تزيح الرِّياحُ النّقـابَ عـن وجـه الفـتح والظّفر.

(١) أى : أشعته.

(٢) أى : السماء.

لا يليق لهراوة المَلك وقوسه وشَصِّه وعُقابه مسكنٌ ســوى قلــب الملــوك المتَجَبِّرين وعيونهم .

يكون سيفُ مَلك الشرق فى عراك العِدَا مثلَ البحر ، وكلُّ بحر يكون أمامه سرابٌ .

ليس شرطًا طلبُ الإنصاف من باب إنصاف الملك ؛ فلــيس مــع طلــب الإنصاف من الملك بابٌ للإنصاف .

سيفُ المَلك يجعل الصحراءَ بحرَ دمٍ ،وأمام بحر الدَّم ذلك يكون الــسَّرابُ بحرَ دم.

ليس ثمة مرارةٌ من عتاب الملك المنصف وتعريكه للأذن ؛ ففى المثل : "لباربد "(١) تعريك أذن الرَّباب .

" للقطاة " و" الشاهين " فى عهده عشقُ " ويس " و" رامين " ، و"للــصقر" صوتُ دلالٍ ووَله " رعد " و"رباب " .

ألقى طبلُ المَلك الذى له دوىُّ الرَّعد صداه علـــى الــصحراء ؛ فــصارت الذئابُ فى الصحراء من عدل المَلك راعيةً للحملان .

٢٠ - يا مَنْ ديارُ المشرق تشبه دار السلام بسبب عدْلك ، لو يأتى سؤالٌ من دار مُلكك أقوم بالرَّد عليه .

دارُ ملكك هى حسنُ المآب لأهل الدين ، وليس لأهل الدين فى الدنيا سواها حسنُ المآب .

الرَّحمةُ الخالصةُ عطاءٌ من الخالق للرعية ، ومع أنَّك بابٌ للرحمة ؛ فلتكن الرحمةُ بابًا عليك أيضًا .

---

(١) موسيقى إيرانى شهير فى عهد الملك پرويز .

إن لم يُسِلْ أسدُ الفلك دمَ أعدائك ؛ فلتكن ثالمًا لمخالبهم وأنيابهم ملقيًا بهم في الخنادق .

أيها الملكُ ، صار بابُ القول مفتوحًا أمام طبعي ، كي أنظمَ مديحك في كلِّ فن وغرض .

كفى أن كنتُ أسوأ أبناء أبي وأمي من حيث الطّبع ، وأنا الآن بسببك ابنٌ طيبٌ للغاية لأمي وأبي .

عندما يصل ديواني إلى حَدِّ مدحك ؛ فإنَّ " يمحو الله " [1] يطرد الهزل .

وطالما يخطب مُقَدّمو قافلة السلاطين ذوو الوجوه النورانية في العيد على المنبر بخطاب عذب .

فليكن كلُّ دعاء خطبة فيك وأولادك وأتباعك بشأن صلاح ملكك مستجابًا.

وليكن عيدُ الأضحى مباركًا عليك ، وليقَدِّم سيفُ المحنة أعداءَك قربانًا مشويًا بنار الحسرة .

٣٠ - فليكن موصولاً طولُ عمر " نوح " على مُلْك " سليمان " ، وليكونا موقوفين عليك؛ هذا بلا فناء وذلك بلا مآب .

قام " السوزني" بالدُّعاء للمَلك فقُلْ : آمين ؛ ففي الدُّعاء للملك الأجرُ وفي قول آمين الثّوابُ .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " (سورة الرعد آية ٣٩) .

فى مدح السلطان مسعود الثانى (ص ٢٦ – ٢٧)

١ – يا مَن أنت بالتَّاج والعرش الملكى وارثٌ لـــ " أفراسياب "[١] ، لقد تحقَّــقَ لك الفتحُ والنَّصرُ من نَعْل حافر الجياد .

جَمِّل الجيادَ بالنَّعل الذَّهبى ؛ فقد كان "أفراسياب"[٢] يفعل ذلك .

لقد ألقى الفلكُ صورةَ الهلال على صفحة البحر ، كى تصير أفراسُ البحر مُنَعَّلَةً بالقمر لأجلك[٣].

لقد جَفَّ نبعُ ماء حياة أعدائك ؛ لأن لونَ سيفك يخضِّب الحَبابَ فى ماء البحر .

أنت مــلكُ الشَّــرق ، وســيفُك فاتحُ العالم ناثرٌ للدم مثلما سيفُ الشمس[٤] – حين يُستَل – من جراب الصباح .

لو تكون الشمسُ أو لاتكون مالكةً للرقاب من النجوم ؛ فأنت حقًا وبلا شك مالكٌ للرقاب من الملوك .

حين تستلُّ سيفَك من الجراب فى الميدان فى يوم الهيجاء ، تتوارى الشمسُ خلفَ السَّحاب رعبًا من سيفك[٥].

على مَنْ تُجرِّب سيفَها[٦] ؟ أما أنت فعلى الأجساد ، وهى تجعل اليــاقوتَ من قلب الحجر ، وأنت تجعله من صفحة التراب[٧] .

---

(١) ولاية آفراسياب فى منطقة بلاد ما وراء النهر .
(٢) ملك توران فى عصر الكيانيين .
(٣) أى تجعل القمر نَعْلاً لها .
(٤) أى : شعاعها
(٥) هذا البيتُ لم يَرِد فى الديوان المطبوع ولكن استدركه عليه " جــلال الــدين همــائى " فــى المستدركات على الديوان ص٣٩٦ وأصله الفارسي هو :

آفتاب ازسهم تيغ توبه ميغ اندرشود　　　چون به ميدان روزهيجا بركشى تيغ از قراب

(٦) أى الشمس .
(٧) دم العدو.

يدُ حُكْمِك قد أطاحت للعُصاة الرأسَ عن العنق والرُّوحَ عن الجسد واليدَ عن العِنان والقدمَ عن الرِّكاب .

١٠ - أنت الملكُ مسعودٌ الثانى ، وأنت الملكُ مسعودُ الطَّالع ، لطالعك ولاسمك فتحُ الباب أمام السعد الأكبر (١).

لم يلد " آدمُ " و" حواءُ " من أىِّ أمٍ وأىِّ أبٍ ملكًا مثلَك من أصل مَلكٍ للعالم وملكة.

أنت ملكٌ منصفٌ وعادلٌ ، ولقد مزج اللهُ ذاتَك من الاستحسان المحض ومن الإنصاف الصِّرف والعدل الخالص .

لو يئنُّ الغزالُ من النَّمر ؛ فإنَّه من عدْلك تجتَثُّ ماشةُ قرنيه أنياب النَّمر من فمه.

أنت عطاءٌ للخلق من الله ، ولو يحصى الخلقُ عطاياك عليهم ؛ فإنَّه يخرج عن الحصر حقًّا .

فأنت على حقٍّ ، وكذلك الخطيبُ لو يعتلى المنبرَ ليتحدَّثَ فى حقِّك عن أنَّك عطاءُ الله .

طالعُك النَّابهُ يملك للرعيَّةِ لبنًا سائغًا ونومًا هنيئًا مثلما المربيةُ مع الطفل الأثير لديها

لو تثقب إبرةُ خاطرٍ "للسوزنى"فى عقد مدحك حبَّةَ درٍّصاف بدلاً من كلِّ حرف.

فسوف يخجل من طبع شعره المنمَّق ؛ فقد يروق شعرُه للشيخ وللشاب أو لا يروق.

ولو كان فى ثنائه ودعائه لك نسيانٌ وسهوٌ ؛ فليكنْ ثناؤه مسموعًا ودعاؤه مستجابًا .

---

(١) كوكب المشترى ويلقب بسعد السعود .

٢٠ - ولتكنْ شبكةُ الخيمة الزّئبقية اللّون وبلا طناب[١] هذه أقلّ حجاب لقصرك وإيوانك.

أعداءُ مُلكك تحت هذه الخيمة الزئبقية اللّون فى اضطراب على شاكلة الزئبق.

حجرةُ بلاط قصرك محرابٌ للملوك ، وكلُّ من يُيَمّمُ وجهَه شطره لا يحيد وجهُه عنه.

فليكنْ لحاسدك عينُ البحر وقلبُ جهنم ، حتى يصير له مثلَ " فرعون " اللعين الغرقُ والاحتراقُ.

العالمُ عامرٌ بعَدْلك وأنت ملكُ العالم ، وطالما أنت ملكُ العالم فأنَّى للعالم أن يصير خرابًا ؟!

هكذا كان وسيكون خلقُ العالم من الخَلْق ، طالما ينتسبون للرياح والتراب والماء والنار[٢].

للماء اللَّطافةُ ولصفاء النار النورُ والضياءُ ، وللتراب الحلمُ والثباتُ وللرياح الغضبُ والسرعةُ .

وطالما لا يكون المضطربُ فى العبارة مثلَ المستقيم ؛ فلا كان المستقيمُ لباب فتحك مضطربًا .

فى مدح الوزير نظام الدين (ص ٢٧ - ٢٩)

١ - تَقَدَّمَ " برجُ الحَمَل " موكبَ سلطان الكواكب ؛ لأنَّه الأفضلُ فى الحراسات والأعلى فى المراتب[٣].

---

(١) أى : السماء .

(٢) هى العناصر الأربعة ويقال : إنها أصل الخليقة .

(٣) حافظتُ فى ترجمة هذه القصيدة من باب الصَّنعة فقط على القافية نفسها التى استخدمها الشاعر ، وهى عربية ، مع بعض التصرف فى الصِّياغة .

فتخال أنَّ " الحَمَلَ " لم يسلب من القُبَّة الفيروزية (١) سوى جــواد الظَّفــر لسلطان الكواكب .

وكان عليه تقدُمُ الرَّكب والتطوافُ به إلى جواد آخر مثل الغازى اللأَّعب.

وكلَّما يمتطى صهوةَ هذا الجواد المظفَّرَ ؛ فإنَّه يَتَبَخْتَر به ثلاثين يومًا مــن المشارق إلى المغارب .

حتى يستعرضَ الجيشُ المظفَّرَ على الوديــان والــصَّحارى بــين راجــل وراكب.

وما إن صار الهواءُ معتدلاً حتى تأتى الأشجارُ بوضوح محمَّلةً بالورود و بالأوراق العجائب .

ويصير البلبلُ كالواعظ والقُمرى كالمقرئ والخميلةُ كالمحراب والياســمينُ كالعرش والفاختةُ كالخاطب .

هذا هو موسمُ ذلك ؛ لأنَّه من روائح الرياحين على مسك " الخَتَن " يــصير ترابُ الخميلة هو الغالب .

وصار شجرُ الحور الأبيضُ والصَّفصافُ الأسودُ فى الميدان بفعل ريــاح السَّحر ما بين طاعن بينهما وضارب .

١٠ - ويصير واضحا لكلِّ ذى عينين فى الدنيا أن يرى وَرْدَ شجر اللَّوز مــسلوبًا بفعل الرِّياح من كلِّ جانب .

أيتها الرِّياحُ لقد أحضرتِ خِلْسَةً وَرْدَ اللُّوز من كلِّ الأحباب من "ســمرقند" إلى الوزير الصَّاحب .

سلطانِ وزراء مُلك آل الأمراء ، ممدوح أمراء الشِّعر الحاضر والغائب .

الحكيمِ " نظام الدين"الذى لا يكون بين نظَّام المدائح فى صفاته خاطئٌ وكاذب .

---

(١) أى : السماء.

وتدبيجُ مائة دفتر وديوان فى مدائحه هو على كلِّ مُبْدِع أمرٌ لازم وواجب.
ويكون من مكرمته أنَّ من منقبته تدبيجَ ديباجة ديوان المناقب .
ليس ثمة عجبٌ ، لو يصير مديحُه مسالاً على الماء الدافق من قلم القائل والكاتب.
يا مَنْ قولُك فى شأن الدين والدنيا صادقٌ ، ويا مَنْ رأيُك فى بهاء المملكة صائب.
"الشَّمسُ" لرأيك النَّاصح خليفةٌ ، و"عطاردُ" لقلمك المنمَّق الخَطِّ نائب.
وسَّيافُ جيش الإسلام يضع من قلمك على "قيصر"[١] و"فغفور"[٢] الأتاوةَ والضرَّائب .

٢٠ - يأتى إلى بلاطك الأشرافُ والأكابرُ هكذا لخدمتك ما بين طائع وراغب .
فهم من ناحية تقبيل أرض بلاطك وقصرك يجذبون الرِّزقَ إليهم مثلَ الكهرباء الجاذب
لك ثلاثُ نِعَمٍ هبةً من الله الوهاب : عيشٌ هنئ وطبعٌ سخى وكفٌ واهب.
لا يجدون فى الدنيا عبدًا عطَّاءً لم يَنَلْ من جودك مائةَ دفعة من المواهب[٣].
فأهلُ الفضل على مائدتك ومشربك وبِرِّك وكرمك ما بين طامع وآمل وطاعم[٤] وشارب .

---

(١) ملك الروم .
(٢) ملك الصين عند الإيرانيين .
(٣) أى الهبات والعطاءات . وأتصور أن الشاعر قد استفاد فى تكوين هذه الصورة من قول "المتنبي" يمدح فيه "سيف الدولة" :

كالبحر يمطره السحابُ وماله ... فضلٌ عليه وماءُه من مائه

(٤) "الطَّاعم" اسم فاعل بمعنى اسم المفعول "مطعوم" طبقًا لقول الشاعر "الحطيئة" وهو شاهد بلاغى:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسى

وكلُّ شخص يتجرَّع شرابَ الحسد لك والحقد ، يمنحه الساقى بُشرى
انتزاع الشَّارب .
أمام دولة حضرتك، الأعداءُ التُّعساءُ هم فى حالة الظَّفر ما بين خاسر
وخائب .
وبالنسبة لحضرتك يكون تشبيهُ علوِّ قدرك فى خميلة المُلك بالسَّرْ و بالسَّرْوِ
السَّامق هو المناسب .
فليكن بَيْرَقُ دولتك وإقبالك فى خميلة الجاه والعظمة مثلَ السَّرْو الطَّليق
الناصب.
حتى تظلَّ الرايةُ النورانيةُ لملك الأنجم منصوبةً من المشارق وقائمةً فى
المغارب.

٣٠ - وليكنْ ربُّ القلم والسَّيف من المشرق إلى المغرب على خدمة بلاطك هو
المواظب
فليكن عيدُ " النيروز الجلالى"(١) وبدايةُ سنة العجم مباركًا عليك وعلى الأحباب
والأقارب.
فلتَدُمْ طويلاً بحيث لا يأتى حصْرُ سنوات عمرك فى قلم كاتب وفى ذهن
محاسب.

(١) منسوب إلى السلطان جلال الدين ملكشاه السلجوقى ، وكان مستعملاً فى عصر السوزنى فى القرن السادس الهجرى فى بلاد ما وراء النهر . (المستدركات على الديوان ص ٣٩٦) .

حرف ت

فى مدح وزير (ص٣٠)

١ – يا مَنْ ليلةُ النِّصف من شعبان هى يومُ عيد للخلق ومنجاةٌ لهم من الغَمِّ؛ فلتَعُدْ عليك بالخير والسعادة.

بلى، تعود عليك بالخير والسعادة؛ مادام للخلق فيها منجاةٌ من الغَمِّ بسبب عدْلك.

فأنت فى عين المروءة وهيئة العقل لازمٌ كالضياء واجبٌ كالحياة.

وأنت فى نثر الدُّر الدَّائم لأجل نضارة قلوب الخاصة والعامة لتُشْبه السَّحابَ مع النَّبات.

لقلب العامة قرارٌ على اعتقادك، ولقاعدة الخاصة ثباتٌ على رأيك.

فأنت الوزيرُ، ووزيرُ الدَّولة أنت، والدولةُ مباعةٌ لك من نفسها بيعًا قطعيًا.

لو تستهدف جدولاً وسطَ البادية، يجرى هناك فى دولتك دجلةُ والفرات.

ولأنَّ لكلِّ مَلك وزيرًا مثلَك، ففى رُقعة الشطرنج يكون الوزيرُ خصمًا للملك ويقضى عليه.

من فتح "سومنات"(١) ومن "محمود الغزنوى" الشهرةُ باقيةٌ، بينما هو قد غادرَ الحياةَ.

١٠ – ورؤياك وزيرًا أفضلُ "لمحمود" مَلكِ الشرق ذُخْرِ الملوك من فتح "سومنات".

والأفضلُ من فتح "سومنات" هو أن تفتح بسنِّ القلم الدَّواةَ على الفأل الحَسَن.

لك من الخالق الكريم كرامةٌ، ولخلْقه منك كلُّ برٍّ ومكرمات.

كم وهبتَ لعبيده جاهًا على سبيل الزكاة؛ فليزد اللهُ جاهَك من هذه الزكاة.

---

(١) سومنات: مدينة كبيرة فى بلاد الهند وبها صنم عظيم، وحين فتحها "السلطان محمود" عرضوا عليه مثقال هذا الصنم ذهبًا وفضةً مقابل أن ينصرف عن تحطيمه، لكنه أبَى وفضَّل ابتغاء وجه الله عن كنوز الدنيا.

لقد عادت ليلةُ النِّصف من شعبان بالخير والسعادة؛ فليكن صومُك وصلاتُك لنهارها وليلها مقبولاً.

لو يتألمون جيدًا لطفَك وقهرَك؛ يعلمون أنَّ الأولَ يهب الحياةَ والآخرَ المماتَ.

ألا فهَبْني نجاةً من محنة الزَّمان، يا مَنْ أنت يوم عيد للخلق ومنجاةٌ لهم من الغَمِّ.

فى مدح شمس الملك (ص ٣١-٣٢)

١ - طالما يعنُّ لى النَّظرُ إلى محياك الحسَن؛ فإنَّ قلبى قد ارتاح من كلِّ خير وشر.

فلا تَمْنَعْنى من العشق؛ لأن العشقَ سيرةُ نوع البشر وعادته.

لا أطلب منك تقبيلا أو عناقًا، بل لى معك شأنٌ آخرُ غيرُ هذا.

من دوران الفَلك خلى كأسى وحافظتى، هذه من الخمر وتلك من الذَّهب.

أنت شمعُ محفل الآخرين، وفى رأسى شررٌ من نار القلب.

فلو تكون ظالمًا أيها المحبوبُ؛ فسأطلبُ الإنصافَ والملكُ عادلٌ.

هو ذلك الملكُ العادلُ شمسُ الملوك، الذي يفوق جيشُه عددَ النجوم.

وعددُ ذرَّات شمس الفلك أقلُّ من تعداد جيش ذلك الفاضل.

وكلُّ مَنْ يحتمى بحماه، آمنٌ من بلاء تقلِّب الأيام.

١٠ - فهو نخلُ بستان العالم؛ لأنَّ سخاءَه وكرمَه الورقُ والثَّمرُ.

وعدوُّه فى الأرض هو ذلك الغصنُ الخالى من الورق والثَّمر.

يشبه "عليًا" فى الشَّجاعة، وتقول: إن عَدْلَه عدلُ "عُمر".

له العَظَمةُ والجاه، وجاه عدوِّه فى خطر.

كلُّ ما فى الدنيا من نفع وضرر أثرٌ لغضبه ولطفه.

لصاحبه مكانٌ فى الجنان، ولعدوِّه مقرٌّ فى سقر.

لن يكون العالمُ الآخرُ مكانَ جحيم له؛ لأنَّ هذه الدنيا أيضًا كانت له بمثابة سقَر(١).
يُطَبِّقُ مليكنا آفاقَ العالم فى سفره أعوامًا وشهورًا مثلَ القمر.
ويطوف عدلُه حولَ العالم سواء أكان الملكُ فى حلٍّ أو ترحال.

٢٠ - ومع أننى أطيل فى المديح له، فحين أعيد النَّظرَ إليه أجده مختصرًا.
لو كنتَ تَبْغى الشَّرفَ والجاه والعزَّ؛ فاخْتَرْ حُبَّ ذلك المَلك.
وكن له عبدًا؛ فأقلُّ أثر فى العبودية له هو مُلْكُ العالم.
لو تريد أنْ تَحظى بالعظمة والجاه؛ فإنَّ خدمتَه هى أساسُ ذلك.
هو ملكٌ للعالم؛ لأنَّه ملكٌ عالى الأصل والمحتد.
فالمُلكُ لا يناسب سيىء الأصل، وهو ملكٌ لأنَّه فى الأصل حكايةٌ.

فى مدح شمس الملك (ص ٣٢-٣٣)

١ - حيثما يرحل ملكُ العالم يكنْ فتحٌ على فتح وظفرٌ على ظفر.
الظَّفْرُ والفَتْحُ لملَك العالم دليلٌ على أنَّه المَلكُ الظَّافرُ فى الدنيا.
ملكُ الشَّرق والصين "شمسُ المُلك"، المشهورُ مثلُ شمس الفَلك.
هو المالك مثلُ شمس الفَلك وملكُه من الشرق إلى الغرب.
ذلك لأن عدد جيشه يفوق مالشمسِ الفَلك من ذرَّات.
وحين يعدُّ جيشَه يصاد العدوُّ، وحين يصرف جيشَه؛ فالعدوُّ يشكر الله على ذلك.
عدوُّ ملَكِ العالم "شمسِ المُلك" يلزم الحائطَ كالظِّل.
ولا يَتسنَّى له ملاقاته إلا إذا كان فى شَّجاعة "زال زر"(٢).
الدنيا عدوةٌ للملك، ولكنَّ تَقَلُّبَ الأيام عدوٌّ للجميع.

---

(١) بما فيها من أهوال وحروب ومشاكل ولم تكن مكان دعة وراحة ونزهة.
(٢) بطل إيرانى قديم وهو ابن سام ووالد رستم وسُمِّى بذلك لأنه وُلد أبيض الشعر [فرهنگ عميد]

ملكُ الشَّرق "على بنُ حسين" الذى هو فى الإنصاف والعدل "عُمر".
"ذو الفقار" النَّسب(١) و"نوح"(٢) الأصل، وله شرفُ الأصل والجوهر ورتبتهما.
لو ترك المَلكُ أسرةَ "خان"(٣) خارجًا، فهو بذلك يترك آلَ "طغان خان".
هو أهلٌ للنَوْبَات الخمس(٤) وجديرٌ بها؛ لأنَّه ملكٌ من الأب الخامس.
كلُّ مَنْ يصير متوَّجًا على وجه البسيطة، ليس سوى أنَّه يتمنطق لتقبيل أعتابه.
فللسماء ولمجَرَّتها نطاقٌ مثلُ المتمنطقين فى خدمة الملك.
وللسماء ألافُ العيون تَتمتَّع بها برؤية الملك.
ولا يغيب حسْنُ الطَّالع عن ناظر المَلك، سواء فى حِلِّه أو فى ترحاله.
فليكنْ سفَرُ الشَّرق ميمونًا لملك الشَّرق لأنَّه سفرٌ ميمون.
صلاحُ حال أهل الدُّنيا بأسرها هو سببُ اختيار ملك الشَّرق للسفر.
ومَركَبُه يتتَّبع القمرَ، وهو أيضًا سالكٌ للطريق ومرشدٌ مثلُ القمر.
و"شمسُ المُلك" ذلك الذى يكون القمرُ براقَه، يختال فى عودته مبكرًا من هـذا السَّفر.
فليكن اللهُ له حافظًا وناصرًا، وليكنْ هذا الدعاءُ درعًا له ضد سهم البلاء.
طالما الأرضُ والفلكُ من فوقها، الأولى جامحةٌ والثانى بلا قرار.
فليكنْ رأسُ عدوِّه لأجل الحماية مثل الأرض ولو كانت فوق الأفلاك.

---

(١) سيف على بن أبى طالب.
(٢) يرى سعيد نفيسى أن "قدر طغان خان" يعود نسبه وأصله إلى آل نوح (مقدمة الديوان ص چهل وچهار) وربما يعنى نوح بن سامان مؤسس الدولة السامانية.
(٣) أى أسرة الإيلك خان الحاكمة أو "آل أفراسياب" ومنها هذا الممدوح المعروف بـ "إيلك خان".
(٤) هى علاقة السلطنة والحكم، وهو طبل وضعه الإسكندر يضرب فى الليل والنهار ثلاث مرات زادها السلطان "سنجر" فى عصره إلى خمس [الديوان لغات ص٤٤٢].

فى مدح الوزير صدر الدين (ص ٣٣-٣٥)

١ - الوزيرُ الصدرُ المقدَّمُ على صدور عصره، قصرُه مثلُ الكعبة شريفٌ ومعظَّمٌ.

مثلُ الملاك بين البشر، ومثلُ آدم وسط الملائكة.

صوبَ ذلك الذى خلقَه ملاكًا وبشرًا؛ فهو مثـلُ آدم ومثـل المـلاك؛ عزيـزٌ ومكرَّمٌ.

مَنْ يكون ذلك الصَّدر؟ إنَّه الوزيرُ العادلُ الذى يكون فى الدنيا سـعيدَ الحـظِّ وصاحبَ المكانة المسلَّم بها.

من رأيه المضىء وتدبيره المحكم، العالمُ مضىءٌ وقاعدةُ المُلك ثابتةٌ.

هو رأسُ كلِّ محترم فى مُلك العجم، وهو مثـلُ شـهر محـرم رأس الـسنة الهجرية عند العرب.

تحتَ خاتمه الدُّنيا بأسرها، كأنما تقول: إنَّ خاتمَه خاتمُ جمشيد[١].

فمثلُ هذا الوزير فى الحقيقة، يُعَدُّ فى دولة سلطان العالم المبارك ذُخْرَ الملوك.

فسلطانُ العالم هذا قد علمَ أنَّ ذلك العظيمَ هـو المناسـبُ لـوزارة الـسلطان الأعظم.

١٠ - فلا مجال لأدنى شك فى عظمته، كما أنَّ نظيرَه فى العظماء قليلٌ.

أيها الوزيرٌ ذو الكفِّ الجواد فى يوم المحفل، كأنه الشمسُ التى تُربـى الـذَّر، والسَّحابُ الذى يندى بالجوهر.

أنت الصَّدرُ ذو الطَّالع المبارك، رؤيةُ محيَّاك منشورُ البهجة ومنجاةٌ من الغَمِّ.

أمام همتك الرفيعة وكفِّك الكريم، حتى الفلكُ وضيعٌ واليَمُّ بخيلٌ.

فى المثل، لو تنظر إلى الأبرص والأكمه، بدون أن يكون فيك معجزُ عيـسى ابن مريم.

---

(١) أقدم الملوك الفرس القدماء قبل الإسلام، وهو من ملوك دولة الـسپيشداديين وهى أول دولة فى تاريخ الفرس.

فذلك الذى هو أكمهُ بهمَّتك يرتَدُ بصيرًا، وذلك الذى هو أبكم بمـديحك يـصير بليغًا.

تحتَ نعل جوادك لو يصير التُّرابُ وَرْدًا؛ فإنَّه يكـون بلـسمًا لجـراح قلـب المظلوم.

ولو تَهبُّ رياحُ جُودك على محتاج، يتجمع لديه كلُّ خزائن قارون.

وكلُّ ما قلته عن عَدْلك واضحٌ، وكلُّ ما سأقوله عن جُودك بَيِّنٌ.

فى الدين الطاهر لخاتم الأنبياء أنت الخاتمُ فى العدل، واسمك مثلُ نقش الخاتم.

٢٠ – شمسُ أهل الدين ساطعةٌ ببقائك، وديباجُ التَّمجيد معلَّمٌ بثنائك.

حَفِىٌّ بك خاتمُ الإقبال والسِّيادة، مثلما رخشُ[١] رستم لرستم.

التوفيقُ مع حاسدك مثلُ الماء والزيت[٢]، ونصحُك لناصـحك مثـلُ"الزِّيـر" مع"البَم"[٣].

حبُّك للولى وبغضُك للعدوِّ، هذا هو الجنانُ السعيدةُ وذلك هو الجحيم.

لو أقول: إنَّ عدوَّك كلبٌ لما تجاوزتُ الحقيقةَ، حتى ولو كـان فـى شـجاعة الضَّيغم ورهبته.

كلُّ ما يُسلب فى الهيجاء كلُّه نصابُك، وهذا الكلبُ فيه دليلٌ وعلامةٌ.

طالما السَّماءُ بلون سقف القُبَّة الزَّرقاء من انعكاس لمعة النَّجم الساطع كلَّ ليلة.

فانعشْ هوى قلبك على سقف القبة مع حورية تكون قِبلة "يغما" و"طارم"[٤].

لو تأملتَ الفلكَ جيدًا وهو يمضى مقوَّسًا، قد أحنى ظهرَه تعظيمًا لأعتابك.

فعِشْ خاليًا فى بُلهنية، ولا تكنْ لحظةً بلا طرب، لأنَّ العُمْـرَ لحاسـد جاهـك قصيرٌ جدًّا من الغَمِّ.

---

(١) جواد رستم فى الشاهنامة وكان سريع العَدْو وثابًا ولونُه أبيض مشرب بالحمرة.

(٢) لا يجتمعان.

(٣) "الزير" الصوت المنخفض واللطيف، و"البم" الصوت المرتفع والمزعج.

(٤) أسماء طوائف تركية وأيضًا أسماء مدن. [الديوان. لغات ص ٤٦٧، ٤٩٩].

فى مدح طخان خان (ص٣٥-٣٦)

سعيدُ الحَظِّ "قدرطغان خان"، المظفَّرُ "قدرطغان خان".
سعيدُ الحَظِّ هو الشخصُ المطيعُ لسعيد الحَظِّ "قدرطغان خان".
صاحب "ذو الفقار" بسبب ذلك الاسم فى جوار "قدرطغان خان".
إن لم يحمل "ذو الفقار" فى القلب، فهو "ذو الفقار" "قدرطغان خان".
حشمُ "ذو الفقار" نصرةُ الحق يؤدون حق "قدرطغان خان".
قدرةُ "آل نوح" فى الإقليم من اقتدار "قدرطغان خان".
حيثما يكون ملكٌ فى الدنيا؛ فهو من نسل"قدرطغان خان".
قِبْلَةُ كلِّ الملوك هو الصدرُ "قدرطغان خان".
أعناقُ العُصاة تَئِنُّ من حِمْل مِنَن"قدرطغان خان".
لشجر المُلك والدين والملَّة ثمارٌ "لقدرطغان خان".
حُسْنُ "جمشيد" وبهاءُ "أفريدون" على عذار "قدرطغان خان".
على طريق العبودية، فى أذن الفَلَك قرطُ "قدرطغان خان".
كوكبُ الشمس الفارسُ على الفَلك ليس بفروسية "قدرطغان خان".
برجُ الأسد فى خوفٍ وفزعٍ ورعبٍ من غارة "قدرطغان خان".
لو تصير السماءُ صائدةَ الأسود؛ فهى مرجٌ "لقدرطغان خان".
رونقُ عمل "عزرائيل" هو عراكُ "قدرطغان خان".
الملكُ قابضُ الروح من العَدوِّ هو الملكُ مودعُ الروح "لقدرطغان خان".
فى المعركة يصير المرجُ من رأس العدوِّ منبتَ الشقائق "لقدرطغان خان".
السيفُ سماوى اللَّون لأنَّه فى يد صانع البلور "قدرطغان خان".
لا كان للعدوِّ أفضلُ ظفر، والأمانُ هو "قدرطغان خان".
من بين كلِّ الأعمال، المروءةُ هى اختيارُ "قدرطغان خان".
عارضُ الفضَّة ووجهُ الدِّينار بنقش"قدرطغان خان".

أصلٌ وفرعُ مديح الشعراء من شعار "قدرطغان خان".

السَّيفُ اليمانى فى يمين، والخاتمُ فى يسار "قدرطغان خان".

هذه الأربعةُ [1] أصلٌ والباقى فرعٌ، وكلُّ الأربعة "قدرطغان خان".

تَذكَّرْ بالدّعاء وبالثناء ليلَ نهار "قدرطغان خان".

ثباتُ الأرض فى حضن الفَلك من وقار "قدرطغان خان".

طالما تكون الأرضُ ملكَ وجه الأرض فهى على قرار "قدرطغان خان".

فى مدح شمس الدين (ص ٣٦-٣٨)

١ - عشقُ شمس حسام "آل برهان"[2] كامنٌ فى قلب كُلِّ عاشق للإيمان.

ذلك المَلكُ الموفَّقُ والسلطانُ على مُلك الأجداد والآباء ودينهم.

الملكُ الذى يكون حربُ جيشه أمانًا من السؤال والجواب.

وحين يبحث شئونَ الحرب يكون عَونُه من حيث الرسول والقرآن.

وحين يصطف الجيشان حقًّا؛ فحيثما يكنْ، يكنْ الفتحُ معه.

هو معدُّ الجيش ورجلُ الميدان لحرب أهل البدع لسبعين معركة مَضَت.

هو شيخُ الإسلام لأهل الإسلام، الذى هو الآن من عداد الصبيان[3].

يتفوق على العظماء بالعلم، مع أنَّه يصغرهم فى العُمْر.

على الكبار حين ينظرون إليه، أنْ يتغير - فى نظرهم - عمرُه فى الحقيقة.

١٠ - أيها العظيمُ، يختفى مثيلُك فى الدنيا مثلَ اختفاء ماء الحياة.

يشترى أهلُ العلم دُرَّ ألفاظك بالرُّوح العزيزة، وهو بذلك رخيصٌ.

لفظُك دُرُّ بحر خاطرك، وخاطرُك أيضًا بحرُ عمان.

---

(١) أى : الدنيا.

(٢) هو شمس الدين صدرجهان محمد بن عبد العزيز بن مازه من آل برهان وكان رئيس "بخارى" (مقدمه الديوان ص چهل وپنج).

(٣) أى : شيخ الإسلام.

يتفاخر الجوادُ الموسومُ منك على فَخذه على بُراق الجنَّة.

حيثما يَخْطُ جوادُك؛ تكن رياضُ رضوان تحتَ نَعْله.

مِن تَبَخْتُر ركابك أيها الملكُ، تكون نخْشَبُ"[1] و"الخلدُ" كلاهما سواء.

المنزلُ الذى يكون فيه أقلُّ عبيدك ضيفًا، لهو مثلُ الخلد.

لا يتَسَنَّى وصفُ ذلك القصر الذى أنت فيه ضَيفٌ.

وسهلٌ على ربِّ المنزل أنْ ينثرَ روحَه عليك ضيفًا.

لا تَعُدَّ فى "بخارى"[2] اليوم قلبًا؛ فلا يوجد؛ لأنَّه فى فراقك صار مشويًا.

٢٠ - ومن جمالك يكون لساكن "نَخْشَب" قلبٌ كأنَّه الربيعُ وروحٌ كأنَّها الرياض.

فأنت "يوسفُ" العصر والمدينتان[3] بالنسبة لك: هذه مثل "مصر" وتلك مثل "كنعان".

فهذه وتلك كلتاهما مُلْكُكَ ومِلكُكَ، وأنت الآمرُ عليهما.

طالما يكون شرَفُ الشَّمس "بالحَمل"، وطالما يكون منزلُ "القمر" هو "السرطان".

فلتكنْ شمسُ إقبالك مشرقةً، وقمرُ دولتك ساطعًا لك.

وطالما يكون للفَلك الشريف دائمًا ترابٌ كثيفٌ فى الدوران.

فليكن دورانُ الفَلك وفقَ مرادك، طالما يكون دورانُه بحكم الله.

وليحفظْك اللهُ؛ لأنَّ عِلْمَك حافظٌ لدينه.

---

(١) "نخشب" أو "نسف" مدينة كبيرة تقع بين سمرقند وجيحون وهى المدينة التى وُلد فيها شاعرنا "السوزنى"، وجاء ذلك فى قسم الدراسة من هذا الكتاب.

(٢) "بخارى" اقليم فى خراسان تعلم فيه الشاعر.

(٣) أى "بخارى" و"نخشب".

فى مدح الملك مسعود (ص٣٨-٤٠)

١ - لماذا شهرُ رجب شهرٌ ميمونٌ مباركٌ؟! لأنَّ له الرِّفعةَ والجاه بين الاثنى عَشَر نظيرًا.
وهو من حيث الاحترام ملكُ شهور العام الاثنى عَشَر، مثلما "يوسف كنعان" ملكُ الاثنى عشر كوكبًا.
لقد جاء بالسلام على مَلك المشرق والمغرب "مسعود" الذى هو عمٌّ ثلاثة عشر ملكًا وأبوهم.
السَّاطِعِ هكذا على عرش السَّلطنة والمُلك كلَّ يوم، مثلُ بَدْرِ التِّم[١].
ولشهر رجب نَسَبٌ بمَلك العالم؛ فالملكُ ظلُّ الله ورجبُ شهرُ الله[٢].
الشهرُ الأصَمُّ هو هذا الشَّهر[٣] والأفضلُ له أن يكون أصمَّ، وطالما لا يوجد دليلٌ على الحجة فهذا لا ينقص منه.
هذا الشهرُ لم يسمعْ عن أحد قرينًا لمَلك الشَّرق؛ ذلك لأنَّ فلكَ الشرق متفَردٌ بين النُّظراء.
شمسُ الملوك هو المَلكُ الذى له جيشٌ يفوق عددَ ذرَّات الشَّمس.
اللهُ وهبَه للعالم للحفاظ عليه، مثلما تكون عينُ عدله خَيْرَ حافظة للدنيا.
١٠ - فهو مَلكُ ملوك العالم الحارسُ وخيرُ حافظ له من عين الأشرار.
ولم يحدث طوال عمره أىُّ تأخر وتقدُّم لنهار الصَّباح حتى مساء القيامة.
لقدَ جاء قلبُ عدوِّه الحاسد فى حُرقةٍ وانصهار مثلَ الفضَّة فى البوتقة من نار الفكر.
وعدُّوه أمام لطمة حصار صَرصَر له وقتَ اللِّقاء مثلُ قشَّة العَلَف أمام ريح صَرْصَر، ولو كان من حديد وجبل.
فإذا كان يومُ المحفل زاد عطاؤه من الأحباب، وإذا كان يومُ الوَغى قلَّ جهادُه من الأعداء.

---

(١) أى : قمر أربعةَ عشر.
(٢) إشارة الحديث النبوى : (رجب شهر الله).
(٣) الشهر الأصمُّ هو شهر رجب: (الديوان . لغات ص٤٨٤).

على رُقعة الشَّطرنج كان لعدوِّك المخالف الموتُ من حدِّ السَّيف وأعلى السَّقف وقاع الجُبِّ.

لو يصير معلومًا لدى الجيش المنصور أنَّ الرغبةَ فى خوض المعركة من سمة قلب المَلك.

فإنَّه فى النهاية يطالع من بداية الطَّريق الملكَ على ناصيته منصورًا ومؤيدًا وظافرًا.

ولو كان الشيطانُ الأسودُ؛ فإنَّه يمضى من المعركة بالهزيمة رعبًا وهلعًا من حدِّ سيفه.

كأنَّه مكتوبٌ على صفحة سيفك: لا حولَ ولا قوةَ إلاَّ بالله.

٢٠ - ومن حشمة سلطانه تكون عمامةُ حادى القافلة وزرُّها تاجَ "أفريدون".

يا ملكَ أولى العزم، إنَّ تكبُّرَ ملوك العالم عن طاعتك هو الذَّنبُ عينُه.

إيوانُك المحرابُ لوجوه الملوك وجباههم لأجل تَقْبيل الأرض والتَّحية.

تعظيمُك فى أمةِ خاتم النبيين مفروضٌ مثلُ التكبيرة الأولى فى الصلاة.

فى دولتك الشَّابة بدايةُ الثَّراء والسَّعادة والجاه لكلِّ ذى فضل.

فى مُلكك هذا جزاءُ الأخيار كلُّ خير، مثلما يكون الجزاءُ السَّيِّئُ للأشرار بالسُّوء.

خَشْيتُك قطعت فى أعدائك قوةَ التناسل،فإنَّ خوفَ الروح قاطعُ كلِّ شهوة وميلٍ للنكاح.

فى مرآة الدَّولة طالما تقبل الصدأ من آهة ألم كلِّ ذى غُصَّةٍ.

فإنَّ أخلاقَك أيها الملكُ تكون لأشراف الخلائق رائحةً عبقةً مثلَ مسك "التِّبت" ونسيم "هَراة".

كلُّ واحد من ضعفاء الرَّعية يقصد عَدْلك خفيفًا ونحيلاً كالقَشَّة ليحظَى بالرِّعاية.

٣٠ – دائمًا ما تكون أيها الملكُ سنداً للضعفاء وحمايةً، أتعلم أنَّ دعاءَ الضعفاء سندٌ وحمايةٌ ؟!

طالما ارتفع البحرُ المنقلبُ عن شاطئه، وكلُّ كوكب سيَّار مثلُ مَلكٍ بجيشه.

فليكنْ مُلكُك ومِلْكُك فى زَمانه ومكانه من خنجر القمر[١] حتى دِرْع الحوت[٢].

وليكنْ عرشُك مزيّنًا فى الدُّنيا، مادام العرشُ زينةَ الملوك فى الدُّنيا.

يكون خجلاً، ذلك الذى يكون فى عهدك ملكًا وفى رأسه هوى فاسدٌ وعشقٌ باطلٌ.

ولتكنْ أعينُ أعدائك وقلوبُهم البحرَ وسقَرَ، مادام فى سقر والبحر نيرانٌ ومياه.

فى مدح الوزير شمس الملك (ص ٤٠-٤١)

١ – أيها الوزيرُ الذى تكون خُطْبَةُ الدَّولة باسمك، ويكون قرعُ طبول المُلك على سور قصرك.

قلبُك هو الكأسُ المظهرُ للعالم، والمَلكُ يرى العالمَ من خلال نموذج كأسك.

لقد أظهرتَ القلبَ بدلاً من كأس العالم إلى عين المَلك، حتى رأى الملكُ الموفقُ ذلك الذى هو مرادُك.

لقد رأى رغبةَ القلب من ناحية مصلحة مُلْكه؛ فهذا القلبُ مظهرٌ ما فى عقلك تمامًا لك.

ترتيبُ أمور مُلْك المَلك شمسِ الملك هو لك سواء أكان ذهبًا منضوجًا من القلب أو فضّةً خامًا.

---

(١) أى : السماء.

(٢) أى : الأرض.

فأنت وزيرُ سلطان الشَّرق بلاغلٍ وغِشٍّ، ولهذين السببين لك الاحترامُ بلاغــلٍّ وغِشٍّ.

لأنت أشهرُ من الصَّاحب بن عباد[1] وصيتُك سائرٌ فــى الــدنيا مثــلُ اســم الصَّاحب ابن عباد.

على مسند الوزارة وفى محفل الصدور، كلامُك خيرُ الكلام لأهل الكفاية.

بغير المنَّة وبغير الكرام والكبار؛ فالأعناقُ فى طوق شركك من حمــل مَنِّــك وعطائك.

١٠ – من جاه مَلكِ العالم مالكِ الرقاب يكون كلُّ سيِّد سيِّدًا ؛ لأنه كان لك ذلك الغلامَ.

وضَعَ العدوُّ شركًا كى تصيرَ له صيدًا، ومن إقبال المَلك صار واضعُ الــشَّرك فى شَركك.

كنْ مع أعداء المَلك ألدَّ الخصام[2]، ولا تَعْبَأ بذلك الذى هو لك ألدُّ الخصام.

يخضع الخلقُ للفلك الحاد؛ لأنَّه خاضعٌ لك فى أَسْر العبودية.

يحظى ذلك الرجلُ بالأمان من قبضة بطش الفَلك الدائر؛ لأنَّــه فــى حمايتــك ورعايتك.

صارت الحضرةُ مثلَ دار السلام من عَدْلك، ومَنْ يحضر إليهــا فهــو أهــلٌ للسلام.

ولا يخطو لذلك بابَ السلام خطوةً مَنْ كان موضعَ عتــاب الملَــك وموضــعَ لوْمك.

وسيفُ "قدرطغان خان" منتقمٌ لذلك؛ لأنَّه يشغل بالَه وسوسةُ انتقامك.

فحاشالله أنْ يَحُلَّ لدُنْ المَلك عالى المكانة رفيعِ القدر، آخرُ محلِّك ومقامك.

---

(١) هو صاحب الرى ووزير الديالمه المعروف. .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى "ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألدُّ الخصام" (سورة البقرة آية ٢٠٤).

صار قَصْرُكَ البيتَ الحرامَ بسبب إقبال المَلك، ويكون إحرامُ أهل النُّهى إلى بيتك الحرام[1].

٢٠ – فأنت مثلُ "محمد" وابنُ أبى هشام[2] عدوُّك، والحشمةُ لخصمك محطَّمةٌ من احتشامك.

فأنت حَفِيٌّ بالثَّناء مثل "محمد"، و"ابنُ أبى هشام" حَفِيٌّ باشمئزازك.

فمن قلمك نُصْرةُ دين محمد، فقلْ: إنَّ قلمى حسامُك لنَحْر عدوِّك.

فلتكنْ رأسُ مَنْ لا يُقَبِّل ترابَ خطوك مطاحةً من حسام المَلك الشَّبيه بقلمك.

أيها الوزيرُ، الذى يكون الهلالُ على الفلكِ الأزرقِ فى غيرة من نَعْل جوادك السَّعيد المتبختر.

صِرْ بهِمَّتك فارسًا على الفَلك، لأنَّ الأنجمَ على الفَلك هى لأجل زينة سِرْجك ولجامك.

فليكنْ مُلْكُ العالم على نظام دولتك، وليكنْ وافرَ اللَّفظ مَنْ هو على نظامك.

طالما عامٌ هو اسمُ (سال) وشهرٌ هو اسمُ (ماه)[3]، فليكن للإقبال تجاهٌ نحو شهرك وعامك.

فليكنْ ذلك الشهرُ الجديدُ الذى حلَّ وكذا العامُ مباركًا، على ذلك الذى هو مخلصٌ لك وعلى الخاصة والعامة من أحبائك.

فلْيُبَيِّنْ قوامُك أحوالى لك؛ ذلك لأنَّ قوامَك هو وكيلُ احتشامى.

---

(١) فى هذا البيت والأبيات التالية مبالغةٌ مقيتةٌ فى المديح، وتشبيهاتُ الشاعر الممدوحَ بسيدنا محمد ﷺ غيرُ مقبولة.

(٢) هو أبو الحكم عُمر بن هشام المعروف بأبى جهل.

(٣) كلمة "سال" فارسية بمعنى عام وكلمة "ماه" بمعنى شهر.

فى مدح الوزير سعد المُلك (ص٤٢)

١ - وصل شهرُ "محرم" إلى عام خمسمائة وستين، وحلَّ على بلاط وزيـــر المَلِـــك العظيم.

كما يرى فى جَمال طلعته أنْ كان لأىِّ مَلِكٍ وزيرٌ يماثله.

مباركُ الرأى وميمونُ اللقاء وسعيدُ الطالع،طويلُ العُمر بالعدل وقصيرُ اليد فى الظُّلم.

محمودُ السِّيرة ونقىُّ العقيدة وحَسَنُ الظَّن، عارفٌ لله بالقلب وعابدٌ له بالجسد.

سيدُ الوزراء، الصدرُ العظيم "سعدُ المُلك"؛ لأنَّ السَّعْدَ الأكبرَ ناظرٌ إليه بـصفةٍ دائمة.

يفتح عليه الطَّالعُ بابَ سعادة شهرة المَلك "مسعود" هكــذا بحيــث لا يتَــسنَّى إغلاقُه.

لو لم يكنْ له عدْلُ الملك وحُسْنُ رأيه؛ لفسَد حالُ الدنيا كلُّه وخَرِبَ.

فاحَ فى حديقة دولة مَلك العالم وَرْدُ سعادته على خَلْق العالم برائحته،وشَــوْكُه غيرُ جارح.

لا ينجو من شوك غَمٍّ القلب والروح الشَّخصُ الذى لا تنمو فى قلبــه شــجرةُ صداقته ومحبَّته.

١٠ - تخلَّص من قبضة الجور والعَناء كلُّ مَنْ طلب من الدنيا مرادَه وحــصل عليــه وإن لم يطلبْ لم يحصلْ.

هو الصَّدرُ عالى الهمَّة، وأمامَ همَّته تبدو السَّماءُ مثلَ جِرْم الأرض وضيعَةً.

وهو من حيث الجوهر أشرفُ من كلِّ الأحرار، قياسًا علي أنَّ اليــاقوتَ هــو حبَّةُ رمان الجَمَسْت(١).

---

(١) الجَمَسْت نوع من الياقوت الحقير وهو حجر أصفر أو أحمر أو سماوى أو أبيض (فرهنگــ عميد).

شرابُ متعته من صَهباء الكرَم واللُّطف، وقادةُ وجــه البــسيطة فــى ســعادة وسُكْر.

فليكنْ الشَّرابُ فى فم حاسده مثلَ الحنظل، وليكن الحنظلُ فى ثغر ناصحه مثل الشَّراب.

لا يُوجد على هذه القوافى شاعرٌ سوى "السوزنى"، والله يعلم كم يلوك الحنظل.

أنشدتُ هذه القصيدةَ فى سنة خمسمائة وستين، وأتمنَّى من الله أن تبقــى ســتةَ آلاف وستَمائةَ وستين سنةً.

فلتكنْ الدنيا من القمر إلى السماء وفقَ مُراده[1]، وليكن الشَّصُّ فى فَم حاســده مثلما هو فى فم السَّمك.

فى مدح محمد بن أبى بكر (ص٤٣-٤٤)

١ - ليس لقلب المعشوق توافقٌ مع قلبى، ولو صار فإنَّه غيرُ ملائم للعشق.

يبدو التوافقُ واضحًا فى قلوب العشاق، والقلبُ لا يقبــل التَّوافــقَ لــيس قلبــا عاشقًا.

مــن تلك الشَّفة التى لا يماثلها الشَّهْدُ فى طيب المذاق، ومن تلك الوجْنة التــى لا يشابهها الشَّقائقُ فى حُمرة اللَّون.

ليستْ عاشقةً فيكون لها التَّوافقُ معى، ولماذا لا يكون لى التَّوافــقُ وأنــا لهــا عاشقٌ؟

حين يطلب الرُّوحَ، أكون صادقَ الوْعد معه، وحين أطلب منه قُبْلــةً لا يكــون صادقَ الوعد معى.

علائقُ كلِّ العالم مرتبطةٌ بالعشق، والشخصُ الذى لا يكون عاشقًا ليس له فــى هذه العلائق.

---

(١) أى الممدوح.

فى النهاية، لأى سبب يظهر الفِسْقُ من العِشْق؟! الشَّخصُ الذى يكون فى شَرَه العِشق ليس فاسقًا.

أنا أنْفُضُ يدى من العشق لأنَّه ينتزع القلبَ من كفيٍّ، القلبَ الذى ليس سوى صَدَف الحكمة والحقائق.

لقد سلَّمتُ وجودى بإرادتى الكاملة إلى ذلك القلب الذى لا يكون مثلُه مدركاً للحقائق.

١٠ - والخاطرَ الذى ليس له كذلك بصيرٌ ووضوحُ رؤية إلى ذلك القلب الذى لا يكون مثلُه ثاقبَ الفَهْم حاذقًا.

أمتدح الكريمَ الذى ليس ثمَّة مَعْبَرٌ إلى الحَرم سوى أعتابه قِبْلةِ الخلق.

لا يعرف الخلقُ أفضلَ منْجَمٍ لهم سوى الدِّهقان "محمد ابن أبى بكر عبد الخالق".

معطاءٌ جوادٌ، لو تأملتَ؛ فثناءُ أى شخص لا يسبق عطاءَه.

جُودُه جارٍ على القريب الغريب، سواء أكان لهم سوابق– فى هذا الجود– أم لا.

يفتح بابَ السَّخاء والكرم على كلِّ الخلق،عدا ذلك الذى ليس له لسانٌ جار ولا ناطق.

أحسنُ الطُّرق طريقُ خدمته؛ لأنَّه ليس له اعتقادٌ فى الطريق السَّيِّىء.

يكون جمالُ خلقه اللطيف على شاكلة "عذراء" ولا أعلم شخصًا على تلك الدرجة من الجمال لا يكون "وامقَ"(١).

يتزايد نورُ الحدائق من ثرى أقدامه؛ فليس من ماء وجهه سوى نزهة الحدائق.

لو كان هناك منكرٌ لحقوق نعمته؛ فإنَّه ذلك الشَّخصُ الذى ليس له درايةٌ بالحقائق.

٢٠ - لا يصلنى سواه بصلة القمح الدائمة؛ فتخال أنْ ليس سواه وكيلاً للجوالق.

---

(١) وامق وعذراء من قصص العشق الشهيرة في الأدب الفارسي.

أنا أمازحك وأطيِّبُ معك بذلك؛ فليس لقلبى شوقٌ أمتَعَ من سماع ذلك بأى حال.

حين تنظر إلى الأرض تفوق الفَلَكَ، وإنْ لم تفقْ نظرتُه على همَّته[1].

وحين تشاهد غلامًا ساطعَ الرأى بحكمة؛فلن يكون سوى عين الشَّمس فى المشارق.

كلُّ المنافقين موجودون فى كل العصور، وفى عَصْرِ دولته لا يوجد أىُّ منافق.

بين القلوب تُوجد فروقٌ، وأىُّ قلب من القلوب بباب محبَّته وعشقه لا يكون مفارقًا.

يكون له من الرَّازق رزقٌ عن طريق كلِّ الخلق، وأىُّ رزق لا يكون لذلك العبد من الرَّازق؟!

وطالما لا يكون دائمًا سوى الاعتقاد الموثق الصحيح والواثق بالله الخالق والرازق.

فليكنْ اعتقادُ دينه وقلبه صحيحًا وواثقًا؛ فليسَ ثمة وهمٌ لاحقٌ مُبينٌ فى عصمة الخالق.

فليكنْ قلبُ حاسده محروقًا بنار الحَسَد؛ فليست أيةُ نار حارقة مثل نار الحَسَد.

فى مدح تاج الدين محمود بن عبد الكريم (ص ٤٤ – ٤٥)

١ – تاجُ الدين محمود بن عبد الكريم، ذلك الذي تكون الدنيا مليئةً بالتَّنبه وبالسُّكْر من صهباء إحسانه .

صاحبُ ديوان الاستيفاء الذى كان لأهل الفضل فيه وسيكون أهليةُ الملك السَّعيد الطالع .

(١) فى البيت التفات من المخاطب إلى الغائب، وهو موجود بكثرة فى شعر السوزنى.

لقد وضع بقلمه السَّاطع من دواةٍ حالكةِ السَّواد تاجًا على هامة أهــل الفــضل وعَقَدَه عليها[١].

حين رفع قلمَه الذَّهبيَّ المزركشَ من الدَّواة قطرةً بقدر نصف مبضع[٢]:

انبعثت آثارُ نقش المسك من يد بحر جُوده على البساط الفضّى اللَّــون شَــركًا وشَصًّا.

لقد كان عَصْرُ "عمروزيد" عَصْرَ القلوب المكلومة والأبواب الموصدة بُخــلاً، وجُرح خاطرُ سائليه وحُرم زائروه [٣].

ولم يفعل "تاجُ الدّين" يومًا طَوال عمره ما فعله عَصْرُ "عمــرو وزيــد"؛ فلــم يوصدْ بابٌ أمام زائر ولم يُحرم سائلٌ .

لقد نَسَخَ جودُه رَسْمَ البخل ومذهبَه، وصار يقينًا أنَّ ذلك الرَّسْمَ والمذهبَ باطــلٌ وفاسدٌ .

له همَّةٌ هكذا عاليةٌ؛ يصبح الفَلَكُ الأعلى أمام عتبة منزلة هِمَّته دونًا ووضعيًا.

١٠ – لو ينظر بعين همَّته إلى يده؛ تَنْبسط يدهُ مثلَ السَّحاب بالسَّخاء؛ فيأتي فى عينه.

الأطلسُ[٤] الرومى عباءةً والذَّهبُ النيسابورى رصاصًا، والدُّرُّ العماني شَــبَّةً والياقوتُ الرمانى جَمَسْتَ .

يكون القلمُ فى يده للفتوة مَصْدرَ فتوى؛ فيدفع فى إجابة الفتوى بكلمة "نعم" بدلاً من "لا" .

---

(١) جاءت " كله گيسوى " و" منير افسر " صفات مركبة لــ " دوات " و" كلك " . (المستدركات على الديوان ص ٣٩٧) .

(٢) "مــاهــى زرين " كــناية عن القلم ، و" قلزم قطران " كناية عن الدواة (المستدركات على الديوان ص ٣٩٧) .

(٣) لا يُعنى بــ " عــمرو وزيد " فى العربية وتبعتها الفارسية شخصٌ معيَّنٌ . وبالتالى فالــشاعر لا يقصد بعصرهما هنا عصرًا محددًا .

(٤) هذا البيت تكملة البيت السابق في المعني ومتصلٌ به .

يقيم لفظه الدَّعوى على العَسَل بأنَّة أكثرُ حلاوةً؛ فهو يعلم مَنْ يعــرف العــسل من الحنظل.

كلُّ من استكان فى ظلِّ إقباله ، هربَ ونجا من سموم الفاقة والإدبار والمحنة.

من ذلك الذي ليس فى عمله الطَّيب طريقٌ لحاسد ، ولهذا فلسَيِّئ الطَّوية لدولته قلبٌ ممزَّقٌ وعينٌ مقروحةٌ .

لخلق الله منه شكرٌ وحريةٌ دائمةٌ؛ فهو كذلك حُرٌّ وعابدٌ لله دائمًا .

فليكن حاسدُ جاهه ودولته ذليلاً ومهمومًا، سواء فــى بغــداد والــرّى أو فــى تخارستان وبست[١].

أخذ "السوزنى" فى مديحه بزمام قافيةٍ سَيِّئةِ التركيب، وقد صارت طَيِّعَــةً مــع أنها جامحةٌ وعصيَّةٌ .

---

(١) "بَسْت"، مكان يلجأ إليه المظلوم ويجد فيه الأمان من ظالمه. مثل دور العبــادة والتكايــا أو الخانقاه. وتأتى أحيانا بمعنى السّد وتأتى بمعنى الحديقة والروضة. (فرهنــگ عميد) .

حرف (ج)

فى مدح تاج الدين (ص ٤٦)

١ - يا مَنْ طبَعَ الفَلَكُ قُبْلَةً على كفٍّ قدمك؛ فليس لأيِّ حُسنٍ أتاوةٌ منك .

حسنُ الطالع كوليد يؤدى الجزية، فبابُ الضيف ضريبةٌ على أعتابك .

قلبُ أعدائك فى تَنورة الغمِّ مثلُ الشواء تحت الرماد .

وجنةُ أحبابك نضرةٌ مثل الوَرْد، بل هى أطيبُ وأحلى من الفطائر والقطائف .

عينُ حاسدك مجروحةٌ بالشوك، فصارت على شاكلة السَّفود فى الصَّرم .

التوفيقُ عبدٌ لك مصلومُ الأذن، وللعبد حلقةٌ فى أذنه يُسحب بها .

كلُّ المراد الذى لك فى القلب، يأتيك مثل الجوز فى المقلاع .

فذلك الذى أصاب روحَ عدوِّك، هو الذى أصاب "علاء الدين قماج" من الغُزِّ .

أنا ذلك الشاعرُ الذي يكون لشعرى حبٌّ بغير قيل وقال ورواية ومؤرخ .

١٠ - فشِعرى ابنُ حلال بطبعه، ولا يكون لابن الحرام قابلةٌ.

هناك شعراءُ قليلو القَدْر والقيمة من حدود مصر حتى أرض طمغاج .

أنا الأفصحُ بين كلِّ الشعراء وأنا التاجُ على رأسهم جميعًا

ليس ثمة شاعرٌ مثلى فى الجدِّ والهزل سواء فى الروم أوخلخ أو قيجاج .

قدْرى أنا عبدُك مجهولٌ ، واأسفاه وأنت العارفُ بالقَدْر فى الدنيا .

طالما يتِّمُ التَّفرقةُ للشوك من الوَرْد ، وطالما يعطى للصفصاف تميزٌ عن السَّرْو.

فليس ثمة دواءٌ آخرُ لداء فقرى وعلاجٌ سوى عطاء السيد .

أيها الصَّاحبُ يا مَنْ تأخذ فى السَّخاء والقول أتاوةً من مَعْن وحَسَّان .

بفضل سخائك وعظمتك، أنا لا أحتاجُ إلى آخر .

فى مدح تاج الدين (ص ٤٧ – ٤٨)

١ – يا مَنْ حَظيْتَ بالتَّاج وبالنَّسب من صاحب المعراج، أنت باللَّقب تاجٌ لدينه المبارك لك نفسُ الاسم[١] وأبوك طيبُ الذِّكر، وجدُّك الرسولُ القرشى صاحب المعراج.

تاجُك لمُلْك الشَّرف من نَسَبك، التَّاجُ الذى لم يأتِ اغتصابًا ولم يأتِ من غارة .

مُلْكُك ليسَ المُلْكَ الذى أُخذ بالسيف، وكيف يَتَسَنَّى لمُلْكٍ أنْ يُشاد بسيفٍ من العاج

أنت من نَسْل "الحُسين بن على" المَلك الشَّهيد[٢] ومن نُطْفَة "جمشيد"[٣] ومن جوهر "المهراجا"[٤] .

ذلك المَلكُ[٥] الذى يقولون إنَّه حُمل إلى الجنة ودمُه ينزف من أوداجه من الجُور الذى أصابه.

وضع جدُّك منهاجَ السَّخاء والكرم والجود والفتوة وأنت دليلُه .

أنا أصير طَيِّبًا بغير الخروج عن منهج حُبِّك؛ فلا يخرج أحدٌ عن أمة جَدِّك .

يصدح طاووسُ الملائكة فى قفس السِّدرة بمديحك على "النَّوا"[٦] مثل "القُمرى" و"الحَجَل" .

١٠ – اعلمْ أنَّ ضفيرتَك هى قوادمُ طائر "الهُما" النَّبوى لها عبقٌ مثلٌ مسك "التِّبت" ولطفُ "طمغاج" .

لو يرى المدَّعون ضفيرتَك المسكيةَ، يعلمون أنَّ "الحدأةَ" من جنس "الهُما".

---

(١) تاج .
(٢) أى : عربي.
(٣) أى : فارسي.
(٤) أى : هندى.
(٥) أى سيد الشهداء الحسين بن على ﷺ .
(٦) مقام موسيقى فارسي وأحد الألحان الموسيقية الفارسية .

يكون النَّهارُ منيرًا من نور جبينك، والليلُ حالكًا من ضفيرتك المسكية السوداء.
يكون قلبي من ناحية مَيْله "للسادات"[١] محتاجًا إلى رؤياك بصفة دائمة ليلاً ونهارًا.
أنا أجعل تصويرَ مدحك على خاطرٍ متلألئ، وأنقشُ الغاليةَ على العاج من سنِّ القلم.
وأهيِّئ ديباجةَ ديوانى من مديحك، حتى ينال كلُّ ورق منه قيمةَ الدِّيباج.
أنا فى مدحةِ صَدْرِك ناسجُ الدِّيباج، والشُّعراءُ الآخرون ناسجو البطانة مثل النساج.
حاشا لله أنْ أغفل لحظةً[٢] عن فكرة مداح صدرك طوال العمر.
اقْتَرَنَ قلبى بالميل "للسادات"، منذ أن فَطَر خالقُ الأزواج جسدى.
لقد دَوَّنوا اسمى بالثَّناء والمديح لك ، منذ أن صرتُ ممزوجًا من نطفة أمشاج.

٢٠ – طالما لم يَتَدَرَّعْ بمحبة "آل على"، يفرض الشيطانُ أتاوةً على قافلة دين الهدى.
قلبى كعبةٌ لا تأتى إليها قافلةُ حاج بغير محبَّة آل النَّبى .
ولن يرغبَ "الحَجَّاجُ الملعونُ"[٣] مطلقًا فى قتل الحُجاج الذين يقصدون كعبة قلبي المعمورة.
طالما يكون التَّاجُ زينةَ مفرق الملوك ، ويكون رمى السَّهم على الهدف رسمًا ومذهبًا .
فلتكنْ متوَّجًا على مُلك الشَّرف، وليُحرق أعداؤك مثل الماجوسى[٤] على نار الغمِّ.
وليكنْ حسودُك موضعَ الهدف لسَهم العناء، والأمواجُ تغطى وجهَ أعدائك من دماء أكبادهم.

---

(١) السادات هم ذريةُ المصطفى ﷺ .
(٢) حرفيًّا : أنْ أضع رمشًا على رمش فجأة .
(٣) هو الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق والكوفة فى عهد عبد الملك بن مروان ، وكان مشهورًا بعنفه وشدته البالغة ويرجع المؤرخون إليه الفضل فى إرساء قواعد الدولة الأموية وانتشارها .
(٤) مَنْ يعبد النار وينتمى إلى ما يُسمي بالديانة الزرادشتية والتى ظهرت فى إيران قبل دخول الإسلام.

حرف (د)

فى مدح السلطان محمود طمغاج خان (ص ٤٩ – ٥٠)

١ – فليكنْ عيدُ مَلك الملوك مسعودًا ميمونَ الطَّالع، وليكنْ طائرُه الميمونُ مسعودَ القوادم والخوافى.

ولتكنْ قوادمُ وخوافى طائر الملك الميمون فى العيد وغير العيد باسطةَ ظلٍّ السَّعادة والإقبال على الخلْق .

وليكنْ لمَلك وجه البسيطة طالعُ النَّصر على الفَلك، وليكنْ السَّعدُ الأكبر،[1] عمَّه والسَّعدُ الأصغر،[2] خالَه.

فليكنْ من الليالى على وجنة المعشوق ما يشبه الطُرَّةَ والخالَ حتى يبدو ذلك المحبوبُ فى عين المَلك جميلَ المحيَّا .

ولتكنْ فى طول عُمْر مَلك الشرق حتى قيام الساعة ، الساعةُ يومًا واليومُ شهرًا والشهرُ عامًا.

حين يتغنَّى المادحون؛ فليكنْ استحسانُ الخالق على "طمغاج خان" ذلك المَلكِ مُؤدِّب الأعداء .

لو يميلَ الملكُ إلى الكنز والتَّمجيد والمال؛ فليكنْ التَّمجيدُ من كنزنا والمالُ من كنز الأعداء .

كلُّ مَنْ يبذر بذرةَ حقد المَلك، وحين يحين وقتُ التَّذوق؛ فلتكنْ يدُ الأجل هى الكيَّالَ الحاملَ للتَّذوق.

كلُّ مَنْ يلوى العنقَ قاصدًا عن طوق طوع المَلك ؛ فليكنْ سيفُ قهره مثَل الطَّوق حولَ عنقه .

١٠ – يكون للمَلك حسنُ الطَّالع عن ملوك العصر جميعًا ، وليكنْ حسنُ إقبال الملوك – له – فى أحسن الأحوال.

---

(١) أى : المشترى.

(٢) أى : الزُهرة.

فلتكنْ كسوةُ عَدْل المَلك مع كسوة عَدْل "عُمر" على منوال واحد فــى طــراز حرفة العدْل.

كلُّ مَنْ هو من الإنس والجنِّ ولا يكون من أولياء الملك؛ فلــيكنْ اســمُه فــى الجوامع "ماله من وال"(١).

فليكنْ المَلكُ من أمر "لا يــزال"(٢) على صراط العَدْل والإحسان ثابتَ الأقــدام بلا تحريف ولا تزلزل .

وليكنْ كلُّ غلام للمَلك يوم العراك وقيادة ميدان الوغى أيضًا "زال"(٣) المحارب فى الشَّجاعة .

فليكنْ أفضلُ استقبال لكل جيش المستقبلين للمَلك من محبة النَّصر والفتح علــى جيش العدوِّ .

فلتكنْ للمَلك آياتٌ قَبل المعركة؛ الشَّررُ من هيأة الأسد، وأنيابُ القضاء وقبضةُ القَدر من هيبة الأسد .

أيها المَلكُ ، خصمُك مثلُ النَّاى وغضبُك النَّارُ، فلتكنْ النارُ فى النَّاى لو يصير باردًا .

كلُّ سيِّدٍ يطلب لنفسه منزلةً هو شجرةٌ معوجةٌ، وليكنْ الاستئصالُ من الرِّيــاح المستقيمة لكلِّ معوج ، قد عَلا .

فلتكنْ السهامُ المطيرةُ لجيشك جيشِ الآجال دفعةَ أنين لجيش آمال أهل البَغْى .

٢٠ – فليكنْ الأكثرَ تغلبًا وقهرًا من الآجال على الآمال، رأيُك على رأى العدوِّ وكــذا يَدُك على يد العدوِّ.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : "وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِــن وَالٍ " (سورة الرعد آية ١١) .

(٢) إشارة إلى الحديث القدسي : " لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى به يسمع وبصره الذى به يبصر " .

(٣) من الأبطال الفرس القدماء وهو ابن سام ووالد البطل رستم وقد خلَّدت الشاهنامة أسماءهم .

ولتكنْ صفحةُ ساحة القتال مثلَ نهر جيحون فى فصل الربيع من السيل الـدَّافق من دماء حلق عدوِّك.

ذَهَبَ عقلُ وحالُ أهل البَغْى من هيبة سيفك، وكلُّ مَنْ بَغَىَ فليذهبْ عقلُه وحالُه من سيفك.

عنفُك على الأعداء جعل ذلك الشئَ واجبًا وجسورًا؛ فليكنْ لطفُك على الأحباب مثلَ المربية على الأطفال.

لطفُك وعنفُك على الأحباب وعلى الأعداء كاملٌ؛ فليكنْ كلاهما على إكمال من كمال المُلك .

طالما الباقى من أهل العلم والحكمة القيلُ والقال ؛ فليكن فى قصرك العامر من هذين كليهما القيل والقال .

فليكنْ مُلْكُ الدين والدنيا مستقيمَ الحال عليك من ثناء أهل الحكمة ومـن دعـاء أهل العلم .

طالما جاء اسمُ "عيد" مركَّبًا من العين والياء والدال؛ فليكنْ عامُك وشهرُك كلُّـه عينًا وياءً ودالاً .

طالما يكون عيدُ الفطر فى يوم أول شوال، فليكنْ كلُّ يوم عليك مثلَ يـوم أول شوال.

أيا "سوزنى"، أعِدْ مَدْحَ المَلك، والعودُ أحمد؛ فليكنْ عيدُ مَلك الملـوك مـسعودًا وميمونَ الطَّالع .

فى مدح السلطان (ص ٥٠ – ٥٢)

١ – سيدَ الأفاضل، فليكنْ اللهُ لك عونًا وسندًا، وليكنْ قرارُ مُلْكك على سيفٍ لا قَـرارَ له ولا صَبْرَ.

فإنَّ سيفَك يشبه الفَلَكَ فى عدم الهدوء، والفَلَكُ يقول له: فليكنْ الأمرُ أمرَك .

أيها المَلكُ، صفحةُ سيفك مرصَّعةٌ بالجوهر كالمعشوق؛ فليكنْ جوهرُ المعشوق بيدك ناثرةِ الجوهر.

ما إنْ طالعَ الظَّفرُ السيفَ بيدك حتى قال له: فليكنْ لصفحتك تلك الشَّبيهة بالمعشوق السَّلامةُ كلُّها .

وما إنْ طالعَ الفتحُ جوادَك بكثرة حتى قال له: فليكنْ لك كلُّ سعادة تلك الطُّرَّة المضمَّخة بالمسك.

أيها الملكُ، سيفُك مخلوطٌ بالبنفسج والياسمين؛ فلتكنْ ساحةُ عِراكك مزروعةً بالشَّقائق(١).

فليكنْ عملُ سيفك المخلوط بالبنفسج والياسمين والشَّقائق في المعركة وفي ميدان إراقة الدماء هو صيدَ العدوِّ .

فليكنْ سيفُك المرصَّعُ بالجوهر ، المجلو ، واهبُ اللَّون للدم ، مَنْبَتًا للبنفسجِ وللياسمين وللشقائق .

فليكنْ غَزْوُ العالم وامتلاكُه باسمك، وليشملْ صيتُ قتالك كلَّ بسيطة الدنيا .

١٠ - أنت ذو حشم كالقمر وفارسٌ وحيدٌ كالشمس؛ فليتحطَّمْ مائةُ جيش للعدوِّ من فارسٍ واحدٍ لك.

فليكنْ من السَّماء نظرُ السَّعد الأكبر والأصغر إلى طالعك الطالع وإلى اسمك الشريف .

فليكنْ دعاءُ الخطبة باسمك وأسرتك في كلِّ ديارٍ تدين بدين الإسلام .

تباركَ اللهُ يا مَلكَ الملوك يا "محمود"(٢)؛ فليكنْ على ديارك من اسمك رقمُ السَّعد .

---

(١) أي بدماء الأعداء .

(٢) ذكر المحقق في الحاشية أنْ وَرَد في إحدى المخطوطات اسم " مسعود " بدلاً من "محمود" . وأنا أعتقد أن اسم "مسعود" يتفق مع معنى البيت من "محمود" .

فليكنْ تحطِّمُ جيش العدوّ وظهيرِه لك أساسًا ورسمًا وطريقًا وسُنّةً وشعارًا .
أنت ملكٌ على مملكة الشّرق وأنت ملكُ الصّيد؛ فليكنْ صيدًا لك كلُّ خَصْمٍ يقيم عليك الدّعوى .
أنت في حفظ الله من عين سَيّئي الطّوية؛ فلتكنْ رعيتُك في أمان و حفظ من كلّ سوء.
أنت "عليّ"[1] الملكُ المحاربُ ولا فرقَ لك عنه أيضًا؛ فلتكنْ دورةُ سيفك دورةَ السّكين الضّخم و دورةَ "ذو الفقار" .
أيها الملكُ أنت في قهر الخصم "أفريدون" العظيمُ ؛ فلتكنْ لك من مَقْرعتك هراوتُه.
فليكنْ لك في حديقة الدِّين من دوحة العَدْل في دار الدنيا نسيمٌ منعشٌ من وَرْدٍ بلا شوك .
٢٠ - وصل إلى ثَغْر الرعية وحلقها من عَدْلك شَرْبَةُ إنصاف ؛ فلتكنْ سائغةً.
لك عدالةُ "عُمر" وعدلُه ، وشجاعةُ "عليّ" وجُودُه ؛ فليكنْ سبيلُ سُنّتيها خطوَك.
فليكنْ الغبارُ من حركة جيشك كُحلاً قرينًا لعين الفتح والظّفر في الشرق وفي الغرب .
فليكنْ لملوك وجه البسيطة الخاتمُ والتاجُ والعرشُ من قصرك العامر عن طريق الخلعة والتشريف .
يسمُّون حضرتك نبيَّ المدينة المحفوظة؛ فلتكنْ المدينةُ بيتَك وقصرَك وقلعتَك .
ما دامَ سيفُ المُلك مناسبًا ليمينك؛ فليكنْ خاتمُ السّلطنة لائقًا ليسارك .
ما دمتَ تَجلس ملكًا باختيارك؛ فليكنْ إجلاسُك للمَلك أيضًا اختيارَك .
أنت من نسل ثماني ملوك حتى ثمانية ألف ؛ فليكن برنامجُ عَدك من طول عُمْرك .

---

(١) يقصد سيدنا على بن أبي طالب ، والقرينة ذكره لسيفه "ذو الفقار" في شطر البيت الثاني .

أيها الحكيمُ "السوزنى" أيها الشيخُ المزيلُ للأحزان؛ فليكنْ مديحُك للملك الـشَّاب الطَّالعَ المزيلَ للأحزان.

ادْعُ كالحكيم للملك وقلْ: سيدَ الأفاضل فليكنْ الله لك عونًا وسندًا .

فى مديح قائد الجيش (ص ٥٢ – ٥٣)

١ – ملاكٌ ، له طَلْعَةُ الحور وقَدُّ الرُّمان، وضَّاءٌ ، له خَطُّ والقطا وخَدُّ الياسمين .

ليس فى الياسمين لونٌ بدون خَدِّه، وليس للرمَّان حَدٌ بدون قَدِّه .

القمرُ والشمسُ فى غيرة من نور رأيه، والعَنْبَرُ والنَّدُّ فى معاناة مـن رائحـة ضَفيرته.

بلاءُ الدين فى نرجسيته[1] الملوثتين بالنَّظرة المسمومة ، شـفاءُ الـرُّوح فـى مرجانتيه[2] الملوثتين بالشَّهد .

مِنْ نَبْت شَعْره وأسنانه وشفته، دليلُ الدُّرِّ والمرجان والزبرجد[3].

أىُّ رائحةٍ فى تلك الضَّفيرة المعنْبرة ؟ وأىُّ لونٍ فى ذلك الخدِّ الموردَّ؟!

أىُّ مكانٍ لملاعبة العشق والملاطفة يفدى فيـه آلافُ الأرواح ذلـك الـسَّرْوَ ياسمينىَّ الخدِّ .

ولكنْ ليس لأحد نصيبٌ منه سوى "صلوا على آل محمد" .

مَنْ يكون له القدرةُ والطَّاقةُ، مَنْ يكون عليه والبَاسوى حضرة القائد[4] .

١٠ – سيدُ سادات الدَّولة، القائدُ المنصورُ المؤيدُ .

---

(١) أى : عيناه.

(٢) أى : شفتاه.

(٣) هنالَفٌ و نَشْرٌ مشَوَّشٌ ؛ فنَبْتُ الشَّعر أخضر اللون والأسنانُ بيضاء والشفاه حمراء . ولكنـه قابل ذلك فى الشطر الثانى بالدُّرِّ وهو أبيض اللون وبالمرجان وهو أحمر وبالزبرجـد وهـو أخضر .

(٤) أى قائد الجيش وهو الممدوح .

حامى الجيش الخاقانُ الأعظمُ، أساسُ العزِّ و الجاه الأصلُ المؤدَّدُ .

شجاعٌ فى الوَغَى والقتال بلا مثيل، جوادٌ فى السَّخاء والجود بلا نظير .

مُشعلُ الميدانِ فى وقت العريكة، مُنيرُ التَّاج والعرش فى وقت الأريكة .

وحين يخرج للميدان وقت الهيجاء، تَنْقادُ له رءوسُ المتمردين .

يبدو ترابُ الطَّريق فى عينه يومَ القتال جوهرًا وياقوتًا وعسْجدًا .

تصير الرُّوحُ مطرودةً من عدوِّه حين رأت طريدَه مطرودا من الميدان .

لو يَتدرَّعُ بالحديد لا يَردُّه سنانٌ وسيفٌ ورمحٌ من خَصمه .

ولو يحمل فى ميدان الهلاك جريدةَ جيشٍ مجرَّدةً .

فإنَّه يُخلى بلادَ الترك من أعداء الخاقان بالسَّيف المهنَّد .

٢٠ - فيخرجه عنها بجملة واحدة ، ولو كان محاطًا بَسدٍّ من حديد .

فليس لبطولاته نهايةٌ ، وكذلك ليس لمروءاته حَدٌّ .

سخاؤُه خرج عن الحَدِّ وعن الخيال ، وعطاؤُه زادَ عن الخيال وعن الحَدِّ .

حين تُحصى عطاءَ يومٍ واحدٍ له ، لا يطويه مائةُ مجلد .

نابَ عن "حيدر"(١) و "الجَدّ"(٢) فى الأخلاق الحميدة فى كلِّ باب .

يلاطفه "الجَدُّ" فى يوم المحشر ، مثلما يتفاخر الآن بالمحتِد .

فليكنْ سعيدًا دائمًا وموفقًا ، وينال العونَ فى كلِّ رغبة له ومراد .

وليَتْبَعْ تلك السعادةَ التى يتجرَّعها حتى الآبد آلافُ السَّعادات الأخرى .

فلا كان فى الدنيا إلا مؤيدٌ موفِّرٌ لعزِّه وجاهه ودولته .

---

(١) هو على بن أبي طالب كرم الله وجه .

(٢) أى سيدنا محمد ﷺ .

فى مدح أظهر الدين بن أشرف الدين (ص ٥٤ – ٥٥)

١ – يليق لوجهى صفرةُ اللون[١] من عشق معشوقٍ فضيِّ الصَّدر، ويليق نثرُ الذَّهب على ناصية معشوقٍ فضيِّ الصَّدر .

صار عشقُ معشوقٍ فضيِّ الصَّدر صائغًا لعارضى، ويليق مثلُ هذا التَّذْهيب حقًّا من صائغٍ مثله .

جعلتُ القلبَ فداءَ معشوقٍ يليق من وفرة حُسْنه لكلِّ مَنْ له قلْبٌ أنْ يقرَّ بأنَّه المعشوق .

ما إنْ طالعتُ لحظَه الشَّبيه بالعَبْهر حتى صارت مقلتى بحيرةً؛ فإنْ صارت عينى بحيرةً لأجل ذلك العَبْهر ؛ فيليق .

معشوقى سُكَّرىُّ الشَّفة وَرْدىُّ الوجْنَة، وأنا مع معاناة القلب، فلو يجعل دواءَ دائى من ذلك الوَرْد والسُّكَّر ؛ فيليق .

جُبُّ ذقنه[٢]، سلسلةُ ضفيرته ، وقلبي الممتلئُ جُرْمًا يليق له أن صار مَقيَّدًا بهذه السّلسلة بذلك الجُبِّ .

من قبل ، كان يُخفى الجُبَّ الفضىَّ بالخَطِّ العنبري[٣]، ولو يطلُّ قلبى برأسه من ذلك الجُبِّ، فيليق .

يليق محبوبى ملكًا على "آل تكسين"[٤] من الحُسْن، ويليق الأميرُ "أظهر" ملكًا على "آل ياسين" من الشَّرف .

أظهر وأشرف مَلكٍ لآل " الحسين بن على " ، ذلك عالى الجاه ويليق له كلَّ يوم علوٌّ أكثر .

---

(١) أى : الشحوب.

(٢) أى تفاحة الذقن أو تونة الذقن .

(٣) أى نَبْتُ الشَّعر الخفيف على الشفة العليا للفم عند المرأة أو الفتاة ، وهو من علامات الجمال والحسن عند الشعراء الفرس .

(٤) أحد كبار الأسر التركية (الديوان . لغات ص ٤٤٣) .

لو كان يليق من بعد جَدِّه نبىٌّ آخرُ، لصَمَّمَت عليه أمةُ جدِّه ، وهو يليق .

بغير السَّيد الذى يُطلق عليه اسمُ المعبود، وكلُّ مَنْ يكون سَيِّدًا يليق أن يكون غلامًا له وخادمًا .

حين يهيِّئون دفترًا لمناقب سيرة آل "على"؛ يليق لاسمه أنْ يتصدَّره كالفاتحة.

فى دوران القبَّة الفيروزية[(١)] التى تَعُجُّ بالنجوم يليق نَصيبُها لحضرة النِّجم الشريف المظفَّر[(٢)].

هو الأظهرُ من الأشرف مثلُ الجوهر من بحر السِّيادات، ويليق مثلُ ذلك الجوهر من مثل بحر السِّيادات .

ذلك "الهُما" الذى كان يضرب بجناحه صوب جَدِّه، تليق ضفيرتُه العَنْبريةُ على صَدْرِه عضدًا له.

عَنْبريةُ ضفيرته هى أيضًا رائحةُ خلق جَدِّه، ولو أصف خلقَ جَدِّه بالعَنْبر، فيليق للعَنْبر.

لو كان لائقًا لمثل ابنٍ أنْ يُدلِّله سيدُ الكونين أميرُ المؤمنين "حيدرٌ" يومَ القيامة؛ فيليق له.

يا مَنْ الدُّنيا جاهك مثلُ الجِنان رفعةً ورونقًا، يليق لك رفعةُ النَّبى ويليق للدنيا الرَّونقُ منك.

كان "قُنبرٌ" غلامًا لـ "علىٍّ المرتضى"، وكلُّ مَنْ يحب "المرتضى" يليق لك "قُنبرًا"

يا مَنْ اقتلَعَتْ يدُ جَدِّك[(٣)] بابَ "خيبر" من أساسه؛ فيليق لسَيِّئ الطَّوية لك قلبٌ مثلُ باب "خيبر".

---

(١) أى : السماء.

(٢) أى : الممدوح .

(٣) يقصد على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

يا مَنْ انفصلت رأسُ " عنتر " عن جسده بسيف جَدِّك ؛ فيليق لكافــة أعــدائك رأسٌ مثلُ رأس " عنتر " .

كلُّ مَنْ يُهيِّئ لنار حقدك مكانًا فى صدره ، طالما لم يدخلْ جهنَّمَ بَعْدُ ، فتليق له النَّارُ أيضًا .

كلُّ مَنْ سقاه حبُّك كأسًا من الكوثر ، يليق الفردوسُ الأعلى له منزلاً و الكوثرُ له مشربًا .

خاطرى فى مديحك بحرٌ بلا مَعْبر حقًّا ، ويليق لخاطر مَدَّاحك بحرٌ بلا معبر.

هذه عروسُ خاطرى التى لها مائةُ كنز من الجوهر، من الجدير أنْ يليق لهــا الزِّينةُ والجوهرُ .

لو يَحْدُثُ لك أيها الملكُ استحسانُ أولاد الرسول ؛ فيليق لىَ أنا المــداحَ محبَّــةٌ زائدةٌ لائقةٌ .

طالما يليق نشرُ مديح آل الرسول ؛ فيليق لىَ نشرُ المديح باسمك فى العالم .

أنت مَلِكُ آل " المصطفى " و " المجتبى " ، ويليق لك كلُّ واحد من آلــه مــن جملة الجيش .

٣٠ - طالما لم تهجمْ عليك عينُ " يأجوج " الحاسدة ؛ فيليق لك من دعاء أهل الإيمــان سدُّ الإسكندر" .

طالما لم تَهْدَأ السَّماءُ الدائرةُ من الدَّوران ؛ فيليق لقَدِّ أعدائك من المفــرق إلــى الإخمص مثلُ الدَّائرة .

فلتكنْ سنواتُ عُمْرك من دورة السماء بلا حَدٍّ وبلا حساب ؛ لأنَّه يجــدر لهــا عدمُ الحَدِّ ويليق لها عدمُ الحسَاب .

فى مدح صاحب ملك الدهاقين (ص ٥٦ – ٥٧)

١ – آبَ الصاحبُ العادلُ من السَّفر بخير ، غدا باليُمْن وآبَ بالظَّفَر .
مَرْحَى لهذا السَّفر المبارك ؛ لأنَّ من إيابه تحقَّقَ أملُ أهل العالم .
لقد كان السَّيدُ والحَضْرَةُ نَبْعَ شمسٍ كانت فى مغربها وآبَتْ إلى المشرق .
آبَ نبعُ الشمس صوبَ المشرق بكلِّ شرف وعزٍّ وجاه وعظمة .
صار لأهل " سمرقند " من جديد طربٌ من إيابه وانتهى حزنُهم .
وتبادل الخلقُ البُشرى فيما بينهم بإيابه حين جاء الخبرُ إلى المدينة .
أقبل موسمُ العيد ومع مجيء العيد ، آبَ عيدُ تَبَخْتُره أكثرَ سعادةً .
حلَّت هذه التَّهنئةُ بمكان السلام على إثر إياب السَّيد متبخترًا وقدوم العيد
وبعد العيد الأول[١] حين انقضت فى كلِّ عام مدةُ سبعين يومًا حتى جاء العيدُ الآخر[٢].
١٠ – جاء عيدُ تَبَخْتُره بصورة أفضل ؛ لأنَّه ظهر منه عيدٌ آخرُ استمر إلى سبعة أيام.
فقد نظر السَّيدُ إلى الخَلْق بالخير فى العيد ، فقد آبَ طَيِّبُ النَّظر إلى الخَلْق كافةً فى العيد .
الوزيرُ العادلُ "عُمر" الذى آبَ لكلِّ الدنيا عن طريق الإنصاف والعَدْل مثلَ "عُمر"[٣].
لقد جاءت شهرةُ الوزير المشتهر على فَلَك الخلافة مثلَ القمر والشمس .
لقد قارنتْ همَّتَه بالفَلَك ؛ فجاء الفَلَكُ الأعلى سافلاً وجاءت همَّتُه عاليًا .
فى وقت الجُود والفتوة يدُه تشبه الرِّياحَ ، وجاء السَّحابُ السَّخيُّ ظلاً لعطاء مطره

(١) عيد الفطر .
(٢) عيد الأضحى ؛ لأنه يفصل بينه وبين عيد الفطر مدةُ سبعين يومًا .
(٣) يعنى عمر بن الخطاب ﷺ .

جاء السَّخاءُ على الخَلْق من كفِّه المعطاء ؛ فما جاء لهم منه وقت الزِّيارة شاهدٌ على عظمته .

فقَطْرةُ مطرٍ واحدةٍ له خيرٌ من السَّحاب ، وقد انهال من كفِّه صُــرَرُ الفــضَّة والذَّهب .

هو وقتَ العطاءِ موضعُ اعتبارٍ مثلُ الدنيا ، وقد جاء كلا العالمين مختصرًا له في عالمٍ واحد .

لو كان وزيرُ العالمِ العادلُ سعيدًا ؛ فلأنَّ الدنيا جاءت محلَّ اعتبارٍ لملك العالم.

٢٠ – جاء الملكُ مهيئًا ومطيتُه محفوظةٌ ، جاء الملكُ المتوجُ لمصلحة المملكة .

فلقد جاء متمنطقًا بالظَّفر وبالفتح من خلال ما يفعله قلمُه للملوك .

وقد صدَّرَ بهمة خَطوه لملك الصين النَّصرَ والفتحَ والظَّفَرَ .

وظهر لمَلك العالم ألفُ فتح من نظرةٍ واحدةٍ له بغير جدال وعراك وخصومة.

هو رحيمٌ ؛ فقد جاء للعامة وللخاصة بمثابة الأب بلطفه وإحسانه .

صار به دينُ سيِّد البشر قويًّا ؛ لأنَّه صار له خُلُقُ سيد البشر .

فليكن سيدُ البشر يومَ القيامة شفيعًا له ، لو ظهر له جُرْمٌ في يوم الحشر .

فليكن مقبولاً منه كلُّ ما هو خيرٌ وحسَنٌ ، وأنَّى له أن جاء منه مطلقًــا ســوءٌ وشَرٌّ .

فليكن الصومُ درعًا أمامه ضد الشَّدائد ؛ فقد جاء في الأوتار الصَّــوْمُ جُنَّةٌ(١).

في مدح ثقة الدين (ص ٥٧ – ٥٨)

١ – أيها السَّيِّدُ ورأسَ مال كرام سمر قند ، اسمُك أكثرُ شهرةً من اسم سمرقند .

ثقةَ الدين شمسَ الأمناء والحكماء ، معتمدَ المُلك وخاصة وعامة لسمرقند .

---

(١) حديث شريف .

أحمدُ بن أحمد الإمام الذى تُعد سيِّدًا ورأسَ مال كرام سمرقند .

فمنك الابنُ الصائنُ والأمين لسمرقند ، فالابنُ مفتى والأبُ إمام سمرقند .

إن لم يكن فى سمرقند من نعمة ؛ فكفى مجدُك نعمةً سابغةً لسمر قند .

صارت سمرقند مثلَ دار السلام طيبًا وسعادةً فى كلِّ مقام بما لك من عظمة وبهاء

ترغب دارُ السلام أنْ تأتيها كلَّ يوم بسلام سمرقند طالما أنت فيها .

كل مَنْ يرنو إليه الممدوحُ بعين التعظيم يصبح من جملة عظماء سمرقند .

منزلُك البيتُ الحرامُ من فرط التعظيم ، وحجاجُه موضعُ احترام سمرقند .

١٠ – مددتَ البساطَ ومنحتَ بالجُود سُبُلَ الإنعام على عوام سمرقند .

فما أكثرَ الخلقَ الذين لا يشعرون بلذَّة الاجتماع على طعام سمرقند بسبب بساطك أيها المعطاء .

فمدَّ الخوانَ وقدِّمْ الطَّعامَ ولا تُلق بالاً لحسد اللئام وطَعْنهم من أهل سمرقند .

هيَّأ الكرمُ منك أُمًّا وأبًا على هذه الشاكلة ، ومن الشفقة أنت لسمرقند أبٌ طيبٌ وأُمٌّ رءوم .

سوف تستمع إلى شكرك لو لم يكن لها ألسنةٌ من كلِّ باب وحائط وردهة وسقف فى سمرقند .

فإنَّه وإن كانت سمرقند لا تنطق ؛ فذاك المدحُ الصامتُ لك يجرى – على لسان حال – سمرقند .

لا توجد مدينةٌ ليس فيها همَّامٌ ، يا مَنْ أنت وابنُك همَّامَا سمرقند .

ليكنْ الحفظُ والأمنُ لك ولابنك ، لذوى القلم الذين بهم قوامُ سمرقند .

فليدمْ أمرُك على النِّظام والرَّونق ، يا مَنْ بك رونق ونظامُ سمرقند .

فى مدح الوزير عز الدهاقين (ص ٥٨ – ٦٠)

١ – معشوقى لا يجعل الحبَّ سيرةً والوفاءَ سلوكًا ، حتى إنَّه لم يزَيِّنْ ورقَ الوَرْد[١] بالغالية[٢] .

فلو يكون له فى الزينة سلوكٌ ، يكون للوفاء أملٌ ، ولو يصنع الزّينةَ يأسًا ولا يصنعها سلوكًا .

أنا أعلم يقينًا أنَّ معشوقى الظَّالم ذلك ، يفعل ذلك لإرغامي ولا يفعل هذا .

ما سوف يخطُّه معشوقى على وجهه لا يستطيع حتى "مانى"[٣] أنْ يخطّه على وجه معشوقٍ صينى .

ما أكثرَ الفتنةَ والتّعدِّى التى أثارتها طُرَّتُه المعقوفةُ ، حينما يَنْبت خَطُّه لا يفعل أقلَّ مما فعلته تلك الطُّرَّةُ المعقوفةُ[٤].

يحيط أطرافَ الوَرْد من الغالية، حتى لا يقيم أحدٌ من حديقة عارضه روضةً وقاطفًا لورْدها .

فالشخصُ الذى لا يحيط مثلَ هذه الحديقة المليئة بالوَرْد ، يكون قد أخطأ ويلزمه الإنصافُ الدَّائم .

ومهما أسُق القولَ حقًّا عن نَبْت خَطِّه؛ فإنَّ طُرَّتَه المسكيَّةَ تعرف الخطأَ ولا تَستكين أو تَهْدَأ .

حينما يَنْبتُ الخَطُّ المسكىُّ ويزِّين العارضَ ، لا تخالف الطُّرَّةُ الخَطَّ المسكىَّ لحظةً واحدةً .

---

(١) أى : الوجنة.

(٢) أى : الكحل.

(٣) صاحب ما يسمى بالديانة المانوية فى إيران قبل الإسلام ، و" لمانى " هذا شهرة يستغلها الشعراء الفرس فى شعرهم هى أنه كان رسامًا باهرًا وكانت رسوماته الإعجازية فى كتابه (ارتنك) معجزته لدى تابعيه . واهتم الأدب الفارسي به كرسام ومصور أيما اهتمام .

(٤) فضلت لوضوح المعنى فى الترجمة ما جاء به المحقق فى الحاشية لهذا البيت من نسخة أخرى غير التى جاءت فى أصل النسخة الأصلية .

١٠ - وتبوح الأسرارُ كلَّ ناحيةٍ أنَّ نَبْتَ الخَطِّ يكون هكذا ، ولا يصنعه سوى وزيرنا عزّ الدهاقين .

الفاضلُ عينُ الدَّهاقين الذى لم يُعَيِّنْ ربُّ الفضل غيرَه للسيادة .

ذلك القائدُ الذى لا يترك ناصيةَ القيادة مطلقًا ؛ لأنَّ الخوفَ لا يصنع ثناءً .

لا تصنع السَّماءُ مكانًا لدرجة عرش شرفه وقَدْره سوى مكان الفرقد والثُّريا .

من عظمته ومن الإحسان الذى يصنعه مع كلِّ الناس ، ليس بين كلِّ الناس شخصٌ لا يمتدحه .

دينُه الطَّاهرُ وعقلُه الكاملُ لا يلقِّنانه إلا بكلِّ ما هو حَسَنٌ .

بُغْضُه ذلك الذى يصير بلاءً فى صَدْر العدوِّ ؛ لأنَّه لا يقيم البُغْضَ مع كلِّ شخص يكنُّ له حُبًّا .

ليس لعدوٍّ جاهه شجاعةٌ وجرأةٌ؛فذلك الذى يتشدَّق به لا يفعل فى ساعة ولا فى حين.

ذلك الذى يفعله برأس العدوِّ هو مثلُ ما ينحته القلمُ؛ لأنَّ القلمَ يجرح بوجهٍ لا تفعله السكِّينُ.

يا للعجب لكلِّ مَنْ يتجرَّع خَمْرَ بُغْضه، ولو تكون عسلاً؛ فأيامُه لا تصنع الغسلين.

٢٠ - وعجبًا لكلِّ مَنْ يسمع لفظَه العَذْبَ، لأنَّ من يكونُ مُرَّ الأذن لا يدخل أذنه لفظٌ حلوٌ.

لو يرفع من الأرض ظلَّ حلمه؛ فلن تَهْدأَ الأرضُ عن الزَّلزلة حتى يوم القيامة.

طالما لا تَتَنفس ريحُ الصَّبا رائحةَ خُلقه؛ فلن تجعلَ وَجْهَ الحديقة مليئةً بالرَّياحين النَّضرة.

وطالما لا تَتَلقَّى السُّحبُ التَّعليمَ من كفِّه المعطاء؛ فلن تصنعَ لؤلؤاً منثورًا في الحدائق والبساتين.

كلُّ مَنْ كان قد رأى جودَه وكرمَه بوضوح؛ فلن ينصتَ عبثًا إلى قصة "افشين"(١).

يصيد كفُّه الجوَّادُ بالسَّخاء قلبَ الخلق، ولا يصيد أحدٌ غيرَه بالسَّخاء الباشقَ والشَّاهينَ.

كلُّ مَنْ يعلم ميزانَ وزن القول، لا يجعل مؤشِّرَ الميزان نحو مديحه إلا بالصِّدق.

لا تُسَرِّجْ يدُ الزَّمان جوادَ العلم والفضل والفن والدَّولة إلاَّ لأجله.

يكتفي مَلِكُ الشَّطرنج بأقلِّ لعبٍ ببيدقٍ واحدٍ له ولا يستخدم الحصانَ والرُّخَّ والوزيرَ.

كلُّ قلب كان سعيدًا قبل سعادته، لو تمطر له العاصفةُ غَمًّا، لا يغْتَمُّ.

٣٠ - كلُّ مَنْ يكون له، عقلٌ وبصرٌ لا يجعل ترابَ أعتابه سوى كُحْلٍ لعينيه الجوَّالتين.

طالما يكون معلومًا صلةُ الشياطين بالنَّار، وأنَّها لا تسجد "لآدم" المخلوق من الطين.

فليكنْ أمْرُه مُستَحبًّا لكلِّ بنى آدم؛ لأنَّه لا يعمل دائمًا بأمر الشياطين.

طالما يكون من الملك الاسمُ ومن النِّظام الدليلُ، لا يصنع أحدٌ سواه تربيةَ الملك بالنظام.

---

(١) أحد رجالات الفرس المشهورين بالجود والكرم مثل حاتم الطائى ومعن بن زائدة.

في مدح الدهقان الأمير العميد سعد الدين (ص٦٠ – ٦٢)

١ – يا مَنْ وجنتُك وطُرَّتُك مثلما القمر[١] الذى صَعَد بالوهق المسْكىّ[٢] على السَّرْوِ السَّامق[٣] للنظر والمشاهدة.

ومنظرُ القمر المنير من على السَّرْو الطَّليق طريفٌ ونــادرٌ خاصـــةً بـــالوهق المسْكىّ.

أيها المعشوقُ، أىُّ حيلة لهذا البائس في غمِّ عشقك حيالَ لوز العين وفستق الفَم وقند الشَّفة.

يا مَنْ تعدنى بالوصل على الدَّوام، ويا مَنْ تضَع في نُقلـــى الفـــستقَ واللـــوزَ والقنْدَ.

والذى تشبه عقيقتاك[٤] حبَّةَ رمَّان خجندية، لو تقسمها نصفين من علـــى قمَّـــة سَرْوٍ طليق[٥].

والذى يكون مثلَ جزعيك[٦] لو ترسم بقلمك صورةَ حبَّتَى لوز[٧] تحت قوسين في لون المسك[٨].

لونُ وجنتك نارٌ مشتعلةٌ عليها حبَّةُ خردل محترقةٌ هى خالُك الأسود.

---

(١) أى : الوجنة.
(٢) أى : الطرَّة.
(٣) أى : القدّ.
(٤) أى : شفتاك.
(٥) أى : قدٌّ.
(٦) الجَزْعُ نوعٌ من العقيق ويشبه به العين وقت احمرارها بسبب العشق والسهاد عند الشعراء.
(٧) أى : العينين.
(٨) أى : حاجبين.

لو يصيبك أيُّ ضَرر من عين السوء؛ فإنَّ خالَك ووجنتَك يدفعان ذلك الضَّررَ عن بُعد.

يُستحبُّ ليَ أنْ أكون ذا نصيب منك، ولا تُستحب ليَ الصُّحبةُ بلا نصاب عليك.

١٠ - فأنا لا أعرف مطلقًا أنَّني حين أكون بدونك، ماذا يكون في كفِّي؟ لا شيء مطلقًا، وكم في قلبك؟ إنَّه الكثير.

كم أبكي بحرقة دائمًا لأجلك معاتبًا، وأنت تضحك من بكائي ذلك.

ولكنَّ بكائي تحوّل ضحكةً بسعادة حين وصل من سفره المبارك كنزُ الفضل "سعدُ الدين"

الدِّهقانُ الأميرُ العميدُ الصدرُ المباركُ الذي ينشر الطَّالعُ ظِلَّ التوفيق على رأسه مثلَ الهُما".

ذلك الذي يكون عبدَه في طريق الجُود والفضل مثلُ "افشين" و"معن" ومثلُ "سحبان" و"فضل"

ذلك الذي لا يفعله الذِّئبُ الشَّرسُ بقطيع الخراف واحدًا بالمائة مما يفعله على ذهبه وفضّته[1].

قولُه وفعلُه في طريق الحرية خالٍ من التزوير والرِّياء وبعيدٌ عن التلبيس والخداع.

كبَّلَ القاضي برأيه يدَ الظلم، مما يعضِّد الكتكوتَ فينتزعَ قوادمَ الطائر من جسده [2].

---

(١) أي يُشرِّدها ويُفرِّقُها.

(٢) جاء شطر البيت الثاني في "لغت نامه" بصورة مختلفة، هي:

جوزه زبن بركند شهپر برباز وپند.

ويكون معناه :" والكتكوت يجتث قوادم الصقر والحدأة" .

لقلمه أسلوبُ سيره؛ فهو شابٌ سريعُ الخَطْو من الحبشة صوبَ الروم لأجل إصلاح المُلك.

ومع أنَّ رأسَ قلمه حالكُ الوجه ومخيفٌ، إلاَّ أنَّ المملكةَ من قلمه مستنيرةٌ ومبتهجةٌ.

٢٠ - طالما قد مضى إلى رسالته؛ فالمملكةُ في سكينة من حدود خوارزم والصين حتى حدود خوارزم وجند.

يا مَنْ منك صار سَرْوُ الفضل في حديقة الفَضْل رفيعَ الرأس، ومنك صار نخلُ الجهل مطاحَ الرأس مقتلعَ الجذع.

أهلُ الصلاح والفساد لهم نصيبٌ من سخائك، للمفلس وللطفيلي وللفاجر مثلما للزاهد وللعابد.

يكون لكفِّك الجوَّاد مثلما لسُحب الربيع من هبَّات قطراته على الأرض السبخة فتصيرُ مثلَ الأرض القابلة للزراعة.

جاء فصلُ الربيع ومع وصولك إلى الحديقة، بَسَط من الوَرْد والخُضرة مفرشَ السجاد والحرير.

وبدأ البلبلُ الصدَّاحُ فوق الوَرْد النَّضر يصدح بالألحان العذبة كتابَ الزَنْد وشرحَ الزَنْد[1].

شَيِّدْ قاعدةَ المحفل على الوَرْد والنَّبيذ الأحمر؛ لأن نَعْلَ جوادك قد صار من سفرك مَحْوًا.

لو تنثر رياحُ ربيع الوَرْد عليك؛ فلا تُنظِّف المكانَ سوى بحواشي كُم الثوب.

صارت برعومةُ الوَرْد مثلما النارُ التى تقفز من الزَّند، وتلك النارُ التى قفزت من الزَّند تحرق بيدرَ الغَمِّ.

---

(١) يقصد أشعار الگاتا في كتاب الأوستا أو الأبستاق لزردشت المعروف بالزند.

وليكنْ مطربُ محفلك هو ذلك الذى يجعل "الزُّهرةَ" في الفلَك تلك اللَّعوبَ التي تبث البشاشةَ للأرض.

٣٠ - وليكنْ خصمُك معبرَ الرِّياح الحادة مثل الشمع، ولتكنْ ابنةُ الكرْم قيدًا على كفِّك مثلَ السِّراج الوهاج.

اترْعِ الرَّاحَ ليلَ نهار من كفِّ الحسناوات وعِشْ سعيدًا سنةً وشهرًا مع معشوقٍ حلو الضَّحكة.

في مدح ركن الدين طمغاج خان (ص ٦٢ - ٦٣)

١ - يا ملكَ العالم يا مَنْ الذِّئبُ والغنمُ في عهدك، لا يصاب هذا بأذى من ذاك، وليس لذاك نَفْعٌ من هذا.

فيما مضى كانت الغنمُ تخشى الذِّئابَ، وفي عهدك صار الذِّئبُ يخشى الغنمَ.

لذئاب الدُّنيا أنيابٌ قاطعةٌ، ومهما فعلَتْ؛ فإنَّ ماشةَ سطوتك تتعامل معها وتجتثُّها.

الملكَ قلج طمغاج خان، الذى بذكر اسمك، تصبح الشَّفةُ ياقوتًا، والأسنانُ درًّا واللسانُ والفمُ سكرًا.

حينما يتلفظ الخطيبُ من على المنبرِ باسم الملك "مسعود بن حسن" فإنَّه يسمى أعداءَك في الخطبة بالمنحوسين والتُّعساء.

أيها الملكُ، أصلُك موضعُ استحسان وأنت ملكُ البلاد، وذلك الشخصُ الذى له معدنٌ طيبٌ لا يستحسن غيرَك.

كلُّ مَنْ في قلبه حبَّةُ حقدٍ عليك تشبه حبَّة الخرْدل، شاهدها حبَّةَ خرْدل على النَّار(١).

بَدَا الجوهرُ الملكى من سيفك المرصَّع على جَسَد سَيِّئي الطَّوية ضاحكًا مثلَ جوهر سيفك.

---

(١) أى شاهد قلبَه مشويًا على النار مثل حبَّة الخردل من فرط حقده.

أنت مالكُ الرِّقاب على الدُّنيا وجعلتَ من عنفك ولطفك للأحباب طـوقَ المنّـة وللأعداء الوهقَ.

١٠ - يا مَلِكَ وجه البسيطة، إنَّ السَّماءَ قد هيَّأت من الهلال نعلاً ذهبيًّـا علـى أثـر جوادك لأجلك.

والشَّمسُ تتظلَّل بالسَّحاب أمام وجهك حتى لا يصيبَها من نور رأيـك ضَـررٌ على جرمها.

مَنْ يملك مِنَ الملوك أو له أنْ يعلم مَنْ تكون الشمسُ له مظلَّةً والسَّماءُ بيطـارًا سواك.

يوم الهيجاء أنت على ناصية الفرسان تُمزِّقُ جلْدَ الكفل والمهمـاز مـن كفـل جواد عدوِّك وفخْذِه.

ما أكثرَ أنْ تقلب الحصانَ على الخَصْم في ميدان الكرِّ والفرِّ، وتركل قَدَمُك في الرِّكاب الخَصْمَ من فوق الحصان.

لو تُلقى في ميدان مُلْكك كُرةً؛ فإنها تتَدحرج بغير صولجان من الـيَمن حتـى طاشقند.

لقد خَلَق اللهُ العالمَ في ستة أيام، وأنت شيَّدْتَ قَصْرًا شامخًا يناطح الفلـكَ فـي ستة أشهر.

وتَتَسنَّى مِنْ على قصرك رؤيةُ مَنْ في الشرق والغرب؛ فأيُّ شخص لا يقبـل النَّصيحةَ من قصرك؟!

طائرُ "الهُما" السَّعيدُ يأتي بوضوح للنصيحة، ولو كانت النَّصيحةُ محلِّقَـةً فـي الهواء من فوق قصرك الملكيِّ.

كلٌّ مِنْ المهراجا والقيصر والخان والمَلك عاملٌ في قصرك، حارسًا وحاجبًـا وسقَّاءَ وكنَّاسًا.

٢٠ - اللُّحمةُ والسَّدى لمفرش قصرك من العدل والفضل، ولونُ هذا المفـرش أبْهَـى من مفرش السجاد والحرير.

ولأجل رؤية قصرك، كان مذهبُ الفَلَك أن ربط بين شاطئ جيحون وترمذ حتى إلى سيحون وخجند.

ما دامَ عيدُ الأقرباء يصير بهيجًا بطلعتك؛ فقد صار قصرُك عيدًا باسمًا على أهل العلم.

طالما كان اسمُ "بلبل" عند أهل العَجَم هو "زندواف" فليكنْ نظمُ مدحك هو "الزَّند"[١] لـ "زندوافان"[٢].

فليذكرْ مدحُك أهلَ العَجَم "بالسوزنى" مثلما "سقطُ الزَّند" من المعَرِّى لأهل العرب.

فلتكنْ سنواتُ عُمر "نوح" قصيرةً بالنِّسبة لعُمرك، حتى يقسم به في اللغة التركية.

فلتعِشْ في الدنيا مائةَ ألف عام ونَيف؛ فلا عَلِمَ أحدٌ في الدُّنيا ولا يعلم لذلك تفسيرًا.

طالما لك اسمٌ حَىٌّ بين ملوك الماضى؛ فعِشْ في المملكة بالقدْر الذى لا يتسنَّى حَصْرُه.

فلتكنْ عينُ وقلبُ حاسديك مقلوعةً ومسحوقًا، سَحْقَ رُمَّان "خنجد" واقتلاع لوز "كند"[٣] .

---

(١) كتاب زرادشت المعروف بزنداوستا.

(٢) ومعناه "بلابل" باللغة العربية.

(٣) اسم قرية في بلاد ما وراء النهر على طريق كاشغر ومشهورة باللوز الطيب ويأتى به منها.(الديوان. لغات ص ٤٧٩)..

في مدح سعد المُلك مسعود (ص ٦٣- ٦٥)

١ - جعل وزيرُ المَلك "سعدُ المُلك مسعود حَيِّي محمود"[١] عامرًا مثلَ السَّعد (الطالع الحَسَن).

فأضْحَى سَعْدَا الفَلك[٢] سعيدين بالسَّعد الوافر من "سعد المُلك مسعود".

فتقول: إنَّ الفَلكَ قد مَنَحَ "الملكَ مسعودًا" عرشَ "سليمان بن داود".

لأنَّ "سعدَ المُلك" قد جلس عامرًا بالسَّعد على الكرسي مثل "آصف"[٣] عن طريق الجُود.

وصار بسَعْد المُلك وسَعْد الدولة أسْعَدَ موجود من الصيت المعدوم.

جلس هذا النَّقيُّ الأصل والطَّاهرُ النَّشأة على صدر وعرش أجداده وآبائه.

ولأنَّه أسْمى من الأشباه والأقران؛ فقد صار محمودًا من بين الأشباه والأقران.

صار بإقبال الإمبراطور المعظَّم محبوبًا ومجدودًا في كلِّ قلب.

صار لأحبابه الإقبالُ والسعادةُ وصار لأعدائه الخذلانُ والطَّردُ.

١٠ - وسَطَع النورُ من القمر والشمس والزُّهرة، وفاحَت الرائحةُ من العبير والعنبر والعود.

وسقط في ألم التأديب مثلَ "الرَّباب" ردئُ الفكر وسيِّئُ الطوية.

ونال بحقٍّ لقبَ "بهاء الدين" باستحقاقٍ وأهلية بصورة أفضل.

وفَتَح بابَ إحسانه على الخَلق، وقامَ بالعطاء لكلِّ الأجناس.

وخلت خزائنُه مثلَ خزائن أبيه وعمِّه من المال والنِّعمة؛ المزون منها والمعدود.

الواهبُ بيده من طبعه الطَّيب، ضياعًا وغلَّةً ومفروشًا ومنقودًا[٤].

---

(١) فضلت كي تستقيم الترجمةُ والمعنى استخدامَ ما جاء في النسخة المشار إليها في حاشية الصفحة وهي حاشية رقم (٦).

(٢) كوكبا المشترى والزهرة المعروفان بالسعد الأكبر والسعد الأصغر.

(٣) وزير الملك سليمان.

(٤) هذا البيت من "الملمَّع"، شطره الأول فارسي وشطره الثاني عربي وقد تصرفتُ في الوضع الإعرابي للشطر العربي.

وَهَبَ الحريرَ وجَادَ بالأطلس وتخيَّلَ أنّه ورقُ التوت فألقى به إلى دود القَزِّ.
حينما يصنع جرابًا من الفضَّة والذَّهب؛ فهو شاهدٌ عليه ولا يكون مثلَه مشهودٌ.
ويَهَبُ في كلِّ يوم في شهر رمضان كنزًا وهذا هو المرسومُ منه والمعهودُ.
الصَّادقُ الواعدُ في العيد، ولم يأتِ طوال عمره خلافٌ لأى موعود منه.
٢٠ - يكون جَهْدُ كلِّ شخص في جمع المال، وهو يكون جَهْدُه في بذل المجهود.
بإله ليس ثمَّةَ إلهٌ سواه، وبمعبودٍ ليس ثمَّةَ معبودٌ غيرُه.
لأنَّ نارَ عداوته نارٌ حارقةٌ، التى يصير منها الواقدُ في الحال موقودًا.
فليُفْعَمْ قلبُ أعدائه بالنَّار مثل خندق أصحاب الأخدود.
هو عالمٌ بطبعه دائمًا حتى بالقول؛ فالمحلولُ يكون أحيانًا مكانَ المعقود.
للحكيم "السوزنى" قلبٌ ليكنْ مثلَ دُرْجٍ غاصٍّ بالدُّرِّ المنضود في مديحه.
ليس ثمَّةَ حَدٌّ لمدحه ولا أعلم كيف يتسع غيرُ المحدود للمحدود؟!
فلتكنْ شمسُ العالم في جاه المَلك ظلَّ عمره الممدود في العالم.
لحسوده "كأن لم تغن بالأمس"[١]، وصار عمرُه محصودًا بمنجل اليأس.
هو على أولاد آدم مثلُ "الوصيِّ"؛ فليكنْ في الحرمة مسجودًا له "مثلَ آدم".

في مدح ركن الدين طمغاج خان (ص ٦٥ - ٦٧)

١ - وصل من السَّفر أسْمَى مَلك في العالم؛ فالمنَّةُ لله أنْ وصل بالفتح والظفر.
"طمغاج خان" الأعظمُ ركنُ الدين "مسعود"، الذى وصلت منه نظرةٌ إلى السَّعد الأكبر[٢] والسَّعد الأصغر[٣].
المَلكُ الذى تجاوز قمرُ رايته المنصورة قمرَ السماء إلى الشمس قَدْرًا.
استلَّ سيفًا كأنَّه الشمسُ، وحيثما وُجد ظلٌّ في المُلك أدركه[٤] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: "فجعلناها حصيدًا كأن لم تَغْنَ بالأمس " (سورة يونس آية ٢٤).
(٢) أى : المشترى.
(٣) أى : الزُهرة.
(٤) أى بنور هذا السيف.

المَلكُ المميَّزُ المتميِّزُ في الحُسْن والسُّوء؛ لأنَّه يصل منـــه الجــزاءُ بالحُـسْن والسُّوء والنَّفع والضَّرر.

جَيَّشَ الجيشَ لقتال الباغي والطاغي، حتى أيْنَعت حدائقُ الممالــك وبــساتينُها وأثمرت.

وصل صيتُ وصَدَى طبله وجيشه بالنَّصر والفتح من الشرق إلى الغرب فـــي كلِّ بحر وبرّ.

فَرضَ سيفُه ورمحُه في المعارك ضريبةً من الطَّعن والضَّرب على كلِّ جَــسَد ووصلت إلى الرأس.

وصلت كلُّ ضربةٍ من سيف غلمانه على مفرق أعدائه من جمجمة رأسه إلـــى وسطه.

١٠ - وصل سنانُه إلى كبد السيمرغ من صَدْره مثل السَّفود مع القطا بسبب افترائـــه على الببغاء.

لقد أودى الأجلُ بأعداء المَلك مثلما أودت النَّارُ بالمرج وأتتْ على كلِّ أخـــضر ويابس فيه.

المحاربون الطالبون قتالَه، وصل الأمرُ بهم رُعبًا منه إلى "أين المَفَرّ"(١).

ما أرْوَعَ مثيلَك ملِكًا، قد خرج العدوُّ حامدًا شاكرًا لنجاته من قدرتك على قهــر الخصم.

حلَّقَ الملكُ مثلَ الصَّقر صوبَ مستقرِّه الملكي؛ فقد عاد إليه ثانية.

العدوُّ مغتَمٌّ والخَصْمُ مقهورٌ؛ فقد وصل مبشِّرُ خير البشر عن أحواله.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى:" يقول الإنسانُ يومئذ أين المَفَرُّ" (سورة القيامة: آية١٠).

الإمبراطورُ الذى تصير حَضْرتُه جنَّةَ الدنيا، حين اقترب وصولُه من السَّفر إلى الحضرة.
وصل إلى السَّمْع والبصر مثلَ الشَّذْو والكُحْل ترابُ نعال جواده وصهيلُه.
ومن عظمته وصلت جنَّةُ الدنيا متبخترةً في رفقة جنَّة النَّعيم.
هو في القلب مقيمٌ ومسافرٌ بسبب عَدْله؛ فقد صار المقامُ سعيدًا حين وصل الملكُ من السفر.

٢٠ - بدون ذلك الذى كان قد نَشَر بُشْرى المَلك؛ فإنَّ الرُّوحَ قد بلغت القلبَ مبشِّرةً بقدومه.
يا مَنْ أنت الشَّمسُ على فَلَك سلطان المشرق، بلغ نورُك حتى المغرب من المشرق.
لكلِّ مَلكٍ زينةٌ وبهاءٌ بالعرش وبالتَّخت، وأنت قد بلغ التختَ والعرشَ الزينةُ والبهاءُ منك.
لسيفك نصيبٌ من القضاء والقَدر، وقد حلَّ البلاءُ على أعدائك من القضاء والقَدَر.
رُعْبًا من سيفك فإنَّ الماءَ فى البحيرة يصير دمًا وقت وصوله إليها.
احتَسَت الغربانُ والنسورُ حساءَ سياستك، وجاء للصقر فرصةُ التَّحول إلى جنس آخر.
أنت موفَّقٌ وسعيدٌ و مبتهجٌ بالمُلك؛ فاجلس عليه هنيئًا فقد وصل للمُلك حلوُ الثَّمر.
أقْبِلْ إلى المحفل هنيئًا مثلَ "أفراسياب"؛ لأنَّ هذه الهناءةَ والمحفلَ وصلت إليك من الأب الخامس.
أيا "سوزنيِ" ، أنت بمديحك للسلطان جوهرٌ، فقد حانَ وقتُ نظم الدُّرِّ والجوهر.

لك من الكَرْم الطَّبعُ ومن عُمان الخاطرُ؛ فقد فَتَحْتَ ثَغْرَك العَذْبَ وانساب دُرْجُ الدُّرِّ.

انثُرْ في بلاط المَلك السُكَّرَ والدُّرَّ؛ فقد حانَ وقتُ نَثْر الدُّرِّ والسكّر.

ادعُ للمَلك بطول البقاء واتلُ مديحَه، وإنْ وَصَلَ عمرُك المديدُ إلى لحظة النهاية.

فامْدَحْه أيضًا في تلك اللحظة؛ فمِن ذلك المديح العُمْرُ المديدُ ويعقبه العيشُ الهنيءُ.

يليق للمَلك العُمْرُ المديدُ والعيشُ الهنيءُ ووصل الكلامُ بالقول المعتبر إلى منتهاه.

أيها المَلكُ، فليزِدْ عُمْرُك عن عدد النجوم؛ فإنَّ حَصْرَها بأكثر منه مجرَّدُ وَهْمٍ وخيال.

في مدح شمس الدين (ص٦٧-٦٨)

١ - وصل صَدْرُ العالم إلى حضرة مَلك العالم، وَصَلَ بشوق إلى ملكٍ موفَّق.

وما إنْ وَصَلَ صدرُ العالم لدُن مَلك العالم حتى ابتهج المَلِكُ بقدومه.

وصل حَضْرةُ شَبيهِ الجِنَان لتدريس العلوم، والصَّدْرُ الشَّبيهُ "بإدريس" إلى صَدْر الجَنَان مبتهجًا.

وصل صَدْرُ الزَّمان إلى مدرسة أهل "جوزجان"؛ لتُعلنَ نوبةُ الطبول عن قُدومه.

صَدْرُ العالم الذي هو بلا شك مَلكُ الشرع، عَادَ إلى هذا المكان بعظمة المَلك سليل المُلك.

فَظَفَرَ هذا المكانُ المباركُ من الصَّدْر بالشُّهرة وبالتَّميُّز؛ فقد نال منه بألف صدارة بالشهرة والتَّمَيُّز.

فكلٌّ اسم كان له من أئمة الدِّين نقشُ الصَّفة،صار ذلك الاسمُ جسْمًا وحلَّت فيه الرُّوحُ.

والآن هُم في عجبٍ من سماع درس اليوم، طالما يتسنَّى لأىِّ شخص سَبْقُ الوصول إليه بسعادة.

وصاروا يتبادلون البُشرى فيما بينهم؛ لأنَّ فلانًا وصل إلى مَنْزِلة فلان من أئمة الدِّين.

١٠ - هو الشمسُ، حسامُ البرهان، ذلك السَّيفُ المرصَّعُ؛ لأنَّ الصَّدارةَ وصلَتْه من جوهر سيف الزَّمان.

بحرُ الفضل ومنجمُ الفتوة الذي وصل صيتُه إلى أقصى ما يصل إليه الخيالُ والظنُّ.

لا يفضِّل البحرَ والمنجَم على المكان؛ فهو قد صنَعَ المكانَ ووَصَل منه إلى أعلى مكان.

من دورة الفَلك التي يكون منها الهواءُ والهوانُ، وصله الهواءُ ووصل لحاسده الهوانُ.

أنا ثَرِيٌّ على شاكلة البحر والمنجم؛ فقد وصلني بكلِّ ثراء مثل البحر والمنجم.

بينما كلُّ مَنْ يصل إلى البحر والمنجم يصير غنيًّا بالكلام الكثير الذي يصل من هذا وذاك إلى مسامعه.

هو برهانُ الدين مبيِّنُ الحقِّ، الذي وصلت من لسانه أحكامُ علوم الشرع بالشرح والبيان.

لو ينثر الجميعُ الذَّهبَ عليه بالدعاء؛يُقدِّرُ بذلك الذي يصلهم من دُرِّ حديثه المنثور.

كلُّ جوهر ينثره لفظُه على الأرض، صعد إلى الفَلك ووصل إلى نطاق "الجوزاء".

ففَكَّ "الجوزاءُ" النِّطاقَ الجوهرى عن وسطه، حتى أفاضَ على عبيد خاصته.

٢٠ – وصل منه إلى الخلق في آخر هذا الزَّمان، ذلك الذي وصل من المَلك إلى سيد آخر الزمان.

وترك "برهانٌ" و"سيفٌ" التَّاجَ والحسامَ، وتعلَّقت أرواحُهما بمدرسته.

فلحديثه الدَّافق هذا من أرواحهم، ماله كذلك من كرامة لا حدَّ لها لدى الحقِّ.

فبقدومه زال هَمٌ ثقيلٌ عن كاهل كلٍّ واحد من أئمة الدين، وظَفَروا بكنز ثمين.

وكان لأهل "سمرقند" اتفاقٌ عليه؛ فقد وصل إلينا كنزٌ ثمينٌ مجاناً.

مرشدُ الشَّرع، وكلُّ شخص قد أدركه من أسرة " آل برهان" وصله بهذا الرسْم والقانون.

فلم تذهب الدولةُ مطلقًا عن هذه الأسرة، طالما يخطب فيها ذلك الشَّخصُ الذى عاد إليها.

أيها الصَّدْرُ، وصل "للسوزنى" في بحر الشِّعر دُرُّ القول بفكرة التاجر.

فقد نَظَم طبعُه حبَّاتِ الدُّرِّ بالإبرة ووَصَلَها بالخيط لإعداد عِقْد مدحك.

فكلُّ حبَّةٍ كامنةٍ في صَدَف صَدْره، وصلت من فمه ولسانه إلى قلمه وبنانه.

٣٠ – وما إنْ قام بعد الثَّناء بالدعُّاء لك بالوجود، حتى وصل إلى مسامع رُوحه من السَّماء: آمين.

في مدح ملك الدهاقين (ص٦٨-٧٠)

١ – أَقْبَلَ صَدْرُ العالم من مجلس مَلك العالم، كان يحلُّ ضيفًا وكلاهما المَضيفُ.

تَزَيَّنَ المنزلُ بلقائه البهيج، فقد أقبل إليه مَنْ لدُن عرش "الخان"(١).

---

(١) الخان: لقب يأتى أحيانا في آخرِ أسماء الرجال خاصةً بعد حملة المغول على إيران وصار يُلحق بآخر أسماء الملوك خاصةً في منطقة بلاد ما وراء النهر التى يعيش فيها شاعرنا "السوزنى" مثل "قدرخان" "طمغاج خان" وهو في عرف أهل بلاد ما وراء النهر يكون بمعنى المَلك. (الديوان. لغات ص٤٤٩).

مدينةُ "تخشب" هى الخُلد بل وأطيب منه؛ فقد أقبل إليها الصَّدْرُ سعيدًا عن مائة طريق.

الصَّدْرُ الذي تناطح السماءُ مرتبتَه الرَّفيعةَ إنْ لم يوجدْ ما هو أعلى منها حتى السماء.

كلُّ مَنْ قَدُمَ لخدمة هذه الأعتاب، يناطح مفرقُ رأسه السَّماءَ شرفًا.

ويتسنَّى الوصولُ من أعتابه إلى الفَلك الأعلى بيُسْرٍ عن طريق جاهه ومنزلته.

الصَّدْرُ الذي له لَقَبُ المَلك على الدهاقين، أقبل إلى مُلكه مثلَ المَلك الموفق.

وهذا اللَّقبُ(١) يجرى على ألسنة دهاقين "تخشب" ونبتهج حينما أقبل الملكُ من لدن "الخان".

فبدونه أهلُ "تخشب" جسمٌ بلا روح، والآنَ وقد وَصَلَ؛ وصلَت الرُّوحُ بالجسم.

١٠ – في عهده وصل إلى أهل "تخشب" خَطُّ الأمانِ من يد الدَّهر الجائر.

كفُّه المعطاءُ بحرُ الجود ومنجمُ السَّخاء؛ لأنَّ إحسانَه وصل كلَّ خلق العالم.

يكون لمدينة "تخشبُ" شرفٌ على كلِّ العالم؛ لأنَّه أقبل اليوم صوبَ "تخشب" البحرُ والمنجمُ.

صارت "تخشب" بعَدْل المَلك بستانَ الدولة؛ فقد أقبل إليها سَرْوٌ واحدٌ يتخيله إنسانٌ في بستانين اثنين.

فلقد كان السَّرْوَ الطليقَ الذي يصل إلى كلِّ بستان؛ لقد أقبل هذا السَّرْوُ الشَّامخُ إلى هذا وإلى ذاك.

فكم مدة ترك فيها النائبُ ذاك البستان،وكم مدة أقبل فيها النائبُ إلى هذا البستان(٢).

---

(١) أى : ملك الدهاقين.

(٢) المقصود: رحل عن مدينة "تخشب" وعاد إليها.

أنت يا مَنْ كلُّ مَنْ رآك من أهل هذه الدِّيار، ظَنَّ أنَّ أُمًّا رءومًا قد قَدُمَتْ وأبًا حَنُونًا قد حَلَّ.

وكلُّ كلام قد وصل إلى مسامعك على هذه الشاكلة من كلِّ لسان ليسَ ظَنًّا بل هو الحقيقة.

حينما وصل جُودُك وسخاؤُك إلى أهل الزَّمان؛ فإنَّ لسانَ أهل العصر أضْحَى هو الدَّاعي لك.

تأملْ مكانتَك عند المَلك ولا تَظُنَنَّ في أحدٍ أنَّه وصل إلى هذا الشَّرف وهذه المكانة.

٢٠ - لقد وصلتَ إلى هذه المكانة من رَسْم ودستور طيِّب، وكلُّ شخص قد وصل إلى هذه المكانة؛ فبنفس الرَّسْم والدستور.

فالحمدُ والثَّناءُ للمَلك عالمِ الغيب؛ لأنَّ هذا الجاه والدولةَ قد جاء من المَلك عالم الغيب.

يقولون إنَّ "المهدى" يخرج "صاحبَ قران"(١) إلى العالم ولمدَّة من الزمان.

فلتكنْ أنت "صاحب قران"، ولا انتهت المدَّةُ، مثلما وصل مُلْكُ العالم إليك يا صاحبقران.

وما دامَ قد جاء الدُّعاءُ لك بالبقاء من الثَّناء؛ فقد صار مستجابًا ووصلت بشرى الخلود.

في مدح قدر طغان خان (ص٧٠-٧١)

١ - أقبل ملكُ العالم من السَّفر؛ فتجدَّد المُلْكُ حين وصل المَلكُ.

أقبل مَلك الملوك "قدر طغان خان" من السَّفر بالكمال وبالجاه.

ذهب عاقدًا الفتحَ على مُنْحنى سرجه، وأقبل والنَّصرُ على أطراف خوذته.

---

(١) لقب معناه "الملك المظفر" وهو لقب بعض الملوك الفرس.

مضى "كالاسكندر" أقبل مثلَ "الخضر" إلى حافة نبع الحياة.
أقبل إلى التَّخت والعرش مثل "سليمان" وسط جيش من الشياطين والجنِّ.
يحكون عن الصدق والتأخر، وهو قد أقبل سليمًا ومبكرًا.
سافرَ بعون الله، وآبَ في عصمة الله.
ذهب في حفظ الله الحقِّ، وأقبل إلى عرشه بنِعَم الله.
أقبل لأهل الدين مأمَنًا وملْجأ وحمايةً من خوف جيش الكفر.
أقبل لهؤلاء الأسرى ذوى المحنة فرجًا وملْجأ ومَنْجاةً.
أقبل المَلكُ بالغفران لكلِّ مَنْ اعتَقَدَ هذا السَّفَرَ جُرْمًا.
سافر بتدبير الأولياء وأقبل من السَّفر قامعَ العداة.
أقبل لدَفْع الأعداء إلى الفناء، مثلما ريحُ صَرْصرٍ مع تبن العَلَف.
أقبل لوَهْب النَّماء للموالى، مثلما قطرةُ الرَّحمة مع العُشْب.
كانت المملكةُ في سُبات الغَفْلة، ووصلت مع "طغان خان" إلى الانتباه واليقظة.
رغب في زيادة حَشَمه ونقصانِ خَصْمه؛ فأقبل بحشم زائد وخَصْم قليل.
ذهب بنزاع المُلك وصفحة السَّيف؛ فأحضر الحُجَّةَ وأقبل بالبرهان.
أتت هذه البشارةُ من درع السمكة(١) حتى صد يرى القمر الأخضر(٢).
لا يصل إلى أيِّ مَلك في أعوام، ذلك الذي يصل إليه في شهر أو شهرين.
وحين وصلت البشارةُ إلى الجيش عن وصول المَلك وقدومه السَّعيد.
وصلت السَّعادةُ من خيمة الفَلك الزَّرقاء إلى ناصية ميدان الجيش.
فأقبل عشرةُ آلاف من الحَشَم المخلصين أمام المَلك بقامةٍ محنيَّة.
فكان ذهابُهم كلّهم إلى بلاطه، ووصلوا إليه وقد تزيَّنَت عوارضُهم وجباهُهم.

---

(١) أى : الأرض.
(٢) أى : السماء.

ولم يصل إلى مرآة قلب أحدٍ منه، سوءُ صدَى وغبارُ طريق.
لقد حلَّ الإخلاصُ والتفاؤلُ كُحْلاً لعين الحشم والعامة.
فليكنْ لأصحاب الفكر الفاسد، ذلك الذي أتى من رأس فكرهم الفاسد.
ليسقط حاسدُه في غيابة الجُبِّ خائبًا خاسرًا بسبب حقده على جاه المَلك العالى.
ولينَلْ الملكُ دُرَّ بحار المُلك وليُصَبْ خَصمُ المَلك بالغَرق والغُوطة.

في مديحة الأمير العميد سعد الدين (ص ٧١-٧٢)

١ - أضحت أيامُنا عيدًا، والعيدُ لمَّا يأتِ بَعْدُ، عندما أقبل من السَّفر في صحبة مَلك العالم "الأميرُ العميدُ".
"سعدُ الدين" الصَّدْرُ ذلك الذى وجهُه الملكىُّ الطَّالع "مسعودٌ" مثلُ المَلك، "سعيدٌ" مثلُ طالعه.
قبلةُ أهل القلم، الممدوحُ والسَّيدُ الذي تُعَدُّ أعتابُ دولته محرابَ الأحرار والعبيد.
مُبدى الإنعامِ والإحسانِ، الرَّاعى لأبنائه، المنعمُ، المُبْدئُ أولاً في حقِّ كلِّ عبدٍ والمعيدُ لصُدْرَته(١).
من رأيه السَّديد يسهل على المَلك فَتْحُ "سَدِّ الاسكندر" المُعَدِّ من الحجارة ومعدن الزَّهر والحديد.
والحجارةُ ومعدنُ الزَّهر والحديدُ تذاب كالشَّمع من نار سيف المَلك حين يشتد أوارُ غضبه.
وأهلُ القلم يؤدون واجبَ الخدمة أمامه كالقلم؛ فهم يتهيَّئون من المفرق إلى الإخمص كالقلم كى يكونَ مفيدًا.

---

(١) لباس يرتديه العبدُ على الصدر بدون أكمام.

وتكون خدمتُه لأرباب العلم كلُّها فوائدُ، وكلُّ مَنْ هو على عِلْم يعلم المفيدَ من المستفيد.

يكون نورُ عين أهل العلم والنُّهى في رؤيته، وتكون العينُ بدون رؤياه قدودًا في قديد(1).

١٠ - وكلُّ شخص يقول : أنا فريدٌ في العلم؛ فيجوز ولا يجوز، بينما هو فريدٌ في كلِّ فن يكون له في كافة العلوم.

يا مَنْ لك الزيادةُ عند المَلك عن كلِّ فاضل في كلِّ فنٍّ؛ فلتكنْ رتبتُك وجاهُك في إزدياد كلَّ يوم.

تكون روحُ "معن بن زائدة" في سوق جُودك صانعةَ سخاءِ "حاتم بني طي" على الخلق، فمَنْ يزيد؟!.

أنت تحب المغامرةَ في السَّخاء مع الأحباب، وتتعامل معهم بقلبٍ صافٍ مثلما الشَّيخُ الصوفي مع المريد.

جُودُك في انتشار كالظِّل من الشمس، والبخلُ مثلُ الشيطان المريد من ظلِّ سَميك.

الخاصُّ والعامُّ من القاصي والدَّاني مغرمٌ بك، وعمرو وزيد وجعفر وصالح ويزيد وبايزيد.

من "الأنوري"(2) إمام أهل الحكمة حتى "السوزني" هم جميعًا في طريق واحد لمديحك أقربُ من حبل الوريد.

لو عاصرك "حسانُ"(3) و"الوليدُ"(4) في أيامك ما كانوا سوى مادحيك.

---

(1) أي : شديدة الإحمرار كاللَّحم المقدَّد من فرط البكاء.

(2) أوحد الدين محمد الأنوري شاعر العصر السلجوقي ت ٥٨٣هـ.

(3) هو حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم.

(4) هو أبو عبادة الوليد البحتري أحد شعراء العصر العباسي الثاني.

حبُك يزيد على الصَّادر والوارد بالإحسان والكرم؛ذلك لأنَّه حبُّ الوالــد علــى الوليد.

في الثَّناء عليك والمديح لك لا يكلُّ لأرباب النَّظم والنثر لسانٌ ولا يفتــر لهــم خاطرٌ.

٢٠ - وحينما يمسك بالقلم بذلك البنان النادر ويشحذ لسانَه، تكون روحُه أستاذًا كــاملا وعقلُه تلميذًا رشيدًا.

أينما ينشدون مديحَك يصير- الموضعُ- بسبب السَّعادة والحبور فــي جمــال "ارتنگــ مانى[١]" والقصر المشيد.

كنْ الممدوحَ بثلاثين مادح؛ لأنَّ الممدوحين- السَّابقين- خُلِّدَت أسماؤُهم كثيــرًا من "الدقيقى[٢]" و"الكسائى[٣]" و" الشهيد"[٤].

طالما تجد السَّنةُ والشهرُ مددًا من النَّهار والليل؛ فلتكن السنةُ والشَّهرُ والنهــارُ والليلُ عيشَك الهَنيئَ لعمرك المديد.

فلتكنْ أيامُ عُمْرِك كلُّها عيدًا، مادامت أيامُنا قد أضحت بسببك عيدًا، والعيدُ لمَّــا يأتِ بَعْدُ.

---

(١) هو كتاب "مانى " المقدس الملئ بالصور الاعجازية البديعة والذى يعده معجزته لأتباعه.

(٢) هو أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقى البلخى من كبار شــعراء القــرن الرابــع الهجــرى والعصر السامانى "ت٣٦٥".

(٣) هو أبو الحسن مجد الدين اسحق الكسائى المروزى (ت٣٩١هــ) وهو أيضًا من شعراء القرن الرابع الهجرى والعصر السامانى.

(٤) هو أبو الحسن شهيد بن حسين البلخى المعروف بالشهيد البلخى (ت٣٢٥هــ) وهو أيضًا من شعراءِ القرن الرابع الهجرى والعصر السامانى.

حرف (ر)

فى مدح على بن الحسين ذو الفقار (ص ٧٣ - ٧٤)

١ - أيها المشهورُ منك اسمُ صاحب " ذو الفقار" ، وموضعُ افتخارٍ فى دين سيد ولد آدم.

ولك أيضًا خلقُ سيد ولد آدم فى اللُّطف ؛ فأنت سَميُّه ولك أيـضًا سـخاءُ صاحب "ذو الفقار" .

صار الحرصُ والبُخلُ معدومًا مـن "ذو الفقار" جُودك ، مثلما لـ "على بن عمرو" و"ذو الخمار"[١] من "ذو الفقار" .

قلبُ الجُود خالٍ من البُخل ، وطَبْعُك خالٌ على وجه الجُود وشوكٌ فى عين البُخل.

ذكَّرك الخالُ من الحُسْن بـ " فخر الدين "[٢]، لأجل ذلك أبقيتَ منه حُـسْنَ التِّذكار.

فليكنْ مثواه الجنَّةَ ؛ لأنَّ فَخْرَ الأسرة ذلك قد صار موضعَ عناية الجنَّة من متاعها.

لقد انقطعت بموته أعمالُهُ الطَّيبةُ ، بل الذى صار منك هو واحدٌ من ألـف عملٍ طَيِّبٍ له .

فالابنُ المشهور يُحيى الأبَ ، فاسمُ أبيك خالدٌ بابنك .

أنت مَلكٌ خاصٌ ، وتُعين خلقَ الله ؛ فليكن اللهُ عونَك بالخير .

---

(١) هما على بن عمرو وعمرو بن عبدود العامرى الملقب بذى الخمار وهو أحد شجعان العرب الذين قتلوا فى معركة الخندق على يد سيدنا على بن أبي طالـب (الـديوان . لغـات . ص ٤٥٥). وأشير إلى أننى فضلت " ذو الخمار " على " ذو الفقار " وفقا لما جاء فى مستدركات جلال الدين همائي على الديوان ص ٣٩٩ . خاصة أن الشاعر استخدم " ذو الفقار " فى قافية البيت السابق مباشرة ويكون قد وقع فى أحد عيوب القافية وهو عيب "الإيطاء" .

(٢) واضح من القصيدة خاصة البيت الثامن أنه أبُ الممدوح .

١٠ – في عهد دولتك ، يكون للخاصِّ وللعامِّ نجاةٌ من قبضة الغَمِّ بسبب جُور الزَّمن .

يموج بَحْرُ السَّخاء في صدرك ، حتى يصير أهلُ هذه الديار غرقي نعمتك.

لا يكون عطاؤُك مالاً لا حَصْرَ له ؛ فالحَصْرُ لعطائك يحتاج إلى الفهم والتَّخيل.

لا يقلُّ سخاؤُك الزَّائدُ عن عَهْده مع أهل العلم والعقل بقرار من العلم والعقل .

حبُّك سيِّدٌ في شغاف القلوب ، وقد أخذ بكلِّ جنبات الدنيا .

أنت ابنٌ محبوبٌ مربًّى في حضن الإقبال والطَّالعِ والدولةِ الموفقة .

بابُ قصرك قِبلةٌ لأهل الفضل ، وقصرُك صار مدارًا لفلك الفضل .

لأهل الفضل دينٌ وفضلٌ في خدمتك ، والبُعْدُ عن خدمتك شينٌ وعيبٌ وعارٌ .

كلُّ شاعر يطبع قُبلةً على ركابك ، يصبح بعطائك ممتطيًا صهوةَ جواد القول .

وأنا قد لثمتُه ، والآخرون يلثمونه دائمًا حتى يصيروا مثلي وأفضلَ منِّي ألفَ مرَّة.

٢٠ – أنا مقصِّرٌ في خدمتك بسبب الشَّيخوخة ، يا مَنْ طالعُك شابٌّ فاصفحْ عنِّي أنا الشيخُ.

ألا فاهنأْ واسْعَدْ وتمتَّعْ بالعيش واطربْ وكنْ رحيمًا وورعًا ومؤديا للحقِّ .

كنْ دِهقانَ مزرعةِ رضا الله ، وابْذُرْ بذرةَ الخير في أرض قرية القلب .

ما تَخْتزنه من ثوابٍ وأجْرٍ إلى يوم القيامة ، فهذا هو العمل حقًّا ، وأيُّ عملٍ أفضلُ من عملك هذا ؟! .

أقمْ ليلةَ القَدْر في شهر رمضان بالشُّكْر حتى يظهر عليك ذلك الثوابُ الخفيُّ.

فتكون قد نلتَ الرَّحمةَ المنثورة والمغفرةَ والعِتْقَ من جهنم ومن لهيب إوارها .

فليكنْ عيدُك ميمونًا وأنت فى يُمْن ؛ فعادةُ العيد قائمةٌ فأقمْ عيدَك .

طالما الفَلَكُ دائرٌ والنجومُ سيارةٌ ، ولكلِّ عام وشهر مددٌ من الليل ومن النهار .

فليكنْ ليلُك ونهارُك وعامُك وشهرُك معك بخير ، مثلما تكون الدنيا موضعَ اختيار لك .

يا " سوزنى " انظمْ من هذا النَّسق فى مديح المَلك دُرَّ الثَّناء بإبرة خاطرك.

فى مدح الدِهقان الأجلّ أحمد السمسار (ص ٧٤ – ٧٦)

١ – لعل الأمرَ قد صار جليًّا للعقل وللعين أنَّ سيدَ كافة الأحرار قد عزم على السفر .

شمسَ المعالى فلكَ الفضل والمحامد ، الدِهقانَ الأجلَّ ، أصلَ الجلال ، "أحمد السمسار" .

الميمونَ ، نصيرَ الدين ، الصَّدْرَ الذى من فرط عَدْله ، حيكت عينُ الظُّلم بمسمار .

سيدَ العالم ، عينَ الدهاقين الذى بدون وجهه ، لا تمنح عينُ العقل الرؤيةَ إلى الدُّنيا

أنت ذلك الرَّحيمُ الذى ليس له طوال عمره عملٌ آخرُ سوى الرَّحمة فى الدنيا .

تَقدَّمَ أهلَ الأرض جميعًا بتواضعه ، وصار بهمَّته العالية نموذجًا طيِّبًا.

وينال الصَّدارةَ فى الفضل والحَمْد ، ويُقَلِّلُ تمامًا من شأن كرمه وجُوده .

على ذلك النَّحو ؛ فإنَّه يبقى فى كفِّه طويلاً بياضُ وجه الدِّرهم وصفرةُ الدِّينار.

الشمسُ وكفُّه المعطاءُ مليئان بالذَّهب والفضَّة ، فما أعجبَ هذين الأمرين على هذا الشكل والعمل .

١٠ – فحرارةُ الشَّمس تسحب الذَّهبَ والفضةَ من التراب ، وهو – كفُّه – يكشف الترابَ عن الذَّهب والفضَّة كالشّمس .

وهى – الشَّمسُ – تجعل بحرارتها ذلك الترابَ ذهبًا وفضَّةً بكثرة ، وهو – كفُّه – يجعل بعطائه الزَّائد هذا الترابَ فضَّةً وذهبًا .

يا سيِّدَ الأحرار ، إنَّ الأحرارَ لا يعيبون على كونى ترابًا لكفٍّ قدمك .

لقد كنتُ أنا فى الحَضَر مضطربًا وحائرًا مثلَ الفرجار ، طالما أنَّ روحَك هى التى كانت فى السَّفر .

بدون مجلسك كنتُ أنا " السوزنى " ضائعًا ، مثل إبرةٍ محطمةِ الرأس مدفونةٍ فى ثُقْب .

ليس لها ثقبٌ كى يدخلوا الخيطَ فيه ويقوموا بالحياكة ، وبلا رأس أيضًا كى يخرجوا به الشوكَ من القَدم .

فطالما قد ذهبتَ فأنا أيضًا لم أطرقْ بابَ شخص ، ومكثتُ فى زاوية مجابهًا الحائط .

لقد شملَتْنى رعايتُك وتربيتُك ، ولذا مكثتُ وسطَ الغمِّ والفكر والهَمِّ .

لقد تجرَّعتُ الغمَّ وتحملتُ الألمَ ليلاً ونهارًا ، يا مَنْ تخلِّصنى من تَّجَرُّع الغَمِّ وترعانى .

يعاني كلُّ مَنْ لا ترعاه ، ولا يعانى ذلك الذى تناله شفقتُك .

٢٠ – انفصم العقلُ والنُّهى عنِّى من عشق الشِّعر ، وصار خاطرى مكدودًا من الأشعار

ويصير خاطرُه مكدودًا من العمل ومن الشِّعر ، ومَنْ لايحظــى بممــدوح جديرٍ بالمدح مثلك .

وليس ثمة حملٌ أثقلَ على قلبى وروحى ، من وجوب طلـب القليـل مـن المتاع سوى على بابك .

أنا لا أبتَعد عن خدمتك فى كلِّ الأحوال ؛ فلى هذا المتاعُ وذاك سواء أنـت فى الحَضَر أو فى السَّفر .

فلو كنتَ فى الحَضَر ؛ أكون لك العَبْدَ المادحَ ، ولو كنتَ فى السَّفر ؛ أكون لك العَبْدَ الدَّاعىَ .

فأنا لم أرَ سيِّدًا عظيمًا مثلك ؛ فلا تتخيلْ أنت أيضًا عَبْدًا مطواعًا مثلى .

طالما السَّماءُ حولَ الأرض تُظهر القمرَ ليلاً والشمسَ نهارًا .

فليكنْ من دورتها الشَّهرُ والعامُ واللَّيلُ والنَّهارُ رصاصًا مـذابًا فـى عـين أعدائك .

وليكنْ بيرقُك وجاهُك عاليًا دائمًا ، وليكنْ لأعدائك التعاسةُ وشـنقُ الـنَّفس عارًا وشنارًا .

من مدح السلطان سنجر (ص ٧٦ – ٨٧)(١)

١ - واجبٌ شرعًا على المُتنَعِّم شكرُ نعمة الله ظاهرًا وباطنًا .

وأنا ذلك المُتَنَعِّمُ بالنعمة ، ولا يتسنَّى لىَ حَصْرُ نِعَم الله علىَّ طَوال عُمْرى.

وما دمتُ لا أعلم عددَ نِعَم الحقِّ لتُحْصَرَ ، فكيف يتسنَّى لىَ أداءُ الحقِّ على طريق الشُّكر.

---

(١) قال جلال الدين همائى فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٠٠) : إن لهذه القصيدة أسـلوبًا ووزنًا مخصوصًا . وهى بالفعل تختلف عن قصائد الشاعر فى سبكها ومضمونها وتحتاج من القارئ شيئًا من التنبه والتركيز .

ومع أنَّ لىَ لسانًا شاكرًا ؛ فطالما أقرُّ بعجزى عن حيرة قلبي حيالَ نِعَمه المتعددة.
فذلك الذى فعله مالكُ المُلْك معى من حُسْن ، أعجز طَوال العُمْر عن ذكـــر القليل منه.
لقد عَرَّفَ نفسَه بالوحدانية كى أعرفه ، أنا أعرف أنَّه كان واحدًا وســيظلُّ واحدًا، وليس عن طريق حَصْر نِعَمه .
هو خالقُ الدنيا ومنشىءُ العالمِ ، هو رازقُ الخلق ومُظْهِرُ اللَّيل والنهار .
هو خالق الكونين وكلِّ ما فى الكونين ، هو صانعُ دوران الفَلَــك وموجــدُ النّورِ والنَّار.
هو مرسلُ رسلِ الحقِّ إلى عبيده ، هــو إلـــهُ دار القـــرار[1] ومَلِـــكُ دار البوار[2].

١٠ - ذلك الذى من تَقديره وحكمه لا يجب لىَ سوى الرِّضا بالخير والشَّرِّ فى أىِّ وقت وأىِّ حال .
وكلُّ ما يصيبني من تقديره اليومَ أنا به راضٍ ، وأطيعه كالعَبْد .
وأنا على طريق توحيد الحقِّ قوىٌّ وثابتٌ بقلبٍ صافٍ وطبعٍ طاهرٍ وإيمانٍ صادقٍ
وأنا في سبيل توحيده أُثْنى على " المــصطفى أحمــد " المختـــار ، ذلـــك المصطفي بين الأنبياء .
صاحب التاج ولواء الحمد والمعراج والبراق وصاحب الفرقان [3] والحـــج والغَزْو وصاحب ذو الفقار[4].

---

(١) أى : الآخرة وقد قال تعالى : " وإنَّ الآخرةَ هى دارُ القرار " (سورة غافر آية ٣٩) .
(٢) أى : نار جهنم وقد قال تعالى :" الم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرًا واحلُّــوا قـــومهم دار البوار " (سورة إبراهيم آية ٢٨) .
(٣) اخترت هنا ما جاء فى الحاشية لتمام المعنى .
(٤) أى : على بن أبي طالب كرم الله وجهه . والمعنى : وصاحب صاحب ذو الفقار .

وفى سبيل حَمْده والثناء عليه أنا أُثنى كثيـرًا علـى الأئمـة المـصطفين المختارين الأربعة كلِّهم(١).

وأنا أهيِّئ أمْرَ الدِّين بحمد صحابة النَّبىِّ ، وأنا أزيِّن أمْـرَ الـدنيا بمـدح السلطان .

المَلِكِ " سنجر معز الدين والدنيا " الذى تكون أمورى الدِّينيـة والدُّنيويـة بالنَّسبة له مثلَ المعشوق .

فحظَيتُ من خدمة سلطان سلاطين الـدَّهر ، الحـشمةَ والجـاه والعظمـةَ والدَّولةَ والعِزَّ والوقارَ .

وبعظمة دولة السلطان الأعظم ، وجدتُ نَفْسى على مُلْك " الخاقان " الموَّفق السَّعيد الطَّالع .

٢٠ - وتعاظَم شأنى من حُسْن ظَنِّى ، وصار شأنى فى عُلُوٍّ وتَصَاعدٍ كلَّ يوم على مدى الدَّهر .

فَجُدْتُ بالمال وأحسنتُ للخاصة وللعامة ، ومن نـاحيتى لـم أفَـرِّقْ بـين الخاصّ والعامّ

ولم يأتِ للرعية ظُلْمٌ من الحَشَم فى عهدى ، ومن عَدْلى كفَّ صَقْرُ الـصَّيد عن الصَّيد .

ونَشَرتُ العدلَ فى عهدى مثلَ سَمِيِّ(٢) ، حتى أكونَ رفيقَه فى الخُلْـد فـى الآخرة.

وجعلتُ مالى فداءً لأرقَّائى ، حتى يصبح عِتْقَالىَ يومَ الحسَاب .

وعن طريق حُسْن الظَّن فى طريق نقاء القلـب ، أردتُ أسـبابَ الحيـاة لأرقَّائى .

---

(١) أى : الخلفاء الراشدون الأربعة ﷺ جميعاً .

(٢) أى :عمر بن الخطاب ﷺ .

فوهبتُهم الجيادَ الأصيلةَ ، وهم كانوا لا يتجولون فى كلّ مدينة وديار سوى مترجّلين .

وطَهَّمْتُها بكثير من الجهد ، وهم لم يكنْ لهم سوى إزار بالٍ لأقدامهم .

وخلعتُ عليهم الديباجَ المذهَّبَ ؛ وهم لم يكن على قبائهم وسراويلهم اللُّحمةُ والسَّدى[1].

ومنحتُ الغلمانَ الأتراكَ لأشخاصٍ كان عملُهم لا يتعدَّى تشذيبَ خَطِّ الرئيس[2] وخدمته .

٣٠ – وحافظتُ على كنوز جواهرهم ؛ فلا أحدَ يعلم لهم نفايةَ وعاء حمام.

ما أكثرَ أكياس الفضَّة الصافية وبِدَر الذَّهب الخالص التى حملوها منِّى فى العَلَن والخفاء .

فكنَزوا أموالى فى أوكارهم كالنَّمل ، وفى الوقت نفسه غرسوا أنيابَهم الحادةَ فىَّ مثلَ الثعبان .

على أية حال ؛ فهؤلاء الكلابُ الأدنياءُ وهؤلاء الأوغادُ الأخسَّاءُ لم يعرفوا حقَّ مالى ونعمتى عليهم .

مرات كثيرة يثير شخصٌ العداوةَ بماله ، وأنا أيها السّادةُ أحذِّره ، وعليه أنْ يعتبر يقيمون العداوةَ والإساءةَ إلىَّ عند " الخاقان " ، ويلقون فى قلب " الخاقان " غبارًا من العداوة نحوى .

وقد أغَارَ ذلك الشَّخصُ على متاعي ، وفى ذلك اليوم الذى لا كانَ مطلقًا ، والذى كان بالنسبة لىَ مثلَ صاحب الغار[3] .

---

(١) اللُّحمةُ هى الخيوط العرضية فى النسيج ، والسَّدى هى الخيوط الطولية . والمقصود أنها كانت ملابس عادية لالون لها ولا شكل .

(٢) نَبْت شَعْره

(٣) أى : أبى بكر الصديق ﷺ .

فذهَبَ ذهبي وفضَّتي وكلُّ ما أملك كلُّه أدراجَ الرِّياح ، أتت النَّارُ على ذلك كلِّه في المرج .

لقد أرادوا كنوزَ المال بلا حُجَّة ، ثمَّ أضحوا بعد هذا الثَّراء طالبين الروحَ.

فمكَّنني اللهُ من خصومي ؛ فانتزعتُ الروحَ من بينهم خارجًا مثلَ الرجال .

٤٠ – وحين وصل إلى سلطان السلاطين خبرٌ بحالي ، عَبَرَ في الحال نَهْرَ " جيحون" لأجلي بحُسْن الصَّنيع .

وما إنْ قبَّلتُ الأرضَ أمامَ سلطان السلاطين ، حتى أطلقت السَّماءُ لسانَ الاعتذار إليَّ .

فنلتُ الذَّهبَ والجوهرَ خلعةً منه ، حين نثرتُ أمامَه العينَ من الدَّمع والقلبَ من الدَّم .

وكلُّ رغبة طلبتُها من سيِّد العالم ، بدت منه الاستجابةُ على الفور وبلا تأخير .

وأبانَ ليَ طريقَ التوفيق والإقبال السلطاني ، حين قال : لقد تحدثتَ باختصار عن حاجتك البسيطة .

فأضحيتُ من إحسانه ثريًّا مرَّةً أخرى ، وتكون فريضةُ الحج رسْمًا للرجل القادر .

سأطلب للملك من الله طولَ العُمْر ، حين أقبض بساعدي على الحلقة(١) مثلَ الفارس .

وأطلب من الله الجبَّار العَدْلَ لسلطان العالم ، حين أمسح الحَجَرَ (٢) بعذاري وقتَ التَّضَرُّع .

---

(١) أي : الالتزام بباب الكعبة والتعلُّق بحلقة بابها .

(٢) أي : الحجر الأسود أو الأسعد .

وفى وقت زيارة " يثرب " سأدعو له ببركة العُمْر ؛ فليس فى الدنيا بأسرها مزارٌ أكثرٌ بركةً منها .

وأبتعدُ – بالحجِّ – حقًّا طيلةَ عامٍ وبقدر ألف فرسخ عن رؤية قوم[(١)] منافقين .

٥٠ – طالما لا ينبغي أن يظهر لى جزاؤهم ، وأستطيع أيضًا الحصولَ على طاعة الخالق .

فأنا أقوى على مجابهة إساءات خصومى ، وأصيبهم بالدَّمار الشَّديد بكلِّ يُسْرٍ وسهولة .

ولكنْ لن أنْقُضَ عهْدَ الله ولن أُسيئَ إلى الخلق مطلقًا ، وإنْ أساءوا إلىَّ فسوف أتجاوز كالرجال .

طالما تتفتح الورودُ كلَّ عام أثناء الرَّبيع من نسيم الصَّباح فى البستان من ماء عين السَّحاب .

فليكنْ وجهُ أحباب مَلك العالم مثلَ الوَرْد ، وأعينُ سَيِّئ الطوية له مثلَ السُّحب شديدة المطر .

فى مدح قدرخان (ص ٧٩ – ٨٠)

١ – تولَّى سلطانُ الشَّرق المَلكُ " قدرخان " المُلْكَ عن أبيه بتأييد من الخالق .

فصارت رؤياه اليومَ وطَوالَ العُمْر مَصْدرَ سعادة وإقبال ويُمن للخاصة وللعامة

وزادَ للملوك نورُ عيونهم وقلوبهم من ثَرى نَعْل جواد السلطان الميمون .

(١) فضلتُ ما أورده المحقق فى الحاشية لتمام المعنى .

لقد أقبل المَلكُ إلى مُلْك " سمر قند " فى موكب كأنَّه " جمــشيد " متــصدرًا كأنه الشمس .

فهو يمنح من الشرق إلى الغرب بسؤالٍ واحد ، ويستولى من قاف إلى قاف بفارسٍ واحد .

المَلكُ الذى وقتَ الوغَى يحمل وحدَه مجابهًا مائةَ ألف .

فيزيل بكنز العطاء هومَ الأحباب ، ويُسيم الأعداءَ الرَّدَى بالسَّيف القاطع .

ويُظهر بسيفه شجاعةً وبطولةً مثلما كان يفعل " علــيٌّ " الحيــدرُ " بــذو الفقار ".

وحين يلاقي الأعداءَ فى يوم الكريهة ، يُفسد عليهم أمْرَهم .

١٠ - يهدأ العالمُ ويَقَرُّ حين يستقر ملكُ الملوك على عرش مملكته [١].

فتأثيرُ عَدْله يجعل ذلك المُلْكَ هكذا ؛ لأنَّه يقطف ثمارَ العَدْل من بين أشواك الظُّلم .

يا مَنْ أنت الأعظمُ بين الملوك بالنَّسَب المالكى ، ولم يَرَ مُلْكٌ ملكًا عظيمًــا مثلك.

أيها المَلكُ العظيمُ ، تقبَّلْ الخدْمَةَ من عبيدك وتجاوزْ عن جُرْمهم وذنوبهم .

ألا فاجلسْ على عرش المملكة سعيدًا ، حتى ينال عرشُك العــزَّ والفخـــارَ منك .

وأرسل العبيدَ إلى كلِّ أرجــاء الــدُّنيا ؛ فيخرجــوا مــن بينهــا هــؤلاء الأشخاص[٢].

الذين يخرجون عليك ، ويأتوا بهم إليك مكبَّلين بإحكام لخدمتك .

---

(١) الحاشية السابقة .

(٢) هذا البيت مرتبط فى المعنى بالبيت التالي له ، ويقرءان معًا .

فيشملهم عفوُك أو يصيبهم غضبُك ، حَسْبما يــوائم رغبتَــك أيهــا الملــكُ الموفقُ.

فليكن دَمُّ العدوِّ لك شرابًا والخَصْمُ لك صيدًا ، فلا تَسْتَرِحْ لحظةً واحدةً عن الشَّراب وعن الصَّيد .

فالشُّكْرُ لروح العدوِّ؛ لأنها بلا ملل، والاستحسانُ لدمِ الحسود؛ لأنَّه شــرابٌ بلا خُمار[1].

٢٠ – أيها المَلكُ، روحُك فى حفظ الحقِّ، وعدوُّك يتجرَّع الرُّعبَ خوفًا على رُوحه.

فى مدح تاج الدين محمود (ص٨٠ – ٨١)

١ – انتشرت حُسْنُ سُمْعة "محمود تاج الدين" مَلك أحرار العصر مثل "السلطان محمود"[2].

ومن عطائه النَّفيس تخال أنَّه ليس "محمود تاج" بل هو "السلطان محمود".

هو المَلكُ صاحبُ التاج زينةُ الفضل، ويصير عدوُّه متوَّجًا على المشنقة فى بلاط حشمته.

ما إنْ عاد من ديار خراسان إلى ما وراء النَّهر حتى فــاض نَهْــرُ دولتــه كالبحار[3].

ويُصبْح الهواءُ ناثرًا للذهب على مفرق أهل الفضل، كلَّما يعلو البخارُ فــى الهواء من تلك البحار.

---

(١) أى :الصداع الذى يصيب الرأس من إثر الشراب.

(٢) يقصد السلطان محمود الغزنوى مؤسس الدولة الغزنوية والقائد الشهير.

(٣) ذكر جلال الدين همائى فى (مستد ركاته على الديوان ص٤٠٠): أن هذا البيت نموذج للشعر الفارسى المدرَّج وهو قليل فى الفارسية وكثير فى العربية وهذا البيت هو بالفارسية:

= تاآمدازديا رخراسان بما وراء　　　النهر نهر دولت اوگشت چون بحار.

ويقصد بالشعر المدرَّج الذى ينتهى عروض بيته بنصف كلمة ويبدأ الشطر الثانى للبيت بالنصف الثانى للكلمة وهى (وراء النهر) فى البيت.

أنهارُ النيل والفرات ودجلة وجيحون المتموِّجةُ، كلُّها أمام كفِّه المعطاء مجرَّدُ سراب.
وفى كلِّ وقت يكشف سنُّ قلمه المليئ المهيِّئ سرَّ أعماق الدواة.
وتحضر حوالتُه لأمراء الكلام طَوْقَ منَّةٍ على الكتف وقرطًا فى الأذن.
لقد وضع السلطانُ "محمود الغازى" (الغزنوى) مذهبًا وسُنَّةً ورسْمًا وطريقًا وشعارًا لملاطفة الشاعر.

١٠ - فى حكاية كان ياما كان أنَّ "ديوانَ العنصرى" هو أثرٌ من "محمود" لكلِّ العالم.
ومن خَدَم مجلس "محمود تاج الدين" يظهر ألفٌ مثل "العنصرى" فى دفعة واحدة.
"السلطان محمود" فاتحُ "سومنات" محطِّمُ الصَّنم، مسلِّمُ الدِّرعَ لسنانه الماضية فى غزو "سيجزى".
لم يظفر بمرتبةٍ ظفرَ بها "محمود تاج الدين" ، ذلك الذى يمسك بيده بقلمٍ مقطوط الرأس نحيل.
يا صاحبَ التَّاج المرصَّع بجواهر العِلْم على مفرق دين سيِّد بنى نزار.
أنت نورُ قلب "عبدالكريم" صدْر الكرام وسيِّدِ العظام وراحة روحه وسداد دينه.
"عبدالكريم" الوزير الذى لم يخلق الكريمُ الخالقُ عبدًا أكرمَ منه.
هو أصلُ العظمة فلا تبعدْ عن الأصل وأنت الفرع، فالملاطفةُ بالنسبة لك مثلُ الجسم مع الروح والشجر مع الثمر.
أنت مستوفى ممالك المشرق ولكلِّ مُلْك قرارٌ وسكينةٌ على قلمك الحائر.
ولم يأتِ من أبناء الدَّهر مثلُك فارسًا على جُواد الكفاءة والفضل والعظمة.

٢٠ - لو يكون أمْرُك فى عقد بنانك وقلمك الملىء؛ فإنَّـك تقـود ذرَّاتِ الـشمس للعمل.

لو يفرُّ الغبارُ مهزومًا أمام الرياح؛ فإنَّك تُبيِّن ذلك فى دفترك بغير سَهْوٍ .

فأنت تعلم عددَه، ولا تعلم كَمْ تنثر من فضَّة وذهب على الشعراء من فرط جودك.

مديحُك سُنَّةٌ على الشعراء فى العام، وهو فريضةٌ علىَّ فى اليوم ألفَ مرَّة.

فإذا ما يكون شِعْرى مقبولاً مستساغًا إلى هذه الدرجة؛ فإنَّنى أسـطِّر فـى مديحك ديوانًا فى شهر واحد أو شهرين.

طالما يكون للخلق لأجل القول والسماع أذنٌ مصغيةٌ للقول ولـسانٌ بليـغٌ ذربٌ.

فليكن الزئبقُ مسالاً فى أذن ذلك الشَّخص الذى ينصرف عن سماع مديحك والثَّناء عليك.

فى مدح وجيه الدين (ص ٨١ - ٨٢)

١ - يا مَنْ أهلُ العصر عبيدُ إحسانك؛ فما مِنْ عملٍ لـك لـيلاً ونهـارًا سـوى الإحسان.

لم يأتِ فى أىِّ عصرٍ كريمٌ مثلك، لأنَّك فى العطاء تجود بما لا يحملـه أىُّ عصر.

قلمُك مشاطةٌ تمشِّط ضفيرةَ الليل على وجه النَّهار بالمسك وبالغالية.

فكلُّ خَطٍّ يظهر منه يُبَدِّل فى لحظةٍ واحدة حالَ ألف شخص مثلَ المعشوق.

ولا يُساوَى ألف عطاء من أهل الكرم بعطاء واحد منك، ولا يوجد واحـدٌ فى الألف من أهل القلم فى علمك.

ذلك لأنَّ أهلَ الفضل فى هذه الديار يتحرَّرون مــن ذُلِّ الفقــر بتوقيعــك العزيز.

لقد جعلتَه قلمًا قاطعًا مثلَ "ذو الفقار على"، كى تريقَ دمَ البُخل مثلَ دم "ذو الخمار"(١)

طالما أنَّ لك لقبَ "وجيه الدين"؛ فإنَّ أهلَ الشرع يجعلونــك بمثابــة قِبْلــة العظماء.

الطَّالعُ رفيقُك؛ لأنَّه يفتخر من أعماق رُوحه بخدمتك من بين أهــل الــدنيا كافةَ.

١٠ – عندما يأتى مدَّاحُك فى أوصاف خلقك دُرَّ الخاطر نارًا بــلا دخــان وبــلا شرر.

فلأنَّ عطار الطَّبع ينثر المسكَ على النار فى مجمر عقله وقلبه فــى كــلِّ لحظة.

حين صار قلمُك الماهرُ حاضرَ الجواب، وصفه "العسجدى" فارسُ القــول الذَّهبى.

فلو أنك الآنَ فى طبع أمير القول ذلك؛ فلن يكونَ سوى قلمك فارسَ القــول الذَّهبى.

ما دمتَ قد امتطيتَ جوادَ الفصاحة، ولو كان "سحبان"، ســيعدو متــرجِّلاً خلفَ غبارك.

ليس للفَلَك الأعلى قَدْرٌ أمام قَدْرك، وليس لِجرم الأرض حلمٌ أمام حلمك.

فأنت الأعلى قدرًا منه، والأكثر تواضعًا منها؛ فكنْ بذاك موفَّقًا وكنْ بهــذه سعيدًا.

---

(١) سبق الحديث عنه.

اسحبْ أعداءك بلطف من الأرض إلى السماء، كي يرى لطفَك حينذاك الغافلون.

عشْ سعيدًا من دورة الفَلك وفْقَ هوى القلب، طالما يكون للأفلاك مدارٌ على الهواء.

فى مدح ركن الدين[1] (ص ٨٢ – ٨٤)

١ – فليكن الثَّنَاءُ منثورًا على المَلك فى كلّ لحظة سواء من المخلوقين أو من الخالق.

المَلكِ الذى نال أصلُه وفرعُه من الثناء ثمارًا بالنشوء والنَّماء.

هو الملكُ الملقِّنُ فى قصره الشَّامخ كلَّ صاحب قول دُرَّ نظم مديحه.

وبغير ثناء المَلك لا يُوجد غرضُ المديح مطلقًا فى أىِّ وقت وفى أىِّ عصر.

وإنْ لم يُثْنِ عليه أىُّ مخلوقٍ، فبدون ثنائه له مكانتُه عذر الخالق مالك المُلك.

فهو مَلكُ مُلْك المشرق والصين "ركن الدين قلج طمغاج خان" الذى ليمينه الفتحُ وليساره الظَّفَرُ.

المَلكُ الذى أمام عطاء يمينه ويساره، لا يكون للبحر ولا للجبل عَدٌّ ولا حَصْرٌ.

سلطانُ السلاطين "مسعودُ بن حسن"، المَلكُ المسعودُ الطَّالع، الإمبراطورُ حسنُ الخلق.

من بين مدن العالم لم يحكم "مدينةَ سمرقند" أىُّ مَلك شبيه بهذا المَلك.

---

(١) أى: ركن الدين قلج طمغاج خان كما جاء فى البيت السادس.

١٠ – طالما صار لك دارُ مُلك مدينة سمرقند؛ فلك دارُ المُلك ولأعدائك المشنقة.

الحَضْرَةُ هى جنَّةُ الدُّنيا، وصارت منك صورةَ السماء فى جنَّة الدنيا.

فى مُلكك علامةٌ من الجنَّة ومن السماء؛ فالمدينةُ من الجنَّة السعيدة والقلعةُ من السَّماء.

وأنت تطلُّ من خلال القلعة من برج العدل وتنير الدِّيارَ كأنك الشمسُ تطل من السماء.

فأنت أيها الملكُ شمسُ المُلك وظلُّ الله، والشمسُ والظلُّ اللذان هما بمثابة الفارس على الـ "شبديز"[(١)] .

فمن نور حبك وناره ومن هواك يكون القلبُ للخلق على شاكلة حبَّة الرُّمان.

الشمسُ نورٌ ونارٌ، فكنْ نورًا ونارًا؛ لأنَّ النورَ والنَّارَ لأجل مصلحة الخلق.

يكون حالُ الخصم فى يوم عراكك مؤلمًا له، ولا يدرى أين الألم؟ ومتى أصابه؟ وكيف أصابه؟!

طالما تشرق كالشمس من الفَلك الكسروى سواء فى يوم الأريكة أو فى يوم العريكة.

وطالما يُعرض عليك الموالون لك بعدد الذَّرات، وطالما يصير الأعداءُ المنهزمون بعدد النجوم.

٢٠ – فإنَّ سيفَك الذى جمع مالا يُحصى من البُغاة والطغاة، قد هيَّأ القلمَ للعَدِّو وللحَصْر.

ومادمتَ قد أظهرتَ التَّفَرُّدَ فى صيد الأسود؛ فقد أضحى صائدو الأسود كافةً لك هدفًا.

---

(١) شبديز: بمعنى الحصان الأسود وهو حصان خسرو پرويز.

لقد اختفى صائدو الأسود هَيْبَةً منك، بحيث لا يَبْدو لهم ظهورٌ إلاَّ فى يــوم الحَشْر.

أنت الملكُ الفريدُ الباقى من الملوك فابقَ بالمُلك، وانتــزعْ بالــسَّيف روحَ الطاغى والباغى من جسده.

أطلق السَّهمَ وأرسل الرمْحَ دائمًا على أهل البغى والطغيان كــأنَّهم البَقَــرُ والحُمْرُ الوحشية.

فأنت برغبة قلبٍ واحدةٍ من ألف رغبة تحمل عليهم حتى لا يبقــى مــنهم واحدٌ من ألف.

الدنيا التى هى مزرعةُ الآخرة[1]، تكون زراعةُ بذرة العدل فيهــا لأجــل حصاد فضل المَلك.

عملُك أيها الملكُ العدلُ والفضلُ والرحمةُ والبرُّ والكرمُ،وكلُّ ما عدا هذا لا يُعد عملاً.

لو كان حالُ الدنيا هو المضىَّ؛ فلا ضَيْرَ، فلا تَمضِ منها وتجاوَزْها دائمًا.

يا "سوزنى" انظمْ بخيط الخاطر؛ عِقْدَ الدُّرِّ النَّفيس فى مدح مَلك أهل الدنيا.

٣٠ – فليكن الثناءُ على مَلك أهل الدنيا سواء من المخلوقين ومن الخالق.

فى مدح نظام الدين محمد بن على (ص٨٤ – ٨٥)

١ – أقبلت الشمسُ إلى برج الحَمَل كأنَّها صفحةُ وجه الحبيب، ويشعُّ من ضوئها النُّورُ وأيضًا النارُ.

النُّورُ لأجل ضياء العالم الحالك، والنار لأجــل إنــضاج كــلِّ فــجٍّ علــى الأشجار.

---

(١) إشارة إلى الحديث النبوى الدنيا مزرعة الآخرة.

كى تستعيدَ الدنيا شبابَها بحرارة الشمس وضيائها،تصير الأثمارُ يانعةً فوق الأشجار.

وتعلو أوراقُ الورْد الأشجارَ فى البستان، وتبزغ الألوانُ البديعةُ من الأرض.

وتصبح الخميلةُ بألوانها كأنها رقعةُ ثوب زاهية، ويصبح الهواءُ بروائحها كأنه دخانُ العطار.

ويصبح سامرُ البستان شاديًا لأجل سُهَّار السَّحر على أشجار السَّرْوِ ومتغزّلاً فى المعشوق.

والملوكُ وقتَ النزهة يتبختْرون فى الرَّوضة بين السور والرَّواق.

ويصير البلبلُ مثلَ الناقل والراوى فيصدحُ بأبيات " الرودكى" وغزله فى حقِّ "عيار"[١]

فبالتأكيد لن يكون الراوى[٢] مثلَ "نظامى" فى إنشاد الأشعار فى الوزير "نظام الدين"[٣].

١٠ - الوزيرُ الذى يصير أيضًا مساويًا لـ "نظام الملك"[٤]، وبالتأكيد لا تُعدُّ خدمتُه عيبًا.

مستوفى المُلك، مَلكُ الشرق "محمدُ بن على" ابنُ الأمير الذى هو ملكُ الأبرار.

---

(١) الرودكى، أبو عبد الله جعفر بن محمد ت ٣٢٩هـ شاعر العصر السامانى الكبير وصاحب أول ديوان فيه، و"عيار" هى محبوبته.

(٢) أى الشاعر نفسه "السوزنى".

(٣) الممدوح. ونظامى هو الشاعر السلجوقى الكبير نظامى الكنجوى وسبق الحديث عنه.

(٤) هو أبو على حسن بن على بن إسحاق الطوسى الملقب بنظام الملك ت ٤٨٥هـ وكان من أعظم وزراء السلاجقة ومؤسس المدارس النظامية فى نواحى إيران وصاحب كتاب "سياستنامه" فى كيفية الحكم.

الأميرُ الذى لم يكنْ لأمراء الشِّعر فى وقت النَّظم فكرٌ وقولٌ أفضل من مدحه.

ومَلكُ الشرق يتهيأ فى عمله كالقلم، وينحنى أهلُ القلم أمامه كالقلم.

ذلك الوزيرُ العظيمُ الذى ليس لأرباب القلم على وجه البسيطة وزيرٌ جديرٌ مثله.

وكلُّ من لا يستحسن جدارتَه، يصبح جديرًا برأس سيف المَلك من ناحية طرفه الحادِّ.

يصل لطفُه وكرمُه إلى كافة الخلق؛ فيكون مع القليل والكثير لديه القليلُ والكثيرُ.[1]

يا مَنْ أنت قليلُ المنَّة كثيرُ المروءة، وبمروءتك لا تطلب من أحد حملَ المنَّة لك.

تريد أن تبقى آثارُك فى العالم، لا..لا فأنت ستبقى فى عالم الآثار.

الآنَ فصلُ الربيع، وفى هذا الموسم البهيج يظهر فى الأرض عروسُ "فرخار"[2].

٢٠ - ألا فاهنأ مع "عروس فرخار" واطربْ، وحُكَّ دائمًا عينَ سيىء الطوية من شوك التَّعب.

القلمُ المظهرُ السِّحرَ فى عقد بنانك كأنه الطائرُ الذَّهبى الذى له منقارٌ ذهبىٌّ.

يصير مثلَ الطير مبتهجًا بمنقار خَطِّه الموصلِ الرزقَ إلى السائلين والزائرين.

---

(١) البيت مرتبط فى المعنى بالبيت التالى له مباشرة ولا يُفهم بدونه.

(٢) اسم مدينة تتميز بالفتيات الحسناوات (الديوان. لغات ص ٤٧٣).

صارت رأسُ السَّنة الجديدة وبإقبال مَلك الغرب بذرةَ طربٍ مزروعةً في القلب والروح حتى السنة التالية.

طالما أنَّ عينَ الشَّمس التى تكون فى كلِّ برج، تكون الملكَ وملكَ كلِّ كوكب سيَّار.

فأنت نَبْعُ الشَّمس فأسْعِدْ قلبَك، وكلُّ مكان يهواه قلبُك تخيَّلْه برجَ الحَمَل.

وتَمَعَّنْ فى نور وجنة الحبيب وقلْ: أقبلَت الشمسُ إلى برج الحَمَل كأنها صفحةُ وجه الحبيب.

لو يكون "السوزنى" الشيخُ لك داعيًا، يصبح طبعُه مليئًا باللؤلؤ النَّفيس مثلَ بحر عدن.

وبغير دُرِّ مديحك،لا كان له طَوال عُمْره أن يسحب خيطًا فى ثُقبٍ فى إبرة النَّظم.

ولا طُوِى كتابُ عُمْرِك بيد الفناء، كى لا تصيرَ الدنيا مطويَّةً مثلَ الصحيفة.

فى مدح دهقان على بن أحمد (ص ٨٦ – ٨٧)

١ – بدا هلالُ رمضان فى الأفق كالدائرة، على شاكلة ولون نصف دائرة الدِّينار.

وتكتمل الدائرةُ حينما يصل الشَّهرُ المنتصفَ، واعلمْ أنَّ تمامَ النِّصف إلى الكمال بهذا الفرجار[١].

بدا الفلكُ مثلَ زنجار فى وعاء نحاسى، والهلالُ عليه كأنَّه زاويةٌ محاطةٌ بالزنجار.

---

(١) أى بطريقة محسوبة لا خطأ فيها.

أو مثلُ سمكة ذهبية فى شَرَكٍ مائى لامع، تسعى لتقفزَ منه إلى خارجه.

لم يَصِرْ أحدٌ من الصائمين نحيلاً ونحيفًا، فكيف صار هلالُ رمضان نحيلاً ونحيفًا؟!

صار محدودبَ القامة ذهبيَّ العذار كأنه عاشقٌ، وتخال أنَّه عاشقٌ والهٌ للشمس.

الهلالُ ونبعُ الشمس قوسٌ وترسٌ، واحدٌ من الفضَّة الصافية وواحدٌ من الذَّهب الخالص.

ما السببُ فى أنَّ النَّهارَ والليلَ لآخر شعبان وأول رمضان قد صار كلٌّ واحد منهما فارسًا مترصِّدًا للآخر.

فقد جعل الفلكُ لشعبانَ ترسًا فضيًّا مختفيًا فى الماء، وأظهر لرمضانَ قوسًا ذهبيًّا.

١٠ - وصار هواءُ المغرب من الشَّفق مثلَ وقت المعركة، حينما صار نهارُ ذاك[١] وليلُ هذا[٢] فى حالة عراك.

وهلالُ رمضان بهذه الأوصاف التى شرحتُها، قد هبط من ناحية القِبلة صوب البحر كأنَّه اللؤلؤُ.

وأرسل إلى طبعى لؤلؤًا منثورًا، فنظمتُه فى مدح سيد الأحرار.

سيدِ المفاخر ابنِ فخر الدين أحمد، أبى المعالى الدِّهقان "على القائد".

فَلَكِ المروءة والجُود، افتخارِ الدِّين الذى يكون له كلُّ مفاخرة دين أحمد المختار.

مِنْ كلِّ مَنْ له افتخارٌ بالفضل فى العالم هو الأفضلُ؛ لأنَّ فضلَه يخلو من العيب مثلما يخلو من الافتخار به والمنِّ.

---

(١) آخر نهار فى شعبان.
(٢) أول ليلة فى رمضان.

جمالُ جوهر التراب من حُسْن خَلْقه،يكون لوجنة الحكمة خالاً ولعين السُّوء شوكاً.

المقَدَّمُ الذى حين يجلس متصدِّرًا، يجذب أعينَ النظَّارة كالشمس.

وهو على سماء الفضل والشجاعة والجُود مثلُ الشمس بلا قرين وبلا نـدٍّ وبلا مساوٍ له.

يتمنطق الكرامُ لخدمته أعوامًا وشهورًا، ويطلق الكبارُ ألسنتَهم لمديحه.

٢٠ - العظيمُ الذى يُوجب الاستغفارَ على ذلك العالم الذى يمدحه ويعدد مناقبَه[١].

ولذلك السبب فإنَّه يعتنى بعبده ويلاطفه، فلم أرَ أحدًا يتوانى عن خدمته.

فيفوق الأبرارَ فى البرِّ والإحسان، ويشبه فـى العطـاء "الطـوبى" مـن الأشجار.

لا تكون كفُّه المعطاءُ بغير سخاء وإحسان، ولا تكون شجرةُ "الطوبى" بغير ورق وثمر.

أيها الشخصُ الذى من حُسن صنيعك تبدو الدنيا فى أعـين خلـق العـالم طرازًا للجنان.

قصرُك الشَّامخُ بسبب بهائك له صفةُ الجِنَان، الصفةُ نفـسها التـى تكـون للجِنَان بلا خلاف وبلا غبار.

فى صحيفة عُمْرك لا يُجرى الكرامُ القلمَ على الدفتر لحظةً واحـدةً بغيـر السَّخاء والكرم.

ليس لعدد جُودك وسخائك حَصْرٌ،وعدهُ فى يوم بما يصنعه المستوفون فى عقد.

ما دمتَ المضيفَ الكريمَ، فإنَّه ينزل عليك من الحَضرة كالـضَّيف شـهرٌ عزيزٌ ومكرَّمٌ.

---

(١) أى: من فرط تواضعه الجَمِّ.

جاء إلى ضيافتك شهرٌ ميمونٌ، مقدَّرٌ له أن يكون أفضلَ من كلِّ شهر.

٣٠ - فليصلْك دائمًا من الخالق الذى تفدى الأرواحُ اسمَه نثارٌ ضيفًا على كلِّ لون.

النثارُ الأولُ أن تشملك رحمةٌ ضافيةٌ من تلك التى تشمل بها الضعفاءَ كثيرًا.

النثارُ الثانى مغفرةٌ عن الجُرم والخطأ من الذى تتجاوز عنه للأرقَّاء الخدم.

النثارُ الآخرُ عتقُك من النَّار بسبب تلك الطَّلاقة التى تكون منك لضيفك والحرية.

ليلةٌ واحدةٌ من هذا الشهر الميمون أفضلُ من ألف شهر، فليكنْ مجيءُ هذه الليلة ألفين فى عُمْرك.

تكون من للصائمين من الله دائمًا فرحتان مثلما جاء فى الأخبار[١] .

الفرحةُ الأولى فى الدنيا وقت انتهاء الصوم، والفرحةُ الأخرى فى الآخرة وقت لقاء الله.

ولأنَّه ليس لوعد الله خلافٌ؛ ليكنْ لك نصيبٌ كاملٌ من تلك الفرحتين كلتيهما.

فليكنْ شهرُ رمضان ميمونًا، وإذا جاء العيدُ؛ فليكنْ عيدُك أكثر يُمْنًا من شهر رمضان مائة مرَّة.

---

(١) إشارة للحديث النبوى: "للصائم فرحتان؛ فرحة عند فطره، وفرحة يوم يلقى ربه".

فى مدح فخر الدين أحمد (ص ٨٨ - ٨٩)

١ - أيها المعشوقُ وَرْدى الوَجْنة، ألا فأحضرْ تلك الخمرةَ القانيةَ، التى يصير معاقرُها من شعاعها وَرْدىَّ الوجه.

الخمرةُ التى باحتسائها يصير السَّقيمُ صحيحًا معافًى، والعاطلُ ذا عمل.

الخمرةُ التى تفصل البخيلَ عن الكريم المعطاء، وتظهر الحكيمَ عن السَّفيه.

الخمرةُ التى تشبه الجوهرَ المشعَّ؛ لأنَّ الجوهرَ يظهر خفايا الناس من حُسن وسوء.

أيها المعشوقُ وَرْدىَّ الوجنة خذْ الخمرةَ الناريةَ براحتك، تلك الوردةَ الناريةَ التى تأتى أفضلَ ثمرةٍ على السَّرْو الطَّليق.

كنْ ساقيا ومتبخترًا فى أحضان الخميلة؛ فتأتى الخمرةُ الناريةُ من السَّرْوِ وَرْدى الوجْنة سائغةً.

أخذ السَّاقى يُزَيِّنُ السَّرْوَ الطليقَ حين بدأ المحفلُ، فأنت الملكُ الموفَّقُ سليلُ "صاحب ذو الفقار".

الملكُ الأشرفُ ثابتُ الأركان فى مُلك الشَّرف، وفى أسرته بقاءُ هذا المُلك حتى الأبد.

له انتسابٌ للعظمة بين عظماء الدَّهر، ويمكن أن يُدعى الملكَ "صاحبقران" الدَّهر.

١٠ - "فخر الدين أحمد" الذى سيبعث يوم الحَشْر مع "المصطفى"، فقد عدَّه من نَسْله ونسبه.

وكلُّ مَنْ هو مِنْ نَسْل ونسب آل البيت، يكون فى كلا العالمين آمنًا من الخَسَار ومن البَوار.

أخذ عظماءُ الدين والدنيا الدينَ والدنيا وفقَ هواهم، وتقاعسوا عن هذا وذاك.

بينما جاء "فخرُ الدين" و"أشرفُ" بنسب إلى الحبيب؛ وماذا يكون أفضلَ من هذا؟؛ فهو يصير لهما الحبيب وهو الحبيب.

أيها الملكُ، ارفعْ رايات آل البيت مبتهجًا، حتى يُحضرَ المغرمون بك القلبَ هديةً ونثارًا.

جاء فصلُ الخريف إلى الخدمة حتى يجعل فروعَ الأغصان في الحدائق يومَ محفلك محمَّلةً بالدنانير.

لقد هيأت يدُ رسامي الصين والمطرِّزون ربيعًا بهيجًا في قصرك برسومهم وتطريزهم.

فأنت التاجُ صاحبُ الدولة، ولأجل محفلك ظهر في الحديقة خريفٌ جديدٌ وفي قصرك ربيعٌ غضٌّ.

طالما يكون الربيعُ فصلاً مختلفًا عن الخريف، فإنَّ الحبيبَ يكون جامعًا لكليهما في فصل واحد في القصر والحديقة.

يا مَنْ المخلصون لك دائمًا في سعادةٍ وعزَّةٍ، ويا مَنْ حاسدوك دائمًا في ذلَّةٍ وانكسار.

٢٠ - والحاصلُ "لفخر الدين" ولك من بعضهم البعض مائةُ ألف عزٌّ بلا ذل وفخرٌ أيضًا بدون أيِّ عار.

لا خلافَ على الأصل الطاهر لخاتم الأنبياء، ولا على العزِّ والجاه والفخر والعظمةِ لك حتى يوم الحساب.

العزُّ والجاه والفخرُ والعظمةُ لا تنقطع عنك؛ لأنَّ هذا الأصلَ النَّقي قد اختار "فخرَ الدين".

افْتَخِرْ بالابن صاحب أظهر وأشرف نسب في الدنيا، فأنت أيها الملكُ صاحبُ أشرف سيرة وأطهر شعار بين السادات.

أنت مقتدى المشرق والمغرب فى الجاه والسيادة، وأطهر وأشرف نسب بين جمع السادات الكبار.

وما دمتَ أنت الأطهرَ والأشرفَ،فإنَّ ابنَك يخلف عنك ذكرى حُسْن السمعة ونقاء النَّسب.

طالما ظلَّ مُلْكُ الشَّرف باقيًا على آل البيت، لأنَّه لا يشاركه فى هذا أىُّ مَلكٍ طوال الدَّهر.

فلتكنْ مَلكَ مُلْك الشَّرف وحولك جيشٌ من آل البيت تحت إمرتك وطاعتك.

ولتكنْ أمةُ جدّك أمامَ عرشك مثلَ غلمان الملوك مطيعةً ومتحملةً لطبعك.

فى مدح بهاء الدين بن أسعد الدولة (ص ٨٩ – ٩١)

١ – هكذا جاء أنَّ العارفَ بالنِّجوم[١] قد حَسِبَ أنَّ مَلكَ النِّجوم[٢] الشبيه بالمَلك في بُرج الحَمَل.

حتى إنَّ البستانَ من حرارتها[٣] يطرح نجومًا على الأغصان بلون السماء.

هكذا يصير البستانُ، فمع بُعْده عن السماء صار كأنَّه سحابٌ يمطر نجومًا على صفحة البستان.

"والبلبلُ" يصدح على غُصن البستان، فاستمعْ لصَدْحه العَذْب من تحت الغُصن.

و"السَّرْوُ" ينمو على ضفاف النَّهر، ولأجل ذلك طالما تهتف "الفاختةُ" فوق شجرة سَرْوِ الجدول.

و"القُمْرِىُّ" يبكى على حافة بحيرة الوَرْد شوقًا للحبيب بغير دَمْع العين.

---

(١) أى : المنجِّم.

(٢) أى : الشمس.

(٣) أى من حرارة الشَّمس مَلك النجوم.

يضربون المثلَ بأنْ لا وَقْتَ للمحاباة، وطالما يضربون هذا المثلَ فقد ثبتَ على العشاق.

حانَ وقتُ الورْد، لا تركنْ للمحاباة، فقد ألفْتَ إلى قُبْلةٍ على وَجْنة المعشوق الوَرْدية.

خذْ المحبوبَ فى حضنْك برفق، ولا تدعْ أحدًا ينتزعه من حضنْك.

١٠ - فى شهر "ارد يبهشت"[١] ينمو منبتُ البنفسج والياسمين والشَّقائق من التراب والشوك والحصىٍّ.

وشهرُ "اردبيهشت" يصيح فى السَّاقى: "انهضْ أيها المحبوبُ المقدسُ وأحضرْ كأسَ الخمر تلك"[٢].

كى يتناولها منك وزيرُ المَلك الشبيه بالمَلك فى حكْم العقل.

الوزيرُ الكبيرُ العالمُ العادلُ "بهاءُ الدين"، ذلك الذى يكون الدُّرُّ النَّفيسُ ثمنًا لكلِّ حديث له.

الوزيرُ ناشرُ العَدْل والسلطانُ محترفُ الإنصاف، المسعودُ بسعد المملكة والمسعودُ الطَّالع.

ابنُ سعد الدولة وابنُ سعد المُلك، شريفُ الحَسَب والنَّسَب مثلُ الجدِّ ومثلُ الأب.

وبسبب حَسَبه ونَسَبه ألقى الفلكُ الدَّوارُ الضَّرَرَ فى عين حاسدى أصله.

يا صَدْرَ الدَّهر الذى تُعَدُّ فى عصرك نورَ قلب الكرام وتاجَ رأس الكبار.

الفلكُ الفيروزى اللون تحت فَصِّ خاتمك، بسبب دولة إمبراطور الدَّهر المظفَّر.

---

(١) هو بداية فصل الربيع فى السنة الإيرانية وفيه تتحول الطبيعةُ إلى جنَّة خضراء.

(٢) هذا الشطر الثانى تضمين من إحدى قصائد الشاعر "عمعق البخارى ت ٥٤٣هـ" ، وكان معاصرًا للشاعر "السوزنى" وسيأتى بعد صفحات قليلة حاشيةٌ مفصَّلةٌ عن ذلك مع التمثيل.

لك راحتان هما كفَّتَا ميزان المكرمة، واهبتان الفضَّة الصافية والذَّهب الخالص.

٢٠ – صَقْرُ صيتك محلِّقٌ فى الشرق والغرب من كفِّك اليُمنى ومن كفِّك اليُسرى.

فى يمينك البيعةُ بالسَّخاء، وأضحى يمينُ الخلق ذا عتاد ويُسْر من يسارك.

فى عينك، التى أبعد الله عنها عينَ الحاسدين، حديثٌ مثلُ الذَّهب العزيز، والذَّهبُ عزيزٌ ذليلٌ.

يُتاح لأهل القول بمدحك الذى يكون الشِّعرُ رسمٌ إليه وطريقٌ وشعارٌ.

الشهرةُ هكذا عارٌ، لأنَّه لا يكون من بعد ذلك شهرةٌ، والفخرُ هكذا عارٌ، لأنَّه لا يكون من بعد ذلك فخرٌ.

فى حديقة عُمْرِ"السوزنى" صار اليومُ فى السَّبعين أيها الصَّدرُ سنةً بفصولها الأربعة.

ومادام لا يتسنَّى لسَبْع عشرةَ عامًا تصويرُ حوراء الرَّبيع على صفحة سجل أعمالى.

فقياسًا على ذلك، لك عليَّ منَّةٌ عظيمةٌ لا يتسنَّى وفاؤها لك طَوال العُمر.

فأنا المقصِّرُ فى شكْر نعمتك بسبب الشيخوخة، والشُّكْرُ جعلنى صيدًا لصقر برِّك.

طالما يكون الشُّكْرُ صيدًا فى مكان صيد الحَسْناوات لعاشق للشفاه سواء فى السِّر أو فى العَلَن.

٣٠ – فكن صائدًا للشكر فى مكان تقبيل الحسناوات طالما أنت المتصدِّرُ ولك إقبالُ الوزير.

طالما فى لغة العرب "بستان" هى الجنَّةُ، واسمُ البُلبل فى البستان "هزَار".

وطالما الشَّاعرُ هزارٌ يصدح فى بستان مَدْحك ألفَ مرَّة مثلَ البلبل.

فلتكنْ السَّنواتُ الباقيةُ لعُمْرك أكثرَ من النجوم التى حَسِبها المنجِّمُ مائةَ مرَّة.

فى مدح سعد الملك (ص ٩١ – ٩٢)

١ – يا مَنْ للعالم تذكارٌ من "سعد المُلك فخر الدين"، فتهيَّأ[١] لحكمه مثلَ سعْد المُلك.

جعل طالعُ "مسعود قلج طمغاج خان" المسعود لك اسمَ مسعود مصاحبًا لألقاب سعْد المُلك.

حتى استقرَّ مُلك السعادة عليك يا سعَد المُلك باسم المَلك سعد النجم مسعود الطَّالع.

أنت بابُ السَّعادات، ووارثٌ حقًّا ثلاثةَ ألقاب لسَعْد المُلك، فَاحْيَ بحُسْن سُمعة كلٍّ واحد.

صارت أسرةُ سعد المُلك بتصدُّرك المبارك معمورةً بالسَّعد عامرةً بسَعْى المَلك.

"لو أعاد الدَّهرُ ماءَ المجرى للمجرى، فقد عاد إلى مجراه بسبب تقلُّب الدَّهر أيضًا"[٢].

لو حلَّقتَ من عُشٍّ المنشأ على هواء مَلك تركستان مختارًا مثلَ الصَّقر النَّجيب وطائر "الهُما".

لصار لك من المَلك ريشٌ وجناحٌ، وبهما عدتَ وألقيتَ[٣] بظلِّه الوارف علىَّ وعلى أسرتى.

---

(١) الخطاب موجَّه للمدوح سعد المُلك.

(٢) جاء هذا البيتُ فى الديوان بين علامتى تنصيص ليدلَّ على أنَّه ليس للشاعر، وقد ذكره فى شعره على سبيل (التضمين) ولم أجد أىَّ إشارة لصاحبه سواء من المحقق أو من استدركات الأستاذ جلال الدين همائى على الديوان، ولم أستدل على صاحبه من ناحيتى.

(٣) الشاعر هنا عطف الغائب (فكند)على المخاطب (بازگشتى) وهى إحدى سماته الشعرية، وقد أشرنا إليها فى دراسة الديوان.

ويكون ظلُّ رعاية جناحك وريشك وإقبالك هو آل سعد المُلك الماضى من الصغار ومن الكبار.

١٠ - وقلمُك زينةُ المُلك لا يوقّع إلا بالعَدْل، وقلبُك لا يقبل الظُّلْمَ فى أى عمل وأى أمر.

أنت ربُّ سماء الهمّة، وسيكون للسماء مدارٌ على وجه البسيطة وفقَ مرادك.

حينما تصير من دورة السَّماء ظلمةُ اللَّيل ظاهرةً وكذا نورُ النَّهار فبسَبَب دواتك وورقك[١].

طالما يصير وجهُ النَّهار مزيَّنًا من ضفيرة الليل؛ فإنَّ قلمَك يصير مشَّاطةً تعقدها على صَدْر ذلك المحبوب.

لو[٢] يختفى النَّهارُ والليلُ من مدار السماء ويصير من سنِّ قلمك اللَّيلُ[٣] ظاهرًا على النَّهار[٤].

فإنَّ الليلَ يطلب دائمًا الفرارَ من النَّهار من مدار السماء، وينزوى دائمًا النَّهارُ من الليل.

ويكون كلُّ خطٍّ من قلمك على الورق بحسَاب، مثلَ ليلة القَدْر التى تَتَحاشى يومَ عيد.

تكون رؤياك للخَلق عيدًا بلا خوف أو وعيد، وحبُّك فى كلِّ قلب خمرٌ بلا ألم صُداع الرأس.

---

(١) هنا "مراعاة نظير" بين سواد ظلمة الليل وسواد حبر الدواة، وبياض نور النهار وبياض صفحة الورق.

(٢) فضلتُ استخدام أداة الشرط (اگر) بمعنى (لو) التى جاءت فى حاشية الصفحة لتمام المعنى.

(٣) أى : الحبر.

(٤) أى : الورق.

مجلسُك قِبْلةُ أبناء الأيام؛ ذلك لأنَّ العطاءَ فى أيامك لا يتوفر لأىِّ وزير آخر.

لا تجد السَّماءُ مطلقًا من جمال طَلْعة الشَّمس السَّاطعة تلك الزينةَ التى يجدها العرشُ منك يومَ الدعوة العامة.

٢٠ - حين تتَصدَّر المجلسَ هكذا يصير كفُّك المعطاءُ سيلاً من السحاب ماطرًا الدِّينارَ على السَّائلين.

أنت عبدُ الله تعالى وصار قلمُك مُسَاقًا؛ لأنَّ كلَّ عبد لله يصير موضعَ عنايةٍ منك.

"السوزنى" ربيبُ إنعام عمِّك وأبيك، وعليه قولُ الشكر لنعمة هذا وأداءُ حقِّ ذاك.

لو تسمع منه مِدْحَةً على سبيل التَّذكار، ستمتطى صهوةَ بُراق سُنَّة العَمِّ والأب.

ألا فاهنأْ أيها المَلكُ؛ فالمشرقُ سعيدٌ بطلعتِك، وعِشْ طويلاً يا مَنْ حديقةُ عُمْرك محمَّلةٌ بفاكهة الخلود.

طالما سينظر نجمُ سعد الفَلَك إلى شخص، وطالما يكون لأحدٍ رغبةُ النَّظر إلى سعد الفَلَك.

فليكن(١) السَّعدُ الأكبر والأصغر(٢) ناظرًا إليك، وناظرًا أيضًا على أحبابك من الصغار ومن الكبار.

حظُّك السَّعيدُ يقرأ على قصرك : "خير دار حلَّ فيها خير أرباب الديار"(٣).

---

(١) فضلتُ الصيغة الدعائية (باد) بمعنى (ليكنْ) التى جاءت فى حاشية الصفحة لتمام المعنى .

(٢) هما المشترى والزُهرة.

(٣) هذا البيتُ من فنِّ (الملمَّع) شطرُه الأول فارسى وشطره الثانى الواقع بين علامات التَّنصيص عربى وذكرته كما جاء فى الديوان.

كلُّ مَنْ يكون لك محبًّا، لا كان صيدًا للغَمِّ، ذلك لأنَّك تكون محبًّا للملك وصائدًا للعدوِّ.

فى مدح ملك الدهاقين (ص ٩٢ -٩٤)

١ - خرج إلى العيد ذلك المعشوقُ مزيَّنًا كلَّه من المفرق إلى الأخمص بزينة الرَّبيع.

على الشاكلة التى قال كلُّ مَنْ رآه: ما سبيلُ الرَّبيع معه؟! وما أمْرُ العيد حيالَه؟!

هبَّتْ جَلَبةٌ بين طائفة الورْد بسبب عارضه[1] واضطرابٌ بين سَرْوِ النَّهر بسبب قامته.

خرج إلى مكان العيد كأنه السَّرْوُ ذلك الوَرْدىُّ الوجنة ممتطيًا صهوةَ برقٍ ملوَّنٍ كأنَّه البراقُ.

وإذا ترجَّل ذلك المعشوقُ كان السَّرْوَ المحمَّلَ بالوَرْد، وحينما صار راكبًا، فقد حَملَ الوَرْدُ مغيرًا على السَّرْوِ الكثيف.

وحين سحب السَّهمَ والقوسَ من الكنانة والجُعْبَة، جاءت العلامةُ واضحةً أمام ذلك المعشوق.

له سهمٌ وقوسٌ وقبضةٌ وساعدٌ واحدٌ، وله ألفُ سهم وقوس لَحْظ وحاجب.

شمَّرَ عن ساعده للذبح قبل صلاة العيد، وجرحَ قلبَ العشاق بسَهم اللَّحظ.

مَنْ رأى هذه السُّنَّةَ الجديدةَ التى سَنَّها المعشوقُ التَّترى بأنْ يذبح بسهم اللَّحظ قبل صلاة العيد؟!.

١٠ - وقلتُ له: لقد سَنَنْتَ سُنَّةً جديدة حين ذبحتَ العشَّاقَ بسهم اللَّحظ، وكان هذا اختيارَك أنت.

---

(١) فضلتُ ما جاء فى الحاشية للشطر الأول من البيت؛ لأنه يناسب فى التصوير ما جاء فى الشطر الثانى.

فأظْهِرْ سهمَ السَّاعد لأجل الذَّبح؛ فقال: لا يظهر لعدوِّه افتخارٌ بذلك.

هو ابنُ مَلك الدهاقين "على" الذى له عند المَلك مكانةٌ عاليةٌ ومنزلةٌ.

هو شمسُ سماء المعالى والمرتبة، وكلُّ الدِّيار منيرةٌ من نور محيَّاه.

يشع نورًا على العالم كلّه كالشمس، حين يتصدَّر المجلسَ كأنَّه "جمشيد".

وحين كان للشمس شرفٌ ببرج الحَمَل، فاعلمْ أنَّ له شرفًا زائدًا عن ذلك ألفَ مَرَّة.

من حيث القَدْر، فهو عظيمُ الشَّأن كالفَلك، ومن حيث الحِلْم، فهو متحمِّل على وضع الأرض.

تشبه راحتُه سُحبَ الربيع وقتَ السخاء، لو يكون سحابُ الربيع واهبًا للذهب وناثرًا للدُّرِّ.

أثْمَرَ للخَلْق من نسيم خُلقه غُصنُ شجرة الدولة والإقبال.

جعل الإنعامَ والبِرَّ على حَسْب رزق الخلق، ولا يفرِّق بين عبيده فى عنايته.

٢٠ - أنت يا مَنْ نال أهلُ العَصْر فى عهد حُكمك سعادةً وإقبالاً بلا عدد.

وصل منك من حقِّ كلِّ واحد جُودٌ بلا قياس، ووصل إليك من كلِّ واحد شكرٌ بلا حصر.

ولم يأتِ حتى الآن من كلِّ جَنَبات الدُّنيا نظيرُك فى حُسْن السُّمعة بين العظماء.

ولذلك طالما تقود الدنيا بالسُّمعة الحَسَنة، فإنها ترعاك فى أحضانها بشغف كالدَّاية.

لو تريد صاحبًا طيبًا؛ فامضِ بسُمعة طَيِّبة، فلم يَعُدْ مطلقًا ذلك الرفيقُ الذى له سمعةٌ طيبةٌ.

العظماءُ كُثْرُ لكنْ ليس بينهم حَسَنُ الطَّالع مثلك، والورودُ عديدةٌ، وليست كلُّها محققة الرِّغبات مثلك.

كنْ في حديقة العظمة مثلَ الوَرْد محقِّق الرَّغبات، كي ينال الأحبابُ رائحتَها والحاقدون شوكَها.

جعلتَ سُنَّةَ العيد هو الاحتفالَ بعيد الرَّبيع أيضًا في بيت الربيع الشبيه بمعبد الربيع[1].

غَنِّ للساقى وأنشدْ هذا البيتَ:"انهضى أيتها الحوراءُ وأحضرى تلك الكأسَ من الخمر".

فشَهْرُ" ارد يبهشت" فى غُرَّته فأحضر الصَّبوحَ أيها الرسولُ :" لأنَّ ارد يبهشت جعل الدنيا كأنها الجنة"[2].

٣٠ - اتْرَعِ الرَّاحَ مع المطرب الصدَّاح، فى الموسم الذى يَفرُّ فيه الغرابُ هاربًا من الرَّبيع.

فى مدح على بن حسين بن ذو الفقار (ص٩٤-٩٦)

١ - يا إمبراطورَ الشرق ومَلِكَ "آل ذو الفقار"، أنت سَمِيُّ المَلِكَ "ذو الفقار"ورفيقُ عراكه.

يوم الوغى تُثنى روحُ "علىٍّ أسدِ الله" على " ذوالفقار" وعلى ساعدك.

---

(١) هو معبد للربيع يقام فى مدينة "بلخ". (فرهنگ عميد)

(٢) الشطر الثانى من كلا البيتين هما مطلع قصيدة للشاعر المعاصر "للسوزنى" هو الشاعر "عمعق البخارى ت ٥٤٣هـ" والبيت هو:

خيزاى بت بهشتى وآن جام مى بيار   كارد يبهشت كرد جهان رابهشت وار.

ولمزيد من المعلومات عن هذا البيت وقصيدته وشاعره "عمعق البخارى". ارجع إلى كتابنا عنه بعنوان :" مقدمات القصائد فى شعر عمعق البخاراى". دراسة فنية تحليلية ١٩٩١ طبع مكتبة الشباب. والبيت والقصيدة فى ص ١٦٨ من الكتاب نفسه.

فى قتال "علىٍّ" قالت الرُّوحُ من الهواء :" لافتى"، وحين صار "ذو الخمار" مقتولاً من "علىٍّ" قالت :" إلا علىٌّ"(١).

والآنَ، الرُّوحُ نفسُها هى المنادى والسَّاعيةُ إليك؛ لأنَّ اسمَ "حسين بـــن ذو الفقار" حَىٌّ بك.

الرَّعيةُ هى شمسُ حملة حشمك، وعددُ قادة الجيش يفوق عددَ ذراتها.

رمحُك يشع نورًا كالشَّمس، حين تتصدَّر المجلسَ كأنك "جمشيد".

يكون قرارُ المُلك فى صفحة حسامك، ولا يكون لحسامك قرارٌ فى الغمد.

أبطال الجيش فى خدمة ركابك بهمَّة "تهتمن" وقوَّة "اسفنديار".

كلٌّ واحد منهم وقتَ العراك عاتٍ كأنَّه ريحُ صرصر، وبطلٌ صنديد فـــى الحملة كأنَّه "الإسكندر".

١٠ - وذلك الذى وقتَ المبارزة يقع فى مبارزة مع أقلِّ غلام لـــك يكـــون حالُـــه التَّوجُّعَ.

ويقع فى يوم الوغى فى مرج الأسود خوفًا وهلعًا ورعبًا من أسد رايتك.

وحين يَشْحَذُ أسدُ الأجل قبضتَه للقنص، ليس لنَهَمـــه شـــبعٌ إلاَّ فـــى قتـــال عدوِّك.

من تأثير عدلك، الغزالُ مع رضيعه يأمر الأسدَ فى أعماق الأدغال.

أمام سنان رمحك المذيب للصلب، يكون الحـــصنُ الحديـــدى مثـــلَ بيـــت العنكبوت.

فى القتال أنت الفارسُ على صهوة حصان يَعْدو على خيط عنكبـــوت فـــى مواجهة تنين هائج.

---

(١) إشارة إلى الحديث الشيعى:" لا فتى إلا علىّ ولا سيف إلا ذو الفقار".

ويكون آمنًا فى حصن حديدى، ذلك الذى يتعلَّق بخيطـين مـن عنكبـوت هيبتك.

كلُّ عدوٍّ أضْمَرَ فى صَدْره الحقدَ عليك، فإنَّ سِرَّه قد صار فاشيًا على لسان خنجرك.

أنت فى القتال "رستم بن دستان" وإن استخدم خصمُك الحيلةَ والخداعَ مثـل الدَّهر.

وتخال أنَّ إمامَ القول "رشيد"[1] قد قال فى شأنك :" يا مَنْ أنت رسـتم بـن دستان العَصْر وقتَ القتال".

٢٠ - ترك ذلك العَصْرَ بمحض إرادته[2]، لأنَّه اختار خدمَتك من عصرك.

ليس للبحر وللجبل عدٌّ وحصرٌ للحظة سخاء واحدةٍ ليمينك وليسارك.

لا تكون يمينُك ويسارُك بغير إنفاق للذهب، حتى تكون قد علمتَ يمينَك من يسارك.

فى عين همَّتك، التى بَعُدَتْ عنها عينُ الـسُّوء، تكـون الفـضَّةُ الـصَّافيةُ والذَّهبُ الخالصُ بلا خطر.

من كثرة ما يُعطى خازنُك الذَّهبَ إلى الزُّوار، تكون راحـةُ يـده المليئـةُ بالنَّقش مثلَ المحكِّ.

لو تهبُّ رياحُ سخائك على الأرض، تنثر خزانةَ قارون على سائلك.

ولاية "توران" فى عهدك أكثر عمرانًا؛ لأنَّ إقليمَ "توران" صار من عَـدْلك كأنه الجنَّة.

اطلبِ الرَّاحَ مع عُصاة توران، يا مَنْ خمرُ هواك بغيـر قـسوة صـداع السُّكْر.

---

(١) يقصد رشيد الدين الوطواط المعاصر للشاعر السوزنى.

(٢) المعنى يحتِّم أنه يقصد البطل الفارسى القديم "رستم بن دستان"..

طالما أميرُ مجلسك يخاطب السَّاقى :" انهضى أيتها الحوراءُ وأحضرى إلىَّ تلك الكأسَ من الخمر"[1].

وطالما تصير السماءُ على شاكلةٍ تشبه المعسكر،نجومُها مثلُ العسكر وشمسُها الملِكُ.

٣٠ - فليزدْ جيشُك عن النجوم، ويستولى على الدنيا بأسرها.

أنت قد نشرتَ فى كلّ إقليم وديار نورَ العدل مثلَ شمس السماء الشبيهة بالمَلك.

فلتزد ألفُ سنةٍ من السَّعادة والحبور ألفًا على كل واحد من ألف.

فى مدح أبى العلاء عمر بن محمد بن علاء (ص٩٦-٩٨)

١ - لم يُنشدْ شاعرٌ مديحًا جديرًا بالثناء سوى فى مجلس حضرة سيد الوزراء.

"أبى العلاء عمر بن محمد بن علاء"، الذى طمح إلى العُلا بما لديه من رأى وهِمّة عالية.

الأجلُ الصَّاحبُ الذى من جاهه وحُرمة خَطوه تشمخ الأرضُ صوبَ السَّماء.

صفىُّ الدولة الخالدُ الذى تلثُم الدولةُ أعتابَه بقلب صافٍ مثل الحجيج فى الصَّفا.

معينُ الملَّة الخالدُ الذى بغير عونه تكون الملَّةُ فى خطر؛ فهو يغيِّر الفناءَ إلى بقاء.

فالعالَمُ شيخٌ طاعنٌ يتّكئُ على قلمه، مثلما يكون للشيخ إتِّكاءٌ على العصا.

لا يكون للزمان أىُّ رغبة وأىُّ هوى سوى ماله من رغبة موفقة وهوى ممتع.

(١) هذا الشطر للشاعر "عمعق البخارى" وسبق الإشارة إلى ذلك.

أمام رأيه الناصع تبدو الشمسُ على الفَلك الرابع حقيرةً بوضوح مثلَ الغُبار فى الهواء.

وَضْعُ خِصمه مثلُ الغبار فى الهواء، ولا يمثل خطرًا عليه وَضْعٌ هو مجرَّدُ غبار فى الهواء.

١٠ - اختار الفَلكُ شمسَ هواه على الشاكلة التى أصابت قلبَ حاسده بالألم وبالبلاء.

ربط بيننا والدنيا عهدٌ له من حُسْن العهد، فهو يمضى فى حُسْن العهد على طريق الوفاء.

هوى خَصْمُه، فرفعَه عاليًا، ولكن بيدِ الإذلال والهوان ليعلِّقَه على مشنقة الألم والعناء.

ويتعثَّر تابعُه فينهض به إلى عرش العزِّ والغنى لأجل راحته ومتعته.

لا يلوى أحدٌ وجهَه عن خدمته، حتى لا ينال مائةَ لطمة من الفَلك على وجهه وقفاه.

لم ينْحَنِ ظهرُك بعد، بمعنى أنَّ لك استقامةً تفوق مالدَىّ، ودائمًا ما يحمل حاسدُك[1] المقوَّسُ الحَسَدَ لقدِّك المستقيم [2].

لدن العقل يكون لخدمتك فتحُ قيد القِباب مثلما عَقْدُ الزِّنار على القَبَاء[3]

فى حديقة القَدْر، يعلو قَدُّ حشمته وجاهه الشبيه بالسَّرْوِ الطَّليق قَدْرًا ويصل إلى الفرقدين والسُّها[4].

---

(١) هنا إلتفات من المخاطب إلى الغائب وهو يكثر فى شعر الشاعر، وأنا أترجمه بما يقتضى المعنى والأسلوب العربى فى التعبير.

(٢) فضَّلت استخدام ما أشار إليه "جلال الدين همائى" فى(مستدركاته على الديوان ص٤٠٢) فى هذا البيت لوضوح المعنى. ويفهم من البيت أن الممدوح طاعنٌ فى السِّن منحنى الظَّهر.

(٣) الملحوظة السابقة . والبيت يشير إلى تنوع مظاهر الخضوع له.

(٤) الفرقدين: نجمان قرب القطب الشمالى، والسُّها: نجم فى الدب الأصغر.

إن لم تُوجد على سمائه شمسُ السَّماء؛ فالسُّها قد أصـــابها الحـــسرةُ علـــى شمس السماء[1].

هبَّت ريحُ الصَّبا ولكنها لم تحضر عن طريق الحدائق والبساتين، طالما لم يَهُبَّ نَسيمُ خُلقه من خلالها.

٢٠ - والعُشْبُ لو يتقاطر عليه قَطَراتُ عنايته لا يصير يابسًا من حرارة الصيف والخريف.

ولا يكون "وامق" عاشقًا لوجه "عذراء" على شاكلة كفِّه المعطـــاء العاشـــقةِ للسخاء.

الشخصُ الذى لا يرى كفَّين فى كفٍّ ثُريا السَّماء، لم يَرَ كفَّه المعطاءَ وقتَ العطاء

لو كان يجدر لكلِّ شخصٍ عطاءٌ منه فى إثر عطاء؛ فإنَّه يكون لديه من كلِّ شخصٍ ثناءٌ فى إثر ثناء.

يا مَنْ يتباهى الزَّمانُ بكونه عبدًا لك؛ فأنت الوزيرُ المطلق ولك الـــصَّدارةُ والبهاءُ.

لو يريد أقلُّ عبد لديك أن يأخذ وزارةَ تلك الدنيا، فكيف للعبيد بقيمتها.

فإنَّ قلمَك الشبيه بالسهم يهب إليه واحدًا من مُلكين لك، طالما هـــو عـــونٌ للملك الموفق.

لا مكان للخطأ مطلقًا من سنِّ قلمك إلى مُلك خراسان عن طريق "الـــصين" و"الختَن".

رُعبًا من قَلمك، يهرب "عطارد" الفَلك إلى "الشمس" فتحرقه، فكيف يكـــون الخطأُ فى خَطِّه؟!.

---

(١) أى : المحدودة أمام نور الممدوح الساطع. ولقد فضَّلتُ فى البيت ما أشار إليه "جلال الـــدين همائى" فى "مستدركاته على الديوان ص٤٠٢".

فصلاحُ المُلك يكمن كلُّه فى قلمك، ويمكن نَشْرُ هذا الحديث على الملأ.

٣٠ - أشاهد كلَّ خَلْق الله فى حالة شكر بسبب خُلقك، والله يعلم أنَّ أىَّ نعمة لــك إلينا هى منه.

يفتح الخلقُ الألسنةَ والأكفَّ بالدُّعاء لأجل دوام جاهك.

طالما لا يختارون لأحدٍ الفناءَ على البقاء، مثلما لا يكون لأحــدٍ أن يختــار السُّخطَ على الرضا.

فليكنْ بقاؤُك برضا الله، وللعدوِّ الضَّربُ بسوط سخط الأجل علــى طبــل الفناء.

فليكنْ البقاءُ ألفَ سنة زائدة فى هذه الدنيا التى لم يَرَ ولن يَرَى أهلُها مثــيلاً لك.

فى مدح الصاحب العادل ضياء الدين (ص٩٨-٩٩)

١ - وصل من طالع المَلك "سنجر" السَّعيد إلى الوزير الصَّاحب العــادل"ضــياء الدين" رسولٌ يحمل رغبةَ القلب للقائه.

فذهب إليه على الطَّالع الميمون وآبَ من عنده بالفأل السَّعيد، وكان الذهابُ لائقًا بذلك الطَّالع والإيابُ ملائمًا بهذا الفأل.

فَزِيدَ لعظماء خراسان من حُسْنه جمالٌ وورونقٌ وزينةٌ ضياء وصفاءٌ وهيئةٌ وبهاء.

وزِيدَ له من طاعة سلطان السلاطين عظمةٌ وحشمةٌ ودولــةٌ نعــيم ودلالٌ وتوفيقٌ وشوكةٌ.

فوَصلَ العظماءَ ونالَ خِلْعةَ السُّلطان، والعظماءُ هــم الطريــقُ للــسلطان الراعى لأتباعه.

فيجعل كينونةَ الطريق للسلطان مدلّل أتباعه على شاكلة أنّ الدنيا تخدم ذلك الذى قصد المَلكَ خادمًا مخلصًا.

فذهَبَ للسلطان خادمًا وصار سيِّدًا لخراسان، ويليق خادمٌ مخلصٌ مثلُه للسلطان أن يكون سيِّدًا لمائة إقليم.

لو تَهْمى قطراتُ عبَرات هِمَّة الصَّاحب على الشوك اليابس، يصير الغصنُ مثلَ الفَلَك الأخضر(١) وورقُ الورد نجومًا.

حينما صار الصَّاحبُ خاضعًا لطاعة السلطان، فبغير السلطان والصَّاحب صار له المطيعُ والمأمورُ بأمره.

١٠ - وحينما يكون فى بستان همَّة السلطان غُصنٌ مثلُ "ضياء الدين"، ويكون جزءًا من الصَّاحب، فأىُّ ثمارٍ يحمله سوى السعادة.

من طالع الصَّاحب العادل أنَّه يهتمُّ بكلِّ مهمة، وأنَّه موضعُ ثقةٍ فى أداء كلِّ شئ سوى المعجزات.

والشخصُ الذى ينكر طالعَ الصَّاحب فى أمور الدين الإلهى وشغل المُلك السلطانى يُعَدُّ شخصًا سيِّئًا.

أيها الابنُ الحكيمُ الذى تَحْظَى فى دولة الصَّاحب بإقبال أبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ كالأخ.

أيها الابنُ، يليق بطلعتك الميمونة أن تكون شابًّا كريمًا وعادلاً وعالمًا امتلك زمامَ الأمور(٢).

أنت للصاحب قلبٌ وسندٌ، والصاحبُ لخلق العالم، وليس للصاحب ابنٌ مثلُك وليس للعالم عظيمٌ مثله.

---

(١) أى : السماء.

(٢) حرفيًا: نال الصَّقرَ من رأسه.

أنت ذلك الشَّريفُ المحتدِ العظيمُ الذى أمام كفِّك الجواد، يصاب ذلك السَّحابُ الذى تكون أمطارُه من الجوهر بالخجل.

أنت فَلَكُ همَّة المُلك، ورأيُك زينةُ العالَم، مثلُ شمس الفَلَك الأعلى ناشرة الشُّعاع والضِّياء.

من رأيك المنير للعالم ولخلق كلِّ العالم، صار الافتتانُ برأيك مثل النيلوفر بالشمس.

حتمًا ذلك السَّائلُ الذى يبسط الكفَّ أمامك مثل النيلوفر؛ فمن إحسانك يضع الشمسَ على الكفِّ مثل النيلوفر.

٢٠ - لن يرى حاسدُ جاهك يومًا مضيئًا؛ بمعنى أنَّه بلا نصيب من ضياء رأيك مثل الخفاش من نور الشمس.

ليس لعين عدوِّك ضياءٌ حتى الآن؛ فوكْرُ الخفَّاش لا يكون فى عين الشمس.

أنت مَلَكُ الخلق وفَلَكُ القَدْر، وحياءً منك لا يُفتح ساعدُ الملك بالسَّخاء ولا ينفتح للفَلَك قوسٌ من دائرته.

لو ترغب فى رؤية "زُحل" بعين همَّتك؛ فلا تنظرْ إليه من خلال حدوة نَعْل جوادك الميمون.

يجعل الفلكُ عرشَك على مفرق "زُحل"، لأنَّه يجعل رُمْحَكَ له وسادةً، ويتخذ فراشَه على ثَرى بابك.

الشخصُ الذى لا يدرى أين حُسْنُ الطَّالع، حتَّام يبحث عنه ؟! لسَوْفَ يأتيه نداءٌ من بلاطك: ابحثْ هنا ولا تَتَجاوزْ هذا المكانَ.

ليس للدنيا بهاءٌ بدونك خاصةً أنَّك حضرةُ الصَّدْر، وإنْ لم تصدِّقْنى؛ فسلْ العامةَ وعسكرَ الجيش.

إذا كان الإنسانُ عبدَ الإحسان؛ فكلُّ مَنْ تقع عليه عينٌ لا تعدُّه يقينًا سوى عبد إحسانك.

كانت الحضرةُ بدونك مثلَ جهنَّم وفراقُك مالكًا وهجـرُك شـرابَ غسلين وشوقُك حُرْقَةَ النَّار.
والآنَ، صارت الحَضْرةُ كالجنَّة ووصالُك رضوانًا وغلمانُك نسيمَ الخُلد وكفُّك المعطاءُ الكوثرَ.

٣٠ - ويحتمى الرعيَّةُ الآن فى جاهك وقد ارتاحوا مثلَ أهل الجنَّة من كلِّ ألوان البلاء والشَّر.
يريدون لك بقاءَ العُمْر وللصاحب جاهَ الدَّولة، ولأنهما خالدان؛ فليكنْ لك نصيبٌ فيهما.
ألا طالما يكون الابنُ ساعيًا للاحترام في قلب كل أب فى الدنيا؛ فكنْ ذا مهابة ومزيلاً للغَم وجالبًا للمتعة.
فليكنْ قلبُ أبيك مفعمًا بالسَّعادة والبهجة بسببك؛ فأنت ذلك الابنُ المُسْعِدُ المبهِجُ حتى يوم الحَشْر.

فى مدح سعد الدين عمر (ص ١٠٠ -١٠١)

١ - فاضت الفضَّةُ[١] منِّى على معشوقي بلون الفضَّة ، أجل .. فأنا فضِّيُّ المطر[٢] ومعشوقي فضِّيُّ الصَّدْر[٣] .
لو المعشوقُ سمَّانى عاشقَ فضَّته – فهو محقٌّ – فأنا أعلم أنَّ له صَدْرًا فضيًّا.
لم يبقَ معى من ذلك المعشوق فضىِّ الصَّدْر سوى النَّقش المحمَّل بالفضَّة عليه[٤].

---

(١) أى : الدَّمع.
(٢) أى : الدَّمْع الغزير.
(٣) أى : بالغ الحُسْن.
(٤) أى : الدمع.

وما إنْ صَيَّرَ المعشوقُ وجهى ذهبيًّا[١]، حتى قال : لتعلمْ أنَّ المنَّـــةَ منِّـــى وليس للذهب.

فالمعشوقُ الفضِّىُّ ذو القامة الصنوبرية ، له صدرٌ فضِّىٌّ على قامة صنوبرٍ فضِّى .

الفضَّةُ مختفيةٌ بسبب القمر[٢] والمسك[٣] والوَرْد[٤] والنَّرجس[٥] والــبَقْس[٦] والمرجان[٧] والدُّر[٨] .

نرجسُه[٩] سهمٌ فى قوس الحاجب، ومن كلِّ جَذبةِ سهمٍ له هى سنانُ رمح وطائرٌ.

ليس ثمة ضررٌ من كلِّ سهم لنرجسه[١٠] ، طالما أنَّ لـــه هـــذا المرجـــانَ السُّكَّرىّ[١١] .

حين يضحك فله مرجانٌ[١٢] ملىء بعصير الرُّمَّان ، وحين يتحدث فحديثُه السُّكَّرُ.

١٠ – حول وَرْده[١٣] مسكٌ[١٤] وبقسٌ[١٥] ممتدٌّ ، وعلى قمره[١٦] دائرةٌ[١٧] تــشبه طوقَ القُمرى .

---

(١) أى : شاحبًا .
(٢) أى : الوجه.
(٣) أى : الطُرَّة.
(٤) أى : الوجنة .
(٥) أى : العين.
(٦) أى : نبْت الشَّعر.
(٧) أى : الثغر.
(٨) أى : الأسنان.
(٩) أى : عينه.
(١٠) أى : رمش جارح.
(١١) أى : الثّغر العذب.
(١٢) أى : ثغر.
(١٣) أى : وجنته.
(١٤) أى : ضفيرة.
(١٥) أى : نبْت شَعر.
(١٦) أى : محيَّاه.
(١٧) أى : شَعر.

فذلك خَطٌّ وضفيرةٌ وليس بقْسًا ومِسْكًا ، يحمل من المسك رائحتَه ومن البقس حُسْنَه.

على الوجنة الوضّاءة لأمير الحِسان ذلك ، حُلكةٌ وتجعيدةٌ متداخلتان[١] .

تشبه حقًا خَطَّ الأمير العميد سيد الكتاب " سعد الدين عمر " .

ذلك الذى يكون لدواته وورقه شَبَهٌ ببحر من المسْك للأولى ، وبصَدْر من الفضّة للثانية .

فيصير من كمال عَدْل مَلك البحر والبَرّ ، نصيبٌ لهذا البَرّ من ذلك البحر[٢].

ويصير من بنانه فى البحر والبَرّ سمكةٌ أو ملاكٌ جسدُه من الفضّة ورأسُه من المسْك.

يا مَنْ هامةُ أهل الفضل فى خطِّك ؛ فخطُّك تاجٌ لهامة أهل الفضل .

فيصير متوَّجًا مثلَ دواتك ، كلُّ مَنْ يتمنطق مثلَ القلم لخدمتك .

فخدمةُ صَدْرك واجبةٌ من أعماق الروح على كلِّ خَدم المَلك المتوَّج.

٢٠ – فطالما أنت عميدُ المملكة ، فيكون اعتمادُ المظلوم على قلمك المنصف .

يصير طَرْفُ كُمِّ ثوب السائلين والزّائرين لأعتابك مليئًا بالذّهب والفضّة.

بلاطُ مَلك المشرق مُزَيَّنٌ أكثر بك ، لأنّه فى ذلك فَلكٌ من القمر والشّمس .

الحكماءُ يزينون بمديحك الدّفترَ بالألفاظ الغُرر.

الدفترُ بدون مديحك دُفٌّ مُهْمَلٌ ، والدُّفُّ المهملُ لا يطرب أحدًا .

صار " للسوزنى " فى ثنائك ومديحك حديثٌ أكثَرُ رقّةً من الإبرة .

فهو يسحب خيطَ الفكرة بالإبرة حتى ينظم بالخيط الدُّرَّ والجوهرَ .

ولو ينال قبولاً من إقبالك يحطّم بالإبرة فكرةَ البلطة .

---

(١) أى : ضفيرة سوداء اللون مصفوفة مجعَّدة .

(٢) أى : بحر كرمه الزاخر بالعطاء .

طالما لا يكون لسيد القول فى الدنيا فراقٌ لسيد السخاء[١] .
فلتكن أعتابُ بلاطك مستقرًّا لأرباب القول أعوامًا وشهورًا .

٣٠ – نورُ شمس سخائك ساطعٌ باللُّطف على كلِّ واحدٍ من كلِّ ناحية[٢].
فليكنْ اسمُك باقيًا ومحمودَ الأثر فى الدنيا مثلَ القول والسخاء .

فى مدح الأمير العميد سعد الدين (ص ١٠١ – ١٠٢)

١ – بدا هلالُ رمضان من الفَلك الغَاصِّ بالنّجوم ، بهيئة مشربٍ ذهبيٍّ من نبع الكوثر.
يصل حافةَ نبع الكوثر بالإفطار من الحقِّ رحيقٌ مختومٌ وقتَ المساء والسَّحر ..
فمساءُ هذا الشهر السَّعيد وسَحَرُه على أهل الدين أكثرُ بركةً ويُمْنًا من بعضهما البعض .
هو شهرٌ ميمونٌ لعام "يعقوب"؛ فقد صار " يوسفُ " عزيزًا على أحد عشر أخًا وسيدًا لهم .
وليلةٌ واحدةٌ لهذا الشهر هى فى القَدْر خيرٌ من ألف شهر[٣]، مثلما أنَّ الأميرَ العميدَ خيرٌ من ألف رجل فاضل .
مُقَرِّبُ مُلْك الشرق والغرب " سعد الدين " الذى يتأمله السَّعْدُ الأصغرُ والأكبرُ عن بُعْد .

---

(١) أى : الشاعر والممدوح .
(٢) حرفيًا : من السقف والباب .
(٣) إشارة إلى ليلة القَدْر التى هى خَيْرٌ من ألف شهر كما جاء فى القرآن الكريم فى سورة " القَدْر " .

لماذا السّعدُ الأصْغَرُ والأكبَرُ ؟! لأنَّ الشمسَ والقمــرَ متواريــان خجــلاً : الأول فى بُرْج " الحَمَل " والثانى فى بُرْج " الجوزاء "[1].

هو الصَّدْرُ له تواضعُ الأرض وهمَّةُ السماء ، فهو يشبه الأولى فى الحلــم والوقار والثانية فى الجاه والعظمة ..

يرتفع شأنُ المخلص له إلى جاه خطير ، ويقع حاسدُه فى جُبٍّ سحيق .

١٠ - أيها العظيمُ ، أنت الأديبُ العارفُ بالجوهر ، ويجدر أنْ يعرض عليك الجوهرُ.

يُشَبَّه ضميرُك النَّاصعُ بالماءِ والمرآةِ ، فى حين يبدو فى المـــاء والمـــرآة الخيالُ والصُّوَرُ .

إذا هبَّ نسيمُ خلقك على ضميره مثل " الخَضر" على الحجر الصَّلد ؛ لنَبَتت الخُضْرةُ فيه .

لو يسقط ظلٌّ من كفِّك على رأس فقير، يصير ثَريًّا بالفضَّة وبالذَّهب مثــل الشمس[2] .

تَنَعَّمْ بظلِّ جُنَّة الصَّــومْ[3] فى هذا الشهر، وليس أفضل من الصَّوم جُنَّةً فى جهاد النَّفس.

وَاحْتَمِ بالخالق من عين سيِّئ الجسد والرُّوح، واسْلُكْ طريقَ العُذْر للخــالق بالجِّد والجهد .

وسلْسِلْ شيطانَ الشَّهر بالخنجر والدرع؛ فالشَّهرُ درعٌ بطريقٍ واحد وخنجرٌ بطريقين .

واطمعْ فى ثواب الصَّــومْ وأجْرِ الصلاةَ بأداء الفروض وسُنَّةِ شرع الله والرسول.

---

(١) لجلال الدين همائى فى " مستدركاته على الديوان ص ٤٠٣ " تعليقٌ على ذلك بــأنَّ شــرف الشمس يكون فى برج " الحَمَل " أما شرف القمر فيكون فى برج "الثور" وليس فــى بُــرج " الجوزاء " كما قال الشاعر .

(٢) أى : أشعتها

(٣) إشارة إلى حديث : " الصَّــومْ جُنَّةٌ " .

وأدِّ الزكاةَ إلى عباد الله؛ ففى أدائها نفعٌ فى يوم الحشر.

ويقسِّم شهرُ رمضان دائمًا إلى ثلاثة أقسام، وفيها من الله كرامةٌ أخرى[١].

٢٠ – تكون بالقسم الأول غريقَ رحمةٍ دائمة، وبالثانى على رأسك مغفرٌ بالغفران من الذنوب .

ومادام العبدُ يأمل فى العِتْق من عذاب سَقَر؛ فبالقسم الثالث يكـون العِتْـقُ الدَّائمُ من سَقَر .

فلتزيِّنْ جريدةُ الشَّاعر الشيخ " السوزنى" بالمديح مجلسَك الميمون .

من مدح الصاحب العادل عمر (ص ١٠٢- ١٠٤)

١ – عشْقُ معشوقي الفضِّيِّ له سِحْرٌ؛ ربَّما لأنَّ الضياءَ واللَّمعانَ اللذين للمعـشوق من شَغَفه بالذَّهب .

لمعشوقي الفضِّيِّ هوًى بالذَّهب وشغفٌ به، وإلاَّ فلماذا يعقد على خَـصْره نطاقًا ذهبيًّا ؟!.

ما إنْ طالعتْ ياقوتَه العَذْبَ[٢] الغَاصَّ باللُّؤلؤ[٣] ، حتى انْهَمَرَ اللُّؤلؤُ[٤] من جَزْعَيَّ[٥] على الكهرباء[٦] .

منحتُه الرُّوحَ ثمنًا لقُبلة واحدةٍ من شفته العذبة ؛ فقال : ألا تدرى أنَّ ياقوتي أفضل من هذا ثمنًا .

---

(١) إشارة إلى الحديث النبوي : " شهر رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتـقٌ مـن النار".

(٢) أى : ثغره.

(٣) أى : الأسنان.

(٤) أى : الدَّمع.

(٥) أى : المآقى.

(٦) أى : الوجه الشَّاحب.

ضَفيرتُه العَنْبريةُ لها دليلٌ من الأفعى ، عارضُه السَّاطعُ له أثرٌ من قمر السماء .

ولكن ، حينما صار عارضُه مقرًّا دائمًا للأفعى؛ فإنَّ لقمر السماء أحيانًا مقرًّا على الأفعى .

فى رأسى هَوَسُ عِشْقه ، ولا يُعَدُّ عاشقًا ذلك الذى ليس فى رأسه ذلك الهوسُ .

وأفضلُ مَنْ ينال نصيبَه من كنز الحُسْن والجمال هو القائدُ عالى النَّسب الذى ينتسب إلى " أبى العلاء " .

نورُ العين الصَّاحبُ العادلُ ضياءُ الدين الذى لا يكون للدين ضياءٌ ولا بهاءٌ بغير ضيائه وبهائه .

١٠ - ذلك الذى هو على مُلْك الفضل والعلم مَلِكٌ ، المَلِكُ الذى هو وزيرٌ وأبوه مَلِكٌ .

الصاحبُ العادلُ "عُمَر" الذى هو باسم العَدْل والدين رفيقُ "عُمَر" يوم الحَشْر طبقًا لـ "ثانى اثنين إذْ هما"(١).

فكنْ سعيدًا موفَّقًا خالدًا من حيث العُمْر والمُلك ، الصَّاحبُ العادلُ عُمَر الذى له ابنٌ كالضياء .

ذلك الفاضلُ الذى فى العظمة والقيادة تثمر حديقةُ جُوده وخُلقه البرَّ والعطاء .

ذلك السَّيدُ الذى من ماء حُبِّه ونار غضبه يَنْضُر قلبُ الحبيب ويُشْوى كبدُ العدوِّ.

---

(١) أصاب الشاعر فى المعنى وأخطأ فى التمثيل ؛ لأنَّ هذه الآية وهى (رقم ٤٠ من سورة التوبة) نزلت فى شأن " أبي بكر " ﷺ وليست عن "عُمر" ﷺ .

حبُّه وغضبُه جاهزٌ لأحبابه ولأعدائه ، فجزاءُ هذا الجِنـانُ ، وجـزاءُ ذاك سَقَرٌ .

يهب من كرمه النَّفعَ والمالَ للتابع له، ويحرِّم من حلْمـه الـضَّرَرَ علـى المنازع له.

لو تطلب الكرمَ فالكرمُ منه بلا نهاية، ولو تنشد الفَضلَ فالفضلُ منـه بـلا منتهى.

ليس ثمَّةَ شخصٌ فى الدنيا عذبُ اللِّقاء حَسَنُ السيرة ؛ أَمَّا هو فسيرتُه فـى الدنيا تُوَائمُ لقائه .

يكون كُحلُ مآقى الناس من ثَرى أعتابه ؛ فليكنْ بلا بَصَرٍ ذلك الذى يُبصر بدون ذلك الكُحْل .

٢٠ - حبُّه أصلُ الصَّواب وغضبُه عينُ الخطأ، وحاسدُه مخطـئٌ، يخطـر فـى طريق الخطأ.

يطلقون خطأً على شَمَّة خُلقه مسْكَ " الخُتَن "؛ فوالله لو يقترن مسْكُ "الخُتَن" بخُلقه يصبح شيئًا خطيرًا .

يجعل كفَّه المعطاءَ قِبْلَةَ السائلين والزائرين، وجودُه له سِحْرٌ إلا أنَّه يـشبه عشقَ معشوقي.

طبعُه البحرُ؛ لأنَّ ماءَه البرُّ والمكرمةُ، راحتُه السَّحابُ؛ لأنَّ مطرَه الإحسانُ والسَّخاء .

فأمطارُ هذا وأمواجُ ذاك طَوال العام والشهر والنَّهار واللَّيل تحمـل الـدُّرَّ لأجل كلِّ غريب وكلِّ قريب .

فليكنْ كلُّ غريب وكلُّ قريب مخلصًا له، مادامَ كلاهما يحتمى بالخدمة على بابه.

فليكن له بقاءُ العُمْر بالطيب والهناء؛ حتى يتسنَّى له التمتُّع بالبقاء فى هذه الدنيا.

في المثل ، طالما كلُّ شخص يقول : إن الفألَ الطَّيبَ والرَّدئَ ينمو كالعشب ويتَّخذ له ممرًّا عليه.

فأنا قد تفاءلتُ ، ولتكنْ أيدى حاسديه تحت الحَجَر حقًّا مثلَ الحَجَــر الــذى يعلو حجرَ الطاحون .

طالما الدُّعاءُ يردُّ البلاءَ حَسْب قول النَّبى ، وكلُّ مَنْ يحذر الــبلاءَ يتــدرَّع بالدَّعاء.

٣٠ – فلا كان سَهْمُ بلاء الدَّهر مؤثرًا على جَسَده ، ولن يكونَ له أثــرٌ إذْ يحميــه دعاءُ الأولياء .

فى مدح الصاحب الصدر عُمر (ص ١٠٤ – ١٠٥)

١ – صار أمْرُ دين صَدْر الدنيا الصَّاحب العــادل " عُمَــر " مــستقيمًا بعطائــه الدُّنيوى الذى شمل الدنيا بأسرها .

كلُّ ما يُرى فى العالم ستراه خيرًا كلَّه ؛ فالذى عَمَّره هــو صَــدْرُ الــدنيا الصاحبُ العادلُ " عُمَر " .

كلُّ مَنْ يُشيِّد فى الدنيا مَسْجدًا لأجل الحقِّ ، ولو كان يشبه عُشَّ القطاة فهو ذلك المسجد .

فيقيم الحقُّ تعالى له بيتًا فى الجَنَّة ، ويكون شــاهدًا علــى كلامــى نــصًّا وخبرًا.

وقد شَيَّد الصَّاحبُ العادلُ مساجدَ كثيرةً فى الدنيا ، وكلُّ واحد منهــا يــشبه الكعبةَ الذَّهبيةَ بعطاء الفضَّة والذَّهب.

المسجدُ الجامعُ بعد أنْ لم تُبْقِ النَّارُ فيه شيئًا سوى بقايا الفحم والرَّماد[١].

---

(١) إشارة إلى احتراق المسجد الجامع فى عهد الممدوح الذى أعاد بناءه وسبق الحديث عنه .

صَيَّره بعقيدةٍ سَمْحة ودينٍ طاهر ويدٍ سخيَّةٍ ، مثلَ البيت المعمــور ضــياءً وزينةً وبهاءً .

وأقام المنبرَ والمحرابَ والسَّقفَ بحيث تتجدَّد الروحُ برؤياه ويسعد القلــبُ ويُضاء البصرُ .

كلُّ مَنْ يشيِّد مسجدًا يصبح له بيتٌ فى الجنَّة ، وهو قد شيَّد الكثيرَ ، فكيف يكون خارجَها ؟! .

١٠ - وقبل ذلك ، حتى يكون دينُه حصنًا عامرًا ؛ فقد أقــام رَبَــضًا معمــورًا[١]

ويكون ذلك الرَّبَضُ مقرًّا لهذا الحصن الحصين .

وبهــذا الــرَّبَضِ المحكم ليسَ لعدوٍّ دنياه أنْ ينال منًّا ، ومن ذلك الــرَّبَضِ لا يكون لعدوٍّ دينه أنْ ينتصر عليه.

وطالما يكون المرورُ ميسورًا إليه عن طريق عقبة العُقبى ؛ فقد جعله عقبةً جيدةً على كل سالك للعبور الميسور .

ومادامَ المرورُ الميسورُ إليه عن طريق عقبة العُقبى ، فكيف تكون لعقبات صنيعة الدنيا خطورةٌ ؟!.

ولأجل الفقه والوعظ والنَّظر فى طريق الشَّرع ؛ هيَّأ مدرسةً تفوق قــصرَ الخورنق .

ويوم الحَشْر سوف يأتي بلا شك فى ميزانه ، كلُّ ثوابٍ كــان مــن الفقــه والوعظ والنَّظر .

والآن أيضًا فقد جعلوا فى ذلك المكان البهيج[٢] نــورًا مــشعًّا ، ويكــون الوزيرُ إمامَه المعتبر .

---

(١) سور كبير يحيط بالمدينة .

(٢) أى : المسجد.

فأنا قلتُ يصير هكذا ، وإنْ لم يكن قد صار، فكيف صار هذا البنيانُ خيرًا بهذه الصورة من مثل بنيان الشَّر ؟! .

وهو يُزين دائمًا مائدتَه لأجل الصائمين في كلِّ مساء وسَحَر كأنَّهـا مائـدةُ الجنَّة.

ومادام لكلِّ صائم نصيبٌ من مائدته، فله نصيبٌ مـن كـلِّ ثـواب ينالـه الصَّائمُ.

٢٠ – فلا تَحْسَبْ أيَّ شخص يشبه الصَّاحبَ العادلَ في طريق الدِّين علـى وجـه البسيطة من السالكين ومن المرشدين.

فهو أكثرُ شفقة بمراحل من العَمِّ والخال ومن الأب على كافـة خلـق الله شرعًا ومعتقدًا .

وهو في روضة دين المصطفي مثلُ شجرة الوَرْد ؛ العَدْلُ جذعُها والفضلُ غصنُها والجودُ ورقُها والعطاءُ ثمرُها .

يتسنَّى القولُ فيه هذا البيت وهو جديرٌ به : "يا مَنْ أنت شجرةُ وَرْدٍ يانعـةٌ شامخةٌ برأسها حتى الشمس".

وطالما الوَرْدُ يفوح بالرائحة والشمسُ تمنح الضِّياءَ ، وطالما يكـون ذلـك على الفَلَك وهذا على الشَّجر.

فليكنْ مفرقُه مثلَ ورق شجرة الوَرْد ووجنتُه مثلَ ورق الوَرْد ، فطلعتُه لها هيبةُ الشمس وضياءُ القمر.

وليكنْ شهرُ رمضان ميمونًا له ويومُ العيد مباركًا ، ما دامَ سيأتي في الدنيا رمضانُ وعيدٌ آخر.

وليكنْ عيدُه سعيدًا وليكنْ حالُه بهيجًا ، وليجعل اللهُ العادلُ صيامَه مقبولاً .

فى مدح افتخار الدين رضا ابن شمس الدين عمر (ص ١٠٦ - ١٠٧)

١ - انتهت قصةُ عشق "فرهاد" و" شيرين" ، وتجدَّدت فى خاطرى من عشق ذلك الغلام الآسر .

ذلك المعشوقُ الحُلْوُ الذى مع تذكّر شفته العَذْبة يصير شوكُ الأرنب[١] ، لو تَتَصوَّر ، فى الفَم سُكَّرًا .

ذلك الذى صَيَّر وجهى مثل الكميت[٢] ووسطى مثل القوس[٣] كلَّما عَقَد على صَدْره الفَضِّى نطاقًا ذهبيًّا .

تطاير من عشقه شَرَرُ معبد النَّار فى قلبي ، حتى صارت أهدابي سُحُبَ شهر " فروردين"[٤] مطرًا .

وكيف لمطرٍ من سُحب " فروردين " أن يتناقص مطلقًا ، طالما يتزايد له شَرَرُ معبد النَّار ؟! .

أفشَيتُ أمامه كلَّ أسرار القلب المسكين ، وحين أفشيتُ السَّرَّبانَ الخبرُ من القلب المسكين.

فى قلبي ملاعبةٌ مثل مؤشرا لميزان ، فضفيرتُه فى صيد رُوحى أشد من الشَّاهين.

فقلْ لذلك الشَّخص الذى يعلم صورةَ العدل من الظُّلم : اقْبِلْ ، وتأمَّلْ هذا الظُّلْمَ من ذلك الشاهين على ذلك المؤشِّر[٥] .

---

(١) كلمة مأخوذة عن اليونانية " أفسنتين " وهى عشبٌ طيبُ الرائحة مرُّ المذاق قريبٌ من الصَّبَّار وكان يستخدم فى القديم فى علاج أمراض العيون والفالج والرعشة والصرع وأمراض المعدة والكبد والإمساك . (فرهنك عميد، الديوان . لغات ص ٤٣٣)

(٢) أى : شاحبًا.

(٣) أى : انحناءً.

(٤) الشهر الأول من السنة الإيرانية الشمسية وهو أول فصل الربيع حيث تكثر الأمطار .

(٥) أى : قلبي.

أنا سأطلب الإنصافَ من ذلك الشَّاهين صائد الغربان ، أى من " افتخار الدين رضا " ابن " شمس الدين عُمر " .

١٠ – أميرُ خراسان الشهير ، ذلك الذى يكون اسمُه الطَّيبُ مادةً للحديث فى العراق والشام والهند والروم والترك والصين .

ذلك سليلُ نبىٍّ آخر الزّمان الذى خلقه اللهُ بحقٍّ من طين البَشَر لأجل جدِّه .

صَدْرُ " آل ياسين " وبَدْرُه ، ذلك الذى مع كلِّ علمٍ يحفظ مدائحَ صَدْرِه فى الصَّدْر مثل " سورة ياسين " .

يا مَلِك " آل على " الذى عن طريق عُلُوِّ الهمَّة ، تخطو أقدامُ همَّتك على مَفْرق علِّيين .

طالما مضى مولاك يأتى إلى دين جدِّك فيأتى فيضٌ أمام عرشك مباشرة من "قسطنطين"[١].

ذاتُ كلِّ شخص تَتَزَيَّن بالفضل فى الدنيا ، والفضلُ أخذ زينتَه من ذاتك ومن عظمتك .

أنت الآخَرُ من " الصَّاحب"[٢] و "سحبان " فى العلم والفضل ، والآخَرُ من "حاتم " و"أفشين" فى السخاء والمروءة .

لك سعادةٌ وإقبالٌ على كافة البشر وقياسًا على ذلك لو تَحُكُّ يدًا على حَجَرٍ يصير جوهرًا فى الحال .

لك همَّةٌ ؛ فلو تصبح الدنيا ذهبًا وجوهرًا ؛ فإنك تهب بما يملأ العينَ، وأنت تعلم أنَّ ذاك ترابٌ وهذا حجَرٌ[٣].

---

(١) اسم مدينة مشهورة فى بلاد الروم بناها ابن هرقل ملك الروم، ويقال: إنها قسطنطينية إسلامبول (استانبول) (الديوان . لغات ٤٧٥)

(٢) الصَّاحب بن عباد .

(٣) أى أن الذَّهب والجواهر التى يعشقها الناس هى فى نظره مجرد تراب وحجارة .

لك هيئةٌ بديعةُ الزِّينة ؛ لأنَّ النورَ يتزايد فى كلٍّ عين تتأمّل من ذلك الصُّنع البديع .

٢٠ - لو خيالُك اللَّطيفُ يكوِّن صورةً فى قلب الأعمى ؛ فمن نـور قلبـه وقـت وضوحها فيه يرتد بصيرًا .

وفق رغبة حافر جوادك الميمون وظهره، يصبح على الفَلك مثـل النَّعْـل وعلى القمر مثل الكفل.

كلُّ مَنْ يتَّخذ لنفسه من بُغْضِك متاعًا وزادًا وراحلةً؛ فقد رحل إلى سجين[1] شاء أم لم يشأ.

فإنَّ هيبتَك سوف تُفَرِّقُهم مثلَ "بنات النَّعش"، لو يجمعهـم أعـداؤك مثـلَ "الثُّريا" على الفَلك.

كلُّ مَنْ يتصوَّر فى قلبه جفاك وغضبَك، لا يرى من ذلك الجفاء والغضب أثرًا إلا فى رُوحه.

لا ينمو لحاسدك نَبْتُ السعادة حتى الأبد، وإنْ يَنْمُ يأتِ رديئًا مثل فـضلات الخضار.

شَرابُ غضبك لأعدائك هو غسلين، ويجب إنتظارُ الـضَّرَر مـن شـراب غسلين.

يا مَنْ أنت فى عراك أعدائك ابنٌ " لحَيْدر" بحقٍّ؛ فأنت تُبدى القوةَ والبرهانَ مثلما كان يفعل الأبُ فى "صفّين"[2].

سيفُك الأخضرُ بلون "الكرَّاث" مِن حَزِّ الرءوسَ كأنَّها نباتُ "الكرَّاث"، ممـا يُهيِّئ لك الثناءَ بالظَّفر على حاسديك.

---

(١) وادٍ فى جهنم.

(٢) معركة صفين؛ كانت بين عليّ ومعاوية .

هكذا فَرَّ أعداؤك رُعْبًا من رُمْحك الشَّبيه بالتِّنين؛ لأنَّهم يحذرون من التَّنين الملئ غضَبًا[١].

٣٠ - لو سقط ظلُّ رمحك على التِّنين فجأة، لقَلَّمَ بسنانه الشبيه باللِّسان ظُفْرَ التِّنين.

فليكنْ معلومًا أنَّ دَمَ حاسديك مهدرٌ بحدِّ سيفك وبسنانك وبرمحك المشبَّع بالدَّم.

فلينقصْ من حَسَد عدوِّك ذلك الذى يضعه على الوسادة[٢]، إلاَّ أنْ يجعل أعتابَك وسادةً لأجل أمانِه.

حتَّامَ يُحضر العبيدُ من "يغما" و"تكسين"[٣] حورَ العين المصوَّرةَ والشيطانَ المصفَّدَ لأجل المحفل ولأجل الحرب؟!.

لأجل حرب العدوِّ ولأجل محفل الصديق، لا تطلبْ سوى معشوق "يغما" ولا تَشْتَر سوى محبوب "تكسين".

أمام عينه حسناوات هَزِرَاتٌ كأنَّهن النَّرجسُ فى العين، وعلى صَدْره فاتنات لَميسٌ مثل النسرين على الصَّدْر.

خُذْ من شفاه ووجَنَات الحسناوات وضفائرهن المجعَّدة، ورقَ وَرْد الصين والسُّكَّرَ فى الحلقة وعُدَّ الضفائرَ المجدولة.

حُبُّ الله يكتنف أحبابَك، وغَضَبُه يشمل أعداءَك لأنَّهم لا يقدِّرونك جيِّدًا.

---

(١) فضلتُ لتمام المعنى ووضوحه هنا ما رجَّحه جلال الدين همائى فى مستدركاته على الديوان ص٤٠٣ .

(٢) يقصد رأسه .

(٣) يغما: اسم مدينة وطائفة تركية (الديوان لغات ٤٩٩)، تكسين :اسم أحد عظماء الترك (الديوان. لغات ص٤٤٣) .

فى مدح على بن ذو الفقار (ص ١٠٨ - ١٠٩)

١ - هذا هو مذهبُ "علىٍّ": السَّخاءُ مثلما يكون، مذهبُ ابن عمِّ النَّبى سيد البَشَر.
طالما صار "ذو الفقار" جُودهِ مسْلولاً أبد الدَّهر، أضحى دَمُ "عمرو" و"عنتر"[١] والبُخل هدرًا فى الدنيا.
يا مَنْ ارتبط اسمُك بالإحسان والمروءة فى العَصْر، فقد صار اسمُك أيضًا سَمَرًا مثل شجاعتك.
إلى جانب رأيك السَّاطع وكفِّك الجَوَّاد، الشمسُ أدنى من ذرَّةٍ، والبحرُ أقلُّ من نُهير.
لن تَجدَ فى كلِّ البحر والبَرِّ طليقًا بلا ثمار شُكْر ومنَّة إحسانك وجُودك.
لشجر همَّتك فى حديقة المكرمة فرعٌ وورقٌ وثمرٌ من الإحسان والجُود.
لن تجدَ واحدًا من أهل الفضل فى هذه الدِّيار، بلا نصيب من تلك الحديقة وبلا حَظٍّ من ذلك الشَّجر.
لأهل الحَضْرة إجلالٌ لك من زمنٍ، ولهم جمالٌ وبهاء من جاهك ومن جلالك.
تعدُّ أعتابُك وسادةَ العظماء والرؤساء، ويبلغون الفَلَكَ عن طريق شمسك.
١٠ - أقبل الزُّعماءُ القادةُ إلى خدمتك وتمنطقوا لذلك ممتثلين أمامك كالعبيد.
وظلَّ عبيدُ "نخشب"[٢] هؤلاء محرومين من جاهك، مثلما نبيُّ كنعان[٣] من ابنه[٤].
أصيبت الروحُ من هجرك بأضرار متعاقبة، وحين أتيتَ تبَدَّل الضَّررُ كلُّه إلى نفع.

---

(١) سبق الإشارة إليهما.
(٢) بلد الشاعر والممدوح وهى قرية تابعة لسمرقند، وتحدثنا عنها فى قسم الدراسة.
(٣) أى : يعقوب.
(٤) أى : يوسف.

وصارت "نخشبُ" من جمالك مرةً أخرى بحيث يقولون: أنخشبُ هذه أم الجنَّةُ الأخرى؟!

طالما فى الدنيا شهرُ رمضان وليلةُ القَدر، وطالما العيدُ مُقبِلٌ ورمضانُ مُدبِرٌ.

فليكن شهرُ رمضان وليلةُ القدْر ويومُ العيد عليك بالخير وعلى أعدائك بالشَّر إلى يوم الحشر.

وعِشْ مديدًا، بحيث تكون الخواطرُ عاجزةً ويصير الفكرُ حائرًا من عدد سنوات عُمْرك.

فى مدح المَلك محمد بن سليمان (١٠٩-١١٠)

١ - يا مَنْ بَدَا مِنْ ذُرِّية : "أرسلان خان"، "أرسلانُ خان" آخر، ولن يزيِّنَ المُلْكَ سلطانٌ آخرُ غيرك.

أنت ظلُّ الله ويزدان المُلْكُ بك بحقٍّ، ولا يليق ظلٌّ آخرُ سوى ظلِّ الله.

المَلكُ الغازى "محمد بن سليمان" ذلك الذى كان لأساس المُلك "سليمان" آخر.

استراح من الهيمنة على العالم وقال للدنيا :كفَى؛ فإنَّ صاحبَ العالم بعدى هو المَلكُ "قدرخان".

أيها الملكُ، الفلكُ الدائرُ أقْسَم وسوف يقسم مرَّةً أخرى كلَّ يوم على ثبات مُلكك حتى الأبد.

أيها الملكُ، الدولةُ والنَّصرُ والفتحُ سوف تعقد معك كلَّ لحظة ميثاقًا وعهدًا آخر.

يليق بإقبالك وطالعك، أنْ يخلقَ خالقُ العالم لأجل مُلكك عالمًا آخر.

أيها المَلكُ، لقد تعلَّقتَ ببابه؛ فليكنْ دائمًا لك، فهو لك أيها الملكُ وأيضًا حلقتُه الأخرى.

لقد صرتَ هكذا بالمُلك الذى فى هذه الدنيا، ولا كان بغير حكمك وأمرك حكمٌ وأمرٌ آخر.

١٠ - فأنت تَبْعَثُ جيشَ "توران" صوب "إيران" بلا عدد، كى يظهر فى "إيران" "تورانُ" أخرى.

ولو تشاء، فعليك أنْ تَحضر أيضًا من "إيران" إلى "توران"، كى تقيم بـ "توران" "إيران" أخرى.

فإنَّ لساعِدك ولسيفك فى معركة اختبار الانتقام أيها المَلكُ موتًا وبرهانًا آخر.

سيفُك الَّلامعُ يريق الدَّمَ فى جَنْدَلة الأسود فى معركة هكذا حتى تخال أنَّه طوفانٌ آخر.

كلُّ مَنْ يطالع صفحةَ حسامك فى معركة واحدة، لا يجد مُهْلَةً من الأجل حتى يشارك فى معركة أخرى.

لو يقيم العدوُّ أمامه درعًا من قطع "السندان"؛ فسوف تُمرِّرَ الرُّمحَ من سندان إلى آخر.

ولو تراصَّت حَبَّاتُ "الخَرْدَل"؛ فإنَّ رُمْحَك سوف يسلبها حبَّةً بعد أخرى.

فَعلىَ كلِّ تغزوه هناك سهمان من وجه الحكم، ويكون على كلِّ ثقب قديم سنُّ رُمحٍ آخرَ لك .

ولخنجرك رونقٌ وسِحْرٌ، وخنجرُ حاسدك تَطَبَّع بهذا، ولا يهوى رونقًا وسحْرًا آخر لك.

وحين تنزل الميدانَ راكبًا تظهر فى التَّوسماءٌ أخرى، وغضبُك باحثٌ عن "زُحل" أخرى.

٢٠ – اطلبْ سيفَ الانتقام؛ فيقول "لعزرائيل" فى الوغى: أيها الأخُ دلَّنى على مكان به روحٌ أخرى.

أيها الملكُ، يُبدى لنا الدَّهرُ منك ومن آبائك "رُستَمَ" آخر و"دَستَانَ" آخر.

لقد توالت الحكاياتُ والفَلكُ يحملها إلينا، وليس ثمَّةَ طريقٌ لحكاية أخرى عن ابن دستان(١).

منك يا مَلكَ العالم ومن أتباعك، تُظهر لنا الدنيا "يوسفَ" آخر وأخوة آخرين.

فمنك العفْوُ على الإخوة كما رأى "يوسف كنعان" حتى لا يُحدث عصيانٌ آخر ندَمًا.

لو ألبَسَ خُلقُك لباسَ العفْو على الخَلق؛ لمَا بقى عريانٌ آخرُ مطلقًا فى أرجاء العالم.

صارت المدينةُ بطلعتك عليها ثانية "يعقوبُ" آخرُ، حتى صار "لسمرقند" اسمُ "كنعان" آخر.

أيها المَلكُ، اجلسْ هنيئًا على عرش مُلكك، حتى يحمل مائةُ "خان" آخر منشورَ المُلْك منك.

وتعامَلْ مع الرَّعيَّة ليلَ نهار بسيرة الأب وسلوكه؛ فأنت لا تعلم أيها المَلكُ سيرةً أخرى وسلوكًا آخر.

أيها الملكُ، طالما يكون للدنيا من دوران الفَلك رؤيةُ الخريف والصيف والربيع والشتاء مرَّةً أخرى.

٣٠ – فليكن العَالمُ من بهائك مثلَ البُستان فى فصل الربيع، وليكن عدْلُك زاهيًا على الأحباب مثلَ ربيع آخر.

---

(١) أى : رُستم.

ولتَشْمَلْ مدةُ مُلكك كلَّ أنحاء البسيطة، حتى لا يكون للفَلك إمكانُ دوران آخر.

فى مدح تاج الأمراء حَسَن (ص١١٠-١١٢)

١ – لقد تَجدَّد بالدنيا دنيا أخرى وفَلَكٌ آخرُ وزمانٌ آخرُ.

وصار من صورتها "أرسلانُ بن سليمان"، فقد جاء "أرسلانُ" صورةً أخرى لها.

قائدُ معارك جيش الدين ذلك الذى يكون من الشَّرف سماءً أخرى.

"تاجَ الأمراء حَسَن"الذى يُعَدُّ من الإحسان بحرًا آخرَ ومنجمًا آخرَ.

ذلك الصَّنديدُ الذى لا يُوجد فى "خلخ" بطلٌ آخرُ يشبهه.

الأميرُ الذى لم يأتِ الفَلكُ الشَّيخُ شابًا آخَرَ أبْهَى منه.

بيرقُه فى يوم الوَغَى هو بيرقُ "كاوه الحداد"(١).

يروى الصَّنَاديدُ عن فروسيته كلَّ يوم حكايةً أخرى.

فهو يخال ميدانَ النِّزال بستانًا آخر.

١٠ – على صفحة سيفه لونُ البنَفْسج؛ لأنَّه يزرع وَرْدًا آخر وأرغوان آخر.

كلُّ يوم يقيم بسمعته الحَسَنة فعْلا وطريقًا ورَسْمًا وسلوكًا آخَرَ.

اليوم صارت "تخشبُ" بجماله جِنَانًا أخرى من بعد الجنان.

أين المكانُ الآخرُ الآمنُ لـــ"تخشب" سوى ظلِّ عَدْله؟!.

اسمُ أبيك وجدِّك لا يسلم الضائعَ إلى أيدى أشخاصٍ آخرين.

وحشمتُه لا تُلقى بأسرته إلى أسرة أخرى (١).

---

(١) رايت كاويان أودرفش كاوياني : علم ينسب إلى مَنْ يسمى "كاوه" وكان حدَّادًا فى أصـــفهان وله ولدان قتلهما "الضحاك" ليطعم بمخيهما ثعبانين كانا على كتفيه مما أحنق "كاوه" فقتله بجلد ورمح وصارا علَما للثورة على الضحاك. وظل هذا الشعارُ شعارًا لعلَم إيران حتـــى دخـــول العرب إيران بصحبة الإسلام (د.حسين نجيب المصرى: المعجم الفارسى العربـــى الجـــامع ص١٥٢).

يا مَنْ أنت يوم الهيجاء أسَدٌ هصورٌ كأبيك.

وبعد المَلك الذى ينتزع الرُّوحَ، سيفُك منتزِعٌ آخَرُ للروح.

أنت الإمبراطورُ فى المملكة ولا يشيرون أبد الدهر إلى مثيل لك.

كفَى لسَيفك حارسًا لها، فهو بلا منَّة حارسٌ آخر.

٢٠ - المعركةُ التى لا يتَسَنَّى بالحيلة رؤيةُ حَدِّها الآخر من حدِّها الأول.

حين تحمل فيها تُمزِّق الأجسادَ، وتُمزِّق بلا منَّةٍ أخرى عِنَانَ الجياد أيضًا.

رمْحُك من كثرة صواب جراحه، يعقد سنانًا آخر بسنانه.

لا يدل على سيفك دليلٌ آخَرُ سوى حَلْق الأعداء.

سَهْمُك الطائرُ بلا روح، يقصد كلَّ يوم رُوحًا أخرى.

أنت الطائرُ الذى لا يَهْوى عُشًا آخر سوى قلب العدوِّ.

العدوُّ الذى طابَ له هواك يتحمَّلُ كلَّ لحظة هوانًا آخَرَ.

ليس لزينة أمْر المُلك بطلٌ آخَرُ سوى رأيك.

يا مَنْ أنت على الحَشَم والرَّعيَّة خالٌ وعمٌّ عطوفٌ آخَرُ.

ولا يُوجد اليوم فى عيد الضِّيافة مضيفٌ آخَرُ يشبهك.

٣٠ - ويكون ضيفُك مَلك الملوك، وهل ثمَّةَ ضيفٌ آخرُ أفضلُ من هذا.

ما دحوك يربون على المائة ألف من كلِّ النَّواحى الأخرى بلسان واحد.

ولا يُوجد من بينهم مداحٌ آخَرُ أقلُّ من "محمد بن مسعود"[٢].

فإنَّه يمكن أنْ يزيد دُرَّ خاطره كلَّ لحظة مرة أخرى بمديحك.

وينال كلَّ لحظة من جُود راحتك صِلَةً أخرى ثمينةً.

ولمَّا كانوا لن يبدلوا لىَ هذه الدنيا بدنيا أخرى.

فلا كان شخصٌ آخرُ واليًا وموفقًا فى مُلك الدنيا سواك.

---

(١) أى: ينال هو وأسرتُه حماية أخرى غير حمايتك.

(٢) أى "السوزنى" الشاعر نفسه.

فى مدح فخر الدين (ص١١٢-١١٤)

١ – لم تُعْطَ البُشْرى ولم يُرَ البشيرُ، وطالعنا بهاءَ طلعة ذلك العالم الفاضل.

فكان فَلَكُ الفضل ذلك هو نفسُه مُعْطى البُشْرى وهو نفسُه بطلعتــه البهيــة كان البشيرَ.

هو نفسُه وصلَ إلينا قبل الخَبر وتَعقَّبَه الخَبَرُ، حتى جاء الخبرُ عن قدومــه السَّعيد.

لقد كنَّا فى حاجة إلى خَبَرٍ واحدٍ طَيِّبٍ عنه، وهو قد وصل بنفسه قبــل أن يأتنا الخَبَرُ.

لقد أقبل إلى المستقر مثل العتيق من السَّفر، وكان اليوم هو الثانى من شهر العِتْق من الصَّوم[1].

ونحن فى عِتْقَين من خالقنا: عِتْقٍ من غمِّه وعِتْقٍ من الخطر.

المنَّةُ لله أنْ أقْبَل إلى وزارته وعرشه بأطيب مما ذهب مائة مرَّة.

كيف تصل الشمسُ إلى بُرج الحَمَل، وهو هكذا قد جاء مــن الــسَّفر إلــى مدينته.

فهو شمسُ الأسرة وشريفُ عائلة الخال، تلك الكرةُ حاملةُ العظمة عن العَمِّ وعن الأب.

١٠ – ابنُ مَلك دهاقين العصر، الحكيمُ فخرُ دين الله العادلُ.

---

(١) أى: شهر شوال.

شمسُ سماء الفضل افتخارُ الدين "الدِّهقان علي" الذى هو "عليٌّ" الخصال والسِّيرة[1].

هذا هو مذهبُ "عليٍّ": السَّخاءُ مثلما يكون، مذهبُ ابن عمِّ النَّبى سيد البَشَر.

طالما صار "ذو الفقار" جُودهِ مسلولاً أبد الدَّهر، أضحى دَمْ "عمرو" و"عنتر"[2] والبُخل هدرًا فى الدنيا.

يا مَنْ ارتبط اسمُك بالإحسان والمروءة فى العَصْر، فقد صار اسمُك أيضا سَمَرًا مثل شجاعتك.

إلى جانب رأيك السَّاطع وكفِّك الجَوَّاد، الشمسُ أدنى من ذرَّة،والبحرُ أقلُّ من نُهير.

لن تَجدَ فى كلِّ البحر والبرِّ طليقًا بلا ثمار شُكْر ومنَّة إحسانك وجُودك.

لشجر همَّتك فى حديقة المكرمة فرعٌ وورقٌ وثمرٌ من الإحسان والجُود.

لن تجدَ واحدًا من أهل الفضل فى هذه الدِّيار، بلا نصيب من تلك الحديقة وبلا حَظٍّ من ذلك الشَّجر.

لأهل الحَضْرة إجلالٌ لك من زمنٍ، ولهم جمالٌ وبهاء من جاهك ومن جلالك.

٢٠ – تعدُّ أعتابُك وسادةَ العظماء والرؤساء، ويبلغون الفلَكَ عن طريق شمسك.

أقبل الزُّعَماءُ القادةُ إلى خدمتك وتمنطقوا لذلك ممتثلين أمامك كالعبيد.

---

(١) الأبياتُ التالية حتى نهاية القصيدة وتقع فى ١٦ بيت تكرارٌ لقصيدة سبق ذكرُها كاملةً دون تغيير فى ديوان الشاعر ص١٠٨ تحت عنوان (در مدح على ابن ذو الفقار)، وأشار إلى ذلك أيضًا محقق الديوان فى مقدمته (ص نوزده). وترجمة القصيدة مذكورة فى موضعها من هذا الكتاب منذ صفحات قليلة.

(٢) سبق الإشارة إليهما.

وظلَّ عبيدُ "نخشب"[١] هؤلاء محرومين من جاهك، مثلما نبىُّ كنعان[٢] من ابنه[٣].

أصيبت الروحُ من هجرك بأضرار متعاقبة، وحين أتيتَ تَبَدَّل الضَّررُ كلُّـه إلى نفع.

وصارت "نخشبُ" من جمالك مرةً أخرى بحيث يقولون: أهـذه نخـشبُ أم الجنَّةُ الأخرى؟!

طالما فى الدنيا شهرُ رمضان وليلةُ القَدر، وطالما العيدُ مُقبلٌ ورمضانُ مُدبِرٌ.

فليكن شهرُ رمضان وليلةُ القَدْر ويومُ العيد عليك بالخير وعلـى أعـدائك بالشَّر إلى يوم الحشر.

وعِشْ مديدًا، بحيث تكون الخواطرُ عاجزةً ويصير الفكرُ حائرًا من عـدد سنوات عُمْرك.

فى مدح أشرف الدين (ص ١١٤-١١٥)

١ - يا مَنْ عالمُ الشَّرف معمورٌ بك؛ فقد نلْتَ المنشورَ من صاحبين اثنين.

من صاحب دُلْدُل وقنْبر، ومن صاحب النَّاقة واليعفور[٤].

صاحبَ أشرف حُسَيْنَين[٥]، شرفَ دين الخالق الغفور.

يكون فى خدمة مُلكك غلامًا، الملكُ فغفور[٦].

أنت المَلكُ القائدُ، ولك من الشَّرف المُلكُ ومن العقل المنشورُ.

أمةُ جَدِّك تكون لك طائعةً راغبةً مأمورةً من أعماق الروح.

---

(١) بلد الشاعر والممدوح وهى قرية تابعة لسمرقند، وتحدثنا عنها فى قسم الدراسة.

(٢) أى : يعقوب.

(٣) أى : يوسف.

(٤) يقصد عليًا ﷺ وسيدنا محمدًا ﷺ .

(٥) يعنى: الحسن والحسين رضى الله عنهما.

(٦) هو ملكُ الصين .

ليس لأحد غمٌّ فى قلبه منك، وليس لأىّ شخص فى جسده ألمٌ بسببك.
لا تمنح شمسُ الإيمان نورًا فى قلب أحدٍ بغير مناصرتك.
طالما لا يكون أحدٌ ملكًا مكلّفًا بالنّفخ فى الصور، فلك من هذه الناحية ذلك[1].

١٠ - فراشُ جدّك فى الخُلد قوادمُ طائر الروح وضفيرةُ الحور.
مدينةُ "نخشب" بسبب بهاء دولتك تشبه الخُلدَ الأعلى فى الحور والقصور.
مثلما النُبوةُ مختومةٌ بجدّك، فالفتوةُ مقصورةٌ على اسمك.
من عطاء كفِّك المعطاء، العالمُ شاكرٌ وأنت المشكور.
العالمُ هو المادحُ لك سواء بالشِّعر أو بالنثر.
الشِّعرُ والنَّثرُ كلُّه مديحُك حقًّا بلا كذب وغيبة وادّعاء.
مادحُك قد سطَّر مديحَك على صحيفة العُمْر.
فليكنْ عُمرى فى ثنائك ومدحك، حتى يكون قصرُ عُمْرى معمورًا.
وليكن للفلَك الإنفاقُ فى دولتك وفى بقائك طوال السّنين والشهور.
طالما يُظهر الفَلكُ الدّوارُ ساطعُ الضّياء والبعيدُ، الشهورَ والسنين.
فليَبْتَعِدْ عن مجلسك الميمون نكبةُ الدّهرِ ودارِ الغرور.

فى مدح الدّهقان الأجلِّ أحمد (ص ١١٥-١١٦)

١ - صار الماءُ متلألئًا والهواءُ داكنًا من فصل الخريف، فبلا شك أنّ دنّ النّبيذ قد ألقى بسَهْمه فى الهواء.
فانساب من غصون الأشجار قروشُ الدّروع الذّهبية اللاّمعة على البحيرة من رُعْب سَهْمه[2].

---

(١) يشير إلى نفخ الصور يوم القيامة كما جاء فى قوله تعالى :﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (سورة المؤمنين، آية ١٠١) .
(٢) يعنى أوراق الأشجار ذات العروق والصفراء اللون.

والغرابُ يفرُّ هاربًا من النَبَّال، وحين كان يطير فى كلّ ناحيــة صــار دَنُّ النَّبيذ مثلَ النبَّال.

احتلَّ نعيبُ الغراب الوافر على مُلْك الحديقة والبستان، واغتصب الــسَّرْوُ وشجرُ الوَرْد الصَّدْحَ من العندليب.

وكان فصلُ الربيع قد منح شَجَرَ الحديقة الحريرَ الفُسْتقى، حتــى صــارت الحديقةُ مزدانةً.

وغَيَّرَ فصلُ الخريف شكلَ البستان وأعطى ذلك الحريــرَ الفــستقيَّ لــوْنَ الدِّينار والزَّرير.

وحين خَسَر الفقيرُ ذاك المتاعَ دفعةً واحدةً، صارت الطبيعةُ الظلَّ والثَّمَــرَ وهذا هو مذهبُ الفقير.

ولا أدرى مَن علَّم كلَّ خمَّار عادةَ الجُود لنائب الصَّدْر الكبير.

ولأجل ذلك فإنَّهم يسمون هذه الأيامَ فصلَ الخريف، لأنَّ الخلقَ فــى هــذه الأيام ينالون حظَّهم من السَّعادة

١٠ - فى فصل الرَّبيع كانت خَمْرُ الشَّيخ وورقُ الــشَّاب، وحــين أقبــل فــصلُ الخريف صار ورَقُ الشَّيخ وخَمْرُ الشَّاب.

وفى وقت البشاشة يمتزج ورقُ الشيخ وخَمْرُ الشَّاب، بطبع المرء: الــشَّابِ والشَّيخِ.

وفى يوم الدعوة العامة والمحفل يمزج الوزيرُ ذو الطَّالع الــشَّاب وحكمــةِ الشيخ البصير بين الشَّيخ والشَّاب.

الصَّدْرُ العالى الرأى "الدِّهقانُ الأجلُّ أحمد "الذى يكون شَرَفًا للدولة ونصيرًا لدين الله".

عينُ أهل الكفاية التى هى مِنْ صرير قلمك عينُ أهل الكفاية قريرةً دائمًا.

ذلك الفاضلُ الذى ما إنْ يضع القلمَ على الورق حتى يصير "عطاردُ" سائرًا على الفلك خجلاً[1].

يكون مُلْكُ الشّرق والصين مزيَّنًا بالمَلك والوزير، وتكون زينةُ الملك والوزير رأيَه وتدبيرَه.

أيها المَلكُ عالى الطَّالع، إنَّ سلوك الفلك أمام همَّتك العالية وضيعٌ وحقير.

أنت على فَلك الحشمة والجاه والعظمة والشرف مثلُ الشمس بلا نظير بين النجوم.

يستمد قرصُ الشمس المضئُ الضياءَ من رأيك، مثلما القمرُ المنيرُ من قرص الشمس المضئ.

٢٠ - شمسُ الضُّحى لا تناظر رأيكَ السَّاطعَ، والسَّحابُ المطيرُ لا يعادل كفَّك المعطاءَ.

قطرةٌ من بحر جودك مائةُ بحر محيط، ذرَّةٌ من جبل حلمك مائةُ جبل ثبير[2].

يكفى أن يصير لونُ القار مثلَ سنِّ قلمك، وأن يصير يومُ طالع حاسدك وعدوِّك مثلَ القار.

كلُّ مَنْ يلوى وجهَه عنك، يلوى الطَّالعُ وجهَه عنه، وكلُّ مَنْ صار مأمورًا لك يصبح أميرًا على رغبة القلب.

وكلُّ مَنْ يقع لحظةً فى قبضة وقيد الغَمِّ أسيرًا، فبغير رضاك لا يجد العَوْن ولا يَبْدو له خلاصٌ.

يرغب حاسدُ جاهك لنفسه مثلَ مالك، فنال جاهًا عريضًا ونال شغلاً خطيرًا.

---

(١) كى تتضح الصورة نعلم أن "عطارد" فى الأدب الفارسى هو معلِّمُ الفلك ومؤدِّبه.

(٢) اسم جبل بمكة.

وكلُّ مَنْ نظر إلى جاهك العريض حسَدًا، ألقى بنفسه بسبب ذلك الحَسَد فى قاع جُبٍّ قَعير.

وكــلُّ مَنْ يتَفَقَّد وجهَه فى مرآة جاهك، يكون فى ذلك الغرض كالــضَّرير لا حَظَّ له من المرآة.

صار لسَيِّئ الفكر نحوك جسَدٌ مثلُ "الزِّير"(١) ووجهٌ مثلُ "الذَّهب"(٢)، طالما يراك واهبَ الذَّهب دائمًا بصوت خفيض.

حيثما تكون، يليق لك الجاهُ والدولةُ، فذلك لائقٌ لك، ولا يليق لــك العَبَــثُ والهراءُ.

٣٠ - حاسدُ جاهك سَيِّئُ الطَّوية حريصٌ على الموت، فلو يموت فى هذه الحسرة ينجو من أن تأمره بالموت.

اتْرَعِ الرَّاحَ تارةً على الوَرْد المتساقط وأخرى على الورق المتــساقط مِــنْ كفٍّ ورْدىٍّ لحسناوات كأنَّهن الشَّهدُ واللَّبَنُ.

طالما توجد الدنيا، فليكنْ نصيبُك من الدنيا الطَّربَ، ونصيبُ حاسدك الفكرَ والغَمَّ والأنينَ.

وليكنْ جاهُ حاسدك من الإدبار تحت الثَّرى، ورايةُ إقبالك متجاوزةَ الأثيــر من الفَلَك.

---

(١) أى : نحيلا.

(٢) أى : شاحبًا.

فى مدح السلطان مسعود بن حَسَن (ص ١١٧-١١٨)

١ - أيها المَلكُ، لك مَجْدُ "أفريدون" وكَرُّوفَرُّ "دارا" وخاتمُ "جمشيد" ورمْحُ "ذر" وقوسُ "قارن" وسَهْمُ "بهرام"(١).

فمَنْ يفتح قوسَك ينطلق منه سهمُ المَلك "بهرام"، ويحتمى منه "المريخُ" و"عطاردُ" بالشمس والقمر.

لك حصَّةٌ وحَظٌّ ونصيبٌ وقسمٌ وهبةٌ من رَسْم وطريق وعادة الملوك المظفَّرين.

جعل لعالم لطفِك وعُنْفِك وحبِّك وبغضِك أساسًا، طالما فى العام شتاءٌ وربيعٌ وصيفٌ وخريفُ.

كشحت صورةُ سيفك ظُلمةَ الظُّلم من الدنيا، وصار لظلمة اللَّيل ضياءٌ مثلُ صورة أشعة الشمس.

أيها المَلكُ، أنت شمسٌ وأشعةُ الشمس سيفُك، ومركبُ العالم يطوى لك السَّماءَ المستديرةَ.

كان المَلكُ "أفراسياب" ملكَ "توران" وصاحبَ "إيران" وأنت وارثُ "أفراسياب"، فامْلُكْ هذه وخُذْ تلك.

لا تظن أن أحدًا من الملوك فى الدنيا يناظرك فى حُسْن الخُلق ومسعود الطَّالع.

يعد الخطيبُ اسْمَك "السلطانَ مسعود حَسَن" أحسنَ القول وموضعَ حُسْن القبول من سعد الفَلَك(٢).

١٠ - التأييدُ والنُصرةُ مضمرةٌ فى غِمد سيفك، حتى يُخرج السيفُ المسلولُ ذلك الكامنَ فى الضَّمير.

---

(١) أفريدون: يعود نسبه إلى طهمورث وجمشيد وقاهر الضحاك، ودارا: أحد ملوك الكيانيين وقتل على يد الإسكندر، وجمشيد: أحد الملوك القدماء ويعنى اسمه بالبهلوية شعاع الشمس، وذر: من ملوك البشداديين وابن منوچهر وتولى الحكم بعد أبيه وقتل على يد أفراسياب، وقارن: أحد الأبطال المعاصرين لرستم بن دستان وأحد عظماء الأشكانيين، وبهرام: هو بهرام گور الذى تربى فى قصر النعمان بن المنذر ملك الحيرة وتعلم من العرب الطعن والضرب والفصاحة.

(٢) أى : المشترى.

ما دمتَ مؤيَّدًا ومنصورًا على كلِّ عدوٍّ، فاحفظ المنَّةَ من"نعم المؤيد"ومن"نعم النصير"(١).

فى أيامك صار الأدنياءُ على مائدة غرور الدهر يتجرَّعون الخداعَ والتدليس(٢).

خَمَّرَ الحقُّ عَدْلَك فى طينة آدم، حتى تنتزع الخلقَ من الظلم مثلَ الشَّعرة من العجين.

بسبب عَدْلك ليس للمتضرِّرين من الراحلين والمقيمين ذرَّةُ خوفٍ ليلَ نهار.

شُهْرَةُ عَدْلك جعلت الظُّلْمَ شريدًا من الدنيا، فأين الظلمُ؟ وأين الظالمُ؟ فأروى بأنه عبثٌ وهراء.

إذا تحدثتُ عن عَدْلك فأنا صادقٌ، فالحملُ الجائعُ فى الصحراء قد ارتوى من لبن الذِّئبة.

لو عادت روحُ شخص إلى قصرك العامر، لكان حاجبُ قصرك هو "أردوان" و"أردشير"(٣).

اسمُ النَّبى فى النبوة "بشيرٌ" و"نذيرٌ" ، وأنت لستَ نبيًّا ولكنك نذيرٌ وأيضًا بشير.

فلقد جُعل بشيرًا للأوفياء ونذيرًا للظالمين للوفاء بالوعد الحَسَن وجزاءَ الخير.

٢٠ - حينما ينطلق فى الميدان سَهْمُ صوتك "بالنَّوا"،تعلو رايتُك على الأثير مثل النار آيةً.

---

(١) خطأ من الشاعر والأصل هو:" نعم المولى ونعم النصير" [سورة الأنفال آية ٤٠] وربما دفعه إلى ذلك كلمة "مؤيد" فى الشطر الأول للبيت.

(٢) قال الأستاذ همائى فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٠٣): إن "سيردرلوزينه" كناية عن الخداع والتزوير.

(٣) اردوان: هو أحد ملوك الاشكانيين، أردشير: هو مؤسس الدولة الساسانية وحكم حتى سنة ٢٤١ .

الجيشُ الذى من حركته هَبَّ نَفيرٌ عامٌّ لهم، قد هَبَّ من نفير لهم من أقلِّ غلام خاصٍّ لك.

يضطرب جَبَلُ الحديد من وقوع المتمرِّدين أسرى فى الأغلال والسلاسل[1].

فلو تصوب الرُّمْحَ على سَدِّ الإسكندر للتجربة، فإنَّه سوف يَمُرُّ منه مثل مرور الإبرة فى الحرير.

"ياسوزنى"، استخرجْ ما فى أعماق البحر من عِقد دُرِّى فى مدح الأمير، ولتجعلْ كلَّ ما فى بحر الخاطر من لؤلؤ خطيرًا.

أيها الملكُ، الشعراءُ هم أمراءُ الكلام، وأنا حين أكون لك مادحًا أكون أميرًا على الكلام.

طالما أنا الأميرُ على الكلام، فيلزم وَضْعُ خزانة للقول، وينبغى لأمير الكلام عدمُ التَّنصُّلِ من خزانة القول.

ولكن كيف يليق على شيخ مثلى اسمُ أمير، وأنا عبدُ الأمير المداح، أنا العبدُ المدَّاحُ الشَيخُ.

ألا فاسعدْ، يا مَن الأحبابُ سعيدةٌ بدولتك، وعِشْ طويلاً، يا مَن الأعداءُ فى زَحير من هيبتك.

ألا فاسعدْ، وعِشْ طويلاً طالما الشَّمسُ تكون فى العالم مفتخرةً بسيف المَلك وخاتمه وتاجه وعرشه.

فى مدح نظام الدين (ص١١٨-١١٩)

١ - مرةً أخرى جالَ فى خاطر هذا المدَّاحِ الشَّيخ أنَّ طريقَ الشَّابِّ هو طريقُ مدح الوزير شابِّ الطَّالع شابِّ الإقبال.

---

(١) فضلت هنا ما جاء به جلال الدين همائى من (مستدركاته ص٤٠٣).

الصَّاحبِ العادلِ "نظام الدين" وزيرِ مَلك الشَّرق، مفخر أولاد الأمراء، فهو الوزيرُ وأيضًا الأمير.

صاحبِ صاحب القران[١] عالمِ الفضل والشَّرف، وهو فى ذلك صاحب قران بلا قرين وبلا نظير.

قلَّ أنْ رأى أو يَرى العرشُ وصَدْرُ الرياسة صَدْرًا رفيعَ القَدْر عالى الهمَّة ناصعَ الضَّمير مثلَه.

تستمدُّ الشمسُ المضيئةُ الضِّياءَ من ضميره الوضَّاء، وعلى ذلك النَّسق أيضًا البَدْرُ المضيءُ من الشمس المضيئة.

صار عَدْلُه عونًا للخَلق على يد الظُّلم، حتى لا يقعَ أحدٌ أسيرًا فى يد الظَّالم.

قبل عهده كان الخلقُ يجأرون بالشكوى من الظُّلم، فأحضر عَدْلُه صائحًا نائحًا.

وطالما قد صار فى طريق الإنصاف والعَدْل مشيرًا للمَلك، فإنَّ الظَّبْىَ قد ارتوى لبَنًا من ثَدْى الأسود[٢].

العدوُّ الذى ينقر الطَّائرُ الذَّهبىُّ الجَسَد[٣] فى بحر القار من يده، أضحى قلبُه مثلَ القار[٤] ووجهُه مثلَ الذَّهب[٥].

١٠ - وسواء ببحر القار ذاك أو بمنقار الطائر ذلك، فإنَّ يَد الفقير تُعَبِّئ حواشى ثوبها بالذَّهب من خَطِّه.

وهو بنفسه ذلك الشَّخصُ الذى يسعى بجُوده فى الدنيا للفقير، والشخصُ الذى لايعلم بتلك الفتوى، راضٍ بالجواب منه.

---

(١) أى : الملك المظفر.
(٢) أى : اللَّبؤات.
(٣) أى : الشمس.
(٤) أى : سوادًا.
(٥) أى : صُفرَةً.

حين خَمَّر الخالقُ طينَ خِلقته، خرج البخلُ من ذلك الطِّين مثلَ الشَّعرة من العجين(١).

يخرج هوسُ العظمة لحاسد جاهه من التَّنور الحار فَجًّا غيرَ ناضج.

أيها الملكُ، المُلْكُ مزيَّنٌ من صرير قلمك، وقد أخذ العرشُ والصَّدْرُ والكرسى الزِّينةَ منك.

وإذا سمع "عطاردُ الفَلَك"(٢) صريرَ سير قلمك فإنَّه يشق السوقَ الحالك أمام النجوم السَّيارة الأخرى.

لو يصير قلمُك حاميًا لـ "عطارد" فإنَّه لن يخشى الاحتراقَ، ويمرُّ من قرص "الشَّمس" مثلَ مرور السَّهم من الهدف.

فلينطلقْ سَهْمُ أمطار البلاء الشَّبيهة بالزَّمهرير فى فصل الشتاء من قوس الفَلك على الروح الشريرة لحاسديك.

وليكنْ لحاسديك من رياح الحَسْرة ومَطَر النَّدم نَفَسٌ مثلُ الزَّمهرير وقلبٌ فى هيئة السَّعير.

وقف مادحو العالم من الشَّباب والشيوخ مادحين أمام عرش عظيم مثلك.

٢٠ – ليس فى عالم الفصاحة وفى درس السَّخاء مفتٍ مصيبٌ مثلُك وناقدٌ بصيرٌ يشبهك.

شِعرى يشتريه العالمُ، بينما الجاهلُ هو حمارُ الأصيص، ويكون شِعرى أمامه مثلَ الشَّعير أمام حمار الأصيص(٣).

طالما يمسك المعلِّمُ بالقلم ويشكِّل بالقلم المسكى مثلَ المطَرِّز رقمًا على وجه الحرير الكافورى.

---

(١) مثل فارس عربى وهو: خرج منها مثل الشعرة من العجين.

(٢) نكرِّر أنَّ كوكب "عطار" هو معلِّم الفَلك ومؤدِّبه فى الأدب الفارسى.

(٣) أخال أن معنى "خرگلبن" هنا بمعنى الحمار الذى يحمل أصيص الورد، ولم أجد فى المعاجم الفارسية ما يروى غلَّة فى ذلك.

فليكنْ قمرُ الدنيا مثلَ البريد لأجل الخَبر لك، وليكنْ الديوانُ مثلَ المعلِّم لأجل التَّحرير لك.

فى مدح نظام الدين (ص١٢٠-١٢١)

١ - فى خاطرى هَوَى الأمير، ولذلك فأنا مادحُ الوزير(١).

لم يحدث لفكر خاطرى قصورٌ أنَ وَجَدَ السَّيِّدَ وزيرًا وأميرًا.

فقد جلس فى الوزارة راضيًا سعيدًا ولم ينعزل عن الإمارة.

مَلِكَ الأمراء "نظامَ الدولة والدين"، العالمُ العادلُ الكريمُ الكبيرُ.

ذلك الذى نَشَرت شمسُ عَدْله وفضله النُّورَ على الكبير والصغير.

لم يَردْ إلى عين همَّته مُلْكٌ ومُلكُ العالم إنْ قليلاً أوكثيرًا.

لم يكن رأيُه وتدبيرُه زينةُ المُلك إلا موافقًا للقضاء وللقدَر.

هو آيةُ الفضل ورحمةٌ من الحقِّ، فهو لا يَدْرى تَفْسيرًا بغير الحقِّ.

لعَيْن المُلك والملوك ضياءٌ من دواة قاسى القلب.

١٠ - يصوِّر بصَرير القَلَم صورةَ العقل فى دار المُلك.

استولى بصَرير القَلَم على العرش من وزراء المشرق والمغرب.

لو تَعْرِض خَطَّه على عين الأكمه، ترتد بصيرةً على الفور.

لا تَرِد إلى ضميره فكرةٌ سوى الإنصاف والعَدْل والشَّفقة والرحمة.

ينتزع عَدْلُه ظُفْرَ الظُّلم من اللَّحم مثلَ الشَّعرة من العَجين.

أمام كفِّه المعطاء، الفقيرُ فى الدنيا مثْلُ السيمرغ والكيمياء(٢).

لا يدخل فى بلاط وزارته الكيمياءُ والتَّزويرُ إنْ قليلاً أو كثيرًا.

---

(١) واضح من مدائح الشاعر للمدوح "نظام الدين محمد بن على " أنه كان أميرًا ووزيرًا فى الوقت نفسه، وسوف يتكرر ذلك الوصف فى القصيدة التالية مباشرة.

(٢) أى : بلا وجود.

يستغيث الظلمُ من يد عَدْله مثلَ المظلوم من الظالم.
كلُّ مَنْ يرى خيالَه فى النَّوم، يكون له قُدْرَةُ التَّعبير عن العظمة والسعادة.
وذلك الذى لا ينال منه نظرةً مطلقًا، كيف يكون نديمًا على هذا النَّسَق.

٢٠ - يَزِيد نظرُه نورَ العَيْن؛ ذلك لأنَّه الصَدْرُ بلا عديل ولا نظير.
يا مَنْ لا نظيرَ لك فى الدُّنيا سواك، بطالع الشَّباب وتوفيق الشَّيخ.
صار "السوزنى" شيخًا وصار بسبب الشيخوخة مقصِّرًا فى خدمتك.
لو يقبل كلامُه التَّغيُّرَ، فإنَّ عقيدتَه لا تقبل.
طالما يكون للفَلك السَّريع الدوران، سَيْرُ الشمس المضيئة والبَدْر المنير.
وطالما المَلكُ نافخُ الصُّور حافظًا لك من آفة الأيام ومعينًا ونصيرًا.
فليكن لشمس بقائك وبَدْره، الخلودُ على فَلك الجاه المسَيَّر.

فى مدح صدْر الوزراء (ص١٢١-١٢٣)

١ - السَّرْوُ الفضىُّ(١) سَوَّدَ طَرَفَ(٢) القمر المنير(٣) بالخَطِّ الأسود(٤) الشَّبيه بالقار.
فيكون السَّحَرُ خَطَّه الحالكَ، ويكون الوجهُ السَّاطعُ القمرَ المنيرَ.
فتنبعث من العالم استغاثةٌ دائمةٌ؛ لأنَّ وَجْهَ القَمر قد استولى على السَّحَر(٥)
وجهُ ذلك القمر استولى عليه فعلاً، وأنا قد أقبلتُ مستغيثًا منه ومستجيرًا.
فلقد جعل قلبى مجنونًا من البداية، وقد سَلْسَله بسِلْسِلةٍ مسْكية(٦).

---

(١) أى : المعشوق.
(٢) أى : عين.
(٣) أى : الوجه.
(٤) أى : الكحل.
(٥) شبگير: تعنى السَّحَر وتعنى السَّاهر حتى السَّحَر وبالمعنى الأخير لها يكون معنى الشطر الثانى من البيت: أن وجه المعشوق قد استولى على العاشق.
(٦) أى : ضفيرته.

وحين تعلَّقتُ بناصية سلسلته(١)، صار حِضْنى معبأً بالمسْك والعَبير.
لقد مصَصْتُ شفتَه الياقوتية بمتعة، فقد وجدتُ بها مَزَّةَ السُّكَّر واللَّبن.
لقد ارتشفتُ اللَّبَنَ من تلك الشَّفةِ، فرجعتُ طفلاً وإنْ كنتُ شيخًا.
ولقد أتيتُ طفلاً حديثَ العَهْد بالحديث، ولم يكنْ لىَ حديثٌ سوى المديح للوزير.

١٠ - الصَّاحبِ العادلِ صَدْرِ الوزراء، فالصَّدْرُ السَّعيدُ علامةُ الضَّمير السَّعيد.
فى النَّسب، فخرُ الأمراء العظام، فى اللَّقب، صَدْرُ الوزراء الكبار.
زينةُ العرش بالبهاء والعظمة، زينةُ المُلْك بالرأى والتَّدبير.
ذلك الأميرُ والوزيرُ الذى ليس مثلَه فى العالم وزيرٌ وأميرٌ.
كان فى الإمارة بلا نظير وشبيه، وصار فى الوزارة بلا مثيل ونظير.
فى سِنِّ قَلَمه زينةُ المُلْك، فهو مَلكُ الشَّرق المَلكُ غازى الإقليم.
أيها الوزيرُ الذى صَوَّرَ سِنُّ قلمك صورةَ العَدْل والكرم.
كلَّما يصوِّر قلمُك، فليس منه الخامُ ولا يكون فيه تزويرٌ.
ظَفَرتْ يَدُ عَدْلك بالظُّلْم، فانتزعته خالصًا مثلَ الشَّعْرة من العجين.
فى تَنُّور الكرم لايكون فيه للطامع فَجٌّ ولا خامٌ فى كلِّ وقت.

٢٠ - يقوى ظهرُ العمال بعونك، وتَقَرُّ عينُ المَلك بوجهك.
أيها الصَّدْرُ ليس للوزراء والأمراء خلاصٌ من خدمة صَدْرك.
وليس فى العالم نوعٌ واحدٌ لفَضْلٍ لم يكن لك منه حظٌّ ونصيبٌ.
من هَيبتك يصير النَّهارُ السَّاطعُ على قلب حاسدك مثلَ اللَّيل الغربيب.
ما إنْ يطلق الفَلَكُ سَهْمًا على قلب خصمك، حتى يصير السَّهْمُ فى بُرج القَوس.

---

(١) أى : ضفيرته.

يكون حاسدُ جاهك من نار قلبه ذا أنفاس حارة فى فصل الشتاء.
ليس ثمَّةَ رجلٌ مناظرٌ لك فى الدنيا، وليس ثَمَّةَ كوكبٌ مشابةٌ لك فى الفَلَك.
ضَاعَ "عطاردُ" السَّيَّارُ على فَلَكه خَجَلاً من سِنِّ قلمك.
أمام سَخائك وكرمك، الفقيرُ فى الدنيا مثلُ "السيمرغ" لا وجودَ له.
قلمُك بصَرِيره يُحْيِى كرمَك، مثلَ نفخ الصُّور للميت.
ويصير السَّائلُ من ذَهَبك "قارونا"، إذا صنع إكسيرًا من مديحك.
ليس لآيات كراماتك تفسيرٌ سوى الإحسانِ والأيادى[١].
كلُّ مَنْ يُرَتِّل مديحَك فى النَّوم، فهو يُعَبِّر عن الطَّالع اليقظ [٢]
كان جلدُ المادح مثلَ الثُّوم[٣]، فيصبح بِبِرِّك مكسُوًّا بطبقاتٍ كالبَصَل.
طالما طريقُك وسَيْرُك هكذا، فليس لدولتك عزلٌ[٤].
طالما أنَّ الفَلَكَ المسطَّحَ الدَّائرَ مرتفعٌ على الأرض.
فليكنْ دورانُ الفَلك وفقَ رغبتك، وليكنْ التقديرُ هكذا للمَلِك.
فلتَبْقَ طَوال العام فى بشاشة وطرب، وليَبْقَ حاسدُك فى غَمٍّ وزَحير.

**** (ص١٢٣-١٢٥)

١ - كنتُ سُخْرَةَ الشَّيطان بالعَبَث فى كلِّ معصية، فخلِّصنى ياربُّ من سُخْرة الشَّيطان.
أنا شيخٌ والشيطانُ شيخٌ وحين صِرْنا قرينين، كان يَصْدر من كلا الشَّيخين مائةُ معصية فى كلِّ لحظة.

---

(١) أى : البيضاء.
(٢) فضَّلتُ ما جاء به جلال الدين همائى فى (مستدركاته على الديوان ص٤٠٤) لتمام المعنى.
(٣) أى : عريانا.
(٤) أى : نهاية.

فأنا أسلك طريقَ السَّعير وبسبب فساد العقــل، كــان هُيــامى للحوريــات وللوسادة وللمخدع.

ولم يقلْ لى أحدُ المجرِّبين: أيها السَّاذجُ الوقحُ، إنَّ الحورَ والمخدعَ والوسادةَ هى طريقُ السَّعير.

وصار شَعْرى كاللَّبن[١] والعُمْرُ لم يشبعْ بَعْدُ؛ لأنَّنى لم أرتدعْ عن معــصية واحدة طوال العُمْر.

اقترفتُ الذُّنوبَ سرًّا وعلانيةً، وهو الخبيرُ بحال سرِّى وعلانيتى.

كان الحقُ ساترى بفضله، وكنتُ أكشف عَبثى أمام الخَلق بجهلى.

كنتُ أعْدُو كالحمار الوحشى إلى قبضة الفساد والفسق، طالما أنــا متكبِّــرٌ وبرذونٌ متمرِّغٌ وعاصٍ.

حتى أتى صائدُ الشَّيخوخة وهيَّأ لاصطيادى الشَّبكَ والــوَهَنَ وسَــهْمًا مــن أربعة أسهم.

١٠ - سَهْمٌ من الشتاء وسَهْمٌ من الربيع، وسَهْمٌ من الصيف وآخرُ من الخريف.

فضَربَ بشباكه حولى وقَيَّدنى بأنشوطته، ثم صوَّب إلىَّ من قوســه ســتين سَهْمًا[٢].

وحين تلقيتُ ستين سَهْمًا، اسوَدَّ خاطرى؛ ذلك الخاطرُ الذى استمدَّ "القمــرُ" و"عطاردُ" النورَ منه .

وما إنْ صادت الشيخوخةُ عُمرى بالشهور والأعوام، حتى صارت أيــامى المضيئةُ حالكةً كاللَّيل.

وطارت تلك السنون والشهورُ والأيامُ التى لىَ من عُمْرى كطائر له جنــاحٌ يشبه اللَّبَنَ والقار.

---

(١) أى : بياضًا.

(٢) يعنى: أنه بلغ السِّتين من عمره.

صار كتابُ أعمالى الشَّبيه بالقار وبالاً علىَّ من ذنوبى من التَّافه منها إلى الجسيم.
صار جُرمى الصَّغيرُ بإصرارى عليه كبيرًا، مثل الطفل الصغير الذى صار كبيرًا بالتَّغذية.[١]
لو تهبُّ علىَّ رياحُ عَفْو الخالق الأكبر، فلن يبقى لىَ جُرْمٌ سواء من الكبير أم من الصغير.
كان جُرمى عظيمًا، لكن حينما أتأمل فى عَفْو الخالق يأتى هذا الكثيرُ قليلاً.
ليسَ لىَ من الأنين المؤلم راحةٌ، كفَى أنَّنى كنتُ غافلاً تحت وطأتها.
٢٠ - فأنا من الشَّر أشبه حبَّةَ الرُّمان فى فصل الشتاء، ومن الخير أشبه الثَّلجَ الذى يكون فى الرَّبيع والخريف[٢].
كنتُ ألعق أعتابَ الكبار والعظماء مثل كلبٍ هَرِم ثَمِلٍ يطلب وعاءَ الجبن.
الحقُّ هو الآمرُ بالأمر وكان يجب علىَّ الإنصاتُ جيِّدًا إلى الحاكم والأمير.
ولكن مدحتُ الوزيرَ والسلطانَ، فحصلتُ على رزقى من سجل السلطان[٣] بدون وزير.
وعلمتُ أنَّ خدمةَ المخلوق ليست بشئ؛ فمنهم المَهْرَبُ ولا مَهْرَبَ من الله.
مالكِ السموات والأرض خالق البَشَر، فمنه أتى إلينا خيرُ البَشَر بشيرًا.
ذلكَ الصَّانعُ الذى من تأثير صُنْعه، العديدُ من آلاف الشموع تزيِّن اللَّيلَ فى جوِّ الأثير.
أقلُّ ما لعبده العاصى فى الجنَّة، يزيد عن مُلْك "أفريدون" و"أردشير".
فساحةُ الجنَّة بالحوريات تشبه الأرضَ، حينما يخطرن عليها بوجوه نَضِرةٍ.

---

(١) فضَّلتُ ما جاء فى الحاشية لهذا البيت لتمام المعنى.
(٢) أي: يَشْتعل فى الشر مثل حُمْرة حَبَّة الرُّمان، ويَبْرد كالثَّلج أمام الخير. وهى صورة جميلة تعبِّر عن حالة الصدق مع النفس للشاعر وقتها.
(٣) أى : الله.

الجنَّةُ رضاه، فاعلمْ أنَّ لرضاه عدةَ آلاف من النِّعم المتنوعة بلا نظير.

٣٠ – الحورُ والقصورُ والطيورُ والخَمْرُ واللَّبنُ والعسلُ والحورياتُ الفاتناتُ والطيورُ الصادحات.

جهنمُ غضبُه وأثرُ غضبه معاناةُ جحيم لا حدَّ لها وغمٌّ وزَحيرٌ لا ينقضيان.

لأصحابها عذابٌ من كلِّ ألوان الألم والغمِّ، وبسبب ألمها يصَّعَّد من كلِّ واحد من أصحابها صوتُ النَّفير.

كأسُ الحميم على الشَّفة وشجرةُ الزَّقوم من الخَلف، النَّارُ اللَّافحةُ وجهُها الأول والزَّمهريرُ وجهُها الآخر.

وهم تحت أثقال الجُرم والزَّلل كالحُمُر ترسل الشَّهيقَ والزَّفيرَ في كلِّ ناحية.

تحت إمرته وحُكْمه الفَلكُ المستديرُ الدَّائرُ والقمرُ المنيرُ والشَّمسُ السيَّارةُ.

يتحقق العَدَمُ والوجودُ بقدرة تقديره، وهو القديرُ على كلِّ ذلك الذى يحدث له وجود.

يا مَنْ لا تأتى كيفيتُك إلى فكر وضمير مفكِّر ناصعِ الضَّمير.

فأنت واحدٌ، ولىَ على وَحْدانيتك إقرارٌ، وعينى قريرةٌ وكذا قلبى بهذا الإقرار.

وعندما لايكون لىَ كرامةٌ من ذنوبى، فإنَّ مآبى ومرجعى ومصيرى إليك.

٤٠ – فاقبلْ توبتى وتجاوزْ جُرْمى، وخلِّصنى من نار الجحيم أيها المجير.

وإنْ يعترضنى الشَّيطانُ فى طريق التَّوبة، فكنْ لى أنا العبدَ نصيرًا فى تلك المعركة.

يا "سوزنى"؛ لقد تجمَّدتَ مثلَ إبرةٍ صدأةٍ بلا لمعان ولابريق؛ سافلاً وحقيرًا.

صيرْ بلا صدأ، حتى يحيك خيَّاطُ فضل الحقِّ بك أيضًا حُلَّةً مــن الحريــر تناسب قوامَك.

لقد أنشدتَ كثيرَ الهزل فقلْ شيئًا من الزُّهد، أعرضْ نَقْدَ النَّظم على النَّاقــد البصير.

طالما أقمتَ الطَّبعَ بالزُّهد والنُّصح، فاخْرُجْ ممَّا أنْشَدْتَ مثلَ الــشَّعرة مــن العجين.

ولأنَّك أستاذُ الشُّعراء، فإنَّهم يعقدون فى تَنُّور نَظْمك العجينَ منــه فتجعلــه مثلَ الخُبز.

فعِشْ على حُبِّ المصطفى وصَحْبه وآله، عِشْ مع حُبِّ الشَّبر والشُّبير(١).

وحين يدوِّنون صحيفةَ بقائك، فاجعل العنوانَ باسم الحقِّ ومُتْ علــى ديــن الحقِّ(٢).

ياربُّ، احْمِنى من شيطان الدُّنيا، ولاتُبْقنى بعد هذا أسيرًا فى سلسلته.

---

(١) أى: الحسن والحسين رضى الله عنهما.

(٢) فضَّلتُ ما جاء به جلال الدين همائى فى (مستدركاته على الديوان ص٤٠٥) لتمام المعنى.

حرف (ز)

في مدح سَعْد الدولة (ص١٢٦-١٢٧)

١ - أعاد الشَّوقُ السَّعْدَ والتوفيقَ لـ"سَعْد الدولة"، فامتثلا أمامَه كلاهما لأجل خِدْمته.

إنْ لم يتَمنطق التَوفيقُ والسَّعْدُ بنطاق خدمته، فأنَّى لهما أنْ يجدا أفضلَ منه عظيمًا وملاذًا؟!

يكون للأيام معه حُسْنُ الصَّنيع عن طريق العقل، وإنْ لم يكنْ حُسْنُ الصَّنيع معه، فمع مَنْ يكون؟.

صارت رايةُ إقبال سَعْد الملوك خفَّاقةً ثانيةً مثلَ الرأى الرَّفيع لسَعْد الدول وهمَّته العالية.

والآن أيضًا، فإنَّهم يأتون بأعناق المتمرِّدين عن أمْره أمام بلاطك منقادةً للطاعة[1].

وترى أيضًا أثرياءَ العالم أمامه مابين مغلول اليد وباسطها لخدمته والتَّضرع له.

لو صار المخلصُ له كالذَّهب، فاصبح لإقباله تلك القوَّةُ التى تحت المقراض فيحمل ذلك الذَّهب.

لو كان لسَيِّئ الطَّوية فى دولته من قوة حديدية، لانصهرت أمامه كالشَّمع والشَّحْم من النار.

ولو كان لحاسده مكانٌ على العرش قيد شبر، لكان هذا المقدارُ له بمثابة شَرَك أيضًا.

(١) ويُراعى الالتفات فى البيت.

١٠ - حاشا لله لو كان ناصحُه فى هذا المكان، بأن يكون موضعُ خطـوة علـى العرش سرٌّ شَرَك صقْر له.

ما أكثرَ أنْ أعطى الفَلَكُ الحليبَ كالمربية لأعدائه، فيحمل لهم الحليبَ دائمًا حتى يصير كالمرضعة.

ولما حانَ الوقتُ، فإنَّه يَسْحَقهم كالثوم، وحينذاك يجدون جميعًا الحليبَ بثمن البصل(١).

فقال حاسدُه: إنَّه يخفض كلَّ ذى رفْعة، وقال ناصحُه: إنَّه يرفع من شـأن كلِّ وضيع.

وبَعْدَ العُمْر الطَّويل للذين عاصروا هذا العَصْرَ، أضحى لناصـحه اللِّـسَانُ واليدُ الطولى على الحاسد.

وقال: أيها الحاسدُ؛ ألا تَرى "سَعْدَ الدولة" كيف صار؟! قـال: أنـا الجـدُّ والحقيقةُ، فقال: أنت الهزلُ والهراءُ.

اجعلْ أعتابَ "سَعْد الدولة" قِبْلةً للعالم، حتى ينفتح لك بابُ الإقبال والـسَّعدِ والدولة.

اجعلْ ثَرى أقدام "سَعْد الدولة" توتيا للعين، حتى تـصير قانعًـا وواضـحًا وكريمًا.

أيها الملكُ الذى تَتوسَّد على عرش العزِّ والدَّلال بالصَّدارة على صَدْر مُلوك الجاه.

وطالما تكون متصدِّرًا القادة، فكنْ طَوال الدَّهر مانعًا ومجيزًا بسِنِّ قلمـك لأمور الدَّهر.

٢٠ - كنْ شرابًا(٢) للأحباب وللأعداء؛ فأشْعِلْ جوفَ الأخسَّاء واطْرِبِ الأحبابَ.

---

(١) أى: بلا فائدة بسبب سَحْقهم.

(٢) كلمة "شراب" هنا تعنى الخمر.

طالما يظهر على شَحْمة أُذن الحِسَان الخطُّ الأخْضر،[١] مثلَ الدِّيباج الصِّينى المطرَّز بالمسْك التَّترى.

فاترعْ كأسَ الطِّلا من حَسْناوات الـصِّين والتَّتَـر والطُّـراز، تـارةً مـع الحَسْناوات وأخرى مع ذوات الخطوط المسْكية[٢].

وطالما يتعلَّم الصَّقْرُ من القطاة تبخترَها، وطالما تَتَعَلَّم القطـاةُ المتبختـرةُ الدَّلالَ من الصَّقر.

فتعلَّقْ بالذؤابة مثلَ قبضة الصَّقر حبيبِ القطاة، واهجِمْ فى الغارة بقُبلةٍ مثلَ الصَّقر مع القطاة .

---

(١) أى : نبْت الشَّعر.

(٢) أى : الفاتنات.

فى مدح وزير (ص ١٢٧ – ١٢٨)

١ – عادت الوزارةُ ثانيةً لى أهلها، وصار بابُ قَصْر دولة الأمراء مفتوحًا على مصراعيه.

مَلكُ الأمراء " نظام الدين" الذى له طالعٌ أكثر يُمْنًا على المُلوك من "الهُما" و" الصَّقر النَّجيب".

حلَّق فى كلِّ هواء مثلَ الصَّقر النَّجيب طيلةَ أربعة أعوام من عُشِّ المُلوك ثم آبَ إليه ثانيةً.

عاد إلى مُستَقَرِّه وقصْره وعرشه ومتَّكأه، على شاكلة العاشق الواله مع المعشوق.

حلَّقَ طائرُ "هُما" الدَّولة والنَّصر على رأسه ؛ فنال الصدارةَ بيُمن(١).

وما إنْ عَلاَ صوتُ منادى إنصافه، حتى صار الظُّلمُ عَدَمًا بسبب قلم عَدْله المنبسط.

وقد صار رأسُ محترف الظُّلم مَسْحوقًا مثلَ الثَّوم؛فيخبر ظالمَ الفكر بقيمة البصل.

تصير ممالكُ الشَّرق مزَّينةً بقلمه؛ فهو يحمل رسالةَ إنصافه إلى الشام والحجاز.

لقد استضاءت وسوف تُضىء الدنيا بكلِّ جنباتها بنور عَدْله مثلَ شَمْع دولته.

١٠ – يا مَنْ عَضَّ حاسدُك أناملَه بنواجذه غيرةً من جاهك وحَسَدًا وغيظًا.

فلتكنْ رأسُ حاسدك فى حالة حُرقة، وجَسَدُه كلُّه فى حالة انصهار من اللَّيل حتى النهار مثل الشَّمع .

---

(١) أشير ثانية حتى يتضح المعنى أن الأسطورة الفارسيه ترى أن طائر "الهُما" إذا حلَّقَ على شخص وسقط عليه ظلُّه صار ملكًا.

هكذا يكون للمُلك حاجةٌ إلى وزير مثلك، ويظلُّ طَوالَ الدَّهر في رغبة إليك.

وأنا أُهَيِّئُ بالشِّعر هذه التهنئةَ للمُلك وليس لك؛ لأنَّ المُلكَ هو الذى احتاج إلى عمل وزارتك.

لو أقسمتُ بعزَّة الله، أنْ ليسَ ثمةَ شاعرٌ له باعٌ طويلٌ فى القول مثلى.

فلا خلافَ فى ذلك علىَّ ولا على قَدْرى؛ لأنَّنى وقت إطلاق الحكم لا أكون مثلَ الفلاسفة.

فحسبى ما قلتُه على البداهة بما يَّتفق مع الطَّبع، وإن كنتُ أتحمل فى النِّهاية ضَعْفَ البدايات وسذاجاتها.

فسَواء أكان رديئًا أم كان طيبًا؛ فلا حاجةَ مطلقًا للتضرُّع لك مثلَ الله بمدائحى.

فأنا والدُّعاءُ والتَضرُّعُ ومديحُ مجلسك، وحين لا يكون هناك أفضلُ من هذه الثلاثة؛ فأنا سوف أُوجز.

طالما لا يرون دائمًا شبَعًا لطمَعهم؛ فليكن لك البقاءُ بالقَدْر الذى يُشْبع نَهَمَهم.

فى مدح وجيه الدين (ص ١٢٨ – ١٢٩)

١ – ها أنا ياربُّ، قد نلتُ من النُّدماء السَّماحَ بتلاوة المديح على الوزير المعظَّم الملاذ.

ففتحتُ قفلَ دُرْج الطَّبع بمفتاح اللِّسان، وكشفتُ عن المكنونات المعتملة فى فؤادى.

فهشَّ المعظَّمُ الملاذُ من مديحى وبَشَّ، وأنا سعدتُ من قَبوله له وابتهجتُ.

حضرةُ "وجيه الدين" قِبْلَةُ الأحرار الذى يتلو الخلقُ مديحَه مثلما يتلون في الصَّلاة "وجَّهت وجهى"(١)

المحترمُ الوزيرُ الذى يُعَدُّ قَصْرُه فى العَجم فى الإنشاء مثلَ البيت الحرام فى الحجاز فى الحُرْمَة الخالدة.

ذلك الشَّريفُ الذى هو فى بُسْتان وحديقة الأريحية والتَّحرُّرِ، السَّوسنُ الطَّليقُ والسَّرْوُ الطَّليقُ(٢).

ذلك الذى طالما تَحقَّقَ التَّحرُّرُ باسمه، وصار الطَّليقُ اسمًا مجازًا للسَرْوِ وللسَوسن.

ذلك الذى يكون مُتَّكأً على عرش العِزَّة، فصار عرشُ جُوده مُتكأً لأهل الحاجة.

طالما تصير سُفرةُ جُوده منبسطةً ؛ فإنَّ البُخْلَ يُصاب بالتَّجاعيد الواسعة كالسُّفْرة حول الحاجب والوجه.

١٠ – أمام سَخائه، نادرًا ما تَحدَّثوا عن القليل؛ فقال: كلُّ مَنْ يعرفني لا يعرف اسمَ القليل.

كلما في لغة التُّرك تعنى القليلَ؛ فسَاقى بِرِّى وعطائى لا يعرف العطاءَ القليلَ.

ترتفع المنَّةُ من السَّائل إلى الحلقوم بسبب الشَّيئ الذى طلبه، وإذا ما يطلب الرُّوحَ يهبها له بلا منَّة وبكلِّ سرور.

السَّائلون والزَّائرون يجدون من كلامه ملاطفةً مثلما يحظَى به الطفلُ المدلَّلُ من أبويه العطوفين.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى:" إنِّى وجهتُ وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفًا" (سورة الأنعام آية ٧٩).

(٢) الطليق "للسَوْسن" من الطَّلاقة فى اللِّسَان، و"للسَرْو" من الانطلاق فى الارتفاع السَّامق الشَّاهق.

لو يدخل على مجلسه سائلٌ عُرْيانٌ كالثوم، فإنَّه يخرج مكسوًّا كالبَصل بالحرير والحُلَّة.

العظماءُ يشيِّدون الكنوزَ لأجل حرز المال، وهو يحترز من حرز المال ليلَ نهار.

لو سقط ظلٌّ من كفِّه واهبِ الكنز على الأرض، لا هتَزَّت الأرضُ من أجل كنز قارون.

له قلبٌ أصفى من الفضَّة فى حُبِّ الفضَّة الصَّافية، ولا يهب الانصهارَ فى الذَّهب، وجَسَدُه فى ذلك فى انصهار كالذَّهب.

هو نائبٌ عن بطل الشرق وهكذا البطلُ يحمل قلبًا منفصلاً عن حُبِّ الذَّهب مثل حُبِّ الذَّهب من المقراض.

يا مَنْ النَّمرُ يفرُّ هاربًا من الغزال، ويرتعد الذئبُ خوفًا من بطش البطل ومن رأيك معلِّم العَدْل.

٢٠ - لو تفتُّ الأوزةُ فى عضدها على رياح عَدْل البطل، يتوارى الفَلَكُ مثلَ العنقاء رُعْبًا منها.

فى ظلِّ طائر "هُما" عَدْل البطل، تُمزِّق الصَّعْوَةُ عُقَابَ الظُّلم إربًا إربًا.

فى حِمىَ البطل تُخرج القطاةُ والتَّذْرو الكتكوتَ ملتقطَ الحَبِّ من بيضة الشَّاهين والصَّقر.

مَلَك توران خرزةٌ دائرةٌ على صَفْحة الرُّقْعة، ورأيك زينةُ المُلك هو اللاَّعبُ بالخَرزة على الشَّمس والقمر(١).

مربيةُ لطفك هى الشَّيخُ المربى الذى لم يَحْمِلِ الحليبَ لأىِّ عالم من الطفولة حتى الشيخوخة.

---

(١) هنا استفادة من لُعْبَة "النَّرد" فى تكوين الصورة.

لقد كنتُ جاهلاً[1] فى فراق صَدْرك، وأعاد جاهُك الجاهـلَ إلـى طريـق الصَّواب مرَّةً أخرى.

لقد أتيتُ حتى أغذِّى الطَّبْعَ بمدحك، ويكون مدحُك مُهَـيِّء غـذاءَ الطَّبـع لطَبعى.

طالما طولُ المدَّة وامتدادُها أمرٌ ممكنٌ فى الأمل؛ فليكنْ لك العُمْرُ الطويـلُ والممتدُّ مثلُ الأمل.

يدُ الحاقدين عليك عاجزةٌ عن إدراك السَّعادة، وتَبْقى عاجزةً عـن الإقبـال وممتدَّةً فى الإدبار.

طالما يضربون المثلَ عن الحُسْن بحَسْناوات الطُّـراز والـصِّين؛ فلـيكنْ مجلسُ محفلك من حَسْناوات الصين والطُّراز.

٣٠ – فلتكنْ لك كسْوَةُ العُمْر حتى حواشى آخر الزمان، واسمُك مطَرَّزًا بالعَظَمـة على كُمِّ ثوبه.

فى مدح إبراهيم ركن الدين حبيب (ص١٣٠ – ١٣١)

١ – عن بُعْد، قَصَدَنى بتبختُرٍ المَلكُ الملاذُ، مثلَ العنقاء تقصد عُشَّ الصَّقر.

الملكُ الذى أحضرَ بلُطْفه ورعايته ملـوكَ وجـه البـسيطة إلـى خدمتـه متضرِّعين.

الملكُ الذى يُعَدُّ بلاطُه مَسْجدَ الملوك، ويقدِّسُونه دائمًا.

إن ينلْ أقلُّ غُلام لديه الجاهَ والإعزازَ منه؛ ما نَقَصَ من عِزِّه ومُلْكهِ شَيْئٌ.

---

(١) ذكر محقِّقُ الديوان فى قسم "لغات" الملحق بالديوان ص ٤٧٧: أنَّ جملة :"كردره گم كـرده" مَثَلٌ بمعنى "زبان نفهم " والجملة الأخيرة فى المعاجم الفارسية تعنى : "الجاهل".

نزل مَلكُ العالم ضيفًا على "فخر الدين" فكأنَّه الملـكُ"زاول"[١] قـد قـصد غلامَه إياز".

و"إياز" قافيةٌ واجبةٌ، وإلاَّ ما تحدَّثتُ عن المَلك "زاول" من هيبة المَلك.

فصار "فخرُ الدين" مُدَلَّلاً لدى المَلك ذا مكانة عنده،ولو يتفاخر فيتفاخر بهذا التَّدليل.

المَلكُ الذى للقادة مثل "الإسكندر" رُمْحُه الماضى ووهقُه المنصوبُ وسَهْمُه المقذوف.

مَلكُ الملوك "إبراهيم ركن الدين حبيب" الذى نال الجوازَ بأن يكون سَـميًّا للخليل[٢].

يتدلَّلُ عليه ملوكُ الشَّرق وسلاطينُ الصين؛ فهو لدى أهـل الـشَّام وأهـل الحجاز مثل "الخليل" و"الحبيب"[٣].

لو يضع مثلَ الأب بدايةً لأساس وقاعدة الغَزْو؛ فلأجل قوَّة دين الحبيب.

فهو مثلُ "الخليل" يحطِّم الأصنامَ ولا يفكر فى المنجيق المحمَّل بشُعْلة نـار "النَّمرود"[٤].

فلو كان "إبراهيم"[٥] هذا حينذاك لكان شريكًا "للخليل" فى قَتْل "النَّمرود" السَّيِّئ.

ولأسقطَ النِّسرَ المحلِّقَ بسَهْم واحد، ولأصاب أربعة نسور "للنمـرود" فـى عُشِّها.

---

(١) أى: السلطان محمود الغزنوى، وأتصوَّر من السياق أن "فخر الدين" هذا هو الشاعر نفـسه، والقرينة البيت الأول للقصيدة. أو ربما كان فخر الدين هذا هو أحد ممدوحى الشاعر ومدحـه بأكثر من قصيدة وربما كان على صلة بالممدوح.

(٢) أى : سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام.

(٣) أى: سيدنا محمد ﷺ .

(٤) الملك الذى أمر بإلقاء إبراهيم عليه السلام فى النار.

(٥) يقصد الممدوح نفسه.

أيها المَلكُ الذى حيثما تُوجد مدينةٌ فى الآفاق ؛ فإنك تنشر فيها الدِّينَ والسُّنَّةَ وتَطْمس الكُفْرَ والبدعَ.

الخطباءُ ذوو الملابس السَّوداءِ والأصواتِ العاليةِ، قد نادوا علــى المنبــر بالدُّعاء لك بسبب عَدْلك.

وتصير الدنيا ذاتُ الطبقات من عَدْلك بحيث يتسَنَّى الــسَّيْرُ مــن "الــصين" و"الطِّراز" إلى "بيت المقدس".

لا يتأخَّر عنك الخراجُ الذى يحضرونه مــن "مــصر" والكوفــة و"بغــداد" و"البصرة" و"الأهواز".

فلو أرسلتَ على سبيل التَّجربة أقلَّ عَبْدٍ لك صوبَ إمبراطــور "كرمــان" و"شيراز".

٢٠ - فإنْ عَصَى عَبْدك لحظةً واحدةً، يرى "كرمانَ" فى القَبْر وقد صــارت لــه أنيسةً.

لو يكون عدوُّك شَمْعَ ضياء الدنيا؛ فإنَّ عُمْرَه لنْ يُعَمَّر ليلةً واحدةً كالشَّمع.

حين يقامر أحدٌ ضاحكًا كالشَّمع ليصير رئيــسًا؛ فــإنَّهم يفــصلون رأسَــه بالمقراض فيصير باكيًا كالشَّمع.

أيها الملكُ، مَنْ يقوى على نزاعك لحظةً ؛ فقد عاد إلى عداوتك ثانيةً.

ومَنْ يقرأ لوحةَ عصيانك؛ فإنَّه لا ينازع الوقوعَ ثانيةً فــى شَــرَك مقــدار خطوة من العرش.

مَنْ سار وفْقَ أمرك لا يتراجع عن هذا الأمر،والعرشُ نفسُه يرتعد من ذلك الأمر.

حين يحلِّق طائرُ "هُما" عَدْلك؛ فإنَّ "التذرو" ينتــزع الحبَّــةَ مــن مخالــب "الصَّقر".

من خوف هَيْبتك وخشية سياستك؛ فإنَّ "العنْزَ" فى الصَّحراء يفلت من مخلب "الذِّئب" المرعوب.

إن لم يَقع "الغزالُ" فى شرك محبتك بسبب عَدْلك؛ ما سار مبتخرًا أمام "النَّمر".

الفارسُ الشجاعُ يقصد جيشَ عدوِّك مثلما يتجه "بيجن" المحاربُ إلى حرب "گراز"[1].

٣٠ – لو نقشوا هيبتَك فى "الشاهنامة"؛ فإنَّ رسالةً تذهب من المَلك إلى الميدان بحرب مفتوحة.

فيصير عَدُوٌّ نقش الشَّاهنامة من هيبتك ولقد أخذ النَّقْشَ والرَّسْمَ ولكنْ بغير الجواد والدِّرع.

طالما أنَّه لا يحمل دائمًا تجربةَ الملوك؛ فيكون اللِّعبُ قليلاً بكرة المراد والهيبة.

اصْنعْ من رأس المخالف كرةً بسيف الصَّولجان؛ فيتحقَّق لك المرادُ سواء ألعب أم لم يلعب .

اهْجِمْ تارةً بالكرة وأغِرْ تارةً بالصولجان فمكانُ الكرة تفاحةُ ذقن المعشوق ومكانُ الصَّولجان ضفيرتُه.

فجرِّبْ مثلَ الملوك الحلاوةَ والمرارةَ، حلاوةَ شفاه المعشوق ومرارةَ الشَّراب.

---

(١) "بيجن" وگراز" من أبطال الفرس القدماء.

حرف (س)

فى مدح سعد المُلك مسعود بن أسعد (ص١٣٢ – ١٣٣)

١ – يا مَنْ تَمدح "سعْدَ المُلك مسعود بن أسْعد"؛ فإنَّه يكون بتدبيج النَّظم بمباركة السَّعْد الأكبر(١) أيضًا وكفى.

ذلك الذى تستخرج النَّفسُ الناطقةُ من صَدْر أرباب النَّظم الدُّرَّ النَّفيسَ لتنظمَ عِقْدَ مدحه.

الصَّدْرُ العالى الرَّأى زينةُ المُلك الوزيرُ الذى لم يظفَرْ "زُحَلُ" بمكانة قَدْره.

الصَّاحبُ العادلُ بهاءُ الدين الذى هو فى رفقته لمَلك الشَّرق مثلُ "أَنَس" مع مَلك قاب قوسين(٢).

ظلُّ عمامته التى تحيط بشمس الملوك هى سماءُ الفتح والنُّصرة.

بهاءُ طَلْعته الميمونة أعظم من بهاء طائر "الهُما"، مثل الهُما بالنسبة للبوم، والصَّقر للبوم، والطاووس للذباب.

الخلقُ يتغنَّون فى بُستان خُلقه مثل البلبل، ويتغذُّون سُكَّرَ شُكْره مثل الببغاء فى القفَس.

أيها القائدُ والصَّدْرُ الذى لم يَرَ البلاطُ وعرشُ السِّيادة وزيرًا مثلَك ولن ترى عَيْنُ شخص.

وطالما طالعت السَّماءُ قَدْرَك فَلَك قَدْرُ السَّماء، وللسَماء ليلَ نهار ذلك العشْقُ والولهُ(٣).

---

(١) أى : المشترى.

(٢) أى: سيدنا محمد ﷺ . و"أَنَس" هذا كان خادمَ النَّبى.

(٣) هذا البيت مرتبط فى المعنى بالبيت التالى ويقرءان معًا. وقد نبَّهنى إلى ذلك جلال الدين همائى فى مستدركاته ص٤٠٦.

١٠ - مادمتَ قد اتَّخَذْتَ من شمس السَّماء الذَّهبية درعًا لك، ومن هلالها الذَّهبى حدوةً للجواد[١].

وفى ميزان حِلمك، "أبو قبيس"[٢] بلا ثقل، وأمام نيران غضبك، جهنَّمُ بلا قبَس.

ليس لعشق الدِّينار والدِّرهم مكانٌ فى قلبك؛ فأنت لا تضع كنْزَ الدِّينار والدِّرهم فى عشق "لا يمس".

بلاطُك كعبةُ حاجة رواء السَّائلين، وصار لكل ملتمِس منه محصَّلُ الملتَمَس.

والسَّائلُ عزيزٌ، لديك مثل "شيرين" لدى "خسرو" بسبب أنَّك لا تهتم بعطاء الدُّون والدَّنس.

فمثلاً لو طلبَ سائلٌ الروحَ العَذْبَةَ منك، فلا يبدو على وجهك الحلو، عَبَسٌ مطلقًا.

فى قلب عدوٍّ جاهك حُلكةٌ كاللَّيل، ولا تَعُدُّه مخطئًا؛ لأنه لا يوجد ليلٌ مطلقًا بلا غلس[٣].

إنْ لم يَهْتَدِ القلبُ بنور شمع حُبِّك؛ فإنَّه يسير ليلاً ويأخذ معه فى كلِّ خطوة عشرةً من العَسَس.

وكلُّ مَنْ له قلبٌ أسود مثلُ "اللُّوبيا" بسبب حقده عليك، يصير مثلَ حبَّة "عَدَس" بلا قشرة من حَجَرى رَحَى الغَمِّ.

لو مضَت ريحُ غضبك على صفحة المحيط، لبَدَا اليَبَسُ من شدَّتها فى قاع المحيط[٤].

---

(١) يقول رشيد الدين الوطواط فى حدائق السحر (الترجمة العربية ص ١٣٨) " ومثل تشبيه الهلال بنعل الجواد، فإنهم إذا شبهوا نعل الجواد بالهلال، كان التشبيه كذلك حسنًا". والشاعر هنا لا يستعمل أسلوب وإنما يلجأ إلى أسلوب الادعاء والغلو وهو أقرب إلى الاستعارة.

(٢) اسم جبل قرب مكة.

(٣) ظلمة آخر الليل.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى :" فاضرب لهم طريقًا فى البحر يبسًا" (سورة طه آية ٧٧).

٢٠ – عينُ حاسدك حمراء[١] مثلُ عصير العنب، فليكن الماءُ منقطعًا عن البذرة من ركل لطمة عناء.

لا يصاب المادحُ فى مديح مجلسك بملل فى القلب ولا بحبْسَة فى اللِّسان.

يقود "السوزنى" جوادَ القوافى فى ميدان ضَيِّق، حتى لا يحرِّك حِمارُ "خمخانة"[٢] العابثُ الجرسَ.

وما دام الشَّاعرُ لا يحترف النَّحْلَ[٣]؛ فإنَّ شعرهَ يُسرق لو وَضَع قافيةً شديدةَ الصُّعوبة فى جَرْسها .

كلمة " كوك " فى لغة العرب "خَسّ "[٤] وفى الشِّعر صِحْ على " السوزنى " لو لم يستعذبوا كلمةَ " خَسّ " [٥] .

زينةُ المُلك واجبةٌ للمَلك مثلُ العين على الوجه، والخِسَّةُ واجبةٌ للحاقد على مُلْكه مثلُ العين على الوجه .

لو ينشد مدحَك الرُّواى الطَّوافُ فى سوق "طبس" يصير فى "طبس" ملحدو السُّنة[٦].

طالما يُقرَأ فى القرآن قصةُ أصحاب الرَّس[٧]؛ فليكنْ حاسدُك فى قاع الرَّس[٨] بلا رَسَن .

---

(١) فضلتُ هنا ما جاء فى حاشية الصفحة لوضوح المعنى.

(٢) أحد الشعراء المعاصرين للشاعر وتبادل معه الهجاء (ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات ٢/٦٢٢ – ٦٢٣) والكلمة تعنى حانة الخمر أيضا.

(٣) النحل في الشعر هو أن ينسب شاعرٌ شعر الآخرين لنفسه .

(٤) كلمة " خسّ " هى نبات ندى طازج يؤكل وهى كلمة عربية .

(٥) فضلتُ البيت الذى جاء فى حاشية الصفحة بدلا من بيت المتن لوضوح المعنى.

(٦) قال جلال الدين همائي فى " مستدركاته على الديوان ص ٤٠٦ " : المقصود طائفة الباطنية الإسماعيلية التى كانت مدينة " طبس" واحدة من مراكزها المهمة.

(٧) جُبٌ قديمٌ جاء فى قصة أصحاب الرس (الديوان . لغات . ص ٤٥٦) . وأصحاب الرس هم طائفة من المشركين القدماء الذى كانوا فى عهد النبي شعيب عليه السلام وأخبر سيدنا محمدﷺ بشأنهم (السابق ص ٤٣٣) .

(٨) الجُبُّ.

حرف (ش)

فى مدح فخر الدين على بن أحمد (ص ١٣٤ - ١٣٥)

١ - يا قلبُ، كنْ من عشق الحبيب محترف مثلَ حَبَّة الرُمان، فلو كان للحبيب حَبَةٌ فقلْ لها: كونى رُمَّانًا.

ولو صار دَمْعى من جُورك مثلَ شراب الرُمان؛ فكنْ – يا قلبُ – فى عشق هاتين الياقوتتين مثل الرُمان الفريد.

انقشْ خيالَ صورة الأحباب على الرُّوح، واحفظْ فى أعماق الروح قصةَ ذلك المعشوق.

كيف استحوذ عشقُ "عذراء" على قلب "وامق"؛ فكنْ أنت هكذا– المسيطر– على ذلك المعشوق المسْكيِّ العِذار .

كنْ فطنًا كى لا تقعَ فى أخطاء متعاقبة، مهما كانت الثمالةُ من سُلاف عشقه وهواه.

يا قلبُ، لقد نفَضتُ اليَدَ منك وسلَّمتك إلى الحبيب؛ فاستكنْ فى ضفيرته واعتصِمْ بها.

إنْ لم ينصرف الحبيبُ لأجلك فلا تَبتعدْ عنه، وتأملْ فى حقيقة الأمر وكنْ على رأيه.

ولو جعل النَّسيمُ طُرَّةَ المعشوق حائرةً؛ فاطلُبِ الطريقَ واهربْ إلى أى تجاه.

وتعلَّقْ بالضَّفيرة العنبرية والخَطِّ المضمَخ بالمسك، طالما يكون فى جَسَدك خَوَرٌ وفى رُوحك حُرقةٌ .

١٠ - تعالَ إلى المجلس بالرائحة العَبِقة وبالغزَل الآسر، صِرْ فطنًا وكنْ مادحًا لصَدْر الكبار.

وَلدِ "فخر الدين" الذى جاء إليه من رُوح " النَّبى" نداءٌ: أنْ كنْ لدينى موضعَ افتخار.

"الدِّهقانِ علىٍّ " الذى تناديه روحُ "علىٍّ"[١] من الخُلد: كنْ دائمًا فــى الكــفٍّ "ذو الفقار" على عدوٍّ الدين .

يا صَدْرَ العظماء وكبار الدَّهر، ألا فكنْ هنيئَ العيش حَسَنَ الطَّبــع سـعيدَ الدَّهر.

صار الرُّعاةُ غَرْقَى نعيمك؛ فكنْ دائمًا عزيقَ نعمة الرَّاعى[٢].

حالُ العظماء هو السَّعادةُ والبشاشةُ ؛ فكنْ مشغولَ الحــال حــين يعتريــك فراغٌ.

على كفٍّ الأحرار حملُ دينار؛ فكنْ مثلَ الحُرِّ بكفٍّ محَمَّل بالدِّينار .

ليسَ فى حال الدّهر ما هو أفضلُ من الشَّراب والقَــنْص؛ فكــنْ صــاحبَ اختيار دائم لهذين الحالين كليهما.

انْزَعِ الشَّرابَ من ذوات السَّواعد الفضِّيَّة، واقتنص السُّكَّرَ من مرجــان[٣] أولئك المعشوقات.

اخْتَرْ سببًا للطرب من العشق ومن الشَّراب ؛ فاجْعَلِ العشْقَ فــى الــصَّدْر وكأسَ الشَّراب فى الكفٍّ.

٢٠ – تَصْطَفُّ الحسناواتُ أمامك مترجِّلات ؛ فكنْ فارسًا لقلــوبهن علــى جــواد السَّعادة .

ليس فى الدَّهر واحدٌ يماثلك، ولو كان هناك ألفٌ ؛ فكنْ بعظمتــك صَــدْرًا وقائدًا لمائة ألف – مثلهم – .

---

(١) أى : على بن أبي طالب ﷺ .
(٢) أى : الخالق.
(٣) أى : ثغْر.

أنت شمسُ العظماء وملكُ القادة المعظَّمُ ؛ فكنْ ساطعًا مثلَ هذه الدنيا، وكنْ مالكًا مثلها .

ألا فاسْطَعْ مثلَ " الشَّمس " من فَلك العظمة، وكنْ مثلَ "جمشيد" على عرش التَّوفيق.

لا يتماثل فى الدنيا صاحبُ فخرٍ بجاهل ذى عيب وعار؛ فعِشْ فاضلاً وكنْ بلا عيب وعار.

الفَخْرُ يكون بإظهار الفضل والميل إلى ذَويه؛ فَتَجَنَّبْ عيبَ الجاهل وعارَه.

أنت قرينُ الإقبال والعزّ والجاه والشَّباب؛ فامْضِ مع كلّ قرين إلى خاتم الزمان.

تكون لك كلُّ أربعة(١) مثلَ الطباع الأربعة(٢)، فكنْ خالدًا على طبيعتها .

فى مدح على بن أحمد (ص ١٣٥ – ١٣٧)

١ – ها أنا ذا المضْرَمُ النَّارُ فى قلبه من عشق الحبيب، فلا تظنَّن أنَّها نارٌ واحدةٌ بل مائةُ ألف نار.

صار قلبي من عِشْق رحيق رُمَّان شَفَة الحبيب مثلَ الرُّمان، فالنَّارُ في سويدائه تشبه حبَّات الرُّمان.

كلُّ مخلوق يخشى النَّارَ وقلبى، يتوجَّه بالدُّعاء إلى خالق النَّار .

إنْ لم يكن قلبي عابثًا على طريق الشَّيطان، فلماذا يختار هذا الأحمقُ النَّارَ مثلَ الشَّيطان؟!

مَرْحى لنار عشْق المعشوقات، ومن هذا المعنى فأنا أنثر دائمًا النَّارَ على قلبى.

---

(١) أى : الدنيا بأركانها وجهاتها الأربع .

(٢) أى : الحرارة والبرودة والجفاف والليونة .

لا القلبُ يقبل الرَّاحةَ ولا نارَ العشق؛ فلماذا الحيرةُ للقلب؟ولمــاذا التَّــوهُجُ للنار؟!.

الماءُ في المآقي والحُرْقةُ في القلب من ذلك الذي تكون وجنتُه مثلَ نضارةِ الوَرْد وتَوَقُّدِ النار.

وأنا أرتدي دائمًا غطاءً من مقلتي ومن قلبي، فأي غطاء تكون لُحْمَتُه الماءَ وسَداه النارَ ؟!.

من كثرة ما أذرف من أهدابي دَمْعًا بلون النَّار، فإنَّه يظن أنَّني أحتوي النَّارَ كلَّها بين جوانحي.

١٠ - قلبي، عابدُ المعشوق، هَامَ بوجنته عِشْقًا، أيليق أن يكون عابدًا لــصنم مــن نار؟!.

صرتُ أسيرَ عشق المعشوق بالروح وبالقلب؛ لأنَّ العَنْبرَ فــي ضــفيرتَيْه والنَّارَ في عِذارَيْه.

حينما تضرب أطرافُ طُرَّة معشوقي عِذَارَه، تخال أنهما يُضرِمان النَّارَ في "التِّبت" و"التَّتَار"(١) .

أنا أترك حديثَ الطُّرَّة والعِذَار والتَّتار والتِّبت لدَمعْي فهو يُضرِم النَّارَ فــي كلِّ الدنيا.

وأردِّد حديثَ خُلْق وليِّ نِعْمَتي الذي يهب رائحةَ المسْك ولا تصيب النَّــارُ أمرَه .

دنيا الجُود والسَّخاء "افتخار الدين" الذي تفتخر النَّارُ بكلِّ احتراق لخصمه .

" عليٌّ " الذي يضرب مثلَ صاحب "ذو الفقار" فيضرم بــ"ذو الفقار" النَّــارَ في روح العَدُوِّ وجَسَده .

---

(١) منطقتان في جنوب آسيا مشهورتان بالمسك وبالفتيات الحسناوات .

العظيمُ الذى من رياح غضبه وهيبته تتساقط النَّارُ كالماء على قلب التراب(١).

أيا فَلَك المعالي يا مَنْ مِنْ سياستك، تهابك النَّارُ وقتَ الغَضب .

فترسل الشَّررَ بصفة دائمة صوب الأثير كلَّ لحظة فى نواحٍ حَسَدًا للهمَّة العالية.

٢٠ - من ذلك الذى تفصل النارُ دائمًا الذَّهبَ العيَّارَ عنها حتى تتشابه بكفِّك ناثر الذَّهب.

ومن ذلك الذى تظلُّ النَّارُ خامدةً فى الحديد وفى الحجارة حتى لا ينضج أىَّ خامٍ لعدوِّك.

ومع أنها تكون مختبئةً فى الحديد والحجارة، فإنَّها تظهر جهارًا لأجل شواء خصمك.

الشخصُ الذى أحاط نفسَه بدائرة من حشمتك، لا تصل حرارةُ النَّار إليه ولو أحاطت من كلِّ ناحية.

فيمضى إلى دولتك مثلَ "سياوش"(٢) الذى يمطر عرقُه نارًا على الجواد والفارس(٣).

والفَلَكُ يقيمه بحرارة وبرودة الزَّمان، حينما يكون الماءُ على يمينه والنَّارُ على يساره.

ولو أنَّ شخصًا من طائفةٍ تفوَّه بما يخالفك؛ فإنَّ النَّارَ تُودى بكلِّ طائفته وسُلالته.

---

(١) اهتم الشاعر هنا بذكر العناصر الأربعة التى يقال : إنها أصل الخليقة ؛ الرياح، النار، الماء، التراب .

(٢) سياوش هو ابنُ كيكاوس وأبُ كيخسرو وكان سببًا فى اشتعال الحرب بين الإيرانيين والتورانيين فترة طويلة وسبق أن تحدثنا عنه .

(٣) فضلت ما جاء فى الحاشية لتمام المعنى ووضوحه .

فالتَّافهُ الذى يجعلهم فى نزاع معك، فهم على الشَّاكلة التى تنازع فيها النَّارُ المرجَ[1].

تحت ظلِّ السَّرْوِ حيث جلس عدوُّك، تُضْرِم النَّارُ لسَعَتَها فى سَرْوِ الجدول ذلك.

وَرْدُ الربيع الذى يمنح رائحةً إلى عدوِّك، أضحى مثلَ الحَسَك وتحوَّل إلى وقودٍ للنار.

٣٠ - يَدُ حاسدك التى لا يصدر عنها سخاءٌ مثلُ شجرة الدُّلب[2]، يمزِّقها الزَّمانُ مثلَ النَّار مع "الدُّلب"[3].

طالما لا تكون الرياحُ والترابُ قرينةَ الماء ورفيقةَ النَّار فى الدنيا عن طريق الطَّبع بصفة دائمة.

فليقعْ خصمُك فى التراب مفضوحًا من الرياح السارية، ويصير غارقًا فى ماء عينه أو فى نار ناره.

وفى الوقت الذى تكون فيه نَضِرًا كورق الوَرْد النَّدى، تكون النَّارُ منثورةً عليه مثلَ ورق الوَرْد الأحمر.

من مدح الدِّهقان على بن أحمد (ص ١٣٧- ١٣٩)

١ - ذلك الخَطُّ الحالكُ المعقوف حول شحمة أذنه اللَّامعة، تخال أنَّهم خَطُّوه بدم قلبي .

إنه ليس خَطًّا بل دمُ قلبي، من كثرة أنْ صار فى قلبي خيالُ شحمة أذنه اللَّامعة.

---

(١) أى : يتسبب فى هلاكهم .

(٢) أى : غير المثمرة.

(٣) أى : اليابس.

لقد أجلستُ فى القلب غُصْنَ عنبرٍ وسوسنًا، لأنَّ ورقَ سوسنه صار مطليًّا بالعنبر النَّدِّ .

حَيُّه غاصٌّ بالسُّنبل وتَنُّورُه مكتظٌّ بالشَّقائق من سُنبل ضفيرتيه وشقائق وجنته .

يتقاطر من عينى على وجهى ماءٌ جارٍ، بدون ذلك الوجه الذى ربَّما كان شَصًّا لماء الوجه.

كلُّه حُسْنٌ ودلالٌ من مفرقه إلى أخمص قدمه، معبودى الغازى ذلك الذى أنا عابدُه من أعماق الروح .

نرجسُ ذلك لآسر السَّاحرة المليئة بالوَسَن، لها من اللَّحْظ سَهْمٌ ومن الحاجبين قوسٌ .

وكلُّ سَهْمٍ يُطلقه بإحكام لَحْظُ الغازى، لا يتَسَنَّى للصديرى وللدرع صَدُّه وحَجْبُه.

لو يريق لحظُ معشوقي دمي بسبب ذلك ؛ فيكون لعُنقه عِتْقٌ من حمل دمى.

١٠ – واحدٌ من أحبابي كان يأخذ بتلابيبه طلبًا للأمان كالخصم لأجل دمى .

إنَّه المسكينُ "السوزنى "الذى صار من عشقه للغازى مثلَ الفقيد "خسروانى"(١) .

فقد صار مثلَ "خسروانى" نحيلاً من عشق الغازى، على الشاكلة التى لا تعرف فيها "السوزنى" من إبرته(٢) .

ألا ليتَ "خسروانى" كان فى هذا العهد، كان اتَّخذ من أعتاب المَلك مسكنًا له.

" الدِّهقانُ عليٌّ " فَلَكُ الفضل افتخارُ الدين، الذى أحْسَن الله ذو المَنِّ خَلْقَه .

---

(١) أحد شعراء العصر السامانى فى خراسان واسمه بالكامل : أبو طاهر طيب بن محمد خسروانى .

(٢) إبرة باللغة الفارسية (سوزن) وهى تخلص شاعرنا (السوزنى) والشاعر يتلاعب بالألفاظ فى هذا البيت .

ذلك العظيمُ الذى يشبه "السيمرغ" والكيمياء[1]، يجدونه فى الدنيا ولا يجدون عدوَّه.

لو يقبض على عِنان الفَلك بيد طالعه ؛ فإنَّ الفَلكَ الجامحَ يصير سلسَ القياد له .

فينال من أرواح وأموال مائة ألف من خصومه، ويصبح آمنًا كلُّ من يلجأ إليه.

يصير سَهْمُه وقت القَنْص وأثناء القتال مشبَّعًا بالدِّماء بحيث لا يتسنَّى لك حَصْرُها .

هو فى داخل المحفل أبْهَى من الملاك، وفى وقت الوَغَى لا تعرفه أيضًا من "أهرمن"[2] .

٢٠ – من آثار صحبة كفِّه ناثر الجوهر، أنْ يظهر جوهرُه من قلب الحديد الباتر[3] .

ولو تضع الحديدَ أمام نيران غضبه، تذيبه فى الحال مثلَ الشمع والشحم .

كلُّ منزل أشعله نارُ غضبه، يتصاعد الدُّخانُ من روزنه بسبب رياح الموت .

فى ساحة القلب التى يُزْرَع فيها الحقدُ له، تُضْرِم يدُ الزَّمان النَّارَ فى بَيْدره.

تَفَتَّح فى حديقة خاطرى وَرْدُ مدحه من صورة نقش سقف إيوانه وروضته.

صار قولى عَذْبًا ودسمًا ؛ لأنَّنى ربَّيتُ طبعَه على السُّكر والطائر المسَمَّن .

ينتج قلبي المدائحَ ألوانًا من ذلك الجسد الذى غطيتُه بالكسوة الجميلة الملوَّنة.

---

(١) أشياء وهمية .

(٢) أى : الشيطان.

(٣) أى : السَّيف المرصَّع.

فأنا ذلك المنمَّقُ ؛ لأنَّنى أنَمِّقُ كالعبد طَوال العام مديحَه بالبهاء والزِّينة .

المَلكُ الذى فى مملكة المروءة والفضل، يكون من الفضل عرشُه ومن الجُود تاجُه المرصَّعُ .

أيها الملكُ، إنَّ العرشَ والتَّاجَ غيرُ ملائم لك؛ فلا تأخذْه من ذلك التَّاج، ولا تُلق به من هذا العرش .

٣٠ - فى كلِّ قلب نَبَتت فيه شجرةُ الحقد، ولم يأتِ منها ورقٌ ولا ثمرٌ، اجْتَثَّها من الجذر

ولو يبلغ عدوُّك الشَّمسَ بالجاه، فاطِحْ به حتى يصير على الأرض ذرَّةً ويتلاشى .

ياربُّ، فى يوم الحَشْر ارحَمْ مَنْ قال ذلك، ياربُّ ؛ لا تأخذْه يوم الحشر لأجلى .

فى مدح الأمير أتابك برغوش (ص ١٣٩ - ١٤٠)

١ - علَّقَ الفَلكُ فى أذنه على سبيل الشَّرف حلقةَ عبودية "الأمير أتابك برغوش".

وحمل الفلكُ فى أذنه حلقةَ أمْره، وصار طَوال الدَّهر مطيعًا لدولته .

طالما يدُ الزَّمان المؤدِّبةُ لأعدائه توصل من الاقبال قَدْرَه إلى الفَلك .

من دورة الفَلك صارت الحياةُ مُرَّةً على العدوِّ ؛ فمرحَى للمرارة التى تجعل حياةَ الدُّنيا ممتعةً وهنيئةً.

هو الشجاعُ الذى أثناء الوَغَى يوم العِراك، تأخذ صيحتُه الأسدَ الهصورَ من لُبِّه.

له رُعبُ الشَّياطين فى صفٍّ القتال ؛ فليكنْ له فى صَدْرِ الرؤساء سيرةُ الملاك وسَمْتُه.

لا يثبت أمامَه لأنَّه منكَّسُ الرأس[1] ؛ العدوُّ المحتالُ الحقودُ المخاتلُ .

ولا يظهر أمامه لأنَّه قد صار غنيًّا؛ السَّائلُ العاجزُ المتوارى عن الخلق .

يوم الوَغَى، يضع أقلُّ عَبْدٍ له الوَسْمَ والكَىَّ على وَجْه وفَخْذ الأسود، لو أراد .

١٠ - وحيثما شبَّت الفتنةُ جائشةً كالبحر، يخمدها بصفحة السَّيف وقوة السَّاعد .

ضَجَّ الخلقُ من الفتنة والجُور، والآن تَضجُّ الفتنةُ والجُورُ من العَدْل الدَّائم.

أيها الملكُ، لو كان " رستمُ بن زال " حَيًّا، لتفاخر إنْ حمل زادَه إليك .

فاجلسْ فى صَدْر العظمة بين الملوك، وانْزَعِ الصَّهْباءَ، وتمتَّعْ بالطَّرَب واللَّهو وسماع المديح .

تَخَيَّرْ لدِعَتِك ولِلَهْوك ذوات الوجنات الشَّقائقية اللَّون، وتَمَتَّعْ بالعِشرة والعيش فى أحضان ذوات الصُّدور الفضيَّة .

فلتكنْ عينُ الحاسد وسَيِّئُ الطَّوية لك متألمةً طَوال العام من شوك العَناء ومن أطراف أهداب دموية .

لم يأتِ اليوم حتى يكون للغَد اسمٌ، وطالما يُوجد اسمُ اليوم فقد مضى الأمسُ والبارحةُ .

فلا تَستْرحْ من السَّعادة والطرب فى اللَّيل والنَّهار، ولا تَفْرغْ نصفَ ساعة من المتعة والرَّاحة .

مثلَ " سليمان " النَّبى، ليكنْ طالعُك السَّعيدُ، وليكنْ تحت إمرتك المَرَدَةُ والجِنُّ والإنسانُ والوحوشُ .

---

(١) أى : ذليلاً.

فى مدح الأمير أتابك برغوش (ص ١٣٩ – ١٤٢)

١ – يا ريحَ الصَّبا، احمْلى البُشرى بتلقين " جبرائيل " إلى كافة خَلق العالم بابًا بابًا وأذنًا وأذنًا .

فقد تَمَّ شفاءُ " برغوش " سيد المتوَّجين تاج الدين عين الدولة شرف جنود "خلَّخ ".

بطل " توران " المسعود الذى " للمشترى " شرفُ أن يكون جوادَ مُراده الأليف .

كلُّ يوم يمضي عليه بالسَّلامة، يكون أفضل من اليوم مثلَ الغَد من الأمس والبارحة .

الذين يقولون بعد مرارة الخمر[1] لا يكون شرابٌ ؛ فبَعْدَ مرارة ألم الشَّراب تكون صحتُه .

أيها البطلُ، يكون قلبُ الخَلق فى حماك فى حالة غليان كالبحر من نار الفكر[2] .

وقد هدأ غليانُ بحر قلب الخَلق مع عودتك، وعاد العقلُ إلى قلب الجميع والسَّكينةُ .

ما أكثَرَ أنْ صار أهلُ " سمر قند " فى حالة دعاء لك، فى " كاسان " مكان الزيارة وفى " اوش " [3] مكان العيادة .

---

(١) أى : الثمالة.

(٢) أى : نار الفكر فى مرض الممدوح .

(٣) كاسان : قرية فى سمر قند (الديوان . لغات ص ٤٧٧)، اوش : مدينة فى نواحى فرغانه (السابق ص ٤٣٥) .

وكلُّ دعاء أطلقوه لأجل صحتك، سمعوا في الحال جميعًا من " جبرائيل " قولَ : آمين .

١٠ - طالعتُك في أسبوع فائت وقد صار رأسُك وقَدُّك إلى ضعفٍ من شدة الألم مثلَ عُشْب " مرزنجوش (١)".

وقد أتيتَ في هذا الأسبوع إلى العرش بلباس النوم، وصرتَ في الأسبوع التالي مُدَرَّعًا ومرتديًا الدِّرْعَ .

وأضحيتَ في الأسبوع الثالث من القُوَّة والقُدرة على الشَّاكلة التي تثب فيها من جواد إلى جواد وتقفز من خشبة إلى خشبة .

وفي وقت العريكة لو كان عدوُّك أسدًا ؛ فإنَّه يصير مثلَ الثَّعلب محتالاً ومخادعًا .

ولا يصير المتعاركُ معك في ميدان الوَغَى إلاَّ ذلك الشَّخصَ الذي ينبعث العويلُ من رُوحه .

من كفاحك يصير الأسدُ الشُّجاعُ جبانًا، ومن عطائك يصير الفقيرُ ذا كنز ثَرى.

ليسَ ثمةَ نظيرٌ لك في ظلِّ الفَلك الأزرق وهذا ليس رياءً ؛ فلستُ في قولي هذا مرائيًا .

ليسَ لأيِّ مادح ممدوحٌ أفضل منك، خاصةً اليوم لأنَّني أنا المادحُ وأنت المستمعُ للمدح .

طالما كان القولُ طفلاً والشَّاعرُ العالمُ مربيةً، وكان خاطرُه ثَـدْيًا يرتوي الحليبَ منه وعاءً وعاءً .

فليكنْ "السوزني" مربيةَ أطفال لمديحك، وقد ربَّى القولَ في كنفه وحِضْنه.

* *

(١) كلمة معربة وتسمى بالعربية أيضا : آذان الفأر، وهو عُشْب يشبه الريحان . (فرهنگ عميد) .

١ – يا مَنْ العالَمُ بحرٌ فى حالة اضطراب من حدِّ سيفك، واضطرابُ بحرك فارسٌ سيَّافٌ ومدَّرَعٌ .

أنت نُصرةُ دين الحقِّ ودينُ الحقِّ منصورٌ بك، فأنت " برغوش " بطلُ حشم المشرق والمغرب .

يكون اسمُك علمًا لاسم الرسول القرشى[1] الذى يكون " جبرائيلُ " مطيعًا له فى مركبه " بُراقه " .

يكون لك الآن على القلب نقشُ الفتوة، وخَتْمُ النُّبوة على الكتف مثلَ سَميِّك[2].

قضيتُ الأمسَ حتى تَنَفُّس الصُّبح فى نَظْم مديحك، ولم يَتَنَفَّس الصُّبحُ الصَّادقُ من نَفَسى إلاَّ البارحة .

هكذا نظمتُ مديحَك بقلبٍ صافٍ، صار الأخرسُ والأبكمُ منه ذا لسَان وذا أُذن .

ويزيد العقلُ والفَهْمُ بمديحك، فلا كان الشَّخصُ الذى يجادل بنقصان من العقل والفَهْم .

كيمياءُ الذَّهب للفقير كفُّك المعطاءُ، هكذا يقول المادحُ للممدوح .

وقد صار المعْدَمُ غنيًّا من كفِّك المعطاء بحيث تجد الكيمياءَ والسِّيمرغَ ولا تجد فقيرًا معْدَمًا .

١٠ – ولو حَدَّثْتُ العالَمَ عن حَدِّ سيفك وقتَ الوَغى ؛ فلا أكفُّ عن ذلك مثلَ البحر الهائج .

---

(١) فى القصيدة التالية مباشرة وفى البيت رقم (٤) ما يدل على أنَّ اسمَ الممدوح هو " محمد بن سليمان " وهنا يكون سميًا للرسول محمد ﷺ .

(٢) يقول المحقق فى قسم (لغات فى آخر الديوان ص ٤٩٢) : إن (مهر نبوت) فى البيت تعنى أنه كان على كتف الرسول علامة يقال إنها ختم النبوة .

فأنا أقول إنَّ كفَّك وقلبَك وطبْعَك البحرُ فى العطاء ؛ لأنَّها تفور – بالعطاء – مثلَ البحر ومثلَ المحيط فى فورانه .

ولو كان " حاتمُ " قد طالع كفَّك فى العطاء لأصيب بالخجل، وسحبَ يدَه عن العطاء إلى حِضْنه .

حقًّا إنَّ غضبَك وحُبَّك يشبهان " اليَعْسُوبَ " ؛ فيكون السُّمُّ للأعداء وشرابُ العَسَل للأحباب .

فانْزَع الثُّمالةَ من كفٍّ معشوقٍ عَذْب، من شَحْمة أذنٍ تشبه الوَرْدَ ومن وجنة تشبه المرزنجوشَ " الريحان " .

١٠ – لأجلك بابُ السَّعادة مفتوحٌ وبابُ الغَمِّ مغلقٌ ؛ فافْتَحِ المغلقَ (١) ويظل مفتوحًا حتى الأذن(٢) طوال العُمر .

تَسَلَّمِ الرَّاحَ بكفِّك هنيئًا ولا تَغْفَلْ عن البهجة ؛ لأنَّ البلبلَ البهيجَ (٣) قد دخل إلى " النَّوا " فى نوبة صَدْح .

فى مدح وزير الملك (ص ١٤٢– ١٤٣)

١ – مجرد لقاء وزير المَلك البطل " برغوش "، يكفي للمعاملة بثقة وإخلاص وتَفَاهم.

فى موسم الوَرْد والبُلبل أعَدَّ السُّلافَ فى الكأس والقَدَح ؛ فانْزَعْها من يد الحَسْناوات .

كلُّ السَعادة لوزير المَلك سَعْد المُلك، كلُّ السَّلامة لأيام البطل " برغوش ".

---

(١) أى : ثغرك.

(٢) أى : تبَسُّمًا.

(٣) أى : الشاعر .

" محمد بن سليمان " الذى سُخر له مثلَ " سليمان " الجنُّ والإنسُ عن طواعية .

الخاقانُ الملكُ " سليمان " المعظَّمُ قد صفَّ جيشًا من المرَدَة المدرَّعين لقهر العَدوِّ.

يُهَيِّئ القوَّةَ لأنَّه قد جاء أنَّ رسالةَ الفتح قد وصلت بيد رسول سليمان إلى "اورجند" و " اوش "[1] .

ويُهيِّئ الرَّكْبَ وقد وصل إلى الحَضْرة بفكر صائب لأجل خدمة المَلك سعيدِ الطَّالع حَسَنِ الجهد .

لقد أضفَى وزيرُ المَلك على الدُّنيا جمالاً، ونال منها الجمالَ، مما أصاب قلبَ الحسُود بالغليان .

فى الموسم الذى يَسِيمون فيه الحيواناتِ ويكوونهم، وضع علامةَ الوَسْم والكيِّ على الأعداء مثلَ الحيوان .

١٠ - من عَدْل المَلك، سكنَ الصِّياحُ من أهل العالم، وانبعث الصِّياحُ من العندليب والصَّنج والرَّباب .

فتَمتَّعْ بصياح البُلبل والصَّنج والرَّباب، فلا كان سكوتٌ مطلقًا فى محفل المَلك.

طالما يكون دائمًا اسمٌ لدورة الفَلك القديم، وهو الأمسُ والبارحةُ للَّيل الماضي والنَّهار الفائت .

فكلاهما[2] موضعُ تَجَرُّع الرَّاحِ من راحة السَّاقي، وكلاهما المستمع للمدح من لفظ الشاعرِ العالم .

---

(١) مدن إيرانية كما ذكرنا آنفًا .

(٢) أى : الليل والنهار .

حرف (ف)

فى مدح شرف الدين محمد (ص ١٤٤)

١ - شمسُ الشَّرف وحشمةُ سلطان الشَّرف، بَسَطت النُّورَ والضِّياءَ على " نَسَف " وأهل " نَسَف " .

ظِلٌّ " طوبى " على ذلك الشَّخص الذى صار باسطًا الضِّياءَ، شمسُ الشَّرف وحشمةُ سلطان الشَّرف .

شمسُ كلِّ السَّادات الذى أمام طَلْعَته لا يكون لشمس الفَلك ضياءٌ ولا وَهَجٌ.

خَلَفُ " حيدر كرار " " محمدٌ " الذى يشبه " حيدرًا " شجاعةً و " محمـدًا " لطفًا .

لا يخلو مجلسُه من أهل الفضل لحظةً واحـدةً، مثلمـا لا يخلـو عـرشُ "سليمان" من " آصف " (١) .

تأمل السَّماءُ من أنْ تَلْثَمَ تُرابَ بابه، كى تجلو أعتابَه من سواد وجه القمر.

كلُّ مَنْ صار فى خدمته عبدًا صار حُرًا من الغَم والألم والعنـاء والتَّعـب والحرارة والأسف .

يا مَنْ لك السِّيادةُ نيابةً عن " السَّيد المختار "، ويا مَنْ لك الشَّجاعةُ خلفًا عن "حيدر كرار " .

أنت ابنُ " حيدر كرار "، وعلى العدوِّ وعلى الصديق مثـلُ الأب المجـرِّد سيفًا ومثلُ الأب الوافى كفًّا (٢).

١٠ - تُحقِّق الرَّغبةَ للمخلص بكفِّك المعطاء، وتريق الدَّمَ لسيِّئ الطَّوية بحدِّ السَّيف.

مَلَكُ العرش مادحٌ لأبيك فى القرآن، فتطالع فى المصحف سبعَ عشرة آيـةً فى مديحه .

---

(١) أى : وزيره.

(٢) فى البيت لفَّ ونَشْر مرتَّب ؛ فالسيف للأعداء والكرم للأحباب .

وتكشف بالسِّنان سِرَّ القلب المكنونَ فى صَدْر الخَصْم، حتــى ولــو كــان لخصمك صَدْرٌ حجرىٌّ كالسُّلحفاة .

حين انطلق سَهْمُك من أعماق شَصِّك، لم يَتَخَيَّرْ هدفًا سوى جبهة أعدائك .

أَضْحى عدوُّك فى ساحة الوَغَى علفًا لسيفك ؛ فسَيفُك يصيح طالبًــا جَــسَدَه مثلما الحيوانُ النَّحيلُ للعلف .

" نَسَفَ " ولو كانت قاعًا صَفْصَفًا حظَت الآن من تشريفك لها ببهــاء هــو بهاءُ "الفردوس ".

طالما يكون تحت الفَلك المستدير دائمًا الوَرْدُ أفضلَ من الشوك والجــوهرُ من الشَّبَّة والذَّهبُ من الخزف .

فليكن الفَلَكُ المستديرُ فى خَطِّ إمرتك، وإلاَّ تَحطَّمَ مثلَ طــوق الــدُّفِ مــن المعربدين .

حرف (ق)

فى مدح مؤيد الدين (ص ١٤٥)

١ – إى مؤيد ابن جمال، يا ممدوحَ الآفاق، لك الأهليةُ والاستحقاقُ بمديحى .
وأنا أعلم أنَّنى على ذلك جديرٌ بجوُدك ؛ لأنَّنى وحيدٌ بين الحكماء كما أنـك وحيدٌ بين الكرماء .
لـم يكن جُودُك لىَ عن مداهنة أورياء، لأنَّ مدحى لك لم يكن عن تزلـف أو نفاق.
لذلك فأنا أعدُّك من كرام العالم : سخِىٌّ أَرْيَحِيٌّ وحَسَنُ السِّيرة والأخلاق .
ولهذا فأنا مصرٌّ على قصدك عن الآخرين فى حالـة يُـسْرى وعُـسْرى " خشيةَ الإملاق "(١).
فأنا أعتقد فى كفِّك المعطاء ؛ لأنَّ بكفِّك مفتاحَ خزانة أرزاق الرازق .
أعوامًا عديدةً وزوجتى وأبنائى فى المنزل فى " نخشب " يأكلون من الخبز المحروق من قَمْحك .
والآن لو تَعضُّهم أفعى فى " سمرقند " ؛ فإنَّهم يطلبون من خُبْز " نخشب " ترياقًا لسُمِّها .
لقد أعطيتَنى وعدًا بموسوم بالقمح، ألا فأطْلِق الوكيلَ لتنفيذ أمْرَ العطاء .
١٠ – بالتأكيد أنَّه يُعطى مُتأخرًا ولا يتثاقل فى العطاء(٢) فيـصبح القمـحُ بـذلك التثاقل فى الماء سرمقَ(٣).

---

(١) الشاعر يستفيد فى تكوين صورته هنا من قوله تعالى :"ولا تقتلوا أولادكم خـشية إمـلاق " (سورةِ الإسراء آية ٣١).
(٢) فضلت هنا ما جاء فى الحاشية .
(٣) كلمةٌ معربَةٌ وعُربت أيضًا إلى : سرمك وسلمه، وتعنى نباتًا صحراويًّا يُستخدم فـى طهـى الطعام وفى دبغ جلود الحيوانات . (فرهنـگ عميد) .

وقد تذكَّر أمْرَك عن القمح، فجاء أمرُ الأمير " إسحاق " بقطعة قماش خشنة لى(١).

أنت مفرطٌ فى سخائك وكرمك، لا تَسْمَحْ أنْ يُكسِّر هذا العَبْدُ عهدَك ووعْدَك .

طالما يكون الضِّياءُ والنُّورُ منبسطًا دائمًا فى الآفاق من القمر والشَّمس ليلاً ونهارًا .

فليكن قمرُ السَّعادة وشمسُ جاهك ودولتك منيرًا ومضيئًا بالعَشى والإشراق(٢).

بلغت الرُّوحُ لحسود دولتك وإقبالك وعزِّك وجاهك إلى الحلقوم ووصل القمرُ المحاقَ .

---

(١) الكلمة المستخدمة فى البيت هى (زندپيچى) . ويرى جلال الدين همائي فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٠٧) أنها تعنى قطعة من القماش الخشن الأبيض . وأنها منسوبة إلى قرية " زندنه " التابعة " لبخارى " كما جاء فى تاريخ بخاري للنرشخى .

(٢) الشاعر فى تكوين صورته يستفيد من قوله تعالى : " إنا سخرنا الجبال معه يسبِّحن بالعشىِّ والإشراق " (سورة ص آية : ١٨) .

حرف (ك)

فى مدح فخر الدين على بن أحمد (ص١٤٦-١٤٧)

١ – لا تَنْثُرْ بدلالك المَلْحَ على قلبى المجروح، ولا تَحِدْ عَنِّى يا قِبْلَةَ الرُّوح.

فأنا أعلم أنَّهُ يُذاب من ماء مقلَتَىَّ السَّاخن[١] فى التَّوِّ ما كان كلُّه سُــكَّرًا أم ملحًا.

أيها المعشوقُ قمرىُّ الوجه، ماذا يحدث لو تأتى ذاتَ ليلة إلـــى حُجْرتـــى وتقول: إنك حامى الضَّيف.

طالما أنت الملكُ المتوَّجُ من السمور[٢] إلى القمر[٣]، فأنا السَّرىُّ على نور قمرك ليلاً حتى النَّهار.

وطالما تتحقق لىَ رغباتُ القلب منك واحدةً فواحدةً، فلسوف أُبْعِدُ قلمَ الدَّواة عن رغباتى رويدًا رويدًا.

فلو أسحب ذؤابَتك العنبريةَ أمَام وَرْدك[٤]؛ فلا تُخادعْنى لأنَّنـــى لا أتخيَّـــل منك خداعًا.

لك خَالٌ تركى[٥]، وأنا وإنْ لم أكن تركيًّا؛ فأنا بقدر ما أعلمه من التركيـــة أنَّ "چچك" تعنى: الخَال.

لو تتقاطر الدُّموعُ من مقلتى مهراقةً من أجل خَالك؛ فلا تكنْ تركيًّا ظالمًا، لا تَسْحب الفأسَ لقتلىْ.

---

(١) أى : دمعى .

(٢) أى : الأرض.

(٣) أى : السماء.

(٤) أى : وجنتك.

(٥) أى : آسر.

لأنَّ الوَرْدَ[1] تَزيد بهذا الدَّمع جمالاً وحُسْنًا، مثل حديقة علم "الشّافعي" بالعِلْك الطَّاهر.

١٠ - ابن "فخر الدين" الذى صار - الآن - من أهل دين الخطَّاب، أنت يا أيها الآدمى فى الصورة والمَلَكُ فى السِّيرة.

أنت يا مَنْ تشبه المَلَكَ فى السِّيرة والآدميَّ في الصورة؛ فأنت آدميٌّ وأيضًا ملكيٌّ أو أنت واحدٌ منهما.

أنت فى الدِّين الطَّاهر مَلَكٌ فريد، مثلما أنت فريدٌ فى فنون الفضل والعظمة.

فى مكتبة أسلافك البراءةُ بأنكم أصحاب الحقِّ من القديم حتى هذا العهد.

كنْ متقاطرًا باللَّفظ على أحبابك، وقلْ لدماء العين: تَقَاطَرى على وجه أعدائك.

كلُّ ما تَتَفَوَّه به يأتى صوابًا، وليس لعدوِّك الشَّجاعةُ والشَّوكةُ لأنَّه مسحوقٌ فى كلِّ الأحوال.

قلبُ أمْهَر عدوٍّ لك يحترق على لَظَى المهارة، قياسًا على ما يكون تحت المحكِّ.

وأنت تَدْحَضُ كلَّ حُجَّة قالها، وتَردُّها إلى فَمه مثلَ الخرزة إلى فُوَّهة البندقية.

العلومُ كثيرةٌ ولك الخاصُّ منها، خلافًا لعِلْم الشَّرع الذى يشترك فيه كلُّ الخَلق.

كلُّ مَنْ يعرف الشَّكَ من اليقين يدرى أنْ ليس ثمَّة شكٌ مطلقًا فى عظمتك.

---

(١) أى : الوجنة.

٢٠ - لو هبَّت رياحُ لُطفك على الحنظل والحلو، يصير الحنظلُ فى الحال شَهْدًا والحلو سُكَّرًا.

ولو عَبَرت رائحةُ خُلقك على حَسَك السَّعدان، يتفتح منه النِّسْرِينُ نضرًا.

ولو وضع اللهُ على الأرض حملَ حِلْمك؛ فسوف يطيح الوَبَرَ من الثور والقشورَ من السَّمك.

لا يصل طوفانُ الغَمِّ إلى ذلك، لأنَّه بعونك مثلُ "نوح" صَنَعَ لك سفينةً على الفلك.

الزَّائرُ من كثرة ما اختْزَن الذَّهبَ من كفِّك المعطاء، كفُّه تختبر الذَّهبَ مثلَ المحكِّ.

سَائلُ النَّعيم من الشَّيخ المسنِّ حتى الطفل الرضيع يجد منك جوابَ :نَعَمْ.

تُقَدِّم الإحسانَ والجُودَ بكلِّ ما تملك إلى كلِّ شخص يمدُّ لك يَدَ الحاجة.

نورُ قلبك من الكرم والبِرِّ والمروءة، مثلما نورُ عين البشر من إنسان العين.

ما دامَ قلبُك لا يصاب بالملل من شِعْرى فسأبقى الآن ولا ألغو بغير ودِّك.

طالما تكون البروجُ على الفلك وفيها النُّجومُ، مثلما يكون الكُورُ فى الأرض وفيها مجرى الماء.

٣٠ - فليكنْ وجهُ البسيطة مزيَّنًا من بهائك، مثلما الفَلَكُ من النجوم ومن الشمس والقمر.

ولتَصْعَدْ إلى جنَّة السَّعادة درجًا درجًا، وليهبطْ عدوُّك فى سَقَر الغَمِّ دركًا دركًا.

وليكنْ فَلَكُ الفَتْك سنجابيُّ اللَّون طالبًا عدوَّك ومزيَّنًا بالقهر مثلَ السنجاب ومثل الفَتْك.

حرف (گـ)

فى مدح نظام الدين (ص١٤٨-١٥٢)

١ - يا مَنْ دَرَجَةُ قَدْرك على الفَلك الباهت اللون تدفعه للدوران وتُبقى لك الثَّبات.

وفى اندفاعه عونٌ لك على الثَّبات، وفى ثباتك تأنٍّى لاندفاعه.

يكشف قلمُك الكذَّابَ من المنَّافق حين يَخُطُّ سوادَ الزَّنج[١] على بياض الرُّوم[٢].

مرآةُ ضَميرك تجلو فى المواجهة ريمَ الصَّدأ عن مرآتَى الفَلك[٣].

كيف يشكو حُسَّادُك من الفَلك الأزرق، وقد صاروا فى نواح وأنين من قَلمك المليء؟!

سَهْمُ المَلك منح قلمَك فرصةَ العمل، كى يأخذ منه الصِّدقَ وطريقَ الاستقامة.

مستوفى ممالك الشَّرق "نظام الدين"، أنت يا مَنْ يكون مَسيرُ سَهْم الفَلك محدودًا بسبب قَلمك.

حديثُ ثَغْرك العَذْب يقيم لك العبودية؛ لأنَّ السُّكَّرَ فى عبارتك هو ثغْرُك الضَّيِّق.

أنَّى فى كلِّ أنحاء الدنيا فارسٌ للفضل مثلُك؟! وعلى جواد الكمال والفضل محكمُ حزامِ السَّرج؟!.

١٠ - من شِعْر "العَسْجدى" فارسِ القول الذَّهبى: أيها الفارسُ، عِنانُ القول محكمٌ فى يَدك.

---

(١) أى : الحبر.

(٢) أى : الورق.

(٣) كناية عن الشمس، ويقال: إنهما مرآة السماء ومرآة المشرق والمغرب(فرهنگ عميد).

فمن مديحك صار "السوزنى" الشيخُ شابًا، وقَدُّه المحنى مثلَ ظهر الرَّباب صار مثلَ قَدِّ السَّهْم[(١)] .

لكنْ أنَّى له أن يصل إلى تُراب "العَسْجدى"، وغاراتُه تكون بحُمُرٍ عرجاء؟!.

أنت العظيمُ الكريمُ ومن آثار تربيتك، يصير الثَّعلبُ أسدًا وتصير الصَّعوةُ عقابًا

كلُّ مَنْ تَوَهَّمَ أنه صار فارسًا للفضل يجد العِنانَ حولَ عُنقه أمرًا حتميًّا.

وضع المَلَكُ عزَّ اسمُه فى ذاتك؛ الذهنَ والذكاءَ والفطنةَ والثقافةَ والحكمةَ والفطنةَ.

البحثُ عن نظيرٍ لك فى الفضل شيئٌ من المكابرة، ولم يكسب الرِّهانَ على العقل.

الإحسانُ مذهبُك، المكرمةُ قاعدتُك، وليس فى آل الأمراء مذهبٌ غيرُ هذا وقاعدةٌ.

المنّةُ تمساحٌ يتلوَّى فى بحر المروءة، وليس ثمة تمساحٌ فى بحر مروءتك.

إحسانُك مثلُ حبل العنب وسَلَّةِ جمعه، هو الغُصْنُ الحاملُ لعنقود الكرْم فى الشَّراب.[(٢)]

٢٠ – فى خدمتك يكون الفخرُ ولا يكون العارُ، وفى مديحك تكون الشهرةُ ولا يكون الشَّنارُ.

أنت المطْلَقُ لأهل الثَّناء ومديح أرباب النَّظم والنثر، وليس فى هذا الباب رياءٌ ونفاق.

---

(١) أى : مستقيمًا.

(٢) أتت كلمة "وننگ" فى عروض البيت وضربه وهى تأتى بمعنى غضن شجرة العنب وتأتى بمعنى الحبل الذى يعلق عليه العنب لعصره.

بغير إظهار خَشْيتك التى هى منْ هيأة الفَلك، لا ينظر الفهدُ للتيس بعداوة.

الصُّلحُ مع أهل الصُّلح يكون بتوقيع قلمك، ومَنْعُ الحرب عن أهل الحـــرب يكون برأيك.

من لُطفك مع سادة العصر وحُسْنُ صنيعك، تَهَبُ دائمًا حبَّات الدُّرِّ الصافيةِ حفنةً حفنةً.

غَضَبُك النَّارُ وحسودُك عودٌ يابسٌ، وكلُّ عود يابس تصله من النَّار محنةٌ.

كلُّ مَنْ يفعل معك فِعْلَ البغال؛ فهو بالضرورة فى هــاون الهــوان مِثــلُ العُشْب الآدمى[1].

فى موسم الرَّبيع الذى تصير فيه الدنيا بحرًا، والبستانُ والحديقةُ مثلَ الجنَّة السَّاحرة.

ليكنْ فى مجلسك زورقُ النَّبيذ دافقًا، حيث لا تكون للزورق عادةُ الجريـــان فى نهر "جنج"[2]

فلتهبَّ رياحُ "گنگ"[3] على شارب حسودك حتى يحميه بيده.[4]

٣٠ - طالما يختبرون الفضَّةَ والذَّهبَ بالنَّار والحجر، فقد حَنَّكْتَ الرِّجالَ. ســـواء المصلح أو العربيد.

فأنت تُمْتَنُّ ولا تَمُنُّ، ومنك يصير غنيًّا فى يوم واحدٍ ألفُ مفلسٍ.

فى طريق العشق، اختبر الحسناواتِ قُساةَ القلوب بالذَّهب والفــضَّة ونَـــحِّ جانبًا العقلَ والنُّهى.

---

(١) هو عُشْبٌ يشبه الإنسان فى شكله، وهو بالفارسية (مردم گياه).

(٢) فى الديوان فى قسم (لغات ص٤٨١-٤٨٢) أن من معانى "گنگ" أنها نهر فى بلاد الهند يقال إنها جزيرة.

(٣) فى السابق والصفحة نفسها أنَّ من معانى "گنگ" أنها اسمُ رياح يقال : إنها تــسبِّب مرضـــا لجسم الإنسان ويحك بسببها جذور شعره وحتى لا يتساقط يتماسك عن حكه.

(٤) خشية التساقط.

يجب لِجَدّى نصيبٌ من الهزل، عندما لا يكون للشَهْد طَعْمٌ مع وجود الحنظل.
طالما يؤدى الحشيشُ والخَشخاشُ إلى الجنون؛ فليكن خصمُك مجنونًا من الحشيش والخُشخاش(١) .

* * *

١ - حتّامَ نحطِّم مشكاةَ منزل الطّاعة بسبب دورة الفَلك البلُّورى اللَّون.
فتَحطيمُ المشكاة رَسْمُنا، ونُلقى التَّعِلَّةَ على الفَلك البلُّورى اللَّون.
نحن متلوِّنون وخصومتُنا مع فهد الأجل، وفى النهاية ماذا تفيد الخصومةُ مع الفهد المحتال؟!
الكِبْرُ فهدٌ فى رأسنا؛ فلا تعجبْ، لأنَّ هيئةَ الفهد تتحطَّم بسبب الكِبْر.
رأينا الوقاحةَ دفعةً ولم نخجلْ، فاشتهرنا بالفجور والوقاحة والاحتيال.
كان لنا إصرارٌ على إقتراف المعصية سرًّا وجهرًا؛ فلم نَرْعوِ عن الصَّغيرة ولم نرتدعْ عن الكبيرة.
لم يكن العفافُ مؤثِّرًا فى قلبنا غير أنَّه – أى قلبنا– المكانُ الذى نمارس فيه مع الأخّاء نَرْدَ العار والشَّنار.
فى كفَّة ميزان أعمال عُمرنا، الطاعةُ مجرَّدُ حبَّة ضئيلة والعصيانُ بقدر حجر ضخم.
ظفرنا بميدان فسيح، فاحْكمنا كالأبطال حزامَ السَّرج على مركب الهَوى والشَّهوة.
١٠ - وقبلنا الصُّلحَ مع مَنْ يجب خِصامُه، وفُتنا بالخصام مع مَنْ يجب الصّلحُ معه.

---
(١) هو نبات الأفيون. وهى كلمة معربة أيضًا.

الشيوخُ منحنو الظَّهر والشبابُ المتعلِّقون بالضفائر، فـى راحــاتهم كــأسُ الرَّاح ومن مسامعهم صَدْحُ الرَّباب.

أخذت قبضةُ الأجل بتلابيب عُمْرنا، ونحن نَسْتَمرئ التَّعلُّقَ بطــرف ثــوب الطمع والرغبة.

القلبُ مرآةُ معرفة الله، والحقُّ صَقَلَ الصَّدَأَ عن مرآة معرفة الله.

ونحن قد أرقنا على المرآة خَمْرًا تشبه الصَّدَأَ، ثم صقلنا المــرآةَ الـصَّدَأةَ بخَمْرٍ تشبه الصَّدَأَ.

دفعتنا الحَسْناواتُ إلى الفسق والفجور بتوحشٍ ؛ فأودعت الــزَّنْجَ[1] أيــضًا إلى الرُّوم[2][3].

أيها الخالقُ، إنَّ نَارَك الحارقةَ وقودُها وحطبُها من النَّاس والحجارة[4] .

نحن فى عداد البَشَر قساةُ القلوب، أثرياءُ بالمعصية ومفلسون فى الطاعة.

نحن معلَّقون فى سَقَر بسلسلة المعصية، وسَقَرُ تمساحٌ ونحن بذنوبنا لقمــةٌ سائغةٌ له.

ليس لنا منجاةٌ من سَقَر بالعقل والفطنة ومن رُعْب ذلك التِّمساح لم يعد عقلٌ ولا فطنةٌ.

٢٠ – عالمُ القمار بيتُ الشيطان ونحن فيه مقامرون والأجلُ مخطِّطُ القمار.

الإيمانُ مفتاحُ الجنَّة، وليس ثمة بابٌ بلا مفتاح وأسنانُ مُنشار التَّضرع هى المفتاحُ الفاتحُ.

مستَقَرُّنا فى سَقَر بعَدْلك ويكون فى الخلد الأعلى بفضلك وبرحمتك.

---

(١) أى : الليل.

(٢) أى : النهار.

(٣) أى وصلنا الليل بالنهار فى الفسق والفجور.

(٤) استفاد الشاعر هنا من (سورة البقرة آية ٢٤) فى تكوين المعنى والصورة.

بَحْرُ فضلك ورحمتك يعصف دائمًا، ولا تمخر سفينةُ أملنا بنهر "الجنج".

تكون لنا جنتُك بالعمل، وبغير العمل لا يكون للربيع وللجنَّة الساحرة ظهورٌ فى الأرض.

فى فمنا حلاوةُ شَهْد الشَّهادة، وقد عقَدَتْ لنا فى المهد السَّداةَ واللُّحمةَ صبغةً لنا.

لم أشركْ بك طَوال عُمرى، يا مَنْ لا شريك لك لا تجعلْ شَهْدَ الشهادة علقمًا.

لم يستحسب "النمرودُ " الذى صرعته بعوضةٌ و"فرعون" الأبرصُ الأعرجُ العبوديَّةَ فى مُلكك.

يقرعان مع عبيدك دائمًا طَبْلَ الألوهية، ولا يعرفان أنه طبلٌ إلهى أم دفٌّ.

مضى "النِّمرودُ" إلى فَلك النسور هناك حيث لا يكثر فيه طيرانٌ للنِّسر وللعقاب.

٣٠ – ومن شدَّة الخوف يطلق قوسُه على الهواء السِّهامَ المتتابعةَ على نسور الفَلك.

وحين خضَّبوا سنانَ تلك السِّهام بالدَّم، ابتهج وتحرَّر من الصياح والغَمِّ والغوغاء.

"وفرعونُ" الشُّؤمُ حمارُه فى سوق البطيخ، وقد أحْكَم حزامَ السَّرج على جواد الجهل والفتنة.

وكان أميرَ نَهْرِ النيل، وحين أضحى غارقًا فيه، طَفَى ذلك لأقرعُ على صفحة الماء كالنخالة.

ليس لكلِّ أعرج محنةٌ من العَصَا، بينما أتت المحنةُ إلى "فرعون" الأعرج من العصا.

ذلك الشخصُ الذى كان قد لاكَ من يد الشيطان الخشخاشَ والحشيشَ، يكون حَشْرُه مع هذين المغرورين .

يا"سوزنى" كنْ فارسًا على جواد الإنابة إلى الله، وانتزع اللِّجامَ من يد الشَّيطان المخادع.

لا تأمَنْ ليد الشَّيطان حتى النَّزع الأخير، حتى لا يكسب شيطانُ الدين الرَّهانَ منك.

قلبُك بنور الدين هو بيتُ المقدس؛ فتنبَّهْ حتى لا يتَّخذه الأجنبىُّ الكافرُ بيتَ خنزير.

لقد مضى سبعون عامًا، فأنشِد التَّوحيدَ والزُّهدَ، وأقللْ من الهذيان ولا تَعْدُ واثبًا مثلَ برزون المحاجر.

٤٠ - ولا تكفَّ عن ذكر الحقِّ، وبغير ذكر الحقِّ يتساوى لدن أهل العقل الآدمىُّ والعُشْبُ الآدمى.

فى طريق الدين يكون القولُ الصادقُ حديثًا جافًا، فلا تَبِعْ الدينَ بالكذب والخداع والنِّفاق والتدليس .

حرف (ل)

فى مدح قدر أرسلان (ص١٥٣-١٥٤)

١ - اتَّجَه للجبال قائدُ الشَّرق للقتال، فيسَّر ربُّ العرش له فتْحَها.

لوى عدوُّه عنقَه وسلَّم رأسَه للهزيمة خشيةَ مَنْ يصل حَدُّ سيفه إلى خاطره.

يكون دَمُ الطغاة حلالاً عليه من العَدْل، لكنَّه لم يُرِق الدَّمَ الحلالَ من الفضل والعظمة.

حَظِى القومُ منه بالأمان فى الرُّوح والمال، وهم لم يأمَنْ أحدٌ منهم على رُوحه وماله.

لومضى خيالُ سيف القائد "قدر أرسلان" على جبل لانتابه زلزال.

أين رُعْب "رستم بن زال" الذى أصاب بلاد الأتراك من رُعب سيفه الشَّديد الذى أصاب الجبال.

لقد سمعتَ فى دَوْرة الفَلَك أنَ الشَّمسَ الضَّاربةَ بأشعتها تجعل الحجرَ ياقوتًا فى آلاف الأعوام.

بينما حَدُّ سيفه يجعل الرِّمالَ من جبل "كميج" ياقوتًا بدخشيًّا بدَم الرِّجال فى لحظة واحدة.

بنور عَدْله تزيَّنَ وجهُ البسيطة بأسرها، مثلما الفَلَكُ بالشمس على سبيل القياس والمثال.

١٠ - لقد صَاخ سمعًا إلى أمره بالروح و بالمال قادةُ "خلخ" وأبطالها وأشاوسُها.

فهم يوم الأريكة خُلصاؤه، وهم يوم العريكة مؤدِّبو عدوِّه.

ألا فاعلمْ أنَّ قلبَه محبٌّ للخير ومخلصٌ وكذا الدَّهرُ مخلصٌ ومحبٌّ للخير له.

فى عهده يكون المظلومُ كالظالم لأنَّه يجعل للمظلوم قوةَ الظالم.

لا يخشى من أعماق قلبه سوى وبال يوم القيامة، والعدوُّ يخشاه مثلَ خشية المتَّقى من الوبال.

يا ملاذَ جيش "توران" وقلبَه وسدَنه، لقد استَمدَّ جيشُ "توران" جمالَه منك.
فمنك صار لمخالفيك ضعفُ الحال، ومنك يكون للموالين لك القوَّةُ والحال.
أنت ساطعٌ فى فَلك الدَّولة والإقبال والجاه والحشمة بلا كسوف وزوال مثلَ عين الشَّمس.
أنت الغالبُ والقاهرُ حيثما تتَّجه، وتأتى مظفَّرًا ومنصورًا فى كلِّ الأحوال.
طالما يكون للمحافل وللمعارك دائمًا فى المسامع صفةٌ حَسَنةٌ؛(١) باعثةٌ للطرب و(الأخرى) باعثةٌ للقتال.
٢٠ - فليحفَظْك المهيمنُ المتعالى من كلِّ سوء يهفو على خاطر أحدٍ.

فى مدح طمغاج خان (ص١٥٤ - ١٥٦)

١ - بقدوم عام جديد بيُمن الطَّالع، يكون لملك العالم الفتحُ والنُّصرةُ والإقبالُ.
أَقْبَل عامٌ جديدٌ وتقدَّم لخدمة قدوم الملك كلُّ أنواع الوُرود.
وأسرع للخروج فى إثره مَلكُ نجوم الفَلك(٢) مع طلعة القمر.
ورأى المَلكُ فى عَلم الطائفة الفَتْحَ والظَّفرَ، وقد خَفَقَ عاليًا من أول برج "الحمل" العَلمُ الوَرْدىُّ اللَّون.
فى حَشَم المَلك وفى عَشيرته وفى آله، يتوالى النَّصرُ مع عَلمه الوَرْدىِّ اللَّون.
فموسمُ مَحْفَل مَلك العالم، هو نوبةُ المنح وموسمُ البذل والعطاء.
وينتظره المطربُ والبستانُ "والبلبلُ" الصَّدَّاحُ و"القُمرى" المطرب.
وقد زَيَّن هامةَ "الطاووس" بالتَّاج المرصَّع، وأحاط عُنقَ "الفاختة" بالطوق المسْكى.

---

(١) أى : الأولى.
(٢) أى : الشمس.

فمثالُ الملك "سليمان" والطَّير البليغ مثلُ انتصار المَلك ومثلى.

١٠ - السلطانُ "طمغاج خان" الذى ينتزع سَلْطَنتَه من قبضة الأسود الكواسر ومخالبهم.

فمع عَلم "گاوسار"[١] وعلامتُه الأسد، يكون أسدُ الفَلك[٢] ثعلبًا ودمنةَ المحتال[٣].

أيها المَلكُ الفريدُ العالمُ العادلُ، الملكُ "مسعود" الاسم "محمود" الأفعال.

طالعُك مع اسمك مساعدٌ ومسعودٌ، وقرينٌ لطالع سَعْدك دائمًا فى كلِّ حال.

السَّعدان الأصغرُ والأكبرُ[٤] على الفَلك الهَرم يفتحان منك الفألَ على سعادتك.

لك هيبةُ المَلك "أفراسياب"، ويكون منك لأعدائك الهزَّاتُ والزلازل.

فزلزلةُ جيشك يوم الملاقات أفضلُ من نتائج حرب "رستم بن زال".

ولم ترَ عينُ الدنيا مثيلكَ ملكًا؛فأنت فى المحفل وفى الوغى مؤدِّبُ العدوِّ وعدوُّ المال[٥].

كلُّ مَنْ هو تابعٌ لأمرك وراغبٌ، يكون من هباتك منعَّمًا وثريًا.

وذلك الذى يكون فى بلاطك طاغيًا وباغيًا، أضْحَى قرينًا للهوان ورفيقًا للشدَّة وللأهوال.

٢٠ - كَفَى أنْ يُخرج الفَلكُ حاسديك، وأيديهم وأعناقُهم فى السَّلاسل والأغلال[٦]

---

(١) سبق الحديث عنه فى حاشية سابقة.

(٢) أى : برج الفلك.

(٣) أبطال قصص كليلة ودمنة الشهيرة.

(٤) هما : المشترى والزُهرة.

(٥) هنا لفٌ ونشرٌ مشوَّش؛ لأنَّ تأديبَ العدوِّ يناسب الوغى، وعدوَّ المال يناسب المحفل.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: "إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون" (سورة غافر آية ٧١) . واللف والنشر هنا مرتب؛ فالسلاسل تناسب الأيدى والأغلال للأعناق.

ويفصم الدَّهرُ بخنجر الآجال في يد القضاء حلقومَ آمال أعدائك.
يا آخرَ خليفةٍ من الخليفة الأول[1] ذلك المخلوق من سلالة الصلصال.
مُلْكُ سلاطين الدنيا منه حتى أنت، حوَّله إليك "محوِّلُ الأحوال"[2].
يكون مُلْكُ الأرض وقفًا عليك بحقٍ وعلى أمرائك حتى الأبد وطول الأزل.
فأنت المهدى صاحبُ القران لوجه البسيطة، وقد ركَنَ لطاعتك المهدى والدَّجالُ.
سيكون فى مُلكك أيها المَلكُ، نُصرَةُ "عيسى" ورقصُ "الدَّجال"[3].
عينُك نارٌ وسيِّئ السَّريرة نحوك عُودٌ، والنَّارُ لادرايةَ لها باحتراق العُود.
تَعَوَّدْ يا "سُوزنى" على مديح المَلك ذى الحَظِّ الشَّاب بقلبك ورُوحك وتَرنَّمْ بمديحه.
عَمَلُ سَيِّئ الطَّوية نحوك هو النُّواحُ والبكاءُ،حتى لا يكفَّ؛قلْ له:ابْكِ دائمًا ونُحْ دائمًا.
٣٠ - واظْهِرْ دُرَّ القول حبَّةَ عِقد وانظمْه عِقدًا، ولا تَنْخُلْه بالغربال؛ فتُسقط البسيطَ منه.
وطهِّرْ طبْعَ القول واحفظْه من الحَشْو، وكنْ مع أشعارك مثلَ المربية مع الأطفال.
حتى يصير دفترُ أشعارك من مَدْح المَلك، مثلَ وجنات الحِسَان بالضَّفيرة والخطِّ والخَال.
اطلبْ لمَلك العَالم العُمْرَ الأبدى فى شَرفٍ وعزٍّ لا يزال ولا زال.

---

(١) آدم عليه السلام.
(٢) الخالق سبحانه.
(٣) أى: يتمنَّى له طولَ العُمر والمُلك حتى يرى انتصار عيسى عليه السلام على الدَّجال فى آخر الزمان كما تروى الروايات فى ذلك.

فليكنْ المَلكُ السَّعيدُ على هذا الاتصال برغد العيش فى الغُدوٍّ وفى الأصال[1].

فى مدح مؤيد الدين (ص ١٥٦ – ١٥٧)

١ – أصابنى فراقُ قَدٍّ يُشبه الألفَ الفضيَّةَ[2] لذاك الغزال اللَّطيف، وصار قَدِّى يشبه الدالَ الذَّهبيَّةَ [3].

وباعنى الألفَ الفضيَّةَ بالدَّال الذَّهبيَّةَ؛ ذلك لأنَّه لا يُوجد طريقٌ للوصال بين الدال والألف.

فزرعتُ من أهدابى غُصنًا فى حديقة النَّوم على أمل أن أرى خيالَه فى النَّوم.

وقطعتُ غُصنَ النَّوم والأمل من الخيال،وهكذا صرتُ بحيث لم يعرفْنى أحدٌ من الخيال.

ما أجملَ نومَ الشَّخص الذى حالُه من الخيال، مع أنَّ ذلك الحالَ سريعُ الزَّوال وفى لحظة واحدة.

بحسب حالى ما قاله "منجيك الترمذى"[4] الذى تخلَّص به فى مدح "المؤيد ابن جمال".

---

(١) فضَّلتُ ما جاء فى الحاشية لوضوح المعنى ولجماله عن المتن.

(٢) أى : استقامةً.

(٣) أى : انحناءةً.

(٤) هو أبو الحسن على بن محمد منجيك الترمذى من شعراء القرن الرابع الهجرى ومن مادحى أمراء چغانى وإلى جانب مدائحه له أشعار فى الهجاء والهزل (د.زهراى خانلرى: فرهنگ تاريخ ادبيات).

جمالَ محفل الأحرار مؤيدَ الدين، الذى يكون بلا نظير وشبيه مثل أبيه[1].

شبيهُه فى العلم والحكمة والجُود والمروءة والأفضال بلا وجود فى الدنيا مثل الكيمياء.

من جُوده، يكون كريمُ بنى طَىٍّ من عداد اللِّئام، ومن علمه، يُعد "أفلاطون" من ربقة الجُهَّال.

١٠ - مثلما يكون حرصُ السَّفلة فى جمع المال، فهو أشدُّ حرصًا منهم ولكنْ فى إخراج المال.

ولم تَرَعينٌ من ناظرى العالم قليلاً وكثيرًا مثله من خلق العالم: فهو كثيرُ العلم قليلُ السِّن.

وما إنْ طالع سائلُه ظلَّه المبارك؛ حتى قال عن بُعد: هذا هو المباركُ الميمونُ الطَّالع.

لو يُوضع الخزفُ محطَّمًا فى خُرج السَّائل؛ يصير ذهبًا صحيحًا من يد طالعه الميمون.

مَرْحَى لسخائك المحطِّم عنقَ البُخل، وأهلاً بكرمك الرَّافع لعنق الجُود عاليًا.

وفى ميزان حِلْمك الجُودى[2] أقلُّ من حبَّة شعير، لو كان المثقالُ فى الكفَّة دُرًّا من حلْمك.

ولو يستولى البخلُ على العالم مثلَ الدَّجال، لأضحى سخاؤك مثلَ "عيسى" قاتلاً للدَّجال.

---

(١) يرجِّح جلال الدين همائى فى (مستدركاته على الديوان ص٤٠٩) :أنَّ أبيات "منجيك ترمذِى" التى استشهد بها "السوزنى" فى هذه القصيدة ولا يعرف عددها، ربما تكون من قصيدته اللاَّمية التى على وزن وقافية قصيدة "السوزنى" وتبدأ بالبيت التالى:

مرازديده بكرد آفتاب خواب زوال   كجابرآمد خيل ستارگان خيال

(٢) اسم جبل استوت عليه سفينةُ نوح عليه السلام بعد انتهاء الطوفان كما جاء فى القرآن الكريم.

أهلُ القول يحفظونه بمديحك؛ لأنَّك ترعاهم بالنَّفع والنَّوال.

فى كلِّ مكان يخطوه راعى القول، لا يمضى فيه سوى مقال مناقبك.

حين صار لسانُ القلم حالكًا من فوَّهة الدَّواة، أتَصوَّر مديَحك على نور الخاطر.

٢٠ - فى مجال الشِّعر لا تظنَّنى أنتحل ما أقول من مكان آخر.

فالشَّاعرُ المنتحلُ شبيةٌ بالعِنِّين، والعِنِّينُ لا درايةَ له بلذَّة الإنزال.

لو يكونُ المنتحلُ فى وقت الأداء فصيحًا، فالأبكمُ وقت احتساب القول يصير فى هذه الحالة فصيحًا.

ولهذا السبب فالأفضل لدن ممدوح مثلك أن يُظهر الحكيمُ من طَبْعه السِّحْرَ الحلال.

لا لَوْمَ على المنتحل الهربُ(١) عن طريق الشِّعر، ولا تَثريبَ عليه لأنَّه لم يَحْظَ بممدوح مثلك ولا مَلامَ.

يُهيِّئ من الشِّعر فصلاً وحيثما يصل يقرأه دائمًا، وهذه عادةُ القصَّاص.

وأنا حين أتلو مديحَك فلا حاجةَ لىَ للسؤال؛ لأنَّ جُـودَك يَـصلنى بغير سؤال.

طالما يكون دائمًا فى حساب الشهور فى كلِّ عام ثلاثةُ شهور تدور من أول رجب إلى أول شوال.

فأنا أتمنى لك طولَ العُمْر بالسَّعادة فى عزٍّ ودولة وإقبال مثلَ غُـرَّة شوال(٢).

فليكنْ شَهرُ رجب الذى حلَّ، عليك باليُمن؛ لأنَّ أيامَه يُمنٌ ولياليه بركةٌ.

---

(١) فضلتُ ما جاء فى الحاشية لوضوح المعنى.

(٢) أى : يوم العيد

فى مدح جمال الدين عُمر (ص١٥٧ – ١٥٩)

١ – صدرُ الدين والدنيا صاحبُ الطَّالع الميمون، مَنَحَ جمالَ دين الله جمالاً بجاهه.

اليوم صار الطَّالعُ مباركًا على "جمال الدين" ويبقى أساسُه فى هذا عاليًا شامخًا حتى أعوام مديدة.

الصَّاحبُ العادلُ السَّيدُ الذى كلُّ مَنْ يأخذ الفألَ من رأيه يتفاءل بطَلْعته حتى الأبد.

يحتوى هذه الدنيا بأسْرها تحت ظلِّه مثلما يبسط طائرُ "هُما" دولته أجنحتَه.

أضْحَتْ سيرتُه ومذهبُه بَذْلَ الجاه والمال، بَذْلَ جاهه على الكبار وبَذْلَ ماله على الصِّغار.

يا مَنْ صار شبيهًا فى الكُنية لسَميِّه العالم العادل "عُمَر"[١] فى طريق العَدْل المستَمَد من الدين الطاهر.

فسِنُّ قلم هذا العُمَر[٢] قد حاك عيْنَ الطُّغاة، مثلما دقَّت دُرَّةُ ذاك العُمَر[٣] عنقَ الظَّالمين.

فمن دُرَّة ذاك فى وقته ومن قلم هذا الآن[٤]، صار الظَّالمُ ضعيفًا وخائرًا كالقلم وكالمقرعة.

قلمُه الذى يأمر أمرًا يأتى كثيرًا على شاكلة "ألف"[٥]، فى حين أنَّ الممتثلَ لأمره يكون على شاكلة "دال"[٦].

---

(١) الخليفة العادل عُمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٢) أى : الممدوح

(٣) أى : ابن الخطاب

(٤) أى: عُمر بن الخطاب والممدوح جمال الدين عُمر.

(٥) أى : استقامة

(٦) أى : انحناءة

١٠ – والعظماء الذين هم كالقلم[١]، ينحنون بهاماتهم له على هيئة القلم ممتثلين.
ولأنَّه لم يسئ لأحدٍ مطلقًا طَوال عُمْره؛ فلم يكنْ أحدٌ سيِّئَ الطَّوية نحوه في عُمْره.
ليسَ ثمَّةَ وزرٌ عليَّ ووبالٌ لو أقول: إنَّه طالما قد أضحى وزيرَ الملك؛ فليسَ ثمةَ وزرٌ عليه ووبالٌ.
مَنْ يكون وزيرًا مباركًا مثله لمملكة؛ يكون مُلْكُه آمنًا من الانقلاب والاختلال.
الصَّاحبُ العادلُ قائدُ قَمر الفَلَك وشَمسِه، بلا خسوف وبلا محاق وبلا كسوف وبلا زوال.
تَستَمدُّ فاكهةُ الدَّولة لونَها ورائحتَها من نوره، ويصير الحَجرُ والخَزَفُ جوهرًا دائمًا من ضيائه.
لو أدعوه زينةَ العالم فلا عجبَ من ذلك بَعْدُ؛ لأنَّ للعالم منه زينةً وبهاءً وجمالاً.
السَّماءُ ترغب أنْ تَتَوسَّد أعتابَه، لكنْ لا مجالَ لها على هذه الأعتاب.
الشَّمسُ حقًّا مزيِّنةُ الدنيا ومربيةُ الرُّوح، ولو يكون لأحد خيالٌ في ذلك فأنا أتخيَّله[٢].
لكن اعْلَمْ يقينًا أنَّ مجلسَ "الدِّهقان جمالِ" دين العالم قد استَمَدَّ الكمالَ من جمال زينة صاحبه.
٢٠ – فأهلُ المجلس يربُّون الرُّوحَ على جماله، وصار كلٌّ واحد منهم مرفَّه العيش وهنيئَ الوقت والحال.

---

(١) أي: استقامةً
(٢) فضلتُ هنا ما جاء في الحاشية.

فليكن الصَّاحبُ العادلُ مرفَّه العيش حتى الأبد، وحالُه سعيدًا وبهيجًا طَوال الأيام والليالى.

طالما يكون مُزَيِّنَ الدنيا ومُرَبِّى الرُّوح على هذه الشَّاكلة التى يكون للخلق منه نفعٌ ومالٌ فى الدنيا وفى الروح.

فليكنْ ألفُ ثناء على دنياه وعلى رُوحه، دائمًا من اللَّه مُزَيِّنِ الدنيا مُرَبِّى الرُّوح.

فى مدح جمال الدين محمود (ص١٥٩ - ١٦٠)

١ - محبوبى كلُّه حُسْنٌ وملاحةٌ وجمالٌ، وكلُّ ملاحته وحُسْنِه وجمالِه تصل إلى حَدِّ الكمال.

المحبوبُ الذى له عَيْنُ المَهَا صار على صَيْد قلبى أشَدَّ جرأةً من الأسد فى صَيْد الغَزال.

له خَطٌّ يشبه ورقَ البوص الأخضر، نَبَتَ هذا العام من مرجان شفته الياقوتية الممزوجة بالسُّكَّر.

حين أطلب قُبلةً، يَسْرى فى الحال الدَّمُ فى وجهه مثلَ السُّكَّر فى بوص القصب خجلاً من رغبتى.

من المحال طلبُ قُبْلَةٍ فقط منه، فالقُبلةُ من ذلك المحبوب بغير حضْنٍ محالٌ.

كلما أمعنتُ النَّظَرَ فى السَّرْو والقَمر ذاتَ ليلةٍ ونهار، طاف أمام عينى طائفٌ من قَدِّه وخَدِّه.

فقلتُ للقمر: يا مَنْ تكون نظيرًا لخَدِّ معشوقى، وللسَرْو: أيها الشَّبيهُ بقَدِّ محبوبى.

فيشتعل القمرُ فى سمائه والسَّرْوُ فى رياضه من هذا القول ويطول عنقُــه- فخرًا-.

وإذا ما كان لقامة محبوبى صفةُ السَّرْو، وكان لعــارض محبـوبى شَــبَهٌ بالقمر.

فعندى أنَّ القَمَرَ سَرْوٌ وليس هناك قمرٌ مطلقٌ؛ لأنَّ للــسَرْو طُــرَّةً طيِّبــةَ الرَّائحة وللقمر خالاً مسْكيًا.

لقد خَطَّ قلمى بمسْك وغالية خَاله وطَرَّته مِدْحةَ محمود بن حسن فى الحال.

"جمال الدين محمود" المتَفَرِّدُ الذى أخذ دينُ محمد به ألفَ لون من الجمال.

فَلَكُ الدَّولة وبحرُ الفضل ومنجمُ الحكمة، أساسُ المــروءة والجُـود وقبلــةُ الإقبال.

ليسَ من شيمته ردُّ سؤال أىِّ شخص، مثلُ دعاء النَّبى إلى الله المتعالى.

لو يسألونه الرُّوحَ الغاليةَ، يكون استحسانُه لعطائها سابقًا لسؤالهم.

طَلْعَتُه المباركةُ على أهل الفضل والحكمة أفضلُ من طائر "الهُما" الميمون فى العظمة وفى الطَّالع.

إنْ لم ينلْ طائرُ "الهُما" الميمونُ العظمةَ منه ؛ يصبح جناحُه عبئًــا عليــه ووبالاً.

يا مَنْ أنت "هُما" أهل العلم والفضل المحبوب، وقد عُنيتَ بهم جميعًا تحــت ظلِّ جناحك.

الشَّخصُ الذى نال جَسَدُه عنايةً من جناحك، قد جـــاء بقليــل مــن الجــاه والملاطفة لأجل الجاه والمال.

فَتَهبُه مالَك بكفِّك المعطاء، وكأنَّ المالَ لك عدوٌّ وأنت عدوُ المال.

دائمًا مالُك مثلُ المحيط، مآبُه إلى السَّائل ومآلُه إلى الزَّائر.

فأنا لا أرى فى أىِّ جَسَدٍ فى هذا العالم رأسًا لا يكون عنقُها حَمّالاً لعطائك وتكون عبئًا على جَسَده.

وكافّةُ الشُّعراء مطوّقون بطوق منّتك وإحسانك، ويصدحون مثلَ القُمـرى بمديحك.

وأنا أُدَبِّج فى كلِّ زمان ولحظة ونَفَس ومكان مقالَ مديحك شاكرًا.

لىَ أولُ قصيدة فى مجلسك؛ فلقد زَرَعْتُ بيد الطَّبـع غُـصنًا فـى حديقـة المديح.

كلُّ مرآة تُظهر أنَّ همَّتك تكون أرضًا خصبةً وأنَّ جُودَك نهرُ ماء زُلال.

لو جاء من لسانى تقصيرٌ فى مَدْحك؛ فليكنْ أبْكَمَ، وهذا أفضلُ له من كـلِّ قول له.

طالما يكون الفَلَكُ عالياً دائمًا على سبيل المثال، ويكون كالديوان والعاملون عليه من النجوم السَّبعة.

فلا كان من قلم عمال الأفلاك السَّبعة رَفْعٌ لخَطِّ الزَّوال من كتاب عُمْرك.

٣٠ - وليكنْ وقْفًا على زمنك العزُّ والجلالُ من ذى الجـلال البـاقى لـه العـزُّ والجلالُ.

فى مدح صفى الدين (ص ١٦١ - ١٦٢)

١ - أطَلَّ هلالُ رمضان ميمونُ اللِّقاء مباركُ الطَّالع بوجْهٍ يشبه الغابَ من الفَلَك النيلى اللَّون.

وسطع على الفَلَك محنىَّ القامة مبديًا الخدمةَ من ناحية القِبْلة صوب بـلاط شمس الجلال.

الأجلِّ الصَّاحبِ العادلِ الذى لم تُظْهر الدنيا مثلَه ولــم يُحــضرْ – إلينــا– صاحبُ الإقبال.

الكبيرِ العالمِ الذى يكون فى صلاح ذاته صلاحٌ لخَلْــق الكبيــر المهــيمن المتعالى.

"صفىِّ الدَّولةِ" العالى الشَّأن معين خلق الحَقِّ، الوزيرِ سعيدِ المقدم وحَــسَنِ الرسْم وطَّيبِ الخصال.

ثباتُ العِلْم والعمل على رعية المَلك يكون بسيرة العلماء وبصورة العمال.

ومثلما قال صاحبُ الشَّرع: الأعمالُ بالنِّيات[١]، فإنَّ جريدةَ أعماله[٢] مليئةٌ بكلِّ خير.

لقد صار المَلكُ مشفقًا على عامة الرعيَّة مثلَ الأم الحنون والأب الــشَّفوق على الأطفال.

فَتَح بابَ العَدْل وكبَّل يَدَ الظُّلم؛ الأولى لأجل الثَّــواب والأخــرى خــشية الوبال.

١٠ – لا عَجَبَ من عَدْله لو يصير الفَهْدُ والنَّمرُ الصَّغيرُ فى الجبــال والــسَّهول حَرَسًا للحُولى وللغَزال .

ينشر العَدْلَ فى العَالم بسِنِّ القلم، على شاكلة سَميِّه بشِقِّ دُرَّته[٣] .

حينما تَعْبر من باب العَدْل فبغير سَميِّه لن تجد شخصًا آخَــرَ نظيــرًا لـــه وشبيهًا .

ليسَ لقادة زَمَنه مآبٌ ولعظماء عصره مآلٌ سوى خدمة بلاطه .

---

(١) أى": محمد ﷺ وقد قال :" إنَّما الأعمال بالنِّيات وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى".

(٢) أى الممدوح.

(٣) يقول جلال الدين همائى في (مستدركاته ص ٤١٠): يُعلم من هذا البيت أن اســم الممــدوح "عُمَر".

لقد وصلوا إلى الدنيا عن طريق خدمة بلاطه فنالوا الماءَ والحشمةَ والجـــاه والدلالَ والنِّعمةَ والمال .

يَفى من كفِّه المعطاء بالجُود والسَّخاء لو يسألونه الرُّوحَ الغاليةَ .

يحمل أقلُّ سائل له من جُود كفِّه بدْرة الذَّهب الخـــالص وخُـــرْجَ الفـــضَّة الصافية .

حلَّقَ على هامة الخَلق "هُما" جاهك، والشَّخصُ الذى وجد ظِلَّه صار ناجيًــا من الأهوال .

يبسط جناحَه مثلَ ذلك "الهُما" المبارك؛ فتكون هذه الدنيا بأسرها تحت ظِلِّه.

أيها الصَّدْرُ المحبوبُ الذى تُعد عظمةُ طلعتك من حيث البهـــاء والطَّـــالع أفضلَ من "الهُما" الميمون .

٢٠ - عَصْرُ المملكة يتميز بحُسْن التَّدبير ؛ لأنَّها حَظيَتْ بوزير صـــائب الـــرأى مثلك.

لو يقارن أحدٌ "صاحبَ الرّى"[١] بك، يكون له وليسَ لك فـــى هـــذا قيـــاسُ الجمال

لو أنك كنتَ " صاحب الرّى " فى هذه الأيام، فكيف تكون أنت هـــو، وقـــد صار فى صَفِّ النِّعال[٢] .

فكمالُ "صاحب الرّى" لا يصل مطلقًا فى هذا؛ فليس له فى الكمـــال ذلـــك الذى يكون مناسبًا لك .

زاد الخالقُ فى مكانتك وقدرك، وكلُّ ما فعله ويفعله الخـــالقُ لـــيسَ مـــن المحال .

---

(١) هو الصاحب بن عباد وزير الديالمة الشهير.

(٢) تعبير يُقصد به في الأدب الفارسى "الراحلين".

أنت على سماء العظمة بدرٌ وعلى بُستان الشَّرف سَرْوٌ والآخرون هـلالٌ وخلال[1].

أشْرِقْ مثلما يُشرق البَدْرُ فى السَّماء، وانْمُ مثلما ينمو السَّرْوُ فى البُستان .

فليكنْ حَسُودُ جاهك من حملِ المحنة والغمِّ نحيفَ الجَسد مثلَ الخلال ومحنيَّ القامة مثلَ الهلال.

طالما يكون شهرُ رمضان دائمًا أفضلَ الشُّهور، وطالما تكون ليلةُ القَدْر دائمًا أفضلَ اللَّيالى.

فلتكنْ كلُّ ليلة من عُمرك ليلةَ القَدْر فى القَدْر، وليكنْ كلُّ شهر لك فى السَّنة شَهْرَ رمضان فى الخير.

٣٠- فليكن لك العُمْرُ ألفَ سنة، وكلُّ يوم من سنوات عمرك مثلَ غُرَّة شوال (يوم العيد) .

فى مدح افتخار الدين (١٦٢- ١٦٤)

١ - عاد إلى مجلسه مثلَ "الشَّمس" إلى بُرج "الحَمَل" شمسُ أهل بيت النَّبى السَّيِّدُ الأجَلُّ.

فسَعِدَ الخلقُ، والدليلُ على سعادة الخَلق هو الموسمُ الذي تأتى فيه "الشَّمسُ" صوب "الحَمَل".

شمسُ فَلَك الفضل والشَّرف "افتخارُ الدين"، ذلك الذي لا بَدَلَ له في العالم وهو بَدَلٌ لشمس الدين.

فأنَّى "للشمس" رُتْبةً ومكانةً في برج "الحَمَل" على الشَّاكلة التي له حين عاد إلى مجلسه؟!.

(١) جمع خِلَّة التي تستخدم في تنظيف الأسنان لفرط رقتها ونحافتها.

"الشَّمسُ" أدنى من "زُحل" بثلاثة منازل، طالما تكون الأرضُ له أفضلَ من "زُحل" وأعلى.

ليسَ للشَّمس نجمٌ في رفقتها، وهو لديه خَدمٌ وحَشَمٌ من النجوم.

للشمس كسوفٌ وزوالٌ، وله منشورٌ بلا كسوف وزوال من الأزل.

كلَّما يتطلَّع المشاهدون صوب الشَّمس، يبدو النَّقْصُ والخللُ في نور عيونهم.

بينما يزيد في المُقَل نورٌ من رؤيته حتى عن طريق لطائفه وبهائه وجماله وزينته.

فهو سلطانُ الشَّرق والغرب الذي تحتجب الشمسُ أمامه من المفرق تارةً ومن خلف حجاب أخرى.

وهو بلا حجاب طالما يمضي على سلطانه، وعلى هذا فهو يزيد على الشَّمس من قبل هذا.

أيها المختارُ حضرةَ سلطان الملوك، وجَدُّك اختيارُ السُّلطانِ الدَّائمِ (الحقِّ سبحانه).

ولأنَّ الشمسَ أقلُّ منه في كلِّ شيء؛ فإنَّها تسطع من خلال قمم الجبال شاحبةَ الوجه خجلاً.

وتطبع قُبْلةً على أعتابه راغبةً، ثم تَمُرُّ على بلاطه معاودةَ الخدمة.

وضع الإلهُ لك مكانةً في قلب السلطان، حتى سقطت أقدامُ حاسدك في الوَحْل.

أيها الملكُ، تخلو الدنيا من حسودك، مثلما تخلو "مكَّةُ" جَدِّك من عَبَدة "هُبل".

لم يخرج من منزل إخوانك حسودٌ، طالما لم يدخل الجَمَلُ في ثُقب الإبرة[1].

تخرج وساوسُ العظمة من رأس حاسدِك مثلما يخرج تباهي الذُّؤابة من مفرق الأقرع.

وجدتَ التَشْريفَ والخلعةَ واللَّقبَ والحشمةَ والعملَ في مجلس مَلك الإسلام.

٢٠ - فأنت أعظمُ مسلم في عصرك، والآخرون كلُّهم طفيليون وتابعون.

وعالمُ الفضل بك عامرٌ ومبتهجٌ، وعالمُ البُخل بسبب جُودك خَربٌ وقحلٌ.

ومن حَزْمك تلجأ كرةُ الأرض إلى الثَّبات، ومن عَزْمك يتعجل الفَلكُ في الدَّوران.

والقادةُ العقلاءُ لهم عيونٌ مكتحلةٌ بثرَى نَعْل مركبك عن طريق التفاخر.

والعالمُ عريانٌ ومسكينٌ، وبجُودك صار ناثرًا للدُّر مغطًّى بالحُلل.

ونال ما يزيد عن مائة ألف شخص منك الحدائقَ والقصورَ والضِّيعَ والأملاكَ والمستغلات.

ومثلَ الوَرْد الندَّى من الطَّل، وجهُ السَّخاء والفضل والبلاغة والشَّرف نَضيرٌ بك دائمًا.

وصَدْرُك نقيٌّ من الفكر المضلل والحقد والجدل، فاحملْه إلى خَلق الله.

وذلك الشَّخصُ الذي يعلم الفرقَ بين العَسَل والخَلِّ، يعلم أيَّ شخص أنت، والآخرين مَنْ هم؟!.

فلا يبقى في الدنيا أحدٌ من عبيد البارى عزَّ اسمُهُ وجَلَّ بدون حِمْل منَّتك.

٣٠ - لقد أتانا على غِرَّةٍ خَبَرُ مُعَاناتك، وكشف الأجلُ عن نفسه لنا عيانًا[2].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: "ولا يدخلون الجنَّةَ حتى يلج الجملُ في سَمِّ الخياط" (سورة الأعراف آية ٤٠).

(٢) الشطر الثانى من البيت يوحى بشدة اعتلال الممدوح حتى أشرف على الموت.

فأصاب عبيدَك الأسفُ والحسرةُ لأجلك، وصارت الأنفاسُ لاهثةً والقلــوبُ ملتاعةً.

ما دامَ الألمُ العارضُ لجسدك لم يكنْ سهلاً؛ فإنَّ القَلَقَ عليك كان على قلوبنا مثلَ الجبل.

وقد منحك الله الواهبُ الرُّوحَ ثانيةً، ولم يَعُدْ يبدو عليك أثرٌ مــن المعانــاة والعلَّة.

فأنت حين صرتَ آدميًا فقد أتيتَ مثلَ الملاك، وصار جَسَدُك مطهَّرًا مــن العلل وكتابُك من الزَّلل.

والآن، وقد عُدْتَ إلى المجلس ثانيةً بالسَّعادة، وتصير الحياةُ على عــدوِّك سُمًّا مثلَ العسل.

فعِشْ في مُسْتَقَرِّ العزِّ والشَّرف خالدًا، كي يصير حاسدُك حزينًــا ومهانًــا ومستذلاً.

طالما عِزُّ النَّاصح وذُلُّ الحاسد في هذه الدنيا متضادان بلا مكر وبلا حيل.

فليكنْ عُمْرُك خالدًا، ولتأخذْ قبضةُ الأَجَل بخُنَّاق الأمل لأعدائك.

فى مدح وزير (١٦٤- ١٦٥)

١ - فلتكنْ السَّلامةُ كلُّها لمن يريد بروحه وبقلبه سلامةَ أحوال الوزير العادل.

فليكنْ كلُّ المرادِ الحاصل من العالم للشخص الذي يريد له الحصولَ علــى مراده من الدنيا.

اعلمْ أنَّ الزَّمانَ عبدٌ لإقبال الوزير؛ لأنَّه ليس في الزَّمان وزيرٌ موفقٌ مثلُه.

وزيرُ المشرق الذي من فرط عَدْله، يولِّي الظُّلْمُ هاربًا بصفةٍ دائمةٍ مثلمــا الظِّلُّ من شمس المشرق.

لا يأتى توفيقٌ مطلقًا من السماء إلى الأرض؛ ربما لأنَّ التّوفيقَ يقيم في قصره.

تأملْ طلعتَه، فإنْ لم ترَه آدميًّا بين كافة البَشَر؛ فلأن له قلبَ مَلَاك.
لم يُقِمْ بناءَ أيِّ عمل إلاَّ بالعلم، وليس من بين الوزراء عالمٌ وعادلٌ سواه.
بدون رأيه وتدبيره وحُسن عهده تكون إدارةُ شئون المُلْك أمرًا مشكلاً للسلاطين.
ليس للمُلْك بهاءٌ بغير بهائه، وليس للمحفل زينةٌ بغير جماله.

١٠ - يبدو منزلُه دائمًا منزلَ السَّعادة؛ لأنَّه يعج بالبشاشة دائمًا.
الغُلُّ خَفِيٌّ بذلك العنق الذي يجعل صاحبُه بجهلٍ صَدْرَه منجمًا للحقد والغِلِّ على الوزير.
ولأنَّه يحفظ اللهَ في كلِّ الأمور؛ فإنَّ اللهَ لهذا لا يجعل حقَّه باطلاً.
يعلم الفاضلُ والعاقلُ أنَّ مثلَه نصيرٌ للدين من بين كافة المتنعمين بنعمته.
لا يغفل عن أيِّ حُسْن وسُوء لعبيده؛ لا لأنَّه إلهٌ بل بحكم الله.
وهبَ جاهَه جمالاً وزَادَ حشمَته، وهكذا يفعل العظماءُ المحسنُ والمجمِّلُ.
وأمام ذلك الذي يكون للشمس خجلٌ منه، يكون الخجلُ من الجهل بأمره.
بلى، يصير الخجلُ من الملَك الذي يصل "طغرل"(١) فجأةً إلى أعتابه ضيفًا.
فليَدُر المُلْكُ بجاه الوزير العادل، ويُحفَظْ من آفة عين السُّوء ومكر الحاسد العاذل.
فليكنْ عزيزًا دائمًا لدن الخَلْق، وليحفظِ اللهُ المعزُّ والمذلُّ جسدَه وروحَه.

فى مدح على بن أحمد (١٦٦- ١٦٧)

١ - حين طلب حبيبُ القلب منىِّ الاختبارَ، أسْرعتُ إلى خدمته بالروح ونثرتُ لديه القلبَ.
فقد طالعتُ تحت تعقيفات ضفيرة ذلك المحبوب مائةَ ألف قلب أسيرَ العشق مثلى.
المعشوقُ الآمرُ وأنا المطيعُ، وقد سلَّم المطيعُ القلبَ للآمر.

(١) من أوائل حكام السلاجقة ومؤسسى دولتها في إيران والعراق توفى ٤٥٥هـ.

أنا العاشقُ، وذلك المحبوبُ قمريُّ الوجه هو المعشوقُ، وأنَّى للعاشق أنْ يُسلِّم قلبَه لغير المعشوق؟!.

لقد أسلمتُ القلبَ إلى ذلك المحبوب؛ لأنَّ ليَ قلبًا مليئًا بصوره مثلَ المعارض.

فقبل القلبَ وأعطى الأمانَ للروح؛ فتخال أنَّ القلبَ أعطى الأمانَ لروحى.

اختار الرُّوحَ لأنَّنى فى أسْره، فى الوقت الذى اختار القلبُ عشْقَه.

وما إن طالعتُ عارضَه النَّاصعَ، حتى صارت مقلتى هراقةً وصار قلبى مكلومًا.

الحرقةُ فى قلبى من وَجْنة المحبوب النَّاصعة؛ لأنَ القلبَ لا يظهرها لأحد.

١٠ - عذْبُ الثَّغْر الذى يطلب الرُّوحَ ثمنًا لقُبلةٍ، سلبَ صَدْرُه الفضىُّ القلبَ وقتَ الحِضْن.

وكلَّما خَلاَ منجمُ المحبوب من عشقى؛ ملأ عشقُه قلبى الممزَّقَ.

يصير كلُّ ذلك الشخص الذى احترف العشقَ مثلى وقد امتلأت عينُه بالدَّمع وقلبُه بالحرقة.

أسلمتُ القلبَ أدراجَ الرياح -خوفًا- من رياح العشق؛ فلا عَجَبَ لو اسلَمَتْ هذا الغافلَ إلى رياح العشق.

حتَّام أعانى من عشق حبيب الروح؟! حتَّام أكبَّل فى قيد حبيب القلب؟!.

هكذا صار حالى مشتَّتًا من الولَه؛ لأنَّنى ريد استعادةَ رغبة القلب من الحبيب.

وأعمل على أن أصير مالكًا للقلب ثانيةً، وأمدح بالنَّظم مالكَ القلب.

الذى عاد باليُمن من سفر خاص بالدِّين، والذى يتشرَّف القلبُ بمدحه ويتفاخر.

"الدّهقانِ على" الذى يفصم مثلَ "علىّ"[١] بحَدِّ "ذو الفقار" عُرى القلب فى صَدْر سَيِّئِ الطَّوية.

الوزيرِ الذى لا يقَرُّ القلبُ فى صَدْر أىِّ مخلوق بدون محبته.

٢٠ - فتخال أنَّ الخالقَ خَلَقَ القلبَ فى بنيان البَشَر لأجل حُبِّه وكفَى.

ولو سمعتْ أذنٌ عن شخص يشبهه؛ فإن تلك الأذنَ المستعمةَ ينقصها ثباتُ القلب.

يملك بجُوده ومروءته عالمَ السَّخاء، وله قلبٌ مثلُ بحرٍ بلا معبر ولا شاطىء.

إنْ تَكُ زينةُ القلب بالعلم والحلم والحياء والعقل؛ فإنَّ له قلبًا مزيَّنًا بهذه الأربعة كلِّها.

يخلو منجمُ الذَّهب من الجُود بالعيار، ما دام قلبُه يستحسن فى عطائه الذَّهبَ العيارَ.

طالما تَهب يمينُه من أعماق قلبه الذَّهبَ والفضَّةَ؛ فقد مال قلبُه من اليمين نحو اليسار[٢].

يا صَدْرَ العَصْر الذى لا يكون لأهل العَصْرِ قلبٌ يَهْنأ طَوال الدَّهر بغير هناءة قلبك.

حُبك هو الذى يجعل القلبَ صقرًا على هواء الطَّبع يصيد لك كلَّ ما تهواه بلطف.

يكون للكبار وللكرام فى هواك قلبٌ مثلُ الهواء يخلو من الخَلَل والغُبار.

---

(١) أى : على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

(٢) يراعى التلاعب اللفظى هنا فى كلمة "اليسار" التى تعنى : جهة اليسار التى يوجد فيها القلب مقابل الجهة اليُمنى، وتعنى أيضًا: اليُسْر والجُود الذى يتميز به الممدوح.

وضع الكرامُ أياديهم فى يدك بالبيعة، وقلوبُهم متَّصلةٌ بأداء النُّصح مع قلبك.

٣٠ - لو مضى قلبٌ إلى قلبٍ فليسأل قلبَه، إذا ما كان فى هذه الديار قلبٌ يخلو من هواك.

البطلُ "رُستم" قاهرُ "إسفنديار" يتمنطق كالعبد بنطاق خدمتك.

مزِّقْ قلبَ خصمك بالخنجر الصَّقيل مثلما مَزَّق الأبُ[١] صَدْرَ "سهراب"[٢].

خلقَ المَلِكُ[٣] الشَّوكَ والنَّارَ كى يحيك بالشوك عينَ حسودك ويشوى بالنَّار قلبَه.

لو صار قلبُ كلِّ شخصٍ حاسدٍ لجاهك مثلَ الرُّمان[٤]؛ كفاه أن يصير مثلَ النَّار[٥] من رُعْبك وخشيتك.

ولو يسحب[٦] خنجرًا ذا وجهين مثل شجرة الرُّمان، يجعل بخنجره قلبَ الخصم مثلَ النَّار.

طالما لا ينتسب "السَّفرجلُ" إلى "الخُشْخاش"، وليس لكليهما شَبَهٌ واحدٌ مع قلبك من أى جهة.

فليكنْ لحاسديك كلُّ صفات "السَّفرجل": خشونةُ اللباس وشحوبُ الوجه وسوادُ القلب.

---

(١) أى : رستم.
(٢) إشارة إلى قصة "رستم" مع ابنه "سهراب" كما وصفتها "شاهنامة الفردوسي" وأشرنا إليها آنفًا.
(٣) أى : الله.
(٤) أى : حُمْرةً.
(٥) أى : حُرْقةً.
(٦) أى : الممدوحُ.

وطالما يلوك " الخشخاشَ" رأسٌ مليئةٌ بالفساد وقلبٌ خَلاَ من السَّعادة مثلَ "الخشخاش"

فلْيَصِرْ لأحبابك البهجةُ ولأعدائك التخلُّفُ المصحوبُ بالغَمِّ وانكسارِ القلب.

٤٠ – وأتمنى لك البقاءَ فى الزَّمان مائةَ ألف عام، ولا يُختصر القلبُ منىٍّ بهذا القدر من الزَّمن.

فليدمْ بقاؤُك لأنَّ العقلَ يصاب بالعجز والقلبَ بالاضطراب فى إدراك ذلك وفهمه.

حرف (م)

فى مدح نظام الدين محمد بن على (ص١٦٩-١٧٠)

١ - سيدَ العالم مَلكَ المُلْك الهادئ، الذى يكون الفَلكُ الشّموسَ سلسَ القياد لأمره النّافذ.

الملكُ الذى أكون المتنقِّلَ فى مُلكه الشّبيه "بـالخورنق"(١) حُسنًا وبهجةً ورونقًا وبهاءً.

الآمرُ بلطف بأمره النّافذ، المنظِّمُ للمُلك مرة أخرى بالنظام(٢).

هو نظامُ دين محمدٍ "محمدُ بنُ على" وزيرُ الأمراء ذوى الأصل والنّسب أميرُ الكرام.

يفوق الوزراءَ والأمراءَ، وعلى ذلك تكوَّن بنيانُه(٣).

شغلُ الأقاليم السَّبعة منتظمٌ بقلمه، مثلما الأسبوعُ والشّهرُ بالليالى والأيام.

يمتدحه الشُعراءُ ليالىَ وأيامًا من الصّباح إلى المساء.

أنت يا مَنْ وَصل نَسيمُ صباح دولتك من ناحية مشرق "الصين" حتى أواخر مغرب "الشّام".

حينما يستنشق البُلبلُ فى روضة مدحك شمَّةَ وَرْد خُلقك بمشامه يصير شمَّامةً صادحةً.

١٠ - أنت بحقٍّ ولىُّ نِعَم أهل العلم والفضل، ولك إنعامٌ فى حقِّ أرباب العلم والفضل.

---

(١) معرَّب "خورنه" وهو قصر "النُعمان بن المنذر" لأجل "بهرام گور" الملك الفارسى وتدور حوله روايات عديدة.

(٢) يمكن أن يكون المقصود "بالنظام" هنا حسن الترتيب والزينة، ويمكن أن يكون المقصود النظام العسكرى وهو من معانيها اللغوية أيضًا.

(٣) هذا هو المعنى الإجمالى لأن المعنى الحرفى للشطر الثانى هو: وعلى ذلك البنيان الذى تكون الرأس على كل عضو فيه.

أنت السَّاطعُ كالشمس من الفَلك،وأنت المانحُ ولا يوجد عنقٌ متحـررٌ مـن حِمْل منَّتك.

ليس ثمة أحدٌ من أهل القلم من عبيد المَلك ذى الجلال والإكـرام يفوقـك مكْرُمةً.

بنانُك لا يَعقد بالقلم قدمَ "الألفِ" بطرف ثوب "اللام" أمام السَّائل والزَّائر[(١)].

لا لوم على ذلك الشخص الذى يمتحدك؛ فلا ملامَ على الحكيم مـن مـدح اللَّئيم[(٢)].

أنا غلامٌ لخاطرى فى نَظْم مديحك؛ لأنَّ كلَّ ما أطلبه منه يُحـضره مثـلَ الغلام.

فيُحضر للعين كأسَ العالم مظهرةَ القول، كى يرى العالمُ فيها مديحَك.

وما إنْ بدأتُ نَظْمَ مديحك حتى لم يعدْ لى فى أثناء ذلك مخرجٌ ومنتهى.

فيحضر من صَدف الصَّدْر اللُّؤلؤَ المنثورَ، كى أثقبَ بإبرة النَّظم عِقْدَ الدُّر.

يا "نظامى"[(٣)]، لو تقرأ مديحَ عبد "نظام الدين"[(٤)] تجد أنَّنى الأفضلُ الآن.

٢٠ - لأنَّ شِعْرى بلحنك ونغمتك يأتى فى مسامع السَّيِّد هكذا حَسَنًا، ومذاقُه فـى فمه السُّكَّرُ.

لو تمسك النُّحاسَ بيدك يصير مثلَ الفضَّة الخالصة، ولو تخطو على الحديد بقدمك يصبح مثلَ الذَّهب المسبوك.

---

(١) لجلال الدين همائى فى المستدركات على الديوان ص٤١٠ رأى هو: أن المقصود فى البيت كلمـة (لا) وأن الشاعر استفاد هنا من قول "الفرزدق":

ما قال لا قط إلاّ فى تشهده   لولا التشهد كانت لؤه نعم

(٢) فى السابق وفى الصفحة نفسها: أن كلمة "لئيم" جاءت فى نسخة أخرى لمخطوطات الديوان "كريم" وهى النسخة "ظ".

(٣) وفى السابق أيضًا والصفحة نفسها يرى "همائى": أن "نظامى" التى فى أول البيت ربما كـان المقـصود بها راوى الشاعر "السوزنى" نفسه.

(٤) أى الشاعر نفسه "السوزنى".

يستمدُّ شِعْرى جمالَه من رواياتك[1] فيصبح مثلَ الذَّهب المسبوك ولو كـــان خامُه مثلَ الفضة.

أيها الوزيرُ زينةَ المُلك، لتكن الدنيا على مُرادك؛ طالما تدفع التَّوفيقَ إلـــى دولة مَلك العالم.

فى مدح نظام الدين (ص ١٧٠ – ١٧٢)

١ – يخلد الكريمُ بمدح شاعر مشهور، ولهذا كان من عـــادة الكـــرام ورسْـــمهم رعايةُ الشُّعراء.

المدحُ حَسْبَ أقوال الشَّاعر يحتمل الصِّدقَ والكذبَ؛ الصِّدقَ فى حقِّ الكرام والكذبَ فى حقِّ اللِّئام[2].

والشَّاعرُ هو الذى يحيا عالمًا بما يليق بـــالكريم؛ فيفـــصِّل كـــسْوةَ المـــدح بمقراض الكلام.

لو ارتدى اللَّئيمُ تلك الكسْوةَ فهو فى عين أهل النُّهى المرتدى مالا يلائمـــه، واللَّومُ على الحائك.

فطبعُ الشاعر يشبه دارَ السلام[3] فى البهجة، ولا يدلف من بـــاب الـــسَّلام سوى الكريم.

يتسنَّى أن يكون الكريمُ مع الشَّاعر فى رداءٍ واحد، بينما البخيلُ لا يتـــرك القميصَ حتى يقول له: وداعًا.

الشِّعرُ عَذْبُ الحديث وقد استمع له النَّبىُّ والوصىُّ والأميرُ والإمامُ.

---

(١) هذا يؤكد الحاشية قبل السابقة.

(٢) الشاعر فى هذه الأبيات يعبرٍّ عن قول "المتنبى" فى "كافور الأخشيدى".

وإن مديح الناس حقٌ وباطلٌ ومدحك حقٌ ليس فيه كذاب

(٣) أى : الجنة.

وقد أنصت ملكُ الدين الرسولُ الأبطحى خيرُ الأنام(١) إلى شِعر "حسان بن ثابت" بطبع حَسَن.

ثم منحه عمامتَه وفيها شَعْرةٌ واحدةٌ من شَعْره هى أفضلُ من العمامة التى هى أفضلُ من خراج مصر والشام.

١٠ - وبذلك جعل صاحبُ الدين الذى يُعَدُّ كلُّ ملوك الدنيا غلمانًا لغلامه، رعاية الشاعر سُنَّةً.

ومن بعد سُلطان الدِّين ذلك، سَرَت تلك السُّنَّةُ فى صلات الشُّعراء بين الملوك والوزراء.

وقد منح- أى الأمير - الشَّاعرَ "الرودكى" الذى وصف الخَمْرَ فى غزلياته ألفَ دينار من الذَّهب الأحمر(٢).

وفعل "العتبى"(٣) مع "الكسائى"(٤) الصَّنيعَ الطَّيِّبَ نفسَه، وظلَّ "العتبى" مخلَّدًا من "الكسائى" حتى يوم القيامة.

وقد اقترض (الرودكى) أيضًا قيمةَ العِيار من آخر، وقد طرح "البلعمى"(٥) صاحبُ العِيار عن "الرودكى" هذا القرضَ.

---

(١) يعنى سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم.

(٢) الرودكى: أحد شعراء العصر السامانى ت ٣٢٩هـ وسبق الحديث عنه، ويرى "همائى" فى (مستدركاته ص ٤١١): أن هذا البيت إشارة إلى نونية الرودكى المعروفة فى مدح " أبى جعفر أحمد" الذى وصله بألف دينار.

(٣) هو: أبو الحسين العتبى وزير الأمير نوح بن منصور من كبار وزراء آل سامان ومدحه "السوزنى" كثيرًا.

(٤) هو: أبو الحسن مجد الدين إسحاق الكسائى ت ٣٩١هـ.

(٥) هو: أبو على بن أبى الفضل البلعمى وزير الأمير منصور بن نوح السامانى نَقَل تاريخ الطبرى إلى الفارسية ت ٣٦٣هـ.

ومنح "سعدُ المُلك" أستاذَ المشرق والمغرب "الرشيدى"[١] فى شِعرْه حِمْل ألف حمار من الفضَّة الخالصة.

فعلوا هذا الصَّنيعَ الطَّيِّبَ لأجل تخليدهم؛ فالتخليدُ – لديهم – أفضلُ من حياةٍ مجرَّد لحم وعظام.

طلب "الفرخى"[٢] من "القهستانى" غلامًا هنديًّا؛ فمنحه ثلاثين غلامًا تركيًّا من ذوى الطَّلعة البهيَّة والوجه المليح[٣].

نال "العنصرى" من المَلك الغازى المَلك "زاول"[٤] بسبب شِعْره الذَّهبَ العزيزَ والديباجَ والجيادَ المطهَّمة.

فتجد فى كلٍّ ورقة من ديوانه ما يشبه ميدانًا يستلّ فيه المَلكُ "زاول" السَّيفَ الهندىَّ من غِمْده.

٢٠ – ويكرِّس السَّيفَ الهندىَّ لخدمة نظامِ الدِّين (الإسلام) مثلما يَهَب "نظامُ الدين" (الممدوح) النِّظامَ لشئون الممالك.

صَدْر الممدوحين "نظامُ الدين" الذى تطرب الأذنُ لسماع نَظْم مدحه ويتمتَّع الحلقُ والفمُ بمذاق قوله.

رغبتُه ورأيُه فى رعاية الشَّاعر هما المنتشران فى العالم، ورغبةُ ورأىُ نَظْم مديحه هما السَّائدان بين الشُّعراء فى العالم.

---

(١) هو: سيد الشعراء الأستاذ أبو محمد بن محمد الرشيدى السمرقندى من شعراء ما وراء النهر المعروفين فى القرن السادس الهجرى.

(٢) هو: أبو الحسن على بن جلولوغ من كبار شعراء العصر الغزنوى ومن شعراء السلطان محمود الغزنوى ت ٤٢٩هـ.

(٣) تأملْ دلالةَ المقابلة هنا بين طلب الشاعر غلامًا هنديًّا أسود، ومنح الحاكم له ثلاثين غلامًا تركيا أبيضَ أمْرَدَ الوجه مليح اللَّمَا.

(٤) هو: السلطان محمود الغزنوى مؤسس الدولة الغزنوية، و"العنصرى" أستاذ الشعر فى عصره وأحد كبار شعرائه المادحين ت ٤٣١هـ.

أنت من الكرماء الذين نلتُ رعايَتهم ولم تَر أعينُهم صورةَ كلمة "لا" حتى في المنام.

لم تَرَ أعينُ "القهستانى" و"العتبى" وأيضًا "البلعمى" مثيلاً له تمامًا.

فليس لهم فى السَّخاء واحدٌ فى المائة ممَّا له، وله أضعافُ كلِّ واحد منهم في الفضل ويزيد عنهم جميعًا فى كلِّ مكانة.

حينما يثير الشَّاعرُ الغَمامَ فى بحر الفكر يصير القَطْرُ مطرًا ملائمًا لقَدْر مدحه.

جُودُه شَرَكُ للشاعر وليس شركًا خانقًا؛ فيكون عونًا له حتى لا يمدَّ يده للخاصَّة والعامَّة.

لقد أخطأتُ القولَ؛ لأنَّ جُودَه يكون شركا للحلق؛ فما دام هناك شركٌ للحلق لا يتجرأ كلُّ شخص على المديح.

ينال الشَّاعرُ الفحلُ منه مقابلَ كلِّ بيت بِدَرَ الذَّهب المسبوك وأكياسَ الفضَّة الخام.

٣٠ - أيها الممدوحُ الهمامُ الذى على اسمك يكون لآلاف الشُّعراء الفحول تدبيجُ المديح لهِمتك.

مادام اهتمامُ الأب والأمِّ ينحصر فى حقِّ الابن، فكذلك ينحصر اهتمامُ المادحين فى حقِّك.

فعلى شاكلة تربية الأب والأمّ لطفلهما،تكون تربيةُ مربية ألطافك لأطفال أهل النَّظم.

كلُّ مَنْ أتْرع كأسًا من دَنِّ صَهْباء مديحك، أنَّى له أن يضع الكأسَ من يده وهو لم يَصِر بَعْدُ ثملاً طافحًا؟!

مجلسُك لأهل النَّظم بمثابة البيت الحرام وعلى ذلك فأنا الزَّائرُ للبيت الحرام عامًا بعد عام.

إنْ لم يكن اسمى "إبراهيم" فأنا أريد مثلَ "إبراهيم"[1] أنْ أتّخذ من مـــديحك مقامًا فى ذلك البيت الحرام.

فلو كان ظلُّ العرش سقفًا للفَلك الأعلى،فهمَّتُك بسبب الرِّفعة تكـــون مـــثلاً للعرش سقفًا.

طالما يُجلسك مَلكُ الشَّرق على صَدْر الوزارة؛ فلن يخطو وزرُ عملٍ خطوةً فى بلاد مُلك المَلك.

يكون القلمُ منقادًا للحسام ولا يكون، كفَى عجبًــا إن انقــاد الحــسامُ لقلــم حضرتك.

فلتكنْ أعناقُ أعدائك مهمومةً من الحُسام، وليكنْ لأعدائك الهَمُّ، ولأحبابــك البهجةُ بذلك الهَمِّ.

فى مدح حسام الدين (ص ١٧٢ – ١٧٤)

١ – الإمامُ ابنُ الإمام المنتسبُ إلى مُلك "برهان" مَلكُ الشَّرع سليلُ المُلك "حسامُ" ابنُ الحسام[2].

ذلك الحسامُ ابنُ الحسام الذى لا يلزم حسامُ نظره أيضًا الغِمْدَ مطلقًا بــسبب الخصم.

صار بالحسام المسلول من الغِمْد حَيًّا بالموت، حتى خرج من عهدة "الناس نيام"[3].

---

(١) أى : الخليل.

(٢) هو حسام الدين عمر بن عبد العزيز بن مازه من أسرة آل برهان وقتل ٥٣٦هـــ (الـــديوان. لغات ص ٤٣٨).

(٣) إشارة إلى الحديث النبوى:" الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا" جلال الدين هائى فـــى (مـــستدركاته على الديوان ص ٤١١).

بفضل صاحب الرأى "حسام" تظل رايةُ دولة "ملك برهان"- خفاقةً- من جهة الفقه وعلم الكلام.

وعلى القاعدة نفسها؛ فإنَّ للراية نفسها اليوم علوٌّ وخفقانٌ من الحسام بن الحسام.

الرُّوحُ باقيةٌ مادام الخلقُ من السلطان العظيم باقيًا، وبه- أى برهان - يحيى اسمُ السَّلف، كما يحيى الجسدُ بالروح.

ليس ثمة شخصٌ من أشراف الصدور يَبَزُّه شرفًا، وليس ثمة أحدٌ من نسل الكرام يفوقه كرمًا.

عبيدُ المَلك ذى المنن ذى الإكرام ينالون منه الكرمَ والإحسانَ بلا منَّة.

الأديبُ البليغُ يُعَدِّد نظمًا صفاتِ كفِّيه المعطاوين تارةً بشَمس القول وأخرى بغمامه.

١٠ - ذلك لأنَّ ترتيبَ ونظامَ أمور أرزاق الخلق يكون من ماء الغَمام ومن حرارة الشَّمس.

هو الملكُ ذو الحَشم وذو الحديث المنمَّق، وهو يشبه الجَدَّ والأبَ بالسَّبق[١] وأيضًا بالنظر[٢].

حينما يصير العقلُ مغلوبًا من السماع[٣] ومن المدام[٤]، يكون لكلا الفريقين الاستماعُ إلى حديثه العَذْب.

وبباب مُلكه حقيقةٌ مطلوبةٌ ينبغى للخصم الانتباهُ إليها.

حَرِىٌّ بالخصم تأملُ كلامه، قبل أن يصل من حلقه إلى سقف حنكه.

---

(١) أى : الدرس اليومى.

(٢) أى : الفكر.

(٣) أى : الغناء.

(٤) أى : الشراب.

لا ينتظر وصولَ "اللام" إلى بداية "الميم" للسائلين بتوجيه سؤال "لِم قال"[١].

وحين يقول للمتعلِّم مرةً واحدةً: اعلَمْ؛ فيكون قد أحاط بعلوم كلِّ العالم.

ابنُ سيد الشَّرع وخَلَفُ صاحب الشَّرع، وليسَ فى العالم، سيِّدٌ لم يكن غلامًا له.

ألا فاسْعَدْ يا بنَ ذلك الأب الذى يكون للعلماء أعلامٌ خفاقةٌ من أبيه على الفَلَك.

يقوى دينُ سميِّك بسندك له، ويفخر دينُ السَّميِّ بك وأنت بالسَّمىِّ[٢].

٢٠ - فى معارك المحاجاة، أنت ابنُ "برهان" من الحجة القاطعة على الخصم مثلما "رستمُ" بنُ "دستان" من "سام".

ليس ثمة شخصٌ شبيهٌ لك فى الدنيا سوى أخ، ولكن أين هو لو كان موجودًا؟! وكيف يدعونه وأين؟

دينُ العلاَّم الذى يبقى بعظمة العلماء، حينما يصل الأمرُ إلى فتوى الرسول العلاَّم.

العلماءُ بلا نظير، وأنت بهمَّة شيخ الإسلام تريد لرأسك جسدًا لا نظيرَ له.

فإنْ لم تمنحك طائفةُ الجَسَد الوقتَ الهنيءَ؛ فسوف يذهبون حيث جاءوا عضوًا عضوًا.

يصبح عدوُّك الشُّموسُ مستكينًا لك، حين رأى مدارَ الفَلَك الجامح خاضعًا لمرادك.

أنت الصَّدْرُ لفَلَك الهمَّة، وبتلك المقدرة أخضعتَ الفَلَكَ مثلَ الأرض.

طالما يكون للفلك الحركةُ وللأرض الثباتُ بأمر مَلَك العالم سيِّد الخلق.

---

(١) أى بالذى قاله.

(٢) هذا يؤكد ما قلنا فى حاشية سابقة أن اسم الممدوح هو "عُمَر" سميًّا لسيدنا "عُمَر بن الخطاب" رضى الله عنه.

فارفعْ هامتَك إلى أعلى الفَلَك قدرًا ورفعةً، واخْطِـرْ علـى الأرض حلمًـا وتواضعًا.
كنْ مَلكَ العلماء مثل الجَدِّ ومثل الأب، حتى يتميَّز فى مملكتك الخاصُّ من العامِّ.

٣٠ - فليكن العَلَمُ المحترمُ لدولة الدين القيم بك خفاقًا حتى يوم القيامة.
وليكن سلامُك موصولاً إلى الأب بصفة متجدِّدة من باب مدرسـتك حتـى باب دار السلام.

*** (ص ١٧٤-١٧٥)

١ - يا مَنْ اتَّخذتَ لنفسك مقامًا فى سراى الجَهْل، خاليًا من العِلْم وغارقًـا فـى غياهب بحر الظلام[1].
يا مَنْ ويا للأسف صرتَ طَوال العُمْر شيطانًا وعليك من المصطفى مائـةُ ألف لون من اللَّوم.
يا مَنْ انفصمْتَ من حَبْل الله ودعوة الحـقِّ، وسـلَّمتَ رأسَـك للـشيطان برضاك.
يا مَنْ خالفتَ الإسلامَ وطريقَ دين الهُدى، وامتنعـتَ عـن بيعـة أولـى الأرحام.
أنت لا تعرف دائمًا طريقَ الصَّواب من طريق الخطأ، ولا طريقَ الحـلال من طريق الحرام.
ولا تعرف أيضًا المسْكَ من البَعْرة السَّوداء، ولا العودَ والعَنْبـرَ والكـافورَ من الحجر الخام.

(١) يرى "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص٤١١): أن هذه القصيدة دليلٌ واضحٌ على تَشَيُّع الشاعرِ "السوزنى" لأنه لم يصرح فى أشعاره بذلك. والحقيقة أنَّ شاعرنا: "الـسوزنى" كـان معتدلاً فى مذهبه وتحدَّث عن "عُمَر" و"أبى بكر" رضى الله عنهما بكل خير.

ولا تعرف الحقَّ من الباطل ولا العبْدَ من السيِّد، ولا الرجلَ النَّاقصَ المعيبَ من الرجل الكامل.

ولا تعرف أيها الغافلُ طوالَ عُمْرك، مَنْ الوصىُّ لأحمد القرشى وكيف؟!

١٠ - تأملْ مَنْ رافق المصطفى، ومَنْ حطَّم الأصنامَ فى الكعبة وطَهَّر المقامَ.

تأملْ مَنْ كان بَعْد النَّبى ذا علم بالله العظيم ومعرفة به وبأحكام دينه.

تأملْ مَنْ كان فى الأصل أعظمَ آل النَّبى؛ تأملْ مَنْ كان الضِّرغامَ للخالق الجبار(١).

تأملْ مَنْ أفضلُ مَنْ وَهَبَ الله سيفَه، وأفضلُ مَنْ أوْدَعَ النَّبىُّ إليه الحُسَامَ(٢) بعد رحيله.

تأملْ مَنْ يكون ابنَ عَمِّ المصطفى وصهرَه، تأملْ مَنْ فَضَّله مِنْ بنى أعمامه.

تأملْ مَنْ عَمَلُه نَشْرُ الدِّين وماهيَّته الصداقةُ، الولىُّ الذى كان هبةَ ذى الجلال والإكرام.

تأملْ مَنْ أخذ المصطفى بيده يوم الغَدير ودعاه إمامَ الهدى وفخرَ وزيْنَ قائد(٣).

وكانت له فضيلةٌ قبل هذه الإمامة، تُعطى بها قلْبَك نوعًا من السَّكينة دائمًا.

فلو كان رفيقًا للمصطفى ليلةً فى الغار؛ فيجب له بهذه الفضيلة أن ينال القيادةَ.

---

(١) تعبيراً عن وصفه بـ "أسد الله الغالب".

(٢) أى : ذو الفقار.

(٣) الغدير: محلٌ بين مكة والمدينة ويقال: إن الرسول ﷺ حضَر لأداء حُجة الوداع وعاد مع أصحابه إلى المدينة فى ١٨ ذى الحجة وتوقف فى هذا المكان. ويرى الشيعة أن الرسول بعد أن أدَّى صلاةَ الظهر أخذ بيد "علىٍّ" وقال: من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه وعاد من عاداه. واتخذه الشيعةُ عيدًا لهم. ويُسَمَّى بعيد الغَدير. (فرهنگ عميد).

كان إبليسُ مع نوح النَّبى أربعين يومًا وليلةً وكان مقامُه فى سفينته على الماء.

فلو كانت إمامَةُ الخلَق تُعطى لشيخٍ مُسِنٍّ؛ فهل كان أحدٌ أسَنَّ من إبليس فى تلك الأيام؟

٢٠ – وآهٍ لمناصب التَّافه الأبله الملعون الذى تقع فى شَركه دائمًا من سوء الطالع.

فالإمامُ عندى هو مِنْ منزل وصىٍّ الله[١] وأنَّى لك بإمام من منزل النَّبى.

الإمامُ هو ذلك الذى لم يَسْجدْ لصنَم من قبل، ولم يُصلِّ ولم يَصُمْ سوى لمَلك العَرْش.

الإمامُ هو ذلك الذى يكون صاحبَ علمٍ وشمعَ الهدى، الإمامُ هو ذلك التَّقىُّ والنَّقىُّ ومن أصل الكرام.

الإمامُ هو ذلك الذى لم يطمعْ فى مالدَى أحدٍ، ولم يأكلْ مالَ اليتَامى، وطعامُه دائمًا حلالٌ.

الإمامُ هو ذلك الذى لم ينشغلْ بالذَّهب والدِّرهم، ولم يبتعدْ عنها لو كان له دائمًا دينٌ.

الإمامُ هو ذلك الذى فَدى النَّبىَّ بجسده حين نام فى فراشه حتى فجر اليوم التالى[٢].

الإمامُ هو ذلك الذى كان يصوم ثلاثةَ أيام بثلاث ليالٍ وأطْعَمَ السَّائلَ وقت تناول طعام العشاء.

الإمامُ هو ذلك الذى فضَّله اللهُ تعالى يومَ الغَدير ببُشْرى قُرب المصطفى[٣].

---

(١) هو على بن أبى طالب حسب المعتقد الشيعى.

(٢) إشارة إلى تجمع الكفار أمامَ بيت النَّبىِّ لقتله وقتَ خروجه فى الصباح، ولكن وجدوا "علىَّ بن أبى طالب" نائمًا فى فراشه.

(٣) فيها إشارة إلى الحديث الشيعى:" علىٌّ منِّى بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبىَّ بَعْدى.

الإمامُ هو ذلك الذى لم يفعلْ سوى طاعة الله، أتفضل يا عابدَ الأصنام عليه إمامًا (آخر)؟!!

الإمام هو ذلك الذى يكون مع المصطفي يوم القضاء على حافة الحوض والقدحُ فى يده .

الإمام هو ذلك الذى رُغم هذه المناصب يحمل بيده يوم القيامة لواءَ أحمد .

الإمامُ هو ذلك الذى يكون الأملُ كلُّه فى شفاعته لىَ، وأن أصير بسبب محبَّته فى دار السلام .

فلو تريد أنْ تصير مؤمنًا ؛ فأقْبِلْ وأنْصِتْ إلى هذا الكلام الصَّادق من قول الشاعر " السوزنى" .

فى مدح حسام الدين (ص ١٧٦ - ١٧٧)

١ - يا مَنْ أنت حسامٌ آخرُ من جوهر رفيع الشَّرفِ " حسام "، الملكِ الموفَّقِ على العلماء الأعلام .

يتفاخر بك السَّيفُ والبرهانُ والحُسَامُ ؛ لأنك الخَلَفُ الصَّالحُ من "سيف" ومن "برهان" و "حسام"[١] .

إذا كان أسلافُك قد استقروا فى "دار السلام"[٢]؛ فكلُّ مُسْتَقَرٍّ لك هو دارُ السلام.

مَنْ يأتى اليك أو تأتى إليه فيه يكون فى سلام ؛ لأنَّه سلك طريقَ دار السَّلام فى العالم .

---

(١) هم أعمدة أسرة "آل برهان" التي حكمت "سمر قند" فى منطقة بلاد ما وراء النهر، ومن ممدوحى الشاعر.

(٢) أى : الجنة.

تتَّخذ عينُ "الرُّوح الأمين" ثرى طريقٍ يخطو عليه، مركبُك الميمونُ لها كُحْلاً .

سعادةُ تلك المدينة أنك نزلتَ فيها، وبهجةُ ذلك المنزل أنك خَطَرْتَ فيه .

أيها الوزيرُ، بقدومك الميمون صارت "نخشبُ" مكَّةَ من الشَّرف، ومدرستُها كأنها البيتُ الحرام .

وطالما أنت فى مكةَ هذه وفى البيتِ الحرام هذا؛ فليس لمكَّةَ الأخرى وللبيت الحرام الآخر سكينةٌ بسبب الغُصَّة .

فأنت ذلك الوزيرُ الصَّدرُ الذى دائمًا ما يجعل صاحبُ الشَّرع[1] عَلَمَ الشَّرع خفاقًا بك.

١٠ - للمستغنين فى الشَّام ذلك الرَّسْمُ؛ فحين يصير المنزلُ عامرًا بالذَّهب يعلِّقون الأعلامَ على أسقف المنزل.

وأنت لاتُبدى الاستغناء، ولو تُبدى - شيئًا - فيكون عَلَمَ علْمك على حافة سقف العرش.

مهما يكون على وجه البسيطة شخصٌ مشهورٌ؛ فلأنه يتمسك بشَرْع الرسول القرشى.

فالكلُّ تلاميذُ وغلمان أبيك وجدِّك، وذلك الذي خرج عن هذه الزُّمرة، لا أدرى أين هو؟!

لا يليق أن يكون أحدٌ نظيرًا لك في مجال الفكر؛ لأنه لا يليق أن يكون الغلامُ نظيرًا لابن السَّيد.

كلُّ مَنْ يدَّعى الإمامةَ في طريق الدِّين، وطالما لا يُعَدُّ غلامًا لك فلا ينادونه إمامًا.

---

(١) أى: سيدنا "محمد" صلى الله عليه وسلم.

كلُّ مَنْ يَرد على لسانه "لا" و"لم" على طُرفةٍ لك[١]، يتشقَّقُ لسانُه في فمه مثلَ حرف "لا".
ذلك الذي له وحدَه قدرةُ إحياء العظام، منح طبْعَك قوَّةَ إحياء القول.
عندما تَزَيَّنَ القولُ في الفكر بلفظك، يتلاشى عدوُّك عضوًا عضوًا.
لم تجلب الأيامُ مثيلاً لك في الشَّرع وعديلاً؛ لأنَّك صرتَ حُسَامًا لا تُعيده الأيامُ ثانيةً.

٢٠ - ويجب أن ينصرف الطَّمعُ عن - إيجاد - مثيل لك وعديل، حينما يصير حُسَامُ فكرك مسلولاً من الغِمْد.
أنت الكريمُ ابنُ الكريم، والتوَّاضعُ هو رَسْمُ وسَيْرُ وعادةُ أبناء الكرام.
وقد جعلتَ هذا التواضعَ في حقِّ "فخر الدين"[٢]؛ فيظل تاريخُ عهدك طيِّبًا حتى يوم القيامة.
لم يأتِ "فخرُ الدين" إطلاقًا لأجل قضاء حقٍّ؛ لأنَّ في هذا العهد لايوجد دَيْنٌ لم يُقْضَ.
وليس في قلب "فخر الدين" شيءٌ من هذا مطلقًا؛ لأنَّ شرفَه يصل إليه في هذا أمر بإحكام.
لقد كان ضيفًا عزيزًا على صاحبه مَلك الدنيا،وتفضَّل بقبول عُذْر التَّقصير من الخدام.
ولأنَّك مَلك الدين عن طريق الفضل والكرم؛ فاقْبَل العُذْرَ لأنَّه يَتَزَيَّن بك الفضلُ والكرمَ.

---

(١) أى : يعترض أو يرفض.
(٢) ربما كان "فخرَ الدين أحمد" أحدَ ممدوحى الشاعر، والشاعر يسعى هنا إلى إزالة سوء فهم وقع بين "فخر الدين" هذا وممدوحه.

فأنت المضيفُ "لفخر الدين" بالروح وبالقلب؛ فنصيبُك الروحُ والقلبُ ونصيبُ العامة الخبزُ والملحُ.

طالما يكون لشمس الفَلَك نورُ عشرة أقمار ونجوم، وطالما لا ينتهى دورانُ الفلك اللاَّمع.

فأنت شمسُ الإسلام، ودرسُك على القمر والنجوم، ولايُقبل منك مطلقًا نهايةٌ لعطائك.

كلُّ مراد لك في شئون الدين والدنيا؛ فليكنْ ذلك المرادُ محقَّقًا لك وبصورة كاملة.

فى مدح سعد الدين (ص ١٧٧ – ١٧٩)

١ – طلب الذَّهبَ منِّى ذلك المعشوقُ فضيُّ القوام، الذي يكون السَّرْوُ الطَّليقُ في قَدِّه وبَدْرُ التِّم على وجنته.

فكشفتُ له عن وجهى وقلتُ: لقد ضربتُ هذا الذَّهبَ[1] بعيار النَّدم وختْم الملام ليليق بعشقك.

كلُّ العبيد ضَربوا الذَّهبَ باسم الملوك، وأنا مثلُهم غلامٌ وقد ضَربتُ اليوم الذَّهبَ باسمك.

فاقبَلْ هذا الذَّهبَ الذي بَانَ عليَّ باسمك، وإنْ لم تقبلْ هذا الذَّهبَ فلن يقبله له اسمًا.

حينما يكون ذَهَبُ الوجه على تلك الشَّاكلة التي يلونون بها الذَّهبَ، فإنَّ لىَ دَمْعًا ملوَّنًا بلونٍ يشبه لونَ الوَرْد.

فضحك بابتهاج وقال لىَ: لا يصير الأمرُ بهذا الثمن؛ فلا أنا واسعُ الخبرة، ولا أنت ساذجٌ.

---

(١) أى : الشحوب

فمثلُ ذلك الـــذَّهب الذي يجب أن أحمله منك أنفقه على القلنسوة والحـــزام أو على الركاب والسرج.

وأنت تمنح الذَّهبَ إلى وجهي بحَدِّ سيف اللِّسان؛ فلا يصير الـــثَّمنُ هكـــذا وسيفُ مرادك في الغِمْد.

فلو تتكلم فتكلمْ بنضج وخبرة وإلاَّ جاء كلامُك ساذجًا.

١٠ - فحديثي النَّاضجُ بغير ذَهَبٍ يكون ساذجًا أيضًا، والذي يعلم حديثي النَّاضـــجَ جيِّدًا هو السَّيدُ الإمام.

"سعدُ الدين" أسعدُ مسعود الذي يُعد من أصحاب الحديث، ويتقاطر الـــذَّهبُ من حديثه في الفقه وعلم الكلام.

لا يتسنَّى لرُمْحَيْ "زال زر" و"سام" معًا أن يشقَّا جَسَدَه الذَّهبي وقت برهان الكفاية.

ذلك السَّيدُ الذي مثلما يتسنَّى له قولُ الذَّهب، لا يستكين الـــذَّهبُ فـــي كفِّـــه المعطاء.

لو ينهال المطرُ ذهبًا من الغَمام على رأس السَّائل؛ فلأن كفَّه المعطاءَ تشبه الغَمامَ في الصِّفة.

وحين يَنْصب السَّائلُ الشَّرَكَ على الأرض؛ فليسلب الطائرَ الذَّهبيَّ المحلِّـــقَ في هواء كرمه.

من كرمه أنَّه لا يتناول الرَّاحَ وقت عطاء الذَّهب؛ فالثمالةُ تعوقه عـــن أن يكون صَدْرًا للكرام.

وكلُّ مَنْ يشرب الصَّهباءَ على ذكرى مروءته؛ فقد أضحى القدحُ الخزفـــيُّ في راحته كأسًا ذهبيًا.

فالأميرُ الصَّائغُ يكون عطاؤه للذهب عداوةً منه له؛ لأنه ليس لـــه رغبـــةٌ عارمةٌ ومتعةٌ سوى عطاء الذَّهب.

وكذلك حاسدُ جاهه الذي يكون بطبعه عاشقًا للذَهَب؛ فما إنْ يَـرَ الـذَّهَبَ طِّلاءً لكأسٍ إلاَّ ويهلك نفسَه لأجله.

٢٠ - أخذ "السامرى" الذَّهبَ من العامة والجواهر التي بواسطة السِّحر صَنَع العجلَ وعَمَل على إضْلال الخَلْق[١].

ولو يحصل[٢] على البقرة الذهبية المليئة بالجواهر، يوزع الأنصبةَ على العامة مثل "بهرام".

وتَبْقَى كفَّاه على المحكِّ دائمًا، وكفى لسائله أنهما تحضران الذَّهبَ لكفِّه منه ليالىَ وأيامًا.

لو شاهد ظُلْمًا على أحَدٍ من أهل الإسلام؛ يفور الدَّمُ في قلبه مثلَ الذَّهب في البوتقة.

لقد اشتغلتُ صَائغًا في مديح صَدْر الأنام ذلك، حتى يعلموا أنَ شِعرْى هذا في حقِّه.

لو يُقارن الشِّعرُ المحَّملُ بالذَّهَب والشِّعْرُ الوضيع؛ فسوف يعلمون ثانيةً أيهما المتكلِّفُ هذا أم ذاك.

وأنا حين أنفقتُ في مديحه ذَهَبَ القول؛ فلأنَّه يُنْعِم بالذَّهب بسخاء في حقِّ المادح.

طالما في فصل الخريف تُذَهِّب الرِّياحُ أوراقَ الشَّجر، واليوم قد حلَّ ذلك الفصل.

---

(١) الشاعر يستفيد – هنا – في تكوين صورته الشعرية من قصة "السامرى" مع بنِى إسرائيل وقد صنع في غياب "موسى عليه السلام" عجلاً من الذهب عن طريق سِحْره وشَرَّدَ به بنى إسرائيل طبقًا لما جاء في (سورة طه آية ٨٨).

(٢) أى : الممدوح.

فليكنْ وجهُ حُسَّاده مطليًّا بالذَّهب دائمًا مثلَ ورق الـشَّجر بفعـل الخريـف والغَمِّ والفكر والهَمِّ.

فى مدح نجم الدين (ص ١٧٩– ١٨١)

١ – معشوقى، الذي أنا عَبْدٌ لمحيَّاه، بَدْرُ التِّمِّ شمسُ سماء الجمال يُدعى "نجم"(١).

هو "نجم كلاه دوز" الذي تضع قلنسوتَه المثلومةَ على مفرق غلامٍ فيضْحَى ملكًا.

طلبتُ من "نجم" مائةَ قُبْلة على سبيل القرض، وأنْ يعدَّها علىَّ مـن ذلـك الشَّراب الياقوتى اللَّون(٢) على دفعات.

ومهما أخذتُها منه على دفعات، فأنا أتوق إلى اقتراضها منه دفعةً واحدةً.

فضفيرتا "نجم" كلاه دوز" الخمريةُ اللَّون على وجْنتَيه شَرَكٌ وحلقاتُها بَـدْرٌ بين براثن الشَّرَك.

وتظل في الشَّرك بَدْرًا لم يَصِرْ قمرًا تامًا، وأنَّى له أنْ يَتِمَّ وهو في شَـرك معشوقى "نجم كلاه دوز"(٣).

هو شاردٌ – عنِّى – أيضًا على خَفَرٍ وتبخترٍ، وأنا شـاهدتُ كـلَّ أنـواع الخفقان والاضطراب والوقاحة.

لو تسلِّم شمسُ منتصف النهار وقمَرُ منتصفِ اللَّيل من الفَلك على وجنتيه، فهذا يليق.

---

(١) للشاعر غلامٌ معشوقٌ يُدعى "نجم كلاه دوز" وكان حائكًا للقلانس. وهو هنا يتغزل بـه بمـا يسمى "بالغَزَل بالمذكر". وهى ظاهرة انتشرت في عصره وتحدثنا عنها تفـصيلاً فـي قـسم الدراسة المتصدِّر لهذا العمل.

(٢) أى : ثغره.

(٣) استعنتُ بما جاء في حاشية الصفحة في نسخة أخرى للديوان في تكوين هذا المعنـى ليكـون أكثر وضوحًا مما جاء في المتن.

وأنا أنصرفتُ عن النَّظر إلى الأنجم على الفَلك، فأنَّى لـ "نجم كـلاه دوز" من نظير له.

١٠ - فأرضُ "بخارى" تشيِّد على السماء قصرًا، يكون لـ "نجم كلاه دوز" مقـامٌ فيه.

وكلُّ منزل يكون فيه معشوقى"نجم كلاه دوز"؛ ينبعث النُّورُ من صَحْنه إلى أطراف سقفه.

ولو أبتعد عن"نجم كلاه دوز" لحظةً واحدةً؛ فبغير وَعْى لا يَرِد اسمُ "نجـم" على لسانى وشفتى.

ولاتظهر عذوبةٌ في نَثْرى ولا حَبْكةٌ في نظمى سوى في صفات "نجم".

أنا غلامُ "نجم كلاه دوز"، فلو يخلع بطبعه القلنسوةَ من على رأسه ويضعها بين قدميه.

وحين يتبختر الصَّدْرُ "نجم الدين"[١] باحترام، تخال دائمًا أنَّ نجمين يقترنان في مكان واحد.

وهذا الشِّعرُ المشتركُ بين الغَزل والمديح عن النجمين يُروى كليَّـةً منِّـى على "نجم الدين".

المعظَّمُ "نجمُ الدين" الذى أضحت نجومُ الفَلك قاطبةً مسخَّرةً لأمره ولراحته.

النجمُ الذى يكون على قلمه قوامُ قاعدة المُلـك بـسبب كفاءتـه وفـضله وعظمته.

النجمُ الذى تحتجب الشمسُ تارةً بين غُبار الحرارة وتارةً بين الغَمام بسبب ضياء ضميره.

---

(١) واضح أن "نجم الدين" هنا هو الممدوح الذى يمدحه الشاعر بهذه القصيدة، وهذا البيـت هـو "بيت الانتقال" من المقدمة الغزلية.

٢٠ - النجمُ الذى حين يأخذ بالكأس، تُهيِّئ الشمسُ أشعَّتَها ذهبًا وتَهبه إيــاه بِــذرة بذْرَةً.

النجمُ الذى يتَّخذ الأبطالُ من أفق الشَّرق حتى بلاد الشام حَضرتَه لهم قِبْلةً.

النجمُ الذى يتمنطق الصَّناديدُ لخدمته من الصباح إلى المساء.

النجمُ الذى يليق أن يكون "قَمَرُ السماء" له عبدًا و"الجوزاءُ" نطاقاً و"الفَلَــكُ" فَرَسًا و"المشترى" سِرْجًا.

يا صاحبَ النجم والسَّعد[1] على فَلَك الدين والناظرُ من برج الــسَّعادة علــى الخاصّ والعامّ.

فالخاصُّ – ينعم – منك بالسعادة والتشريف ليلَ نهار، والعــامُّ بالكرامــة والإنعام طوال الشَّهر والعام.

طالما نلتُ السَّعادةَ والتشريفَ منك يا "نجمُ"، فأنا مسعودٌ ومشرَّفٌ في عين الكرام.

وأتمنَّى أن تكون دائمًا على فَلَك الجلالة بغير انقلاب ونكوص وبلا نحــس وبلا وبال.

أنت نجمٌ وشَمسٌ تَرعى الفنَّ دائمًا في ظلِّ العناية والرعاية والاهتمام.

فليس تحت الشمس سوى المجلس البديع، أعنى مجلسَ "أبى المعالى عبــد الله الإمام".

٣٠ - أرجو أن يعرض نجمُ السَّعد قصيدتى هذه عليك بهمَّةٍ من أكبر همَّام.

حتى تكون لأجلى الشمسُ مردِّدَةَ الحديث والنَّجمُ مصغيًا له.

ولو يقع مدحُ ذلك العظيم فى محلِّ القبول؛ فإنَّه سوف يرسل إلىَّ إمَّا خطابًا أو رسالةً.

---

(١) نجما الزهرة والمشترى.

ما دام سماءُ الدنيا لا تخلو من نجم السَّعد والنَّحس، فأنا أتمنَّى من اليوم حتى القيامة.

أن تكون نجمَ السَّعد على سماء الدين، ويكون أولياؤُك سعداءَ بك على الدوام.

قُلْ لقارئ هذا المديح[1] في شهر رمضان: فليكنْ شهرُ رمضان مباركًا عليك.

في مدح السَّيد الأجلّ رضا (ص ١٨١)

١ - أدى شهرُ رمضان بالطَّالع الحَسَن فروضَ التَّحية على خلعة الملك على عمدة الأنام.

فتلكنْ خلعةُ المَلك على عمدة الأنام وتحيةُ شهر رمضان ميمونةً بالسَّعادة.

المعظَّمُ السَّيِّدُ الأجلُّ "مرتضى الرضا"، الذي هو صفوةُ الخلافة وعمدةُ الأنام.

ملكُ الشَّرف أميرُ خراسان الذي ذاعت شهرتُه بالجُود والفضل في بلاد العراق والشام.

الملكُ الذي ما إنْ تنفَّس صبحُ دولته على الفَلك؛ حتى أضحى نهارُ مراد عَدوِّه وقت صلاة المغرب[2].

هو تربيةُ وموضعُ عناية إمبراطور الملوك "سنجر" الذي فاقت شُهرتُه كلَّ ملوك الدَّهر.

الذي صارت الدنيا، التي تسنَّى له الطَّوافُ بكلِّ أرجائها من الشَّرق إلى الغرب، هكذا عامرةً من خلقه.

---

(١) هو الممدوح نفسه بالطبع.

(٢) أي: لم يتحقق أيُّ مراد لعدوِّه.

ذلك الذي لا ينظر ملكُ العالم الإمبراطورُ في وجهه إلا باحترام.
لقد شاهد فخرُ قضاة "مرو" في منامه رسولَ الله وقد احتضنك.

١٠ – وشبَّه عينَك بعين الرسول نفسِه؛ بمعنى أنَّ هذه رسالةٌ تبقى منِّى وإلىَّ[١].
يامَنْ أنت سَيِّدٌ وسط آل النَّبى، مثلُ بَدْر التّمِّ بين الأنجم على الفلك.
لقد هَلَّ هلالُ رمضان وأطَلَّ بوجهه الشَّبيه بالنَّعل الذَّهبى من الفلك النِّيلى اللَّون.
بمعنى انظرْ إلىَّ؛ فما دام الملكُ قد أعطاك مركبًا وسِرْجًا؛ فأنا أستحقُّ نَعْلَ مركبك.
فلتكنْ أبَدَ الدَّهر فارسًا موفَّقًا على مركب البهجة والنزهة والسرور.
وما دامَ الطَّبعُ لم يَرْتَوِ بمدحك، فأنا سأختصر الكلامَ بترديد بيت الدعاء.
طالما يكون اسمُ "سال" هو "عام"[٢]؛ فليزدْ عُمْرُك عن مائة ألف عام وأنت في نعيم ودلال.
طالما يكون اسمُ "سال" هو "عام"[٣]؛ فليزدْ عُمْرُك عن مائة ألف عام وأنت في نعيم ودلال.

في مدح سعد المُلك (ص ١٨٢ – ١٨٣)

١ – قَدَّمَ من الفَلك السَّعدُ الأكبرُ[٤] رسالةً إلى الوزير سَمىِّ المَلك .
قال فيها : طالما أنا سَعْدُ مُلك السَّماءِ ؛ فأنت ستظل سَعْدَ مُلك الإسلام .

---

(١) حاولتُ جهدى الوصول إلى المعنى المقصود من هذا البيت دون جدوى، وربما كان الشاعر يعبِّر عن شيء بينه وبين الممدوح لم يتضح لى على الأقل..
(٢) أى: أن كلمة (سال) الفارسية تعنى (عام) بالعربية.
(٣) أى: أن كلمة (سال) الفارسية تعنى (عام) بالعربية.
(٤) هو كوكب المشتري .

يا صَدْرَ الأكابر، أنت محفوظٌ من السَّعْدِ الأكبر بهذا الإعزاز والإكرام .
صار الفَلَكُ جوادًا جامحًا، وقد أسلس قيادَه لك مثلَ "رامين" لـــ "ويس"[١].
السَّعاداتُ التى فى الأفلاك السَّبعة منحها مقسِّمُ الحظوظ لاسمك .
فأنت مسعودٌ وأنت الإمبراطورُ مسعودٌ [٢]، والأيامُ مسعودةٌ بإقبالك .
قلوبُ أبناء الأيام سواء من الجيش أو من الخاصة أو من العامة سعيدةٌ بك.
فأنت ذلك الصَّدْرُ الذى تمنح " المشترى " قرضَ السَّعادات لكونـــك سَـــمِيَّ المَلك.
فتنظر إليه طالما يطلُّ على الممالك من الفَلك اللاَّمع .
١٠ – و" زُحَلُ " يُقَبِّل راغبًا أو مضطرًّا كفَّ قدمك لقَدْرك ولهمَّتك العالية .
وفى حروبك يزيد لغلمانك حَظُّ البطولة عن " المريخ " .
وفى يوم المحفل تصير الصَّهباءُ لأجلك مشرقةً فى الكأس مثلَ " الـــشمس " في المشرق .
ويحظي نُدماؤُك منك بالبرِّ والإنعام بما يزيد عن ذرَّات الشمس .
و " الزُهرةُ " المطربُ الذى يُزَيِّن مجلسَك بأناشيد البهجة في البدء والختام.
وحين تدلف إلى ديوان المَلك متبخترًا ؛ ينال البساطُ منك الشَّرفَ في كـــلِّ خطوة.
وينحنى أمامك طواعيةً مثلَ القلم أهلُ القلم .
و" عطاردُ " الذى تقوده على الفَلك، لا يَعْقد في أيِّ حُكم لك الَّـــلامَ علـــى الألف[٣] .

---

(١) إشارة إلى قصة " ويس ورامين " الشهيرة في الأدب الفارسي . وسبق الحديث عنها في إحدى الحواشي .
(٢) اسم الممدوح هو : سعد الملك مسعود بن أسعد .
(٣) أي : " لا "، بمعنى أنه لا يحيد عن طاعته ولا يتمرد . وللشاعر بيتٌ سابقٌ في قصيدة سابقة يحمل هذا المعنى والتصوير والبناء الشعري وكانت في مدح " نظام الدين محمد بن على " .

و" الهلالُ " الشَّبيهُ بنَعْل جوادك، يصبح من نور طلعتك بَدْرَ التِّمِّ .

أنت الكاملُ فى فنون الفضل والعلم، ولك هيئةٌ تليق للصدارة وللسيادة .

٢٠ – من عهد " آدم " إلى عهدك لم يأتِ من الأصلاب والأرحام مثلُك صَدْرٌ وقائدٌ.

وليس في مجال العظمة شخصٌ مثلُك ؛ فأنت الكريمُ ابنُ الكريم أبًا وأمًّا .

وأساسُ مُلك مَلك الشَّرق مزيَّنٌ بك مثلُ البستان بالربيع الغَضِّ .

فلو زَيَّنَ الرَّبيعُ الغضُّ البستانَ ؛ لأضحى في التَّوِّ مثلَ الفردوس الأعلى .

في هذا الفصل، تنثر ريحُ الصَّبا وقتَ السَّحَر من الباب والسَّقف الوَرْدَ من غصن شجر اللوز .

فتَنَاول الشَّرابَ في وقت الربيع من راحة السَّاقيات الحسناوات .

فهو شرابٌ دَرْغَمىٌّ (١) في قدح شامى يستمدُّ النُّورَ من " دَرْغم " حتى بلاد "الشام"(٢) .

من قدح طالع تلك الشَّمس الذى يظهر من خلاله النَّديمُ المجرِّبُ من السَّاذج.

ولا تَشْرَبْ سوى مديحك والثناء عليك ؛ فَعلامَ تتجرَّع ما هو أضغاثٌ وأحلام؟!.

فالمنادمةُ في مجلسك تمنح الرُّوحَ الغذاءَ من الأذن ومن الفَم .

٣٠ – كلُّ ذلك الشِّعر الذى لا يكون فيه مديحُك ؛ لماذا هو عند أهل العلم بهتانٌ وزورٌ؟!.

---

(١) اسم موضع مشهور بالشراب الطيب ؛ والشرابُ الدَّرغمى منسوب إلى هذا الموضع (الديوان. لغات ص ٤٥٣)

(٢) جاء هذا البيت في الحاشية بهذا المعنى : " فانترع الشرابَ الدَّرغمى في قدح شامى بسعادة من الصبح حتى المساء " .

تصير اللغةُ الدَّريةُ[1] في نظم مديحك نظامًا في طبع المادح .
حديثُ الأدباء المبدعين شرَكٌ يصيدون به قلبَ الممدوح.
فليكنْ قلبُك غنيمةً دائمةً للعشق بحبَّة وشَرَك خالٍ وطرَّةِ المعشوق .
فأنتَ القادرُ على صَيْد العدوّ والقاهرُ له، مثلُك مثلُ الضرغام على البقــرة الوحشية والوَعْل .
لسانُ " السوزنى " في نظم مدحك صارمٌ كالصمصام فـــي تـــدبيج القـــول وتنميقه .
ولكنْ، ماذا يقول " السوزنى " ما دام كلُّ ما يجب قولُه قَدَّمَ من الفَلَك السَّعْدُ الأكبرُ ([2]) رسالةً به .

*** * (ص ١٨٤ - ١٨٥)**

١ - أيها الإلهُ الذى التجأتُ إليك من لطفك، ولقد عذتُ بأعتابك مما اقترفتُه .
وجودُك واضحٌ ولقد أتيتُ بعدة أدلة على هذا الوضوح بـــالأفلاك الـــسبعة والنجوم التى لا تحصى في السماء .
أيها الإله، لقد أطْلعتُ عبيدَك في شرق العالم وغربه على ذنوبي .
ولأنك حيٌّ لا يموت ولا شبيه لك أو مثيل ؛ فأنا أتشفَّع بصفاتك الطَّاهرة[3].
ولقـــد أتيتُ لنفسى بـــ " لا إله " لإثبات " إلا الله "، وانغمستُ فـــي عـــشق "إلا الله " وصدق " لا إله " .
واستعنتُ بهذا البياض الذى علا الشَّعرَ الأسودَ دليلاً على نورك مثلمـــا – استعانوا– بالنور من النار والنهار من الليل .

---

(١) هي اللغة الفارسية الحديثة الإسلامية التى كُتب بها الأدب الفارسي بعد الإسلام بالخط العربي.
(٢) أى : المشترى.
(٣) جاء الشطر الثاني في الحاشية بمعنى "فأنا لا أخطئ في وصف ذاتك الطاهرة " .

فأنت في الحساب واحدٌ، وأنا التزم بالعبودية لك بقلبي الوحيد وظهري المقوَّس.

أيها الملكُ، لقد أحطتُ عنقي بحبل العبودية لك بعد تَمرُّد وعصيان .

فأنا طَوال خمسين عامًا لم آتِ إلى طاعتك في أى وقت، ونادرًا ما اتجهتُ صوب أعتابك .

١٠ - وكان رفاقى في طريق الدين هم رفاقَ السُّوء، ولقد ضلّوا الطريقَ وأنا لذتُ بطريقك .

فإن أخطأتُ ؛ فأنا الآن نادمٌ بالقلب وبالعين، بحيث تخال أنَّنى أتيتُ بقلب مفطور بالحرقة وبعين هراقة بالدَّمع .

مع أنَّه كان على مفرقي قلنسوةُ الكبرياء من الأستاذية[1] ؛ فأنا عذتُ بك باكى العين عاري المفرق .

ولمَّا كانت الطاعةُ كيمياءَ والمعصيةُ عُشْبًا ؛ فقد اتجهتُ صوب العُشْب دائمًا مثل الحيوانات .

تَتَوَقَّد النَّارُ في قلبي ويتدفَّق الدمع في مقلتي هكذا، فتخال أنَّنى استعنتُ بجحيم وبحار لا تُحصي .

لقد انغمستُ في الملذَّات وقت الشَّباب، وأنا الآن أستغيثُ ملتاعًا حسرةً ورعبًا.

وأطلبُ الصَّفحَ في الشيخوخة عَمَّا قلتُه وقت الشَّباب ؛ فإنْ زَلَّت قدمى ؛ فأنا أطلب الصَّفْحَ بلسانى .

(١) فضّلتُ ما جاء في الحاشية بالنسبة للشطر الأول من هذا البيت لوضوح المعنى ولاتفاقه مع مفهوم القصيدة ككل .

فلو كانت الذنوبُ بقَدْر جَبل ولو كانت الطَّاعةُ بمقدار قَشَّة ؛ فـإنَّ الجبـلَ بفضلك يصير قشَّةً، والقشَّةُ بلطفك تصبح جبلاً[1].

أنت تعلم ولا يخفى على الخلائق جميعًا أنَّنى أحضرتُ معى زادَ التَّوحيـد من أجل العزِّ والجاه .

أيها الملكُ، لقد أتيتُ بأربعة أشياء ليست في خزانتـك : العـدم والحاجـة والمعصية والذَّنب .

٢٠ – وأستحى خجلاً أن أطلب منك حاجةً، فأتيتُ بالسَّيِّد والقرآن شفيعين من كلِّ ذنب .

أيها الملكُ، لقد أتيتُ بهذه المناجاة من أعماق الروح بصدق، – كما أتوا – بالجوهر من البحر " وبيوسف " من غيابة الجُبِّ .

لقد أتيتُ من القلب الصافي بصفاتك الطاهرة، مثلما يأتون في سـمر قنـد "بالشمس " من برج " الأسد " و " القمر " من برج " السرطان " .

لقد وقفتُ على بابك عاجزًا حيرانَ ومسكينًا، واستحضرتُ من قلبي المعنَّى اسمَ الله .

وأُلقب " بالسوزنى " ولكنَّ " أبا بكر " اسمى ؛ فما أطيبَه اسمًا قد احتميتُ به حين اقترفتُ ذنبًا .

فأحْسِنْ صنيعى ياربُّ وأنت المحسنُ صُنعًا، لو اقترفتُ ذنبًا فقد أتيتُ لـك بالشفاعة .

ألا تتجاوز بالرحمة سابقَ أعمالى ؛ فأنا أتيتُ بدليل من عفوك السَّابق.

تبتُ ... تبتُ، فتفضلْ وارحمْ، لقد لذتُ بأعتابك .

---

(١) ترجمتُ هذا البيت على هذه الشاكلة مستعينًا بتوضيح " جـلال الـدين همـائي " لـه فـي (مستدركاته على الديوان ص ٤١٢) .

فى مدح وزير (ص ١٨٥ - ١٨٦)

١ - وزيرَ العالم العادلُ مَلكَ الأدباء، زينةَ المملكة وزيرَ مَلك الترك والعجم .
أنت الوزيرُ المباركُ لمَلك الترك والعجم، - وصلتَ - إلى ما وصل إليه "الصِّدّيقْ " و"أصفُ جم" (١).
أنت الوزيرُ عالى القَدْر الذى بالطَّالع المظَفَّر يتَّخذُ من السَّماء فَصًّا أزرقَ لخاتمه.
يطأ بقدمه هامةَ " زُحَل " من همَّته، وحين ينظر إلى " زُحَل " لا يشاهد سوى قدمه .
ومع بداية كلِّ عام تبيع طلعتُه المباركةُ الميمونةُ " للمشترى " سلفًا نَظَرَ السَّعْد .
ولأنَّه بحدِّ سيفه يهدر دَمَ أعدائه في لحظة واحدة، فقد صار " المريخُ " أحَدَ غلمانه .
ولأنَّ تربيتَه كانت في مُلك شمس الدِّين ؛ فإنَّ " الشمسَ " في بُرج الشَّرف تُعَدُّ من عتاد خدمه .
وتنشد " الزُّهرةُ الزَّهراءُ " على الفَلك سعادتَه ؛ لأنَّها مهيَّأةٌ للطرب بغير ذَرَّة غَمٍّ.
وطالما صار " عطاردُ " على الفَلك متمنطقًا كالقلم لخدمته ؛ فإنَّه قد استعاد القلمَ من " عطارد الفَلك " للكفاية .
١٠ - حتى صار لذلك براقُه طيِّعًا فى خدمته من أول كل شهر حتى آخره من قبل هذا وبعده .

---

(١) أى : بمكانة " أبي بكر الصديق " عند " النبي" ومكانة " آصف جم " وزير الملك " جمشيد ".

وأنت أيها الصاحبُ العادلُ في سرج براقٍ شبيهٍ بالفلَـك، شـمسٌ تتوسـط قمرين مصاحبين له .

يا مَنْ يَمدُّ عدلُك بساطًا على بسيطة العالم ؛ كأنَّه شمسٌ ساطعةٌ على العالم بجمالها .

وقد رفعت دولتُك وحشمتُك العَلَمَ على الفلَك من خلال الإمبراطور"طغـان خان " ملَك وجه البسيطة .

وحين لا يليق منك الاستغناءُ عن الفضلاء بالدرهم الفضى ؛ فإنه يليق لـك في كلِّ فن قلب "درم"(١) .

" لا أقول أبدًا : إنك تبسط راحتَك في وقت الكرم ؛ لأنَّ راحتَك مبـسوطةٌ دائمًا بالكرم .

وكلُّ مَنْ لديه درايةٌ بكرم راحتك، لا يشترى " حـاتَمَ الطَّـائى " بحِزمـة خُضرة واحدة .

أنت المفتى لِعلم السّخاء، وليس للسائل إجابةٌ منك سوى قول " نعم " وسوى بذل " نعم " .

قلمُك نـافذُ الأمـر وأيضًا، لـو يرغب، يمحو من حروف المعجم حرفَ "لا".

يا دنيا الجُود، لقد أتيتَ من العَدم إلى الوجود ؛ فتخال أنَّ الجودَ قـد جـاء مصاحبًا إياك من العدم إلى الوجود .

٢٠ - في وقت خليقة الجُود وفي وقت خليقتك، انضمَّ كلا العنصرين إلى مزيج العناصر .

حَرىٌّ أنْ ينظم " العنصرىُّ " مديحَك، ومَنْ هذا " السوزنى " الذى يـصير مدحُك منظومًا منه ؟!

" السوزنى" يعقد لمديحك عِقْدَ الجواهر ؛ لأنَّ الإبرةَ تكون محرَّمةً مع عِقْد الجواهر .

---

(١) أى : تصير " مراد " بمعنى " رجل " : أى الرجولة أو البطولة .

الشِّعرُ عِقْدٌ ومدحُ العظيم واسطتُه، العَامُ عِقْدٌ والشَّهْرُ الأعظَمُ[١] واسطتُه .
فأقِمْ الشَّهْرَ الأعظمَ في طاعة الله، حتى يكون عيدُك معظَّمًا بقدوم المَلك .

فى مدح محمد بن على (ص ١٨٧-١٨٨)

١ – تَقَدَّمَت سَنةُ العرب عن سَنة العجم بقدر يوم بما يعادل سبعَ عشرة أو ثماني عشرة قَدَم .
وشهرُ محرم ضياءُ العالم وزينتُه بَسَط ظلَّ " هُما " الربيع في العالم .
وزادت زينةُ وجه البسيطة بالخُضرة والنَّدى في هذا الموسم مع حلول بداية سنة العرب .
وأضحت البسيطةُ بالخضرة والنَّدى مثلَ لوحٍ زمرُّدى، وقد نُثر على صفحته الدُّرُّ والدِّرهم .
وحين حلَّت دورةُ بداية سنة العجم تلامست نواصى أغصان الأشجار وتعانقت .
وبفعل الرِّياح المسكيَّة تناطحت أعلامُ جيش الأوراق و الورود والألوان المتنوعة.
والبلبلُ الصَّدَّاحُ يصبح في البستان راويةً ومنشدًا في عشق الورد عبق الرائحة .
وحين صارت أشجارُ الحديقة مختالةً كالطاووس بفعل قطرات نَدى سُحبٍ بلون الفاختة[٢].
اتَّجَه بتبخترٍ صوب حديقة القلب وجيهُ دين العرب وقِبْلةُ وجوه العَجم .

---

(١) أى : رمضان.
(٢) نوع من أنواع الطيور ذات اللون الرمادى الدّاكن وهى من فضيلة اليمام ويقال إنها طائر القمرى .

١٠ – فَلَكُ المجد والمعالى " محمدُ بنُ على " دنيا الجُود والمكارم عزيــزُ مــصر الكرم.

جمالُ أحرار ما وراء النَّهرِ ومفخرتُهم، ملاذ العامة وقلبُ وسَنَدُ الأبطال والحشم .

العظيمُ الحُرُّ الذى سَحَب الصَّغيرُ والكبيرُ بنفسه رقمًا لخدمته .

وأضحى مُسَخَّرًا له أهلُ السيف وأهلُ القلم بأمر سيفه ولسانه وإدارة قلمه .

ما إن أمْسَك بالقلم وخَطَّ القلمُ رسالةَ العَدْل، حتى استغاثت يدُ الظلم من حَدِّ سيفه.

من رأيه المنير وتدبيره المدبِّر لشئون المُلك، يتزايــد عــددُ أهــل العــدل ويتناقص عددُ أهل الظلم .

كفُّه يتشابه مع السَّحاب المغموم وسخاؤُه بالمطر، ولــذلك صــار بــستانُ المكرمة يانعًا من مطره.

كيف أصف كفَّه المعطاءَ بالسَّحاب؟! لأنَّ السَّحابَ لا يرسل القطرات طالما توقَّف عنه اليَمُّ ؟!

طالما جاء كفُّه المعطاءُ إلى الوجود من العدم؛ صار البخلُ بسبب جوده إلى العدم من وجوده.

كلُّ ما قال به كلُّه مستحسنٌ، وكلُّ ما قام بفعله كلُّه مستحكمٌ.

٢٠ – أنت يا مَنْ بحكم الحقِّ لأجل تحقيق رغباتك، تتمنطق السَّماءُ بإحكام بنطاق خدمتك.

بلى، حَقِيٌّ بالسَّماء العالية أن تقوم بخدمتك؛ لأنَّ لك هممًا عاليةً كالسماء.

ولو تَسَل الأرضُ السَّماءَ: أهكذا يكون؟! ستسمع الأرضُ من السماء صدى "بلى" و"نعم".

"بلى" لأنَّه ليس للعدوِّ خلاصُ البلاء منك، "نعم" لأنَّه يكون للولى ولىٌّ للنِعَمِ مثلك.

طالما يكون في الدنيا مفارقةٌ دائمًا بين الشِّدَّة واللِّين وبين السَّعادة والغَمِّ.

فلتكنْ أنت سعيدًا وعدوُّك مغمومًا بصفة دائمة، ولتكن البشاشةُ لـك رفيقًا والنَّدمُ له نديمًا.

وليكن بقاؤُك بالقَدْر الذى يأتى إزاءَه عاجزًا المهندسُ الذي يعلم عددَ الجذر الأصم(١).

في مدح شمس الدين (ص١٨٨-١٨٩)

١ - عاد المحترمُ ملكُ الشَّريعة من البيت الحرام، عاد من البيت الحـرام ملـكُ الشَّريعة المحترَمُ.

ولم يحز البيتُ الحرامُ زائرًا أكثر احترامًا منه حتى بدا آتيا للبيت الحرام.

الصَّدْرُ المنتسبُ في دين الحقِّ إلى الفاروق النَّقى(٢)، ذلك الذى جعل السَّيفَ فاروقًا والقلَمَ نقيًّا.

وقد اهتم بعبيد الحقِّ الزَّائرين للبيت الحرام معه تلطفًا وتكرمًا منه.

الملكُ، سليلُ "البرهان"، الأجلُّ الشَّمسُ، الحُسَامُ، ذلك الذى صارت الباديـةُ من خَطْوه حديقةً(٣)

لم تنزلْ آيةُ مشقَّة وعناء سالكى طريق الحج؛ لأنَّها رافقته في ذلك الحـج أيضًا.

لقد زار "مكَّةَ" و"يثربَ"، ولتَميُّزه نثَرَ الدِّينارَ والدِّرهمَ على بهاء الحرمين.

---

(١) الجذرُ الأصمُّ تركيبٌ وصفى وعددى، وليس له جذر صحيح وهو مثل العدد عشرة يكـون جذره تقريبا ثلاثة وربع(الديوان لغات ص٤٤٦).

(٢) هو الفاروق عُمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٣) أى : إرم.

أعدَّ الجيشَ وأعاد عليه إنعامَه؛ فكان الملكَ المُنعِمَ صاحبَ النِّعم لأجل الحشم.

هو ملكُ الشَّرع، لفظُه عذبٌ ؛ أداؤُه بديعٌ، له بهاؤُه المستحبُّ على عرش لا ونَعَم [١].

١٠ - وكلُّ لفظٍ عَذْبٍ له ينبع من الأصل والفرْع، والمستمعُ له مستفيدٌ ومغتنمٌ.

هو مثلُ "برهان" و"سيف" ومثلُ "حسام الدين"و"تاج"، راسخُ القدم وثابتٌ على مذهب "النُّعمان بن ثابت"[٢].

مَنْ فى مُلك الشَّرع من "آل برهان" سواه، له الشَّمسُ اسمًا والحُسامُ أبًا والسَّيفُ جدًّا والتَّاجُ عَمًّا.

لقد جاء على الأحباب منه فى هذا السَّفر الميمون، ذلك الذى يكون غُرْمًا وغُنْمًا على القلب من الشَّجاعة.

هو قائدُ قافلة السُّنَّة ومنه الفتحُ والنَّصرُ، ولمُلحدى قلعة الموت[٣] منه "موتٌ" و"ألمٌ".

لقد شَقَّ الحقراءُ الجبلَ رعبًا منه واخفوا فيه أياديهم وأرجلَهم مثلَ السلحفاة.

---

(١) أى : الحُكم.

(٢) ذكر "جلال الدين همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص٤١٢) تعليقًا على هذا البيت؛ إنّ "آل برهان".

من الأسر الكبيرة فى بلاد ما وراء النهر، وهى على المذهب الحنفى السُّنى وصاحبه "النعمان بن ثابت". ورئيس هذه الأسرة هو الإمام برهان الدين عبد العزيز بن مازه الحنفى البخارى ومعلوم أنّ "برهان" و" سيف "و"حسام الدين" و"تاج الدين" و" شمس الدين" من رجالات هذه الأسرة.

(٣) هى قلعة طائفة الإسماعيلية المنسوبة إلى الإمام السابع إسماعيل والمعروفة بالحشاشين والباطنية من أتباع الحسن بن الصباح وهى حصن جبلى منيع ومكونة من كلمتين (آلة الموت) وتقع فى حوزة الحسن بن الصباح.

لقد جعل حُجَّتَه شركًا لهوى الأحباب؛ لأنَّه بلفظه العذب يدفع الصَّيِّدَ إلى حلقات الشباك.

وحين صار المبتدعُ صَيْدَه؛ فإنَّه يظل فى شَرك الفكر لو تكلَّم بكلام السُّنَّة وإلا صار مُهْدَرَ الدين والدَّم.

وذلك الذى أدَّاه فى حج الإسلام من شرائع، لا جرم أنَّه صنيعٌ مقبولٌ لدن الحقِّ.

يا سَيِّدَ آل برهان وأهل الفضل، لقد صار برهانُك بفضل الحقِّ بيِّنًا فى بلاد العرب وفى بلاد العَجم.

٢٠ - نال "الخاقانُ" منك تشريفَ أمير المؤمنين، وصار على هذا التَّشريف الميمون علمًا على "زُحل".

واستحسَنَ الأمبراطورُ منك هذه الكرامةَ، وهذه منَّةٌ على أرواح الرعايا والحَشَم.

لقد أسْعَدْتَ مَلِكَ العالم بتشريف أمير المؤمنين؛ فلا أصابك أىُّ غَمٍّ فى العالم.

لقد عدتَ من السَّفر الميمون متبخترًا وجعلتَ حضرةَ الجلالة مبتهجًا بهذه العودة الميمونة دفعةً واحدةً.

حينما تريد؛ فستحظى بتقدير المَلك، وسيخُطُّ السَّعادةَ على دفتر عُمْرك.

طالما يُشْرِق جِرْمُ السَّماء وتُرسل السُّحبُ قطرات المطر، وطالما يتزايد نورُ القمر أحيانًا ويتناقص أخرى.

فأنت مثلُ الشمس السَّاطعة البازغة من بُرج الشَّرف، وحاسدُك المنحوسُ باكٍ مثلَ السَّحاب المغموم.

فليتناقَصْ أمام سِنى عُمرك أيها المحتشمُ ذَرَّاتُ الشَّمس السَّاطعة وقطراتُ السَّحاب المرسلة.

أيها "السوزنى"، امتدحْ بالشِّعر مَلكَ الشَّريعة، واستشهدْ فيه بشِعر الحكمة لو تملك الحكمةَ.

ثناءُ مَلك الشَّرع ومديحُه هو من قول الحكمة؛ لأنَّ فى هذه الحكمة لا يكون صاحبُ الحكمة متهمًا(١).

فى مدح وزير (ص١٩٠-١٩١)

١ - الصَّاحبُ العادلُ وزيرَ المَلك المعظَّم، الصَّدرُ سعيدَ المقدم العزيزُ المكرَّمُ.

سيدَ العالم الذى من نقاء سَريرته يكون لأهل الدنيا فى شفقة الأب والعَمِّ.

فلتكنْ حياتُه هنيئةً ورغْدَةً، وتكون حياةُ الممالك من قبله مرفَّهــةً وهنيئــةً ورَغْدَةً.

ما إنْ اتَّجه صوب "دَرْغَم" باشًا ومتبخترًا، حتى صار بابُ الغَمِّ موصدًا فى كلِّ نواحيها.

وكانت (دَرْغَمُ) فى غَمٍّ لأجل الماء مثلَ البادية؛ فصارت مثلَ البحر الزَّاخر بالماء وزال عنها كلُّ غَمٍّ.

طالما لم يكنْ يأتى إليها للنزهة؛ فلم يَصِرْ لدى أهلها قطرةُ ماء سوى مــاء العين.

والآن، وبسبب الماء الوفير صار يُخْشَى عليها أنْ تختفى فيه مثلَ اختفــاء اليونان فى البحر.

هو الموفَّقُ على كلِّ أرجاء العالم، وشفقتهُ فى المواساة راعيةُ العالم كلِّه.

إنْ لم تَشْملْ عنايتُه أحَداً فلا يُعَدُّ آدميًا، وربَّما صار وصيًّا مــن آدم علــى البَشَر.

(١) معلوم أن أهل الحكمة والفلسفة كانوا فى تلك الأيام موضع اتهام بالكفر والإلحــاد (همــائى: المستدركات على الديوان ص٤١٢).

١٠ - الخَلْقُ الهاربون والمشرَّدون عن أوطانهم، عادوا إليها ثانيةً بسبب عَدْله.
لقد أحيا اسْمَ "عُمَر" ونَشَر العَدْلَ؛ فتناقص اسمُ الظُّلم من أساس العالم.
هو الصَّاحبُ العادلُ والمتصَدِّرُ كلِّ محفلٍ، مثلَ شَهْر "محرَّم" المتصَدِّر كلِّ سنة.
لا يتعامل الدَّهرُ بغير ما يرضيه، ولا يتكلَّم الطَّالعُ إلاَّ بما يوافقه.
إنْ لم يُصَرِّفْ خَطَّه و قلمُه الأمورَ، تصبح كلُّ أشغال العالم مُشْكلةً و مُبْهمةً.
على قلمه تسليمٌ و تفويضٌ بمصلحة الملك و الجيش و الرَّعية.
خاتمُ الدَّولة مفتخرٌ بإصبعه، و الحياةُ الأبديةُ نقشٌ على فَصِّ خاتمه.
طالما يكون للكعبة المعظمة حَرَمٌ، و حُرمتُه مقدَّمةٌ على كلِّ بابٍ عالٍ.
فليكنْ قَصْرُ دولته العالى مثلَ حَرَم الكعبة الشَّريفة المعظَّم من حيث الحُرْمة.
فلتكنْ دولتُه عاليةً حتى يوم القيامة، و ليكنْ حكمُه الجارى نافذاً و محكمًا دائمًا.
٢٠- وليكنْ نافذَ الأمر و فَخْرَ أولاد آدم دائمًا فى الدُّنيا، طالما الدُّنيا موجودةٌ.

فى مدح شاه توران (ص١٩١-١٩٢)

١ - صار أساسُ مملكة "توران" معمورًا وجزلاً وبهيجًا، بأمير "توران" إمبراطور العالم كلِّه.
ولقد منَحه ربُّ العالم مُلكًا على بنى آدم، كى ينعَمَ بنو البَشَر فى العالم بعَدْله.

مَلكُ العالم الذى استعاد بهيبة بأسه إلى مُلكه "إبراهيمَ بنَ أدهم" من عشرة قرون خلَت(1).

عاد ابنُه ثانيةً إلى مُلك "أرسلان خاقان"، بالبخت وبالطّالع الميمون برأى ثابتٍ ومحكم .

كلُ ذاك المنبر الذى يتَزيّن وقت الخطبة باسمه، تقول له الملائكةُ من فوق العرش فى كلِّ لحظة: مرحبًا.

يجوز أن يرسل إليه " سليمانُ" النبيُّ عرشَ "بلقيس" بنفس البُشْرى التى بها أحضروا الخاتمَ إلى إصبعه.

وعلى ذلك، فإنَّ "خليلَ الله" هو الخطيبُ الذى يخطب "للخاقان" ويقول له من الفردوس الأعلى: قلبُك غمامةٌ تُرسل النَّدى.

من عَدْله تصير الدنيا عامرةً، مثلُها فى هذه الناحية مثلُ الذى تَسنَّى له الذِّهابُ تحت كنَفه إلى " الكعبة "و"زمزم".

ومن بأسه يأخذ "التّذرو"حقَّه من "الصقر"، والشاةُ " من "الذئب" و"الحمارُ الوحشىُّ" من سطوة "الضّيغم".

١٠ - وحين خطَر "الخاقانُ" صوبَ مُلكه متبخترًا واستقرَّ عليه سعيدًا صار للجيش وللرعية قلوبٌ جذلةٌ بهيجةٌ.

وأضحت طبيعةُ مملكة "توران" عروسًا، لم تكشفْ حتى الآن النِّقابَ عن وجهها على الملوك غير المحارم.

ولقادة "توران" همّةٌ تليق بالمُلك، لأنَّهم سلَّموا أمامه جميعًا بما يليق.

---

(١) علّقَ جلال الدين همائى فى (مستدركاته على الديوان ص٤١٢) على هذا البيت قائلاً : إنَّ أبا اسحاق إبراهيم ابن أدهم البلخى من المتصوفة والزُّهاد المعروفين الذين أثاروا الانتباه، وذكره المولوى فى المثنوى وكذا كتب التاريخ والأدب، وتقع وفاته فى سنتى ١٦٠، ١٦١ قمرى ولا يمكن أن يكون بين وفاته وعصر السوزنى فى القرن السادس الهجرى عشرة قرون كما قال السوزنى فى هذا البيت وربما كان يقصد المبالغة أو الصنعة الأدبية والله أعلم.

فلقد منحهم الله بهذه الهمّة اللائقة بالمُلك لأنّهم من نَسْل "أرسلان خاقان" الغازى المَلك الأعظم.

القادةُ يتمنطقون للخدمة أمامَ عرشه متصافّين، على ذلك الرَّسم وعلى تلك السِّيرة التى يكون عليها الجنّى أما عرش "جم"(١).

القلوبُ مكلومةٌ مجروحةٌ من هجر "أرسلان خاقان"، والآن، أضحى وصولُ ابنه مرْهمًا لتلك الجراح .

وحين يسعد "الخاقانُ" بالرعيَّة ويهنأ بالحشَم، يكون للحشَم قلبٌ جزلٌ ويزول عن الرعيَّة الغَمُّ.

إذْ يتَسنّى قَصدُ المَلك المبارك حيثما يكون ولو كان نجمًا سيَّارًا في السَّماء.

يا مَنْ أنت للحُكْم أفضلُ من "داراى بن دارا"(٢)، وفى صفٍّ الرجال "سهرابُ بنُ رستم".

ولسَوف يأتى في عهدك ملوكُ العالم من كلِّ صوب بقلوب مستقيمة بالطَّاعة وقاماتٍ محنيَّةٍ بالخدمة.

٢٠ - لهم جميعًا ثروةُ "قارون" وقوةُ "قارن" وشوكةُ "أفريدون" وسطوةُ "نيرم"(٣).

يزيِّنون المنبرَ فى كلِّ إقليم بألقابك، ويصكُّون نَقْشَ اسمك على الدِّينار وعلى الدِّرهم.

يطلبون منك الولايةَ ويكشفون لبعضهم البعض عن منشورك وأمرك بالمُلك، قَلَّ هذا المُلك أو كثر.

فكلُّ الملوك يعلمون أنَّك الإمبراطورُ السَّلسُ مثلما وصفتُك للحكماء دونما إشكال وإبهام.

---

(١) مخفَّف "جمشيد" الملك الرابع فى أسرة البيشداديين فى قصص الشاهنامة واسمه مكون من مقطعين: جم بمعنى شمس + شيد بمعنى شعاع فى اللغة البهلوية.

(٢) أحد ملوك الكيانيين تولى الحكم بعد وفاة أبيه "دارا"، هُزم على يد الاسكندر وقُتل كما تحكى الروايات عنه.

(٣) هو ناريمان أبُ سامان وجدُّ رستم أبطال الشاهنامة.

ولعلَّ هذا المثلَ يجرى على ألسنة الخَلق: بهاءُ الملك وحُسْنُه بالعَدْل وبهاءُ الزِّراعة وحُسْنُها بقطرات النَّدى.

فلتزرعْ قطراتُ نَدى عَدْلك الأملَ لهؤلاء الأشخاص؛ لأنَّ مُلكك صار بدعائهم قوىَّ الأساس ومستحكمًا.

طالما تَشُقُّ دورةُ الفَلك المحكمة الدَّوران دائمًا اللَّيلَ الدامسَ من النَّهار البازغ والنهَّارَ من الليل الغاسق.

فليَدمْ، أيها الملكُ، بناءُ يوم عمرك حتى إلى تلك الليلة ؛ التى سيكون يومُ الحشر فيها مثلَ الفجر الذى يتنفَّس.

* * (ص ١٩٢ – ١٩٤)

١ – من كلِّ السُّوء الذى تعرفه، لى منه آلافٌ عديدةٌ، فلا أحَدَ يعرفنى على ذلك النَّحو الذى أعرف به نفسى.

أنا سَيِّئٌ فى المظهر وأسوأُ من السُّوء فى المخبر، والله يعلم وأنا ما ظهر منِّى وما بطن.

جسدى مثلُ السلطان الآمر بالمعصية، وأنا على القياس عبدٌ ومطيعٌ للسلطان.

إنَّ العَبْدَ ليس سَلِسَ القياد لسيِّده مثلى أنا لأمْرِ جَسَدى هذا العارى.

كان لى الشَّيطانُ مغويًا لصغيرة، وأنا الآن أصبحتُ له مغويًا لمائة كبيرة.

لم يتركنى الهوى الماسكُ بتلابيبى يومًا لتخرج رأسى من جيبى مبرأةً من الذُّنوب.

الهوى حَبَّةٌ ونا ملتقطُ الحبَّة والهاويةُ شِراكٌ، فإنْ أقع للحبَّة أسقط فى الشراك.

١٠ – لن يبقى هوى إنْ لجأتُ ساعةً إلى حضرته صائحًا: هو الله.

صار الهوى لى دلالاً إلى الظُّلم لأنِّى شيخ سوق الفسق والعصيان.

لن يَدعنى الهوى حتى أسأل العَقْلَ: ماذا أكون؟ ومن أكون؟ وأىُّ شخص أكون؟ وعلى أىِّ شاكلةٍ أكون؟

الهوى يعرض الذَّنْبَ كالدَّلال علىَّ، بسبب أننى طالبٌ للحماقة.

يبيع الشَّرَّ ويأخذ الخيرَ عوضًا عنه، وأنا سعيدٌ بتلك التِّجارة منه ومبتهجٌ .

إنْ أزن نفسى اليوم من حيث الخير والشَّر، فإنِّى أقيمُ نفسى على ذلك الذى يكون فيه ميزانى يوم الحَشْر.

واأسفاه فإنَّ وزنى فى كفَّة الخير أقلُّ من خَرْدَلَةٍ، وفى كفَّة الشَّر فوق مائتى خَرْدَلة.

أيها المَلكُ ما بضاعتى لديك أنا عَبْدُك القاسى القلب، وأنا فى ميزان الخير أقلُّ من خَرْدَلة.

أنا مكلَّفٌ بتَرْك الشَّرِّ وإتيانِ الخير، وكلُّ تَرْكى وإتيانى مخالفُ أمرك.

لستُ فى حاجةٍ إلى شرح السُّوء وتبيانه، لأنَّنى فى السُّوء شرحُ شرح التبيان.

يقترف عبادُ العزيز الذَّنبَ من الغفلة، وأنا حين لا أقترف ذَنْبًا يكون هذا غفلةً منِّى.

جعلتُ نفسى هدفَ كلِّ ألوان الذنوب، فأىُّ هدفٍ هذا القائمُ فى مكانه لسهام خذلاتى.

٢٠ – سوَّدتُ ديوانَ عُمْرى بالمعاصى، ذلك لأنَّ ديوانى الأسْودَ سار على طريق الشَّيطان.

من كثرة ما اقترفتُ من ذنوبٍ طَوال الدَّهر، فواخجلتاه يوم أتلوه لدن الكريم.

ما أحب أن يتساقط لسانى ذلك اليوم، من أنْ أُجرى على لسانى ما كنتُ قد فعلتُه.

أيكون شخصًا مَنْ له مِنْ اللّباد قلنسوةٌ، أم أنا الذى على هذه السيرة والشاكلة.

أيها المسلمون بحقٍ دين الإسلام، أنا حين أتأمل نفسى أكون عارًا لكلٍ مسلم.

لى رجاءٌ فى فضل الحقٍ أن يصير السُّوءُ حُسْنًا، فمع أنَّنى سَيِّئٌ إلا أنَّنى نادمٌ من السوء.

قال الرسولُ: النَّدمُ عن الذنب توبةٌ، فلو أنَّ هناك شخصًا تائبًا بهذا فهو أنا.

تقول إنَّ فلانًا وفلانًا قد تابوا، فما المانعُ أن أكون بينهم.

طالما أن بابَ التَّوبة لم يُغْلَقْ فإنِّى أستطيع أن أتوبَ بهذا الجسد الذى أذنبتُ به دون دراية.

إنِّى لأمتطى صهوةَ جواد التَّوبة مثل المبارز، فرحمةُ الله ميدانٌ فسيحٌ أمامى بدرجةٍ كافيةٍ.

٣٠ – أدخل بعد التوبة فى خدمة العلماء، فاعلَمْ أنَّنى أهيم بهم حبًّا من قلبى ومن روحى.

أيها الملكُ أوْصِلْنى إلى درجة زُهْد "سَلْمان"، ذلك لأنَّنى أعشق "سَلْمان" من أعماقى.

إحْيِنى مسلمًا ياربُّ بفضلك، ولا يُبَرأنى من الإسلام وإنْ تقبضْ روحى.

أشهدُ بالحقٍ أنْ لا إله إلا الله، فأَمِتْنى وهذا القولُ يجرى على لسانى.

فى مدح نظام الدين محمد (ص ١٩٤ – ١٩٦)

١ – سلامٌ علىَّ من طبعى، فها أناذا أقيم سُنَّةَ الشِّعر.
أجعل لشِعرى مكانًا فوق هَام الفَلك الأزرق ككوكب الشعرى.
لا أستعير القولَ من أحدٍ، لأنَّ من طبعى أن أُعير.
حينما أتَّخذ الورقةَ طُعْمًا لصيد القلوب فإنِّى أقيم بالقلم حلقات شباكٍ للصيد.
أجعل فكرتى صافيةً كالفضَّة الصَّافية سواء فى الحروب أو فى المحافل.
أجعل النَّاضجَ فَجًّا والفَجَّ ناضجًا، وأكون متفوقًا فى كلِّ ما آتيه من فعل.
أجعل السِّحْرَ بالشِّعْر حلالاً وأجعل الشِّعْرَ على الشُّعراء حرامًا.
لا أمدح اللِّئامَ قليلى الهمَّة طمعًا فيهم، بل أمدح الكرامَ.
حين أطأُ طريقَ النَّظْم بقدمى، فإنَّنى أطوِّع جادةَ القول لرغبتى.
١٠ – أخدم مجلسَ " النِّظام" من القلب والرُّوح بنَظْمٍ مثيرٍ للروح.
هو مَلكُ الأمراء الذى أجعل منِّى أنا أميرُ القول غلامًا على بابه.
"أبو المحامد محمد" ذلك الذى أدعوه الصَّدْرَ والأميرَ والوزيرَ.
ويقول الملكُ: أنا بهذه الأسماء الثلاثة، أنظر إليه بعين الاحترام.
فالكأسُ المظهرةُ للعالم هى قلبُه، وأنا الملكُ؛ فأنظر فى الكأس.
وطالما يصير القلمُ بين خنصره؛ فأنا أستعيض بذلك القلم عن الحُسَام.
لقد تَرك خنصرُه الحسَامَ للفرسان؛ فكفَى أيها الحُسَامُ أن أضعك فى الغِمْد.
ومادام هذا مكانَه(١) لدن أهل القلم؛ فأنا أتَّخذه إمامًا مثلَ السَّيِّد.
٢٠ – فأنا أعدُّ– به – اللَّيلَ والنَّهارَ فى الأسبوع، وأجعل الأسبوعَ شهرًا والشهرَ عامًا.

---

(١) أى : القلم.

وكلُّ مَن لا يطيع قلَمَه[١]؛ فلسوف أنتقم منه بحُسَامى[٢].

فأنا ربيبُ نعيمه، وأجعل مديحه ورِدًا للخاصِّ وللعامِّ .

فنعمتُه وصلت إلى أعلى درجات الكمال، وأنا أصفه بذلك دائمًا.

وإزاءَ لطفه، أخجل أن أتحدَّث عن لطف الأب والأم.

وأجعل المؤشِّرَ يتَّجه نحو " الأحنف بن قيس" فى ذلك الميزان الذى أزن به حِلْمَه.

وحين أجعل كفَّه المعطاءَ غَمامًا، يصير زَرْعُ طَمَع الدنيا سَرابًا.

وأدبِّج رسالةَ شُكره، وأعجز عن وَضْع عنوان لها.[٣]

لأنَّنى حين أفتتحها بالمديح والثناء له، لا يرغب القلبُ فى أن أختتمها.

فأنا عليها أعظمُ هَمَّام، وطَبْعى يثنى علىَّ.

فأنا أقوم عليها من شهر رمضان، والطَّالعُ يلقى علىَّ تحيَّةَ العيد.

فتخال أنَّ طالعى على دراية؛ لأنَّنى أجعل منها فى العيد نافجةً[٤].

٣٠ - وأشيِّد بالدُّعاء لمنزل دولته بابًا وحائطًا وسقفًا وعرشًا.

فليتوافقْ طبعى مع الرُّوح فى ليلة القدر، وأسلِّم عليه فى الدُّعاء.

فى مدح مؤيد الدين (ص ١٩٦ - ١٩٧)

١ - مَنْ سوى المرآة يعرف وَرْدَ وَجْنتك،مَنْ أحْضَرَ العبيدَ من بلاد الحبش وحصل على الرُّوم.

---

(١) أى : الممدوح.

(٢) أى : بقلمى.

(٣) فضلتُ ما جاء فى الحاشية هنا لخدمة المعنى.

(٤) كلمة (لام) فى المعاجم الفارسية تعنى: المسك والعنبر وحبَّة الخردل والنافجة. وفضَّلتُ اختيار المعنى الأخير هنا لإحساسى بأنه يخدم المقصود بصورة أفضل، وهو فى الوقت نفسه يعبر عن المترادفات الأخرى السابقة.

تتقدَّم الطَّليعةُ وفى إثرها الجيشُ، وتريد إظهارَ الحقيقة من الوَهْم .

وأنا لا أقول ذلك، وربَّما قال أحدٌ رغمًا عنّى . مَرْحى للجيش، وساخطًا: أهلا بالطليعة الشؤم .

لأنّ خطَّك ذلك الذى لا يخفى على العَالم، يُخفي دائمًا عَدْلَ "عُمَـر" بظلم "سدوم ".

كنتَ بطلعتك موضعَ حَسَد حسناوات " الخـتَن "، وجـاء خَطُّـك ليجعل المرحومَ محسودًا .

فأنت تسحب خَطًّا كالدائرة وتظن أنَّ خَطَّك دائرُة العصمة وأنت المعصومُ.

وجنتُك وَرْدٌ ندىٌّ وخَطُّك بنفسجٌ " طبرىٌّ "، وقد صار خَطُّ البنفسج وَورَقُ الوَرْد مدوَّنًا منه .

أنا بسبب خطِّك لن أذهب إلى خطٍّ ولو كان مثلَه ؛ فالخُضْرَةُ [١] تَظْهر على وَرَقِ وَرْدِك[٢] المنشود .

وأنا افترضتُ أنَّ إجابةَ شراب ياقوتك[٣] ستظهر الزُّمردَ المسمومَ[٤] مكان القُبلة .

١٠ - فأنا لا أتخيَّل أنْ أطمع بشدَّة في قُبلة منك، ولو يعتريك ظَنٌّ أنَّ قوسَ الفَلَك ليِّنٌ .

لا يليق لأىِّ عاشق اليأسُ من شفتك، فلا يُوجد سائلٌ محرومٌ مطلقًا من "مؤيد الدين " .

---

(١) أى : نَبْت الشَّعر.

(٢) أى : الوجنة.

(٣) أى : ثغرك.

(٤) جاء فى الديوان (لغات ص ٤٥٨) : " زمرد مسموم " كناية عن " خط سبز " . ومعناها : الخطَّ الأخضر ويقصد بها نَبْتَ الشَّعر على وجنة المحبوب أو على شفته العليا فوق ثغره وهو من علامات الحسن .

دنيا المجد والمعالى " المؤيدُ ابنُ جمال "، الذى تكون كلُّ العلوم في عهده جزءًا من علمه .

لا يُوجد أىُّ نوع من العلوم بين أهل العصر، يكون مشكلاً فى خاطره وغيرَ مفهوم .

هو بين محفل أهل الفضل وأهل الحكمة مثلُ البَدْر السَّاطع وسط النجوم .

يا كريمَ المحتد، لطالما قد بانَ أنَّ اسْمَ البُخل صار معدومًا في الدنيا بفضل جُودك .

صار القُساةُ كالشَّمع تحت شمس عطفك ؛ ذلك لأنَّ قلبَك في السَّخاء شمعٌ تحت شمس السؤال .

فأنت قد انطلقتَ من أبيك الصَّقْر الأبيض، ومن بيت الصَّقْر لا ينطلق بومٌ مطلقًا .

لم يظهر لك نظيرٌ بين الكرماء طَوال الدَّهر، فى أىِّ مدينة أو ضاحية وفي أىِّ شارع أو إقليم .

لقد صار السَّخاءُ والكرمُ والجودُ والمروءةُ مختومًا باسمك بين أفراد الطائفة .

٢٠ - فأنت محمودُ السيرة والمذهب والشّأن والفعل والرسوم على شاكلة أبيك "جمال الدين" دائمًا .

كلُّ خصالك ورَسْمك غيرُ معيوبة، وكلُّ أساسك وفعلك غيرُ مذمومة .

قادةُ العصر مادحوك وأنت الممدوح، عظماءُ الدَّهر خادموك وأنت السَّيِّدُ .

الشِّعْرُ الذى يُنْظم في غير مديحك، الشَّاعرُ فيه ظالمٌ والشِّعْرُ مظلوم .

أيها العظيمُ، أنت تعلم أنَّ هناك مرسومًا يُوجب ليَ العطاءَ من كرمك وجُودك كلَّ عام .

وقد انقضى من هذا العام خمسةُ أشهر، وعيبى أنَّنى لا أرفع لك قصتَّى مثلَ أصغر خادم .

فَخُطَّ إلى وكيل خاصتك بذلك المعلوم المدوَّن باسمى على الخصوص .

فإذا ما كانت قيمةُ ذلك اللؤلؤَ المنثورَ ؛ فخُذْ من طَبْعيَ اللؤلؤَ المنظومَ ثمنًا.

طالما يكون دائمًا الغَمُّ والسرورُ والتوفيقُ والخفقانُ محكومًا بحكم الإله على عبيده .

فليكنْ بقاءُ عُمْرك خالدًا برغبة القلب، وقلبُ وليِّك مسرورًا وقلبُ عدوِّك مغمومًا.

فى مدح على بن أحمد (ص ١٩٧- ١٩٩).

١ - حَمَلَ أميرُ الحِسَان بغير درايةٍ عبيدَ الحَبَش[١] فيما حول الرُّوم (الوجه)[٢].

وصار من سَواد العبيد ذلك مختفيًا، عَدْلُ " نوشروان " بظلم " سدوم "[٣] .

وأنا عاشقٌ له هكذا الآن ؛ لأنَّنى لا أعرف المظلومَ والظَّالمَ .

في ياقوتتيه[٤] اللتين لهما لذَّةُ الشَّهد، اثنتان وثلاثون حبَّة من اللؤلؤ المنظوم[٥].

توارى في حجاب الزُّمرد المسموم[٦] ياقوتُه الذى له لذَّةُ الشَّهد[٧] .

---

(١) أى : النَّمش.

(٢) يرى " همائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٤١٤) : أن هذه القصيدة والقصيدة التالية من قصائد السوزنى المتوسطة المستوى . ونحن نشاركه فى هذا الرأي نزيد أنَّها ركيكةُ المستوى بناءً وتصويرًا، وعانيتُ كثيرًا في صياغتها لافى ترجمتها .

(٣) هذا البيت مكرر في القصيدة السابقة شأنه شأن أبيات عديدة في هذه القصيدة سبق ذكرها بناءً وتصويرًا مما يؤكد ما قلناه في الحاشية السابقة مباشرة .

(٤) أى : شفتيه.

(٥) أى : أسنانه.

(٦) أى : نَبْت الشَّعر.

(٧) أى : ثغر.

لذّةُ الشّهد في ياقوتتيه هاتين، نصيبٌ مقسومٌ لي .
لقد أتيتُ منصهرًا في النّار كالشّمعة حتى بقيتُ منه مثلَ الشّمع من الشّهد .
أميرُ الحِسَان ظالمٌ قياسًا بخَطِّه المتّصف بالظلم، وأنا المظلوم .
وأنا أعرض كالمظلوم على مجلس السَّيِّد قِصَّةً عن خَطِّه .
١٠ – ذلك الذى لا يخرج عن خَطِّ أمره ينال إقبالَ الدَّهر .
ذلك العظيمُ الذى هو بين العظماء مثلُ البَدْر بين النجوم .
قرةَ العين، فَخْرَدين أحمد، أبا لمعالى، " علىُّ " فَلَكَ العلوم .
الذى يفخر صاحبُ ذى الفقار[١] يوم القيامة بأنَّه قرينُه .
ويبقى أيضًا التَّفاخرُ لدين الدَّيَّان والقادر القيوم من لقبه[٢].
صارت الفتوةُ مختومةً باسمه مثلما النُّبوةُ باسم صاحب الشَّرع .
جملةُ منادى الروح " لا فتى إلا على " التى صارت مفهومةً أنها عن "المرتضى ".
اعلَمْ أنَّها صفةٌ لذلك الموصوف واعلَمْ أنها خَطٌّ بذلك المكتوب .
" ذو الفقار " يعلم قَدْرَ سخائه، من خلال ضرب عُنق خباثة الشؤم[٣].
وفى كلِّ الأحوال فضربُ " ذو الفقار " من " علىٍّ " ليس موضعَ لوم .
٢٠ – يا مَنْ بساعد همَّتك، صار للفَلَك قوسٌ ليِّنٌ.
ويسحق سَهْمُ إحسانك جيشَ الطَّمع في صدور الخَلْق .
أنت الصَّدْرُ والقائد من بنى الخال مثلما سيفُ الله من بنى مخزوم .
طالما قد أتيتَ إلى الوجود من العدم ؛ فصار خَيْرُ موجود وشَرُّ معدوم[٤].

---

(١) أى : علـى بن أبي طالب رضى الله عنه . ويرى " همائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٤١٤) : أن هذا البيت به مبالغة سخيفة غير مقبولة .
(٢) حتى يتضح المعنى نذكر أنَّ الممدوح يلقب بـ " فخر الدين " .
(٣) أى : البخل
(٤) صيغتُ الفعلَ " صار" التى هى من أخوات " كان " على أنها تامة لا تحتاج إلى خبر .

كلُّ أعمالك غيرُ معيوبة، كلُّ أفعالك غيرُ مذمومة .

الجُودُ ممارسةٌ وحُسنُ سُمعة، وهو لك أفضلُ أساس و رسوم .

لا يَرد عن " حاتم " سوى الثناء، ذلك الذى صار الآن موسومًا فيك .

لا يُوجد سائلٌ محرومٌ منك ؛ لأنَّه لا يُوجد محرومٌ من منالك وقت البَذْل.

ينال الشِّفاءَ بشَرْبة سخائك، كلُّ مَنْ صار محمومًا بحُمَّى الطَّمع .

الحبُّ والحقدُ يخبران عن نسيم الصَّبا وحرارة السموم .

٣٠ - ولا يعلم رائحةَ خُلقك العطر سوى أنف الأحباب .

رائحةُ خُلقك العَطر مسكٌ ووَرْدٌ، وحُسَّادُك بين أخشم ومزكوم .

جناحُ وريشُ " هُمَا " دولتك، مظلَّةٌ لآلاف الأقاليم والمقاطعات .

كلُّ مَنْ لم يشاهدْ ظِلَّ " الهُما " ذلك، هو سَيِّئُ الطَّالع وأعمَى النَّهار كالبُوم.

يتَسنَّى لطالعك الميمون أن يجعل طالعَ حاسد جاهك مشئومًا.

فلتَبْقَ حتى الأبد ميمونَ الطَّالع، وليبقَ ناصحُك مسرورًا وحاسدُك مغمومًا.

الدَّهْرُ غلامٌ لغلمانك، والفَلَكُ خادمٌ لخَدمك .

يَدُ المحنة ألقت حلقةَ وَهَق الأجل فى حلقوم الخصم .

كلُّ ما هو لائق فقط[١] لطبيعتك ؛ فليكن خالدًا أو معصومًا منه .

---

(١) من معاني كلمة (جز) التى أورها " دهخدا " فى " لغت نامه " هــو : فقط، وهو المقصود فى هذا البيت فى تصوري .

فى رثاء الطبيب الأستاذ كوسوى (ص ٢٠٠ -٢٠١)

١ - ليسَ فـي الموت بُدٌّ للصحيح ولا للسقيم ؛ فالمضىُّ إلى فناء الكريم مثلما هو للئيم.

وهو للعزيز كما هو للذليل، وللجَواد كما للبخيل، وللفصيح كما للكليل، وللسَفيه كما هو للفهيم .

للناس أملٌ وخوفٌ من العُمْر، يأملونه ألفَ عام ويخافونه لحظةً .

للخَلْق عِلْمٌ بما مضى من العُمْر، وما قد مضى وما بقى منه لا يعلمه سوى الله العليم .

أيةُ غفلةٍ وأيةُ جهالةٍ وعدم دراية، عن الحياة التى لا تَعْدو لحظةً أو لحظةً ونصفَ.

لا يمكن العيشُ زيادةً على تلك النِّصف لحظةٍ، فوق ذلك الذى قَسَمَه الله مقسِّمُ الأعمار للعَبْد .

فلا تَظنَّ للعُمْر زيادةً على كفٍّ أىِّ حكيم ؛ لأنَّه لو كان ممكنًا لكان على كفِّ السَّيِّد الحكيم.

رئيسِ الأطباء الأستاذ " كوسوى " الذى يُعَد أستاذًا للأقاليم السبعة خلفًا لآبائه السَّبعة.

كانت طلعتُه شفاءً لروح الخَلْق ولقلوبهم، وكان دواؤُه سَببًا لصحَّة العليل والسَّقيم.

١٠ - رحيمٌ فى علاجه على عباد الله، كان رحيمًا خاصةً لأجل الله الرحيم .

كافح للحصول على الشُهرة الطَّيبة وحصل عليها، إذْ إنَّ اسمَه أصلٌ للخير، ولهذا تبعه الذَّهبُ والفضَّةُ.

كلُّ مَنْ سأله العلاجَ والمالَ، سمع منه : نَعَمْ، ونال النَّعيمَ .

كان شرابُهُ شفاءً لمرضى الحُمَّى ؛ فكأنما كان من السَلْسَبيل ومن تَسْنيم.

بقى منه ابنٌ يتيمٌ ومن عين اليتيم هطلت الدموعُ على وجنته كالدُّر اليتيم .

نواحُ آل ستره وأنينُهم، مزّق أستارَ الصَّبر والعقل تمزيقًا عظيمًا .

كان حكيمًا لا مثيلَ له بين أقرانه، فصار عديمًا بين أقرانه كمثيله المنعدم .

سيبعثُ مبْيَضَّ الوجه حينما لم يَرَ وقت النزع وجْهَ الشيطان الأسود .

مثلما عمَّت شفقتُه على كلِّ العالم ؛ فارحَمْه يا إلهى بفضلك العَميم.

في مدح نظام الدين (ص ٢٠١-٢٠٢)

١ - هَبَّ من بُستان الدَّولة علـى أهل الحكمة نَسيمٌ ؛ فتجدَّد بقدوم السـيِّد قـديمُ الدَّولة المعمورة.

الملكُ " نظامُ الدين ميران " المنْعِمُ على أرباب الفضل، فنِعْمَ المقيمُ في مقام الصَّاحب العادل " عُمَرَ ".

تزيَّن مكانُ ذلك الصَّدْر الكبير من جاه هذا الصَّدْر الكريم مثلما تَزَيَّن الفَلكُ من الشَّمس والقمر والنجم .

وصار ذلك الصَّدْرُ في جنَّات النَّعيم ويبقي القَصْرُ به حتى صار من بهـاء "نظام الدين" مثلَ جَنَّات النَّعيم .

فلا يظهر العقلُ الصَّحيحُ الصِّراطَ المستقيمَ للحكماء الفصحاء إلاَّ في هـذا البلاط،

كلُّ مَنْ له عقلٌ صحيحٌ من أمراء الشِّعر لا يأتي مدحُه في " نظـام الـدين ميران" سَقيمًا.

خاصةً فى دولة المديح التى يدَّخر فيها الشَّاعرُ المادحُ قليلَ الفضَّة ويخرج منها بالعَدَم.

فخاطرُ الشُّعراء المادحين بحرٌ، وصُدورُهم صَدَفٌ، الدُّرُّ اليتيمُ فيهـا هـو مديحُ الصَّدْر " نظام الدين ".

وحين تَشُقُّ القَلَمَ زينةَ المُلكِ نصفين كالفَرق، يُفَرِّق قلمُك الحقَّ عن الباطل في شغل الدِّيوان.

١٠ - وتُحصى من الكفاية ذرَّات الشَّمس فى العَالم، وتدوِّنها بالقاف واللام والميم(١).

وجوفُ قلمك هو عِطاءٌ لمنزل الأمل والخوف من صيانة ومن خيانة عمال المَلك.

أمام كفِّك المعطاء من غاية الجُود والسَّخاء، يتشابه الدُرُّ بالشَّبَّة والدينارُ بالتِّبن والديباجُ بالكساء والأطلسُ بالكليم.

أنت فى أمان الله من غَرَق وحَرْق الدَّهر، مثلُ " الخليل " فى النَّار ومثلُ "الكليم" في اليَمِّ .

ولو يسقط ظلُّ يدك على يد اللَّئيم، يُذهِّب وَجْهَ البسيطة مثل الشَّمس فى الفَلك.

نَظَمَ "السوزنى" مديحًا في الوزير والأمير والمستوفى من الخاطر الدَّراك الفيَّاض الفهيم.

ولأنَّك الوزيرُ والأميرُ والمستوفى ؛ فمتى كان مديحُ الوزير والأمير والمستوفى ذميمًا؟!

فى مدح محمود بن عبد الكريم (ص٢٠٢-٢٠٤)

١ - الأعظمُ ذلك الأفضلُ الذى يكون فاضلا جَوادًا كريمًا، وطالما ما يُثْرى الحكيمُ منه بمديحه له .

والحكيمُ يعرف جَيِّدًا مَنْ الأعظمُ : الفاضلُ الجَوادُ الكريمُ أم الجاهلُ البخيلُ اللَّئيمُ؟!

(١) أى : القلم.

فلا يمدح أيَّ بخيل جاهل ؛ لأنَّ مادحه فى عُرف العلماء ذميمٌ.
بلا شك أنَّ المديحَ للبخيل اللَّئيم الجاهل يأتي أكثر سوءًا وبرودةً وثقلاً وكدرًا وضعفًا وسقمًا .
وأنا أمتدح الكريمَ الجَوادَ الفاضلَ وأثنى عليه، حتى يكون[1] طاهرًا عذبًا حسَنًا سهلاً وسليمًا.
واليومَ، ليس من أبناء الكرام فاضلٌ جَوادٌ كريمٌ سوى تاجِ الدين "محمودِ بنِ عبد الكريم " .
نائبِ صَدْرِ الوزراء الصَّاحبِ العادلِ الذى يُعَدُّ ذاجاه عريض وصاحبَ فضل عميم.
ذلك الذى لا يخطو خطوةً واحدةً في الدنيا فى سبيل دين الحقِّ إلاَّ على الصراط المستقيم .
ذلك الذى يقع في حمايته يكون مستقيمَ الأحوال، والذى يجعل حُرْمَتَه من حُرْمته يُعَدُّ محترمًا.

١٠ - ليس بين الحديث والقديم على وجه البسيطة كلِّها نظيرٌ له وشبيهٌ فى فنون الفضل والعلم .
يشبه حرفَ الألف الذى هو من الاستقامة أصلُ حروف المعجم، وهو لاستقامته مقيمٌ في مقام المستقيمين .
فلا جَرَمَ أنَّه صَدْرُ وسَيِّدُ أقرانه مثلُ حرف الألف على حروف المعجم كلِّها حتى حرف الياء .
لم تَتَلوَّثْ مطلقًا لامُ شفته من ميم الخَمر، ولم يَمِلْ قلبُه قَطُّ إلى معكوس الَّلام والميم

---

(١) أى : المدحُ.

لا يلقي نفسَه فى جُرمٍ لأجل استحسان، ولم يَضع الكليمَ عن النَّار خوفًا من حَشَرة.

ولم تنعكسْ حُمرةُ كأس النَّبيذ على ظَهْر كفِّه، ويُظهر اليَدَ البيــضاءَ مثــلَ الكليم حتى يوم الحَشْر .

يا مَنْ لك اليَدُ البيضاءُ فى كافة أنواع الفضل، ويأتي النَّسيمُ إلى مشامك من وَرْد بُستان الفضل .

لديك عِزَّةُ الفضل التى تصير بها عزيزًا، ولدن كفِّك المعطاء عِزَّةٌ ليــست لدى الذَّهب والفضَّة.

خَطُّك من ناحية الشَّكل على شاكلة الشَّبَّة(١)، وأقــلُّ شــخص يفهــم تلــك المعانى.

عبيدُك لهم أسماءٌ مشتركةٌ مع الحَقِّ، هذا الحديثُ من حيث الـصورة لــه هيبةٌ عظيمةٌ .

٢٠- لم يَثْبُتْ لعَبْدٍ حقُّ المشاركة فى ذات الحقِّ، ولا تكمن هــذه الرَّغبــةُ فــى سويداء قلبه.

فإذا ما كان للعَبْد المشاركةُ فى اسمٍ مع الحقِّ، فمثلُ هــذا التَّــشْريف بــالله العظيم لا يجعله مشركًا.

فاسمُ الحقِّ محمودٌ واسمُ نور الحقِّ محمودٌ وأنت فى هذا اسمُك " محمودٌ " ولا تُعَدُّ لدن الحقِّ أثيمًا .

أنت عَبْدُ الحقِّ والحقُّ رحيمٌ عليك، والحقُّ راضٍ عنك طالما أنــت رحــيمٌ على عبيده .

الحقُّ حليمٌ، ويليق بحِلْمه أن تكون حليمًا على عبيده لأجله .

---

(١) أى : أسود.

أهلُ الدين وأهلُ الدنيا دخلوا جميعًا في النعيم لأجل الحرص والطَّمع، وأنت دخلتَ في النَّعيم لأجل بَذْله وعطائه .

أنت عديمُ المثيل فى العالم بالجُود والسَّخاء، وكلُّ مَنْ يقول إنَّه مثلُك يصير عديمًا من العالم .

لا مَفَرَّ للعظماء من رفيق ونديم، ولذلك فالفضلُ رفيقُك، والعَقْلُ نديمُك .

لو أقارنك بصاحب الرِّى[١] فى الفضل ؛ فلا يكون هناك فرقٌ لو تُبْعَث الحياةُ فى ذلك العظم الرميم .

الآخرون يمارسون السَّخاءَ بالخَمْر، ولديك لا يُعَدُّ السَّخاءُ بها سوى أنَّه تلقينُ الشَّيطان الرجيم.

٣٠- أنت تستطيع بَذْلَ الجُود والإحسان على خَلْق الله، ولكنْ ليس بالخَمْر التى يحضرون بعدها الغسلين والحميم .

فى مثل شهر رمضان مع مثل أهل الصلاح فى مثل المجلس الذى يتقاسم مع الخلد مثل التفاحة .

يكون قولُ الثناء عليك جائزًا ؛ ففى الشَّرع قولُ الثَّناء على أهل الثناء واجبٌ بلا خوف ووَجَل .

فلتكنْ خالدًا فى الثَّناء مثلَ أصحاب الجِنان، وحاسدُ جاهك فى اللَّعْن مثلَ أصحاب الجحيم .

يكون عدوُّك قرينًا دائمًا مع الغَمِّ والحزن، ويكون صديقُك توأمًا مقيمًا بالسَّعادة والهناءة .

---

(١) هو الصاحب بن عباد . وسبق الحديث عنه .

حرف (ن)

فى مدح عين الدهاقين أحمد بن على (ص٢٠٥-٢٠٦)

١ - يا مَنْ فراقُك الدّاءُ لأنّ وَصْلَك الدَّواءُ، أنت الحارسُ لحىِّ الوَصْل وسراى الفراق.

ألقى فراقُ وجهك بالآلام فى قلبى، وليس ثَمّةَ علاجٌ له غيرُ يَدِ وصالك.

لىَ من وَصْلك هَجْرٌ ومن هَجْرك وَصْلٌ، ألا فليتبادلا هذا وصالٌ وهذا هَجْرٌ.

فراقُك وَصَلنى ووَصْلُك فارقنى؛ فعطاؤهما علامةٌ صحيحةٌ هكذا نحوك.

أنت بعيدٌ عَنّى وأحزانُك قريبةٌ منّى، أنت سعيدٌ بدونى وأنا بدونك تعيسٌ ملول.

بسبب فُرقة شفاهك المرجانية اللَّون المفعمة بالسُّكّر، وَصَل حالى إلى الروح وبلغت رُوحى الحلقوم.

أذابنى ماءُ عينى مثلَ السُّكر، وكيف لماء الدَّمع بلون المرجان.

بشَاشةُ رؤية وجهك تكون لى بمثابة مدائح أخرى أمدح بها فى مجلس الدِّهقان ذلك المخلصَ.

سَيِّدَ المكارم والإحسان والجُود ورأسَ مال الفضل، الممدوحَ، عينَ الدهاقين، ومفخرَ الأعيان.

١٠ - ممدوحَ الشَّأن وعَطِرَ السِّيرة " أحمدَ بن على" الذى يشبه "عليًّا" فى السِّيرة و"أحمدَ" فى الشَّأن.

فكيانُ الشَّأن والسِّيرة والمذهب والمروءة، لكلٍّ الدنيا إدعاءٌ وله برهانٌ.

فتخال أنَّ اللهَ قد أتى به من العدم إلى الوجود إلى خَلْق العالم بالجُود والإحسان.

بأىَ نوع من أنواع الجُود والفضل والحكمة، الذى يكون على تلك الشاكلة من الثناء والتزيين(١).

لم تُظهر الأفلاكُ والأنجمُ والأركانُ فى مائة ألف عام ومن مائة ألفٍ سواه.

القادةُ كلُّهم صَدَفٌ وهو – بينهم – مِثْلُ لؤلؤ البحر، العظماءُ جميعًا خَزَفٌ وهو جوهرُ المنجم.

فهو شمسُ الكمال على فَلَك الشَّرف ؛ لأنَّه بلا كسوف وزوال وآفة ونقصان.

فهو فى رأس الجاه والعظمة بمثابة العقل، وهو فى جَسَد الفضل والحكمة بموضع الرُّوح.

لم يُخلَقْ ملكٌ مثلُه فى ثلاثمائة قرن، ولم يأتِ الفَلَكُ بمثله فى مائة دورة.

عِنانُ مركب إنعامه من فوق " الفَلَك ، طنابُ راية إقباله من فوق "زُحل".

٢٠ – لا يتَسنَّى لىَ الانتهاءُ من مديحه، ولو تَسنَّى لىَ أن أكون فى الشَّاعرية مثلَ "العنصرى".

لا يتَسنَّى لىَ الوصولُ إلى مُراده بلسان واحد، ولو يظهر فى فَمى ألفُ لسان.

أنَّى لىَ أنْ أنتهى من كلِّ مدائحه، وهو يزيد عن تلك المدائح بمائة مثلها؟!

أنَّى شِعْرى فى مدح مجلسه موضعَ استحسان، مثلَ شِعر "حَسَّان" فى "محمد المختار".

أيها الراحلُ إلى "كاسان"(٢)، خُذْ مديحى وأوصلْه إلى حيث يكون سيِّدى.

قَبِّل الأرضَ، وقَدِّمْ لىَ فى البداية خِدْمةً: اتْلُ عليه هذه القصيدةَ.

وقُلْ: إنَّ "السوزنى" من فرط شوقه لخدمتك صار نحيفًا مثلَ إبرة الحرير.

---

(١) هذا البيت مرتبط فى معناه بالبيت التالى مباشرة ويفهمان معًا دون فاصلة.

(٢) اسم قرية من نواحى سمر قند تقع على شمال أخسيكت (الديوان . لغات ص ٤٧٧).

وقُلْ: يا سَيِّدَ العَصْرِ وصَدْرَه، تزيد بهجةُ خدمتك فى قلبه لحظةً بلحظة.
لو تَقْبَل أن يأتى هناك لأداء فروض الطاعة، فهو رَهْنُ إشارة منك وإليه.
طالما لم يَرَ أحَدٌ دائمًا فى هذا العالم سكونَ الأرض ودورةَ الفَلك على حَدٍ سواء.
فليكنْ عَدوٌّ دولتك ذليلاً مثلَ الأرض، ودائرًا حولَ الأرض حائرًا مثلَ الفَلك.

فى مدح سلطان (ص٢٠٦-٢٠٨)

١ - شَهْرُ "رمضان" المشَرَّفُ الميمونُ والمحترمُ، يحمل إلى مَلك البلاد غيرةً من "رجب" ومن "شعبان".
مع أنَّه يُعزِّه وكذلك يُجلّه مثلَ شهر "رجب" وشهر "شعبان".
لقد جاء ضيفًا من ظلِّ عرش المَلك[1] عزَّ اسمُه، إلى ظِلِّ مظلَّة المَلك[2] عزَّ نصرُه.
فالمَلكُ سَيِّدُ العالم محبٌّ للضيافة، وزادته طاعةُ ربِّ الكون رُتْبَةً.
لقد فَضَّلَ المَلكُ شَهْرَ "رمضان" المشرَّفَ الميمونَ المحترمَ هكذا عن حاشيته.
بَسَطَ بساطَ العَدْل على وجه البسيطة، ومَدَّ مائدةَ العَدْل والرَّأفة والإحسان.
هو ذلك الذى ليس له حاجةٌ بحقٍّ إلى أذنه ولسانه لأجل سماع الثَّناء وتَرديده.
لأنَّ قَصْرَه يحفظ صَدَى هذا كلِّه ثانيةً، أثناءَ تلاوة العلوم وسماع القرآن.
ليس ثَمَّةَ سَيِّدٌ أكثرُ خشيةً لله منه، ومن خَشْيته لا يُخْبِر أحدًا بشأنها.

---

(١) أى : الله.
(٢) أى : الممدوح.

١٠- من خشية سَهْمه وهيبة رُمْحه، تصير هُدْبُه لعدوّه سهمًا وشَعْرَةُ صَدْره رُمْحًا بلا حرب.

منه الأمْرُ ومن عبيد الحقِّ الطّاعةُ، وعليك تنفيذُ أمْره وأمْر الحقِّ .

ولأنَّ مَلكَ الشّرق الذى هو شمسُ الملوك وظلُّ الله، فقد قام بالصّيام تنفيذًا لأمر الحقِّ .

أيها المَلكُ، حين خَلَقَ السُّلطانُ الكونَ؛ فقد أرادك سُلطانًا على العالم.

صارت الدنيا جِنَانًا معمورةً بعَدْلك، بحيث لا يبقى فيها بَقدْر دائرة عَدْلية خربةٍ (١).

بَسَط طائرُ "هُما" عَدْلك ظِلَّه على رأس الخَلْق؛ قوادمُه من الصلاح وخوافيه من الأمان.

صارت الدنيا فى عَهْدك جِنَانًا من البهجة، ورعيَّتُك متبخترون فيها مثلُ أهل الجِنَان.

صار الظّالمون معدومين فى ممالك المَلك، لأنَّ ديَّةَ الظّالم صارت قليلةً وبلا قيمة.

خلافُك لا يستغرق فى صُدور مخالفيك لحظةً من الفَم إلى الشَّفة طالما يقتلعون أسنانهم.

ولقد فَرَّ المخالفون منك زمن ملكك المحكم؛ كما فرَّ الشيطانُ من ظِلِّ عُمر (٢).

٢٠- المَلكُ(٣) يُصفّد الشّيطانَ فى شَهْر "رمضان"، مثلَ الصّوْم الذى صوَّب

(١) فضَّلتُ ما جاء فى الحاشية هنا بخصوص الشطر الثانى من البيت لخدمة المعنى ووضوح الصورة.

(٢) إشارة إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" إن الشيطان ليفرّ منك يا عمر".. الإمام السيوطى – الجامع الصغير – ص١٢٥.

(٣) أى : الله.

السَّهْمَ والقوسَ والنَّصْلَ صوبَ المعصية.

ويتدرَّع الغلامُ بدرع الصَّوم؛ لأنَّه يتبعك فى كلِّ مقام ومكان.

فلتكنْ فى أمان الحَقِّ فى كلِّ مقام ومكان، وتَتَنفَّس فى أمان دائمًا تحت ظِلِّ الصوم.

ولتَحْمِلْ إليك رياحُ ليلة القَدْر، ثَنَاءَ الروح وسَلاَمَ المهيمن المنَّان حتى مطلع الفَجر.

وليبقَ عُمْرُك ألفَ عيد فى شهرين: الأول شَهْرُ عيد الفطر والثانى شَهْرُ عيد الأضحى.

أيها الحكيمُ "السوزنى" مضى عنك ذلك الزَّمنُ الذى كنتَ فيه تَشُقُّ جَبَلَ الحديد بإبرة الحرير.

أضحيتَ شيخًا واهنًا لا تقوى على الخدمة، مع أنَّك منغَمسٌ فيها سواء أكنتَ شيخًا أم شابًا.

فاطْلب البقاءَ للمَلك الذى له طالعُ الشَّابِّ وحكمةُ الشَّيخ، سواء أكنتَ شابًا فى ربيع العُمْر أم شيخًا فى خَريفه.

فى مدح حسام الدين (ص٢٠٨-٢٠٩)

١ - جيشُ بطل "التركستان" أعطى قادةَ مُلك "سمرقند" جمالاً مثلما الرُّوح للجسد.

"حُسَامُ الدين" الذى يقْسِم حُسَامُه القاطعُ العدوَّ يوم الهيجاء نصفين من المفرق حتى الوسط.

يجعل عدوَّه نصفين هكذا؛ لأنَّ النِّصفَ لا يقبل من النِّصف بقدر ذرَّة زيادةً ونقصانًا.

وحين يمتطى صَهْوَةَ بُراقه سريع العَدْو وقت الوغى، يصير العِنـانُ فـى الكرّ خفيفًا والرّكابُ ثقيلاً.

فأسلوبُه أنْ يلتقط رُمْحُه الرَّجلَ المبارزَ من الميدان مثلمـا يلـتقط الطـائرُ الحبَّة بمنقاره.

يصير رُمْحُه من نار الوغى مثلَ السفود، وقد أضحى المبارزُ عليه دائـرًا مكان الطائر.

وحين يقبض على السَّهم والقوس بشَصِّه وبقبضته، تشتعل الفتنةُ على قوس قزح وعطارد الفلك.

وحيثما يطلق سَهْمين أثناء إصابة الهَدف؛ فإنَّه يطلقهما بمهارةٍ مـن ثُقْـب هذا الهدف.

يصل مـن صـرير قوسه المشدود وقت الحفيظة إلى مسامع العـدوّ آيـةُ "كلٌ من عليها فان"(١).

١٠- لو أقارنه بـ"رستم بن دستان"، لا تأتى المقارنةُ فى صـالح "رسـتم بـن دستان".

ذلك لأنَّ "رستمَ" قد نال البطولةَ تارةً بالمبارزة وأخرى بالحيلة والخـداع.

وهو – الممدوح – قد نالها كلَّها بالمبارزة مثلما هو معلوم ويعلمه الميـدانُ كذلك.

حين ينظر من باب "جينانج" ناحية "الـصين" بهيبـة، يـصير "المعـرضُ المانوى" خَرابًا من الزَّلْزلة(٢) .

---

(١) سورة الرحمن (آية ٢٦).

(٢) "ارتنك مانى" هو: معرض "مانى" وكتابه للصور والرسومات الإعجازية. وسبق الحديث عن "مانى" هذا وكتابه أو معرضه.

لقد وضع على سبيل الرغبة مرآةَ الصِّين على ظهرها، بحيث يظهر فيها هيئةُ أهل الصين.

فلم يَعْبأ بمَلك الصين على صفحتها ولم يطلب ودَّه.

يا مَنْ ملاذُ كلِّ الخَلْق تحت رايتك، وأسدُ السماء[1] يستغيث من أسد بيرقك.

وتتوارى الشَّمسُ خلفَ الحائط كالظِّل وقت الظهيرة خجلاً من رأيك - النَّاصع -.

لو تطالع بنور رأيك، تستطيع أن تَرى كلَّ خفى فى الدنيا عيانًا بيانًا أمام ناظريك.

مهابتُك تُخَرِّب الدنيا فى لحظة واحدة، هيبَاتُك تُعَمِّر خرابَ الدنيا.

٢٠ - إنْ لم تَمْضِ الدنيا وفقَ مُرادك لحظةً واحدةً، تُطيح باسمها من الدنيا غضَبًا.

بناءُ قلعتكَ "جينانج" يقوم على عَدْلك، مثلما يقوم بناءُ مدينة "المدائن" علىَ عَدْل "أنوشيروان".

من شدَّة سياستك فى تلك الدِّيار والنَّواحى، يحتمى الذِّئبُ تحت لباس الرَّاعى.

فى يوم المحفل، ينهمر الذَّهبُ من كفِّك هكذا، مثلَ الورَق المذهَّب من الشَّجر بفعل رياح الخريف.

فليكنْ محفُلك دائمًا مثلَ البُستان فى الرَّبيع يغصُّ بالورق الطروب والبُلبل الصدَّاح بالمدائح.

ما مرادُك من الدنيا؟! فليكن لك محقَّقًا كلُّ ذلك الذى تَرغبه وتهواه ولا تَحقَّقَ غيرُ ذلك.

---

(١) أى : برج الأسد.

فى مدح عثمان اغل (ص٢١٠-٢١١)

١ - يا مَنْ عارضُك وقدُّك علامةٌ على السَّرْو وعلى القَمر، سَـرْوُك طـروبٌ وقَمَرُك مُبْهجٌ.

يثنى المادحُ على عارضك وقَدّك؛ فأنت على هذا قَمَرُ السَّماء وعلى تلـك سَرْوُ الخميلة.

فالقَمَرُ على السَّماء وأيضًا السَّرْوُ فى البُستان فى خجلٍ؛ فذاك من العُتمـة وهذا من التّقوس.

يا مَنْ قامتُك مثلُ السَّرْو ومحيَّاك مثلُ القَمَر، لقد جعلتُ وجهى بلون السَّماء من لطمى عليه .

لك ثَغْرٌ يُشْبه شَقَّىْ حَبة رُمَّان، ولكنْ ينتصفه صفًّان من الدُّرّ الصافى.

وفى صُدور العشاق مائةُ شُعلةِ رُمَّان من شَقَّىْ حَبَّة الرُّمان تلك التـى بهـا صَفـُّ الدُرّ ذلك.

لو تمنح قُبْلَةً واحدةً من ثَغْرك، يعود الراحلون الوالهون بالقلب، والذَّاهبون العشَّاقُ بالروح.

وحين يُثَمِّنون قُبلةً واحدةً منك هناك بالروح؛ فإنَّ تلك القُبلـةَ عنـدنا هـى ممنوحةٌ مجانًا.

العاشقُ الذى رآك لم يَعُدْ له درايةٌ بالرُّوح، وكيف يكون لـه درايـةٌ مـع عشقك فى كلا العالمين.

١٠ - حتى لا تتوهم أنَّ هذا الشَّخصَ يكون له روحٌ من مثل هذا الجمال وقلـبٌ أسيف على عاشقه.

يا مَلِكَ حِسَان الصين لأجل ماذا أنت ناهضٌ هكـذا بقامـةٍ تُـشبه رايـةَ "كاويان"(١) الخفَّاقة.

(١) أحد أبطال الشاهنامة وسبق الحديث عنه فى إحدى الحواشى.

وعارضٍ يشبه الوَرْدَ والخُضرةَ، وضفيرتين هما درعٌ من المسك، وأهدابٍ تشبه السَّهْمَ النَّفاذَ، وحاجبٍ يُشبه القوسَ الرائع.

فتخال أنَّ محفلاً قد تَزَيَّنَ بأمْرِ المَلك "عثمان اغل ارسل بن تكش أرسلان".

قطبُ الدّول ذلك الذى فى مجال البطولة والمروءة أظهر للخاصّة وللعامّة بوضوح أنّه ابنُ أبيه(١).

الحكيمُ القائدُ الذى تضطّر الأسودُ الكواسرُ إلى طلب الأمان منه من القتال.

يومَ الحفيظة يهرب أعداؤه رُعْبًا من حملته وبأسه.

أمَّرَه مَلكُ الشّرق والصين على جيشه قائدًا وبطلاً، وهو لا يؤَمِّر مَنْ لا يستحق(٢).

يَدْحَرُ بخفّةٍ مائةَ صَفٍّ من المبارزين حين يحمل وحده وقت العراك حملةَ غاضبٍ.

وفى وقت الأريكة ووقت العريكة يكون من ساعده وراحته النَّفْعُ لأحبابه والضَّرَرُ لأعدائه.

٢٠ - أمام صفاء رأيه يكون للشمس خجلٌ، وأمام شدّة بأسه مَنْ له القوّةُ ؟!(٣).

ولو يصبح عدوُّه جَبَلاً فإنَّه يقتلعُه من موضعه بيُسْرٍ، ويكون اقتلاعُه له بسِنِّ رُمْحه أمرًا ميسورًا.

على فخذ براقه(٤) وسْمٌ يكون طالعًا، يأتى وقت الوغى تحت فخذه.

فلا جَرَمَ أنْ يعقد عدوُّه عقدةً على حزام هذا البراق حين يُهيئ العِنانَ.

كلُّ مَنْ يقرأ أخبارَ الأوائل الرّاحلين فقد رآه أمامه بوضوح رجلاً كاملاً.

---

(١) أى : تكش أرسلان.

(٢) الترجمة الحرفية لهذه الجملة الأخيرة هى: لا يُحمّله لأحمق.

(٣) فضلت فى الترجمة "توان" بدلاً من "تاوان" حسب تنويه "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص٤١٦) والتى أتت فى نسخة أخرى للديوان غير نسخة المحقق.

(٤) أى : فرسه.

وسواء أقرأتَ أخبارَ الرَّاحلين أم لم تقرأ، طالعُه فى قتاله يوم اللقاء.
لم يَرَ أحدٌ طَوال الدَّهر ما يقارن بإنْعَامه، ولم يشاهدْ أحدٌ من الخَلْق حَدًّا لإكرامه.
حول أعناق الخاصَّة والعامَّة طوقٌ من برِّه، ولو تمنطقوا بنطاق خدمته.
وأنا أتمنطق فى خدمته من القلب ومن الطَّبع، وينطلق لساني بمديحه بصفة دائمة.
بناءً على أنَّ الأرضَ والفلكَ ثابتان، وأنَّ الزمانَ ثابتٌ من حملهما .
٣٠ - فليكنْ أمْرُه جاريًا على أهل الزَّمان، وليكنْ بهيجًا وسعيدًا طَوال اليوم والشَّهر والعام.
وليكنْ لك الإقبالُ والبقاءُ فى تَبَخْتُرٍ وهَنَاءة، والدَّوامُ فى النِّعمة والخلودُ فى الدَّولة.

*** (ص ٢١١- ٢١٣)

١ - يا مَنْ لا يروق لك مَكْرُ الماكرين، ويجرى عليك دُعاءُ الصالحين.[١]
لا حاجةَ لك لحراسة اليقظين، فطالعُك الطَّيبُ متيقظٌ .
فالله قد خلقَك ويحفظك بغير حراسة الحراس وحمايتهم .
فأنت اليومَ المطلقُ فى زمانٍ هو الحارسُ بعيدًا عن الحراس .
فأنت الضَّروريُ لمصلحة العالم، وأنت - البَلْسمُ - الأفضلُ لصدور المهمومين.
فأنت - حقًّا - الهبةُ العظمي من الله إلى عبيده وخَلْقه .

(١) القصيدة ليس لها عنوانٌ في الديوان، وليس بها ما يشير إلى مَنْ كتبها الشاعرُ، ولكن يتَّضح أنَّ هذا الملكَ الممدوحَ قد تعرَّض للاعتداء على قصْره ونَهْبه ومحاولة اغتياله من بعض الأمراء، ولكنَّ المحاولة قد فشلت وأنه قد نجا منها .

مَنْ يُسقط شَعْرةً واحدةً من رأسك ؛ يُقَدِّرها لدى المشترين بقَدْر مائة رُوح.
المجانين – فقط – لا العقلاء مَنْ يُضمرون السُّوءَ لشَعْرك ولجسدك.
الجاه والدولةُ هما المعماران لدولة قصر عُمْرك العزيز .
فالمعمارُ النَّابهُ يعلم جيِّدًا العمالَ النَّابهين من العاطلين.
فلو يقتلعون بابَه[1] ولا يتركونه، وخاصةً المتسَوِّرين للأسوار.
فأنت الصَّاحبُ وصاحبُ الإقبال، وقد انْدَحَر أعداؤُك وأدبروا .
صار أعداءُ روحك جِفْنَةً، ناقصةَ القلمة زهيدةَ القَدْر.
وصار الجائرون على رُوحك، هم الجناة على أرواحهم .
توهموا أنَّ الأمْرَ سيكون ميسورًا ؛ هؤلاء المساكينَ العابثِينَ الواهمينَ.
فالاستغاثةُ تهب قوةَ الخلاص من الحَبْس، وهذه حقيقةُ الاستغاثة من المحبوسين .
لقد هجم السَّادةُ دفعةً واحدةً على دولتك طلبًا لكل كنوز "سنجار"[2].
فكيف تَمَرَّد عليك في النهاية شِرْذمةٌ قليلةٌ من الأمراء المتسكِّعين.
مكروا بك ولم يفلحوا،وحَاقَ ذلك المكرُ بأهْله.
كانوا يطلبون عيارًا من العَبَث ؛ فنالوا مأتمَ العَيَّارين.
كان سَفكُ الدِّماء مأربَهم، حاشا لله، لقد صاروا قتلةً وليسوا سفَّاكي دماء.
إنَّ اللهَ العزيزَ هو الذي مَنَحك الرُّوحَ بصفة دائمة ؛ فهلاَّ كانت بيد هؤلاء الحقراء ؟!.
لك مثلُ خوالج الأبرار النَّقيَّة سِرٌّ واضحٌ مع الله .
وقد كشَفَ اللهُ بك مكنوناتِ مَكْر الماكرين .

---

(١) أى : باب القصر، والفاعلُ هؤلاء المتمردون .
(٢) اسم قلعة فى الموصل وديار بكر، ويقال : إن السلطان " سنجر " قد وُلد فيها (الديوان : لغات . ص ٤٦٢)

وأيقن أهلُ العرفان وأهلُ الوَرَع، أنّ لك مع الحَقّ كراماتٍ كثيرةً .
في كلِّ دَرْبٍ لا يعرف أحَدٌ له مَخْرجًا، تكون رفقتُك [1] مخرجًا للبائسين.
الإقبالُ والطّالعُ والدولةُ هم رفقاؤك، وأنّى لهؤلاء الرُّفقاء أنْ يتركوك نَهْبًا للسُوء .
فأنت لم يَصدُرْ عنك سوءٌ وإن يصدر أيضًا، فالسُّوءُ شعارُ القوم الآثمين .
فاليأسُ يُيَبِّس بذْرَةَ الأمل في فرقة الطَّرَّارين المزروعة في أرض سبخةٍ.

٣٠ - مَنَحك الجبّارُ في الدنيا يدًا تَدكُّ بها أعناقَ الجبّارين .
ويَدُعنايتك تزيح الأحمالَ الثقيلةَ عن كاهل الحاملين لها .
فلا أصابك هَمٌّ وغَمٌّ حتى تكون المواسيَ الموعود للمهمومين.
وطالما يوجد انكسارٌ وتعقيفُ في ضفائر ذوات العوارض والوجنات الشّقائقية.
فليكنْ وجهُك موافقًا لجاهك، له صفاءُ شقائق قاطني الجبال وحمرتُها.
وليكنْ أعداؤك في انكسار وانقلاب أيضًا مثلَ الطُّرَّة على وَجَنات الغِيد .
وهؤلاء الذين أعرضوا كشْحًا عن أمْرك، يصير شَعْرُهم حيّاتٍ على أجسادهم.

في مدح مسعود بن حسن (ص ٢١٣-٢١٥)

١ - جلوسُ مَلكِ العالم على عرش مُلْك " افريدون "، أفضلُ من جلوس "افريدون" ؛ لأنّه أفضل منه .
وحين أطَلّ "افريدون گاوسار"[2] برأسه، توارت رأسُ " الضحاك مارسار"[3] تحت الثري .

---

(١) فضلتُ ما جاء في الحاشية هنا لأجل المعنى .
(٢) گاوسار – كما سبق أن أشرنا – بمعنى گاوسر وهي هراوة أفريدون الشبيهة برأس الثور .
(٣) مارسار – كما سبق أن أشرنا أيضًا – صفة للضحاك صاحب رأس تشبه الحيَّة . أو كان على كتفيه حيّتان طعامها دائمًا مُخ البشر .

فتحوّل الانتصارُ من هراوة" افريدون " إلى رُمْح "مَلك تـوران" الـشبيه بالأفعى.

وصار المَلكُ القادرُ والظَّافرُ منصورًا بنَصْره يوم العريكة على الأعداء .

ورفع فى الحال و بلا توانٍ من خيمته ما يفوق عَلَمَ "كاويان " و " افريدون" كثيرًا.

ولقد استقرَّ المَلكُ " كيو مرث " على عرش مملكة "افراسياب" و"افريدون"، وأصْدَر أوامرَه.

ملكُ العالم، ذلك الذي يُعَد آباؤه ملوكًا للعالم حتى إلى " طهمورث " .

فالله جلَّ جلالُه لم يخلق ملكًا جليسَ العرش سليلَ المُلك مثلَه .

ولا يجوز للسان أن ينطلق بالاستحسان ولا يتَسنَّى له القولُ بأنَّ ثمة ملكًا أعطى بمثل ما يعطيه سليلُ المُلْك .

١٠ – مَلكُ ملوك الشَّرق وسلاطينه ركنُ الدين، الذى هو " حاتمٌ " بالبَذْل و"نوشروانُ " بالعَدْل .

" أبو المظفر مسعودُ بنُ حسن " مَلكُ الشرق، الذي يُعَد اسمُه أصلَ السَّعادات والإحسان.

لقد رفع الطَّالعُ بسعادةٍ عَلَمَ " كاويان " على دار مُلكه وشَيَّد له قَصْرًا على كوكب " زُحل ".

وحين شَيَّدوا قَصْرًا باسم المَلك على كوكب " زُحَل " تَحَوَّل كليةً – أى زُحَل – إلى كوكب السَّعد (١).

مَرْحَى للمَلك مسعود الطَّالع والاسم الذى لن تحظى " الشَّمسُ " بمساوِله بين الأنجم والأركان (٢).

---

(١) كى تتضح الصورة هنا نشير إلى أن كوكب " زُحَل " هو كوكب النَّحْس .

(٢) فضلت ما جاء بحاشية هذا البيت لكمال المعنى .

أنت ذلك الجوهرُ الذى يظفر به وكيلُ جوهر المنجم على الفلك من مــنجم المُلك من برج رأيك .

يقوى بدولتك قلبُ أهل " سمرقند"، هؤلاء السَّائرون علــى دَرْب طاعتــك بأجسامهم وبأرواحهم .

اعلَمْ أنَّ " سمرقند" فى الخبر هى " جنَّةُ المأوى "، وقد صار ذلك الخبرُ فى عهدك الآن واضحًا عيانًا بيانًا .

تحصل " الجِنانُ " على زينتها بـــ " رضوان "، وقد صارت " سمر قنــدُ " هى "الجِنان " وصار عَدْلُك هو " رضوان " .

وصارت الدنيا بعَدْلك مثلَ الجِنان فى الحُسْن، وصارت رعيَّتُك من عَــدْلك ساكنى الجِنان.

٢٠ – وصار المَلكُ على أهل " سمرقند " مثلَ الصَّدَّاح فوق غُــصْن " الطــوبي " يَصْدَح: " طوبى لهم وحُسْنَ مآب "(١).

لا تخلو الدنيا من الظِّل ومن الشَّمس، ويتساوى العالمُ والجاهلُ فــى إدراك هذه المعاني .

فلا خَلَت الدنيا منك بذلك المعنى ؛ لأنك شمسُ الملوك وظِلُّ الله .

ولتكنْ دائمًا سَيْقًا وهَّاجًا كالشَّمس، وليُولِّ عدوُّك هاربًا منك من مكان إلــى مكان كالظِّل .

يتواري أعداؤك منك مثلَ الخفاش، ويبسط أحبابُك أياديهم وألــسنتَهم مثــلَ الحرباء .

جَذَب الشَّيخُ الحائكُ " السوزنيُّ " خيطًا فى عِقْد جوهر مدحك من ثُقب إبرة الحرير .

---

(١) هنا تضمين للشاعر للآية القرآنية المذكورة والمأخوذة من (سورة الرعد آية ٢٩) .

فليكن الشَّابُ والشَّيخُ قرينًا لك ومؤنسًا، أىُّ شيخ وأىُّ شــاب ؟، إنَّــه رأىُّ الشيخ وطالعُ الشاب.
عِشْ محترفًا عَدْلَ " عُمَر " طَوال العُمْر وخالدًا به ؛ ذلك لأنَّ اسْمَ " عُمَر " يبقي خالدًا بالعَدْل .

فى مدح افتخار الدين عُمَر(ص ٢١٥ - ٢١٦)

١ - جاء عيدُ الأضحى المبارك فى فصل الخريف، وتصادف إراقةُ الدَّم لهــذا[١] مع تَسَاقطُ وَرَق ذاك[٢].
وحين حدث التَّصادفُ الطَّيبُ لعيد الأضحى مع فصل الخريــف ؛ ظهــر بينهما إراقةُ الدَّم وتساقطُ الورق.
فإذا كانت إراقةُ الدَّم موضعَ خلاف قبل هذا ؛ فلماذا هى موضــعُ اتفــاق الآن؟!.
لقد جاء الخريفُ وأرَاقَ دَمَ عرائس الحديقة[٣]، كى يبين تصادفَه فى ذلــك مع العيد .
فالورقُ وهواءُ المحفل تُهَيِّئ إراقَةَ دَم هذا ، والطعامُ وإعدادُ المائدة تُهَيِّــئ إراقةَ دَمِ تلك.
إراقةُ دَمِ هذا تجعل قنينةَ الخمر ثمينةً، وإراقةُ دَم تلك تجعل ميزانَ الطَّاعة ثقيلاً .

---

(١) أى : الأضحية.
(٢) أى : الخريف.
(٣) أى : أوراق الشجر.

وحين رَحَلَ فصلُ الربيع عن الحديقة ؛ تناقصت نضارةُ " الأرجوان " ونديُّه فجأةً.

وحينما أخفى " الأرجوانُ " وجهَه فى الحديقة، صار وَرَقُ كلِّ شجرة من الغَمِّ مثلَ " الزَّعفران" .

تَصَادف مجيئُ العيد والخريف معًا، وسعد الخلقُ بهذا التصادف بينهما .

١٠ - وكان الأكثرُ سعادةً من بين الخَلق بالعيد وفصل الخريف هو موضعَ افتخار دين النَّبى صَدْرِ الأسرة .

الشَّريفُ السَّيدُ الأجلُّ المرتضى الرضا، الذى هو بطلُ أولاد مرتضى والرضا.

وقد صار على مملكة الفضل السلطانَ الموفَّقَ ؛ فهو نتاجُ تربية السُّلطان الموفق .

ابنُ شمس الدين " عُمَرُ "، ذلك الذى يطرح مثلَ شمس السماء نورًا من جماله على الدنيا.

فهو أسْمَى من السماء فى القَدْر والهمَّة، وأطْهَرُ من ماء السماء فى الأصل والنَّسب .

ماذا يأتي من " شمس الدين " سوى " افتخار الدين " ؛ فلابد أنَّ " الصَّقْرَ " يعود للتحليق من أيكه "(١).

هذا الابنُ يكون مثلَ ذلك الأب، وليس ثمَّةَ عَجَبٌ فى ذلك مطلقًا ؛ فالفرعُ الطَّيِّبُ يكون من الأصل الطَّيب .

---

(١) هذه الجملة تقع فى الأصل الفارسي بين قوسين أيضًا ولا شك أنها من قبيل " التضمين " من شاعر آخر .

يا مَنْ أنت مثلُ أبيك، صَدْرِ آل بيت النَّبى، لقد أضحيتَ شــمسَ الأقربــاء وفَخْرَ الأسرة .

حَدْسُ " شمس الدين " صار فيك يقينًا ؛فأنت ابنُ " شمس الدين "، وأنت بلا شك منه .

فأنت من حيث الجُود بلا نهاية ومن حيث الفــضل بــلا مقارنـــة، وأنــت محبوبُ كلِّ قلب ومذكورُ كلِّ لسان.

٢٠ - فأنت لك كلُّ فضل ؛ لأنَّ قلبَك مَزيَّنٌ بكلِّ علم، مثلما الجِنانُ مزينـــةٌ بكــل نعمة.

وضميرُك نَقىٌّ ومفتوحٌ على الخاطر، ولا يخفي عليك سِرٌّ سوى سِرِّ عـــالم الغيب .

أنت واجبٌ فى رأس المروءة كالعين، وجديرٌ بجسد الفتوة كالروح.

يصير " عطاردُ " الفَلك من فرط الخجل من قلمك وقت كفاية الــدنيا مثــل سهمك فى القوس .

ولم تكن بالسَّاحر ولم يكن جَدُّك ؛ فكيف بالله تُظهر هــذا الــسِّحْرَ بقلمــك وبنانك؟!.

طالما يأتي العامُ ويمضى دائمًا أبدًا، ويأتي العيدُ مرتين وفــصلُ الخريــف مرَّةً واحدةً.

ألا فاقْضِ كلَّ خريف وعيد يأتى متبخترًا، سعيدًا بالدَّولة وخالدًا بالإقبال .

فليكنْ عدوُّك مجرَّدًا مثلَ الشَّجرة فى فــصل الخريــف، ولــتكنْ روحُــه أضْحيتَك مثلَ خروف العيد .

فى مدح فضل بن عمران (ص ٢١٧-٢١٨)

١ – أتى العُمْرَانان : الكليمُ والكريمُ، كليمُ الله وكريمُ خراسان.
المعتنى بدين الله الذي يشبه " موسى بنَ عمران " فى التَّمسُّك بالدِّين.
القائدُ " فضلُ بنُ عمران " الذى يُعَمِّر بيد الفضل عالَمَ الفضل .
أنَّى ليد " موسى " البيضاء تلك الشاكلةُ التى عليها يَدُه البيضاءُ فى الجُـود والإحسان.
فهو يُظهِر من قلمٍ مائةَ لون من البراهين فى كلِّ أمر يتصدى لـه، مثلما يفعل "موسى بن عمران " بالعَصَا .
فقلمُه الشَّبيهُ بالثعبان يُسَيطر على كلِّ سَحَرة أرباب الديوان.
هو العامرُ لمُلْك سُلطان العالم، مثلما " فرعونُ " و"هامانُ " المخرِّبان له.
يكون منه فى الدين زيادةٌ وقوةٌ، ويكون منه فى الكفر ضعفٌ ونقصانٌ .
ولأن " موسى " قد ضرب بعصاه الحَجَرَ ؛ فانْبَجَسَتْ منه العيونُ الجاريـةُ فى الصحراء(١) .
١٠ – فكذا – " الفضلُ بنُ عمران " حين يحمل القلمَ على الورق، تنهمر الأمطارُ من إحسانه على مائة مدينة .
وإذا كان دينُ موسى قد قوى " بموسى " ؛ فإنَّ مُلْكَ السلطان قد قوى مـن "فضل ابن عمران ".
وإذا كانت " مصرُ " فى عهد " موسى " على شريعةٍ ؛ فكفَى أهلَ الإيمـان أنَّهم فى طاعة " الفضل ".
ألا يا مجدَ الإسلام الذى تسعد بك قلوبُ مئات آلاف المسلمين.
أنت سَعْدُ الدولة، أنت زينُ الملَّة، أنت فَخْرُ الأمة، أنت شمسُ العالم.

---

(١) استفاد الشاعرُ فى تكوين صورته فى هذا البيت من مضمون قولـه تعـالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (ســـورة الأعراف – آية : ١٦٠).

صار عالمُ السَّخاء بك منيرًا، ونال فلكُ الكفاية بك الدوران .
لك الهمَّةُ العاليةُ بحيث تَطأ مفرقَ " زُحل " بقدمك .
ولك رأيٌ بحيث تُخضع " المشترى " فى الفَلك الدائر إلى تدبيرك.
وفى يوم الهيجاء يكون " المريخُ " المتمرِّدُ أكثرَ عبيدك انقيادًا فى الميدان.
لقد منحتَ " الشَّمسَ " من نورك ما جعل ظُلْمةَ الظُّلم تتحسر على صفحة الدنيا.
٢٠- وتأتي " الزُّهرةُ " من الفَلك بالبشاشة للأرض ؛ لأنَّها تعزف النَّغمات فى محفلك.
وما إنْ تَسحب من المقلمة قلمًا يشبه السَّهْمَ، حتى يصير " عطاردُ " الفَلك قوَّاسًا.
ويصبح " القمرُ " فى كلِّ شهر نَعْلاً ذهبيًا[1]، كى تجعله نَعْلاً لحصانك فى الميدان.
وأنَّى " لنار " عَدوِّك أنْ تشتعل، و" الماء " فى شهر آبان يجعلها فحمًا؟!.
ومن " رياح " خُلقك الحَسَن، يطل الريحانُ الذَّابلُ برأسه من تحت "التراب" فى فصل الشتاء[2].
لأنَّ الإلهَ قد خلَق فى ذاتك من حُسْن الطَّالع ومن توفيق البخت .
عُلُوَّ قَدْرٍ دائمًا على هذه النجوم السَّبعة، وتوفيقًا دائمًا على هـذه الأركـان الأربعة[3] .
فأنت فى هذه الدنيا دنيا أُخرى ؛ لأنك ستكون الدنيا ومَلِكَ الدنيا أيضًا.
وطالما تكون الأرضُ والفَلكُ دائمًا، مثلَ سكون الكُرة ودوران الصولجان.
فالْعَبْ دائمًا مع كُرة نونة ذقن المعشوق الفضيَّة بصولجان ناصية ذؤابته المسكيَّة.
٣٠- ولا تركنْ لحظةً واحدةً من لعب الكُرة بسبب سكون هذه وبسبب دوران ذلك.
ولتَنْزَعْ يَدُ الأجل بالصولجان رأسَ حُسَّادك بكُرة فتحة عنق الثَّوب .

---

(١) أى : هلالاً .
(٢) نلاحظ من القصيدة اعتمادَ الشاعر على أسماء الكواكب وأسماء العناصر الأربعة التى هـى أصل الخليقة – كما يرى البعض – فى تكوين صوره وقد وضعنا هذه الأسماء جميعًـا بـين قوسين لإظهار ما يعنيه الشاعر .
(٣) أى التى ذكرها فى أبيات القصيدة وأشرنا إليها فى الحاشية السابقة مباشرة .

في مدح تاج الدين محمود (ص٢١٨-٢٢٠)(١)

١ – ذلك الذي له نارٌ دخانُها عَنْبرٌ يحمل ماءَ الوَرْد؛ فالترابُ كامنٌ فـــى نـــار وجنته، والرياحُ من دخانه المعَنْبر .

فذلك الذى يحمل ماءَ الورد من نار عنبرية الدُّخان يتيسَّر له روضةٌ فَوَّاحةٌ بالعَنْبر من الرِّياح والتراب .

وحين أحتفظ بوقارى أمام الحبيب، أكون عابثًا ؛ فالنَّارُ المضرمةُ فى القلب كامنةٌ تَحت رماد الصَّدْر .

ونارُ القلب تحمل سيلَ الهُدْب المغطى للتراب ؛ فكيف أقهر الـــرَّوحَ التـــى تحرِّك الجسدَ ؟! .

ولأنَّ أصلَ خَلْقى من الرياح والتراب والماء والهواء ؛ فقد احتويتُها بـــين جوانحي.

فحرارةُ نار عِشق الحبيب وبرودةُ ماء مؤانسته، أستدعيها بخفَّة الرِّياح ولو كانت بثقل التُّراب.

فى ذلك الفصل الذي تصير فيه رياحُ العنبر مثيرةً للتراب(٢)، تُشْعل النَّـــارُ وجهَ الشَّقائق بماء السَّماء(٣) .

وعَنْبرُ الحبيب(٤) عابدُ النَّار(٥) يندفع أيضًا بفعل الرِّيـــاح(٦) ؛ فـــأنْثُر علـــى تراب أقدامه من أهدابي ماءَ الأرجوان.

---

(١) يراعى أن الشاعر قد لجأ فى هذه القصيدة إلى الصَّنْعة فى مدح الممدوح ؛ إذ يتلاعب فى كلِّ بيت من أبياتها كلهِّا وبلا استثناء بألفاظ العناصر الأربعة (الماء، الهواء، التراب، النار) التـــى يقال : إنها أصلِ الخليقة، واضطررنا إلى الحفاظ فى الترجمة على ذكر أسماء هذه العناصـــر الأربعة فى كلِّ بيت من أبيات القصيدة حفاظًا على صنعة الشاعر التي أرهقتنـــا كثيـــرًا فـــى ترجمتها وفهم ما يعنيه الشاعر باستخدامها فى القصيدة .

(٢) أى : الخريف.

(٣) أى : المطر.

(٤) أى : ضيفرته.

(٥) أى : وجنته.

(٦) أى : تهفو الضَّفيرةُ وترفرف على وجنة المحبوب .

والحبيبُ لا يأخذ دَمْعَ العين ثمنًا لتراب أعتابه، ويريد أن يقول : إن الذَّهَبَ الأحْمرَ – يأتى – بعد هُبوب الرِّياح.

١٠ – ورياحُ جُود " تاج الدين محمود " تمنح مثلَ التراب ذَهَبًا يشبه النَّارَ ثمنًا لشِعر يشبه الماءَ الجاري.

"تاجُ الدين " ذلك الذى له لطفُ الماء وحِلْمُ التراب وإسرافُ الرياح، الصَّدْرُ عظيمُ الهمَّة الثَّائرُ ذو البأس .

ذلك الذى يكون ترابُ " توران " بغير ماء دواته[1] مثلَ مَجْمَرٍ بلا عود ونار ومثل سفينةٍ بلا شراع.

ذلك الذي يكون الخنجرُ المصقولُ واهبُ الرُّمْح شهابًا ملتَهبًا ؛ أمام قلمه مثلَ ترابٍ تذروه الرِّياحُ .

وذلك الذى خَلَقَه اللهُ من ماء وتراب الرأفة والرحمة، فرياحُ خلقه التى ليس لها نارٌ مسْكٌ وبانٌ [2].

لو تَمنح الرِّياحُ ترابَ حَيِّه هدية من الماء، فيصعد من غديره الذَّهَبُ الأحْمَرُ على كفِّ العبهر[3] .

والفَلكُ الأزرقُ – يصنع – من الهلال نَعْلاً أحْمَرَ لأجل رياح قدمه، فيخطو به على التراب وازنِ الدنيا .

ولو كان " حاتم الطائي " مخلوقًا من رياحِ البرِّ ومن تراب الكرم، ومن نار جهنم الشبيهة بالياقوت مع الماء الجاري[4].

---

(١) أى : الحِبْرُ.

(٢) شجرة البان أو الصفصاف ذات أوراق طيبة الرائحة .

(٣) أى : بدل الماء.

(٤) أى : أنه مخلوق من العناصر الأربعة هذه أصل الخليفة .

فإنَّ قلمَه[1] الذى نَبَتَ من التراب وارتوى من ماء جدول الفضل هو " حاتمٌ " لو تسقط النَّارُ من مَنْبت الغاب يوم الرياح .

الرِّياحُ الجميلةُ سمَّت الشِّعْرَ نارَ خاطر، والتُّرابُ الجميلُ ميَّز مع الماء النَّدى هذا الاسمَ من ذاك.

٢٠ - فيدُه دائمًا مع ماء وجه نار خاطره، تُسلِّم الترابَ الجميلَ أدراجَ رياح جميلة لا أثرَ لها .

وتجعل الترابَ الحقيرَ ذهبًا بغير ماء عابث، وتُسْرف فى إنفاقه وتقدح النَّارَ فيما هو نافعٌ ومفيدٌ .

مع أنَّ نارَ الفتنة قد خمدت فى تراب "سمرقند" ؛ فإنَّ ماءَ إنصافه يدل على رياح[2] " هرات"[3] .

يُعَدُّ الترابُ والرياحُ والماءُ والنارُ جواهرَ، وأنا على سبيل المقْدرة نظمتُها فى عِقْد مديحه.

فالترابُ والرياحُ والماءُ والنارُ عند العالِم جواهرُ تُزيِّن التَّاجَ، والتَّاجُ يُقَدَّر بجواهر المنجم .

وطالما تكون بين الماء والتراب رفقةٌ وألفةٌ، وطالما تكون مع الرِّياح والنَّار علامةٌ على هذه العادة .

فليكنْ نَبْعُ ماء حياة أعدائه جافًّا، وليكن التُّرابُ - مهالاً - على رءوسهم، والنَّارُ - مضرمةً - فى متاعهم .

---

(١) أى : الممدوح .

(٢) أى : نسيم.

(٣) أى : فى كونه لطيفًا عليلاً .

فى مدح طمغاج خان (ص٢٢٠-٢٢٢)

١ - "مُلْكُ سمر قند " كرةٌ أتت إلى منحنى الصَّولجان من بين كلٍّ مجموعة فى الميدان.

وقد ظفر المَلكُ بصولجانه كُرَةَ المُلْك من بطل الأبطال فى الميدان .

وقد سلَّم المتبارون فى ساحة العراك الكرةَ إلى صولجان المَلكُ من زرٍّ فتحة الثوب .

وقد بَدَت الحَضْرةُ بغير المَلك مثلَ جَسَد بلا روح، وحين عاد المَلكُ متبخترًا نال الجَسَدُ حَظَّه من الروح .

وقد نال المنبرُ والخاتمُ وفصُّ الخاتم والعُملةُ البهاءَ من ألقاب " الخاقان " واسْمه وكنيته .

مَلكُ العالم ركنُ الدين والدنيا " مسعودٌ "، ذلك الذى لم يُولد مثيلٌ له بين الأنجم والأركان.

المَلكُ " حَسَنُ " النَّسَب و " حُسَينُ " السِّير والخُلق، التَّابعُ للحقِّ والمأمورُ منه بالعَدْل وبالإحسان.

العالى " طمغاج خان " العالمُ العادلُ، نَبْعُ شمس العَدْل وظلُّ الله .

مَلكُ الإسلام الذى من حمية الدين هو الحامي لمائة صاحب ومائة ألف مسلم(١).

١٠- هو فى الدنيا مثلُ ظلِّ العرش فى العُقْبى، وظلُّ مظلَّته ملجأ لجيش الإيمان.

هو مَلكُ الشرق عن أبيه المبارك، ومَلكُ الدنيا العادلُ الشُّجاعُ " قراخان ".

طالما أنَّ ابنَ "آتبين"(٢) هو الملكُ مالكُ الرقاب والنافذُ الأمر بجوهره العالى(٣).

---

(١) العدد هنا على إطلاقه ولا يقصد به تحديدًا معيَّنًا .

(٢) هو الملك أفريدون وسبق الحديث عنه .

(٣) أى : أصله.

فالملكُ خَلَفٌ لابن "آتبين" وهو خلفه حتى مَلك الماء والطين خليفة الدنيا[1].

يا مَنْ أنت القاهرُ والغالبُ على سلاطين البَرِّ فى الشجاعة والبطولة، فمثلُك السلطانُ على الرعية.

لك تاجُ " فريدون" وأنت لستَ " افريدون "، لك مُلْكُ " سليمان " وأنت لستَ "سليمان".

والنَّاظرُ من وجه الشمس بعين النجم لا يرى مثْلَك ملكًا للعالم وحارسًا له.

حرارةُ " الشمس " تصنع الذَّهبَ من التراب الحالك، كى ينثره كفُّك المعطاءُ فى المحفل .

طالما " المريخُ " ناثرٌ للرءوس فى يوم العريكة، فإنَّ سيفَه المشهورَ يستخرج المعادنَ من القلوب .

حتى يَتَسنَّى لهذين النَّجمين[2] أن يكون الأولُ صائغًا لك فى يوم الأريكة والآخرُ حدَّادًا لك فى يوم الكريهة .

٢٠- لك سيفٌ مرصَّعٌ بالجوهر من الزَّبرجد، كأنه اللُّوحُ المرصَّعُ بلؤلؤ عمان.

تجعل شَجَرَ المرجان لوحَ الزَّبرجد، ولؤلؤَ عمان مثلَ شقائق النعمان .

يكون لك بين كلِّ الملوك ذلك الذى يكون فى الهيجاء، بأنْ تجعل الزَّبرجدَ والمرجانَ لؤلؤًا وشقائقَ[3].

فى يوم الحفيظة يسحق لك السَّندانُ من مسمار نعل الهلال قطعةَ سندان حدوةً لجوادك .

---

(١) أى : آدم عليه السلام .

(٢) هما : الشمس والمريخ المذكوران فى البيتين السابقين مباشرة .

(٣) كناية عن كثرة الدماء التى أراقها الممدوح فى المعركة .

وحين تضع قدمَك فى ركاب الحصان، يستغيث النَّعــلُ مــن نــار حــافر الحصان .

فى وقت الصَّيد، تَسِم فى الكرِّ والفَرِّ الحمارَ الوحشيَّ بحدوة حافر حصانك الأشهب .

يكون لك على منحنى القوس إحكامٌ ونصرةٌ، وتجعل السِّهامَ المــستقيمةَ رُمْحًا وظفرًا كاملاً .

تتوارى " العنقاءُ " خلف " جبل " قاف " مثلُ " التذرو " فى الروضة رُعْبًــا من وترقوسك ومنحناه .

وريحُ صرصر تجوب أرجاء جبل قاف في البيداء خوفًا من سهمك صــائد العنقاء .

ظِلُّ عَدْلك أيها الملكُ السَّعيدُ، هو ظِلُّ " الهُما " المنبسطُ على ممالك "توران".

٣٠- وحَضْرَةُ جلالتك أيها المَلكُ التى هو دارُ مُلْكك، هى جنَّةُ الدنيا، بل إنها جنَّةُ رضوان .

و"رضوان" عليها حارسٌ للرعية، وليس لك فيها جورٌ وظلمٌ بقَدْر نــصف حبَّة خَرْدَل .

عدلُك فضلٌ من الله على الرعية، وفضلُه لا يتسنَّى إيفاءُ حقِّه من القول .

ليس من الشُّعراء الذين مدحوا " السَّيِّدَ "(١)، مَنْ أجاد بشاكلة "حسَّان" .

لقد صار مديحُ " حسَّان " " للسَّيد " موضعَ استحسان، واعْلَمْ أنَّ مديحَنا فى حقِّك هو أيضًا موضعُ استحسان .

لقد حَاكَ شيخُ القول(٢) كسوةَ مديحك أيها الملكُ شابُّ الطَّالع بإبرة الحرير .

---

(١) أى : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) أى : شاعرنا السوزنى السمر قندى ..

طالما تُقرأ حكايةُ "رستم بن دستان" فى "شاهنامة الطوسى" من قِبل أهل القول .

فليكنْ " رستمُ بنُ دستان " أقلَّ عبيدك فى يوم البطولة بقوة السَّاعد لا بالحيلة والخداع .

اللهُ الخالقُ – جعل – مُلْكَكَ بُسْتانًا، وجعل اعتدالَ السَّرْو فى البُسْتان من عَدْلك.

فليكنْ مفرقُ رأسك مُخْضَرًّا مثلَ ناصية السَّرْو، طالما أن ناصيةَ السَّرو تكون مساويةً للخُضْرة .

٤٠ – وليكنْ الفَلكُ الأخضرُ والنجومُ عاقدةً البيعةَ والعَهْدَ بناصيتك الخضراء حتى يوم النَّفخ فى الصور.

فى مدح السلطان سنجر (ص٢٢٢-٢٢٤)

١ – عاد إلى مُلْك " توران " الملكُ " سنجر"، فهو ظلُّ الله وسَيِّدُ الملوك كافةً .

بجيشٍ يفوق الذَّرَّةَ عددًا ؛ فتخال أنَّه ليس " سنجرًا " بل هو شمسٌ أخرى[١].

فالشمسُ تخطر بين الأبراج على السَّماء، والملكُ كالشَّمس يخطر بين الأقاليم .

لقد كَشَح بنور عَدْله ظُلْمةَ الظُّلم عن كافة الرَّعيَّة والجيش .

فهو يُطَهِّر بسيفه وجْهَ البسيطة قاطبةً من أهل البَغْى والكفر .

(١) فضَّلتُ هنا ما جاء فى الحاشية لأجل المعنى، ويؤكده معنى البيت التالى مباشرة .

لقد عادت شمسُ المغرب صوبَ ديار الشَّرق، وهذا الذي يصير واضحًا للمَلك يكون سرًا على الأخرين .

ليس لهذا القول تأويلٌ سوى هذا ؛ لأنّ الملكَ قد عاد الآن من مملكة "خراسان ".

والملكُ يَهَب غلامًا واحدًا تابعًا له مُلْكَ ألف ملكٍ متمرِّد .

فهو يوم الحفيظة مع هراوة تشبه البقرةَ يشبه " أفريدون " فى ذلك حقًّا(١).

١٠ – ويصير كلُّ سوطٍ هو جلْدَ عَلَم " كاويان"(٢) فى يد كلِّ غلام له مثلَ جذوة النَّار .

يسلب وحْدَه بحمْلةٍ واحدةٍ له قلوبَ وممتلكات مائة ألف خصم جبَّار.

فهو المظفَّرُ دائمًا على عدوِّ الدين والمُلك، على شاكلة الغضنفر على الغزال .

قوَّةُ الدين تكمن فى مُلكه ؛ فلا جرم أنْ كان مظفَّرًا على عدوِّ الدين والمُلك.

فى كلِّ وقت يُشَاهد " فغفورُ " و " قيصرُ " عَبْدين لأبيه ولجَدِّه .

ولا يُشَاهد فى كلِّ أرجاء الدنيا خاتمٌ وعُملةٌ ومنبرٌ قد خلَى من اسمه .

والمَلكُ يرى أمام عرشه خادمًا من نسل السلطان " محمود " محطِّم الأصنام(٣).

ولم يَكُ لائقًا أن يُبقى مُلكَ ابنه إلى كفَّار حقراء .

---

(١) سبق الحديث عن " افريدون " وهراوته هذه گاوسر " . ويعنى أن المَلكَ مع هراوته فى المعركة يشبه أفريدون مع هراوته.

(٢) هو : " كاوه " الحداد . وسبق الحديث عنه وعن الجلد الذى رفعه علَمًا على رمحٍ للثورة على الضحاك الذى قتل ولديه ليطعم من مخهما ثعبانين كانا على كتفيه.

(٣) إشارة إلى السلطان " محمود الغزنوى " مؤسس الدولة الغزنوية ومحطِّم الصنم " سومنات " فى بلاد " الهند" حين فتحها وساعد على نشر الإسلام بها .

فعاد عازمًا على الغَزْو، وأمر بأن يحطموا واجهة مكان يختفى فيه كافرٌ .
فقد عقَد العَزْمَ وصَمَّم عليه لأجل صلاح الدين واستقرار المُلك وثباته .

٢٠ – ففتح كنزَ السلام والمال وزَيَّن السَّاحةَ كالفلَك بين النجوم .
فما توانى مطلقًا ولا كفَّ عن قتال كافر بغلمان مقاتلين أشاوس .
فهو فى آخر الزَّمان يهب دينَ " محمد " قوَّةً "، مثلما فعل " حيدرُ " فى البداية .
ويضرب بسيف " حيدر " أهلَ البَغْى والكفر ومعه مائةُ ألف غلام مثل "قنبر".
ويقود أعداءَ الدين مجموعين فى حوصلة كالصَّيد .
ويهدر بالقهر كرامةَ سَيِّئِ الطَّوية، بصقيل سيفه وخنجره .
ويلقي بسيفه مرَّةً أخرى ذلك الجيشَ الذى هو مقدمُ " يأجوج " إلى سَدِّ "الاسكندر".
وإخال أنه الآن يطيح بالدَّجَّال عن حماره بحركة من ركابه .
لقد استقرَّ على عرش المُلك من خلال دين " المصطفي " صِنْو " المسيح المرسَل.
وأنا أدعوه " صاحبَ قران " [1]، حينما لا يكون فى الدنيا ملكٌ آخرٌ سواه.

٣٠ – ولأنَّه لا يُوجد اليوم مَلكٌ سواه ؛ فلا كان ملكٌ سواه حتى يوم الحَشْر .
وطالما تكون زينةُ الملوك بالتَّاج والخاتم ؛ فليكن المَلكُ مزيَّنًا بالخاتم والتَّاج .
فليكن المَلكُ مع تاج " افريدون " وخاتم " جمشيد " فكلاهما لائقٌ به ومناسبٌ له .

---

(١) لقب يعنى : الملك المظفَّر، وهو لقب يطلق على من يحكم أربعين عامًا .

وطالما يضربون بعُمْر " نوح " المثلَ فى الطول ؛ فليكنْ للمَلك مثلما كــان لــ "نوح " المرسَل .

وطالما يتزيَّن رأسُ الملوك بالتَّاج ؛ فليوضع التَّـاجُ الملكــى علــى رأس المَلك.

فى مدح على بن أحمد (ص ٢٢٤ – ٢٢٥)

١ – يا مَنْ ينطلق السَّهمُ فى السَّماء من قوس قَدْرك، و " عطاردُ " خجلٌ فــى السَّماء من تَوَقُّد ذهنك.

فى الأرض نصيبٌ من قوس قُدْرتك، وفى السَّماء قِسْمَةٌ من قوس قَدْرك .

لو تَتَدَرَّع السَّمَاءُ بحشمتك ؛ فأنَّى " للنمرود " أنْ يرمى سَهْمًا فى السَّماء؟!.

بَدَيْتَ فى العظمة كأنك الشَّمسُ والقمرُ فى السَّماء فى النَّهار السَّاطع واللَّيل الغربيب .

أنت سمِيُّ " علىٍّ " ابنِ عمِّ النبي الذى يُعَد " جبرائيلُ " مداحَه فى السَّماء .

أيها الصَّدْرُ والقائدُ الذى يضع لك الطَّالعُ كرسيًا وعرشًا فى الــسَّماء مــن قَدْرك وجاهك.

أنت لا نَظيرَ لك على " الأرض " فى العظمة، كما أنَّ الشَّمسَ نظيرةٌ لــك فى السَّماء .

تَستْمدُّ " الشمسُ " و " القمرُ " نورَ الجمال منك ؛ فكأنَّ هذه صــارت ملكًــا وتلك وزيرًا فى السَّماء.

إنْ لم تتفق " الكواكبُ " السَّيَّارةُ على رأيك ؛ فلسوف يفقــد سَــبْعَتُهم خَــطَّ سيرهم فى السَّماء .

١٠ – و" زُحَلُ " الذى حَادَ عن رأيه فى السَّماء، فَنَفَرَ منه أهلُ الأرض .

أسْرارُ " السَّماء " واضحةٌ لضميرك، حينما تنظر فى السَّماء بعين الضمير.

إنْ كان " المشترى " نجمًا سَيِّئَ الطَّوية نحو جاهك ؛ فإنَّه يطلق فى السَّماء زفيرَه تجاهك[1] .

قد صار برجُ " السنبلة " فى السماء هذا العام شعيرًا، ولعل الشَّعيرَ يصير بذلك بَرَّاقًا أمامك .

ولو يصعد عدوُّك من قاع الجُبِّ إلى بُرج " الحوت" ؛ فإنَّه سوف يُشْوى فى السَّماء من وهج السَّعير .

اختبرَنى رجلٌ حكيمٌ قائلاً : يا مَنْ قلمُك يحدث صريرًا فى السَّماء .

قُلْ شِعْرًا على هذه القافية وهذا الرديف، وخُذْ " الشِعْرى " فى السَّماء قَدْرًا ومرتبةً .

فقلتُ : مَرْحَى، ولسوف أقول حين أمعن النَّظَرَ فى السَّماء جيِّدًا بعين العقل العظيم .

حتى يهبنى القافيةَ من خمير الطَّبع، بيد النَّظم النَّاضج فى السَّماء .

فتكون السَّماءُ كأنها المائدةُ وتبدو الشَّمسُ على غرار الرغيف والأنجمُ مثلَ الجوز، والقمرُ كقطعة الجبن فى السَّماء .

٢٠ – طالما لا يكون للنجم والقمر والشَّمس مهربٌ من السَّير الدَّائم بين الأبراج فى السَّماء .

فليكنْ سَيْرُك فى بُرج البشاشة والطَّرب مع طَلْعَةٍ تشبه شمسَ الهجير فى السَّماء أعوامًا وشهورًا .

وليكنْ تحت ظِلِّ طالعك الشَّابِّ عدَّةُ آلاف من نجوم الفَلك فى السَّماء .

---

(١) أى : غيرةً.

فى مدح طمغاج خان (ص ٢٢٥- ٢٢٧)

١ - منح خالقُ العالم إلى مَلك العالم الدنيا بأسرها كى يستقيمَ حالُها .
فوصَل حالُ الدنيا إلى الاستقامة، ويصل لطفُ خالق العالم إلى مَلك العالم.
ووصَل نداءٌ من المَلك(١) إلى مسامع أهل العالم أنَّ مَلكَ العالم لن يكون سوى المَلك(٢) .
مَلكُ العالم الإمبراطورُ فاتحُ الأقاليم الذى وَجَد الاضطرابات تَعُمُّ الدنيا من ملوكها .
فلجأ إلى السَّيف حتى ظهر استقرارُ الدنيا من سيفه الذى لا يَهْدأ .
فالدنيا لم تَنَلْ من أحد مكسبًا قلَّ أو كثر، بينما زادت مكاسبُها من بلاطه .
وما أكثر ما كان لعبيد الله من عَدْله الخلاصُ والرَّاحةُ والتَّحرُّرُ من أثقال الدنيا.
الملكُ المظفَّرُ " طمغاج خان " الذى يمتد ملكُه من أول حَدٍّ للدنيا إلى آخر حدودها.
رأسُ السَّلاطين " مسعودٌ " الذى صار من بين المخلوقين من طين ملكًا عظيمًا للدنيا عن حقٍّ .
١٠ - لأنَّ دعاءَ المَلك يُسْمع من ألسنة كافة الخطباء في كلِّ بلاد الدنيا وفي ديارها.
فالدنيا كانت تنتظر في عهده ملكًا مثلَه، وكان انتظارُها على حقٍّ، فقد صلح شأنُها .
كان لكلِّ مَلكٍ افتخارٌ بمُلك العَالم، واليوم صار للدنيا افتخارٌ بمُلكه .

---

(١) أى : الله.
(٢) أى : الممدوح.

صار مطيعًا لأمره وسَلسَ القياد ومسخَّرًا، جبالُ العالم وسهولُها وبَرُّ الدنيا وبحرُها .

يكــون له كلُّ ما هو موضعُ حَصْرٍ في الدنيا، وكلُّ ذلك الذي لا يكون لــه لا يكون من حَصْرِ الدنيا .

كان قد نَبَتَ شوكُ الخلاف في حديقة مُلك العالم، والمَلكُ مُقْتَلِعُ الشوك يقتلع بسطوته شوكَ الدنيا .

الفَلَكُ قلعةُ الدنيا وقلعةُ مَلك العالم أعلى قَدْرًا من قلعة الدنيا وبُرُوجه .

ولأجل حُرمته لا تكفي في الدنيا ألفُ واحدة منها ؛ فواحــدةٌ مــن مناقبــه أفضلُ من ألف دنيا.

مخــالفو المَلك أســاري فــي قلعــة الغَمِّ، ليس أمامهم إلا الرِّضا طوعًــا أو كرهًا.

لقد صاد الدنيا مثلَ " الشاهين " " للقطاة "، لأجل الاطلاع على مــا بطــن منها وما ظَهر .

٢٠ - صارت الدنيا وعدوُّ مَلك الدنيا صيدًا ؛ الدنيا صيدُ المَلك، والأعــداءُ صــيدُ الدنيا.

تُوِّجَ الملكُ ملكًا للعالم من قِبَل الخالق على حقٍّ ؛ فقد صار مؤدِّيًــا لحــقِّ الدنيا بالعدل والإحسان .

وتخال أنَّ الدنيا قد صارت اليوم من إحسان المَلك وعَدْلــه قرينــةَ الجنَّــة والجنَّةُ رفيقةَ الدنيا .

فقد وصل رسولٌ إلى المَلك عن طريق الجنَّة، وهو العابرُ بكثرة من مَمَــرِّ الدنيا.

وفي كلِّ خطوة يخطوها كان يمتدح الملكَ، ويبارك للملك يومَه وعَصْرَه.

الصَّلاةُ والصومُ والبرُّ من ملك العالم تعفو عن الجُرم والذِّلَّة في ليل الـدنيا ونهارها .

يكون نثارُ رحمة الحقِّ من رسول الجنَّة هو ثناءَ الرَّجل الحكيم وما أكثـر نثارَ الدنيا .

فلتكن الدنيا وفقَ هوى المَلك والملكُ مبتهجًا طَوال فصول العالم الأربعة .

فى مدح طمغاج خان (ص ٢٢٧-٢٢٨)

١ - أنَقت " الشّمسُ " البازغةُ في مدار السَّماء نظرةً علـى العـالم مـن بُـرج "الحَمَل".

فصار للعالَم عامٌ جديدٌ، وصار العالَمُ به ميمونًا وتجَّدد العَامُ بجمال المَلِك.

منح عَدْلُ المَلِك الهواءَ اعتدالاً، وصار العالمُ من اعتـدال الهـواء مثـلَ الجِنان.

ومن إقبال المَلك المفعَم باللُّطف والرحمة، تَعُمُّ آثارُ لطفٍ ورحمةٍ لا مثيـلَ لها أرجاءَ العالم .

نظر طالعُ المَلك الشَّابِّ صوب العالَم الهَرِم وجعل العالمَ شابًا من المنشأ.

فكلُّ شيخ في العالَم الهَرِم يشبه العالَمَ الهَرِمَ ؛ لأنه يصير شابًا من الطَّـالع النَّفيس للمَلك .

مَلكَ ملوك وسلاطين الشَّرق والغرب، صاحبَ قِران وجه البسيطة مَلـكَ الزَّمان.

" طمغاج خان" العادلُ نَسلَ السُّلطان من عهده حتى مُلك " افراسياب خان".

شمسَ الملوك " مسعودُ بنُ حسن "، الذى يكون مطلعُ شمس الـسَّماء مـن قصره.

١٠ - يدعون لأبناء المَلك بالنَّبات الحسَن، ولا شك أنَّهم نَبَاتُه الحسَنُ (١).
أيها الملكُ المتوّجُ الذى تَجلس على عرش المُلك ملكًا وأيضًا سليلاً للملوك.
ذلك لأنَّك سليلُ الملوك الذين حوَتهم " شاهنامةُ الفردوسى " الحكيم فردوسُ الحكمة.
فأنت " جمشيدُ " الهيئة و " افريدونُ " البهاء والعظمة و " افراسيابُ " الهيبة و "هومانُ " القوة والقدرة .
وأنت " بهرامُ " يوم العريكة وپرويزُ " يوم الأريكة، و " اردشيرُ " على العرش و " اردوانُ " على صهوة الجواد .
أنت الإمبراطورُ مقبولُ القول ونافذُ الأمر على الترك وعلى العجم مثلُ "سليمان" على الإنس والجانّ.
أنت واجبٌ لعين المملكة مثلُ النور، ولازمٌ لجسم السَّلطنةِ مثلُ الروح.
مدارُ " السَّماء " وفقُ مرادك، طالما يبقي الأمانُ على المدار وفقَ مرادك.
يَتَسَنَّى " للبَدْر " و " للهلال " أن يكونا له درعًا وقوسًا، وتتمنطق " الجوزاءُ" لأجل خدمتك .
حينما يصل عونٌ من السَّماء لأجل نصرتك، تُحلِّق الطُّيورُ النَّائمةُ من سهامك المعلَّقة في الهواء يوم الوغي .
٢٠ - اللهُ في الحقيقة هو واهبُ الرُّوح وآخذُها، وأنت ظِلُّ الله وتفعل الشَّيئَ نفسَه أيضًا .
أين - منك - " رستم " ؟! ورُعبًا منك يدخل العَدوُّ فى سَمِّ الخياط مثلَ الخيط الرفيع .
حكى الحكماءُ القدماءُ هذه الحكمةَ فقالوا : حيثما أتى الظُّلْمُ رَحَل العَدْلُ.

---

(١) هنا استفادةٌ من قوله تعالى : " وأنبتها نباتًا حَسَنًا " (سورة آل عمران آية ٣٧) .

وكذلك قيل عن فترة مُلْكك : جاء العَدْلُ ورَحَل الظلمُ، وذهب الغَـمُّ وحَـلَّ الطَّربُ.

واختفت "عنقاءُ "الظُّلم خلف جبل "قاف " عن شـرفة جلاجـل " شـاهين" عَدْلك[١].

من رُعْبك ومن سياستك الحازمة الموفقة ؛ يتجرّأ كلبُ الرُّعاة على الـذئب الظَّالم ويمزِّق جلدَه .

يكونَ أهلُ الإيمان في أمانك، طالما أنتِ في أمان بسبب دعائهم .

اسمُ جنَّة وجه البسيطة هو دارُ مُلكك "فأرد يبهـشت جعـل العـالَمَ مثـلَ الجنَّة"[٢].

طالما براقُك الوثَّابُ[٣] يخطر في جنَّة عدن ؛ فعِشْ في هذه الجنَّـة سـعيدًا موفَّقًا.

يا " سوزنى "، انظمْ عِقْدًا بإبرة الحكمة، واتْلُ دُرَّ الثنـاء والمـديح علـى المَلك.

٣٠ - كان شِعْرُ " حسَّان " موضعَ استحسان لـ " سَيِّد قريش "، مما جعل عَقْلَـك وطَبْعَك فى موضع امتحان .

---

(١) يعنى : أن عنقاء الظلم تهرب عن دائرة وصول صوت الجرس المعلَّق في عنق صقر عَـدْل الملك الواقف .

(٢) الشطر الثاني من هذا البيت " تضمين " للشطر الثاني من بيت للشاعر المعاصر له " عمعـق البخارى ت ٥٤٣هـ " ويقول فيه مع تغيير علامة التشبيه :

خيزاى بت بهشتى وآن جـام مـى بيـار   كاردى بهشت كـرد جهـان رابهـشت وار .

والمعنى : " انهضى أيتها الحوراء واحضرى تلك الكأس من الخمر، لأن " ارديبهشت " جعـل العالم كأنه الجنة " .

(٣) أى : جوادك.

حتى يكون شِعْرُك موضعَ استحسان لدى المَلك وتُحْيِى سُنَّةَ " حسَّان " فـي باب الشِّعْر .

فاطلبْ بقاءَ العُمْر خالدًا لمَلك العالم، حتى يبقي اسمُك خالدًا فى الدنيا.

فى مدح برهان الدين (ص ٢٢٩ - ٢٣٠)

١ - أنا في هَوَى ذلك الذى أملأ الدنيا دُرًّا[١]، طالما أملأ الـدنيا بمـديح صَـدْرِ العالَم.

صَدْرِ العالم الذى يكون مجلسُ الفَلك بلاطَه، ويَتَسَنَّى السُّموُّ من بلاطه إلى الفَلك.

" برهانِ الدين " الذى هو لبنيان العِلْم والشَّرع، البُرهانُ فى دَرْسِه والحُسَامُ في رأيه والسَّيْفُ القاطع في الحُكم .

الحُكمُ الذى يُصْدره ويَخُطُّه أمْرُه، لا يتـسنَّى التَّقـصيرُ فيـه، لأنَّ جهتَـه اللامكان .

يتفاءل المَلكُ برؤية محيَّاه، ولا تَعُدَّ في الدنيا أكثَرَ يُمْنًا من فأل المَلك .

وليس في الدين بهاءٌ بغير أسرة " آل برهان "، وليس في أهل هذا الـدِّين وتلك الأسرة أكثرُ بهاء منه .

فأهلُ العلم من هذه الأعتاب حتى حَرَم الكعبة هم تلاميذُ أسرته ؛ فما أحْسَنَ هذه الأسرةَ .

وما إنْ يَمَّمَ وجْهَه من أعتاب الكعبة صوب هذا المكـان [٢] حتـى صـنع قاطنو الكعبة الصَّنيعَ نفسَه .

---

(١) أى : شِعْرًا.
(٢) أى : أعتابه وبلاطه .

فله سلطانُ مُلك الشَّرع، وهو على مُلك الشَّرع كالحارس والمحافظ ليل نهار .

ولم يُرَ أحدٌ في الدنيا حتى " مَرْو " سواه سلطانًا وراعيًا .

فله فى مُلْك الشَّرع الذى يمتد جيشُه من الشرق حتى الغرب لسانٌ هو السَّيفُ وقلمٌ هو الرُّمْحُ.

ومن سيفه ورُمْحه تصير السُّنَّةُ بَيِّنَةً والبدعَةُ مختفيةً فى أصل الشَّرع وفرعه .

أنت يا مَن ظاهرُك مستحبٌ كلُّه وباطنُك، وقد صار خَبرُ كرمك ذائعًا في العالمين.

وقد انحنى ذوو الحشمة برءوسهم على أعتاب مدرسة " جوزجانيان " هيبةً منك.

حتى يستدل محيَّاهُم على حدوة جوادك الميمون مثلَ وجه الفَلك على هلال رمضان .

كان رَسْمُ جَدِّك في شهر رمضان هو الدَرْسَ والسَّبْقَ ؛ فابْقَ على رَسْم جَدِّك واصنعْ صنيعَه.

الجوزاءُ على السَّماء معروفةٌ بالشَّمس، وحيثما تكون فلها مُلْكُ السَّماء كلُّه.

وما دام ليسَ لك أقلُّ ممَّا لشَمس السَّماء ؛ فما تُقيمه من أسباب الحياة للمدينة، أيقلُّ عمَّا لها ؟ !! .

فأهلُ " بخارى " فى شوق إليك، وبدونك قلوبُهم مشتعلةٌ وأنفاسُهم دخانٌ متعاقبٌ.

لأنَّ يَدَك منبسطةٌ على أهالى " بخارى " الذين أصاب أرواحَهم الرُّعبُ والخوفُ من أهل البَغْى والطُّغيان.

كفَى لها[1] أنْ تكون أرضُ " حسام بن برهان " رَبَضًا لها، و " حسامٌ " هو الدَّاعي للدين وربَضُه مائدةً ومتاعًا .

يرى " خاقانُ " العالَم المحبَّةَ على محيَّاك، وكلُّ ما تظنه فــي " الخاقــان " يكون يقينًا .

فالمَلكُ الذى يَسْعد به أهلُ العلم ؛ فليكن توفيقُه وسرورُه خالدين .

فياصَدْرَ العالَم، اعلَمْ أنَّك محبوبُ كلِّ قلب، واعلمْ أنَّك قيمةٌ مذكورةٌ علــى كلِّ لسان.

صار خادمُك " السوزني " في بُسْتان جاهك مدَّاحًا ذا عَشْرة ألــسنة مثــلَ السَّوسن الطَّليق.

وما دامَ اسْمُه في كتاب مديحك ؛ فإنَّ وَجْهَه يصير مألوفًا كــضيف مثــلَ الطفيلي.

طالما يذكر أهلُ العلم والشَّرع " النُّعْمانَ "[2] ؛ فلــتكنْ بعلــم " النُّعمــان " "نُعْمانَ " هذا العَصْر .

فلتكنْ وجَنَّتُك شقائقَ نُعْمان حديقة الشَّرع، ولتَنْهَمِر أمطارُ الرَّحمــة علــى ساحة البُستان .

وليكنْ صومُك مقبولاً وعيدُك مباركًا، ولك من الصَّوم المثوبةُ ومن العيــد الفرحةُ .

فى مدح المَلك طمغاج خان (ص ٢٣٠-٢٣٢)

١ – منَحنى اللهُ ثَراءَ القول ؛ حتى يَتَسنَّى لىَ الإنشادُ فى مديح المَلك .

---

(١) أي : بخارى .

(٢) لعلَّه يقصد " الإمامَ أبا حنيفة النُّعمان " صاحب المذهب الحنفي، والقرينة كلمــة " الــشرع " ومعنى البيت .

ولو أُصبْبح ثَريًا بالدينار وا لدِّرهم ؛ فما العجب ؟! فهو من مناقــب المَلــك ومديحه .

أنَّى لىَ أن أكون ثريًا بُدرِّ القول ؟! وأنَّى لىَ بالامتياح من كنز ثمين ؟!.

وأنا أتخوَّف فى مديح المَلك الأديب من زحف وحشو ومن إيطاء وتكــرار فى القافية(١).

فليس ثمة علمٌ – لا يعرفه – في هذه الدنيا سوى علم الغيب ؛ لأنَّه لا يعلم ولا يَتسَنَّى له معرفةُ الغيب.

فغذاء المَلك الأديب يكون من مديحه، وكيف بتَرْك غُذاء الروح يكون هناك غذاءٌ؟!.

اللِّسانُ يشارك القلبَ فى مديح المَلك ؛ فالتَّفكيرُ فى المديح ينبع من القلــب، وإنشادُه يجرى على اللِّسان .

ويهَبُّ على أنفاسى نسيمُ الورْد الأحمر، وقتَ إنشاد مدائح المَلك السَّعيد .

المَلكِ المظفَّر " طمغاج خان " الذى يتسَنَّى له مــن بــين الملــوك مُلْــكُ " أفراسياب خان " .

ويليق له مُلْكُ وجه البسيطة لـــ " جمــشيد "، ويَتَــسَنَّى الروايــةُ عنــه كنموذج(٢).

العالَمُ المعتمُ يُضئ بنور طَلْعته، وكيف يكون سوى هذا دليلاً على الشَّمس.

---

(١) الزّحف والحشو والإيطاء والتكرار فى القافية كلها من عيوب القوافي وصنعة الشِّعر .

(٢) قال " جلال الدين همائي " فى " مستدركاته على الديوان ص ٤١٧" : أن المصراع الثاني لهذا البيت جاء فى نسخةٍ أخرى على النحو التالي : " لقب نوشتن وخورشــيد آســمان گفــتن " . ومعناه : " الذى يُلقَّب ويدعى شمسَ السَّماء " ويري " همائى " أن ما جاء فى النسخة الأخرى هذه هو الصحيح ؛ لأن هذا المصراع بعينه قد تكرر بعد ثلاثة أبيــات . وكــلام " همــائى " صحيح لدينا ولكن يُراعي أن الشاعر قد تحرز في البيت الرابع من الوقوع في بعض عيــوب القوافي ومنها عيب " الإيطاء " الذى وقع فيه في النسخة الأصلية التى اعتمد عليهــا محقــق الديوان .

القضاءُ رُمْحُه والقَدَرُ خنجرُه، لأنَّه يعلم أنَّ الجوابَ على عدوِّه بالخنجر والرُّمْح.

١٠ – الملكُ سليلُ المُلْك الذى من بين ملوك وجه البسيطة يَتَسنَّى الروايةُ عنه كنموذج.

يمدُّ بسَاطَ العَدْل على بسيط الدنيا ؛ لأنَّه يتَسنَّى من ذلك البساط وَصْفُ الدنيا بالجِنان .

طائرُ " هُما " عَدْل المَلك يأكل عظْمَ الظُّلم، ويصبح مع العَظْم مثلَ البَبَّغاء والسُّكَّر .

بسبب " عين " عَدْله ؛ فإنَّ " زاى " لسان اللص فى الطريق تصير معقودةً مثل حرف " الهاء " بسبب " كاف " – مدبِّر – القافلة[١] .

فى عهد مَلك العالَم ومن لسان حال الدنيا، يَتَسَنَّى القولُ : إنَّ " الذئبَ " صار راعيًا " للغَنَم " دون ضَرَر منه[٢].

وفى ولاية المَلك يبدو الخداعُ حقيقةً حين يكون " الحَمَلُ " توأمًا " للذئب " في بطن واحدة.

---

(١) " كاف " : بمعني حرف أبجدى وأيضًا بمعنى مُدَبِّر أمور القافلة .

(٢) ضَمَّن الشاعرُ " ابنُ يمين الفريو مدى ت ٧٦٩هـ " هذا البيتَ في قصيدة له فى ديوانه المطبوع . بتصحيح: حسينعلى باستانى راد ص ١٣٩ طبع كتابخانه سرائي ١٣٤٤هـ . ش مشيرًا إلى " السوزنى ":

شنوده ام ازسخنهاى سوزنى بيتى　　　مناسب ارچه توانم نظير آن گفتن

ولى بصورت تضمين چرا ادانكنم　　　چوميتوان سخن خوش برايگان گفتن

والمعنى : " سمعتُ من أقوال " السوزنى " بيتًا مناسبًا، مع أنَّنى أستطيع قولَ ما يشبهه " .
"ولكن لماذا لا أذكره على شاكلة " التضمين"، مادام الكلامُ الحَسَنُ يمكن قوله بلا مقابل".

أيها الملكُ، يصير طالعُ الشَّخص الذى رَدَّدَ اسْمَك " مسعودًا " في ذلك القول مثلَ اسْمك(١) .

٢٠ - لا يمكن فى دين سَيِّد آخر الزَّمان سواك ملكًا حتى آخر الزَّمان.
فأنت الحارسُ من الله على الرعيَّة، ويليق لك أيضًا أن تكون حارسًا على أهل الدِّين والشَّرع .
ويليق لك ولا يليق لغيرك نعيمٌ بغير مِحَنٍ ونفعٌ بغير ضَرَرٍ.
فى محفلك وفي نزالك يُعْرف عن شِعْر " السوزنى " دقَّةُ المعنى مثلَ الخيط الدَّقيق.
طالما يتَسَنَّى أن يكون للدنيا مَلكٌ دائمًا ؛ فلا يَتَسَنَّى القولُ بغيرك للدنيا ملكًا.
فليكن العالَمُ وفقَ مُرادك ولتكنْ أنت المَلكَ، ولا كان لمُلْكك آخرٌ ونهايةٌ.
فليمنَحْك الخالقُ عزَّ وجلَّ البقاءَ، وليَلِقْ لهذا الدُّعاء بالخلود قولُ : آمين .

في مدح حميد الدين (ص٢٣٢-٢٣٤)

١ - صار عِنانُ البيان هبةً لقبضة خاطرى، ومَنَح الدَّهْرُ لسانى بيانَ القول.
فأصفُ حُسْنَ ذلك المقوَّس الحاجبِ، إذا ما يأتي إلى عضد طبعى قوسُ البيان.
وحين أتطلع إلى قامته وأرى فيها هدفَ البيان تمامًا، يكون البيانُ عنها رفيعًا.
وحين أتطلع إلى محيَّاه الشَّبيه بالورد اليانع، أحطِّم من الطَّبع الورْدَ فى روضة البيان.

---

(١) أى : مسعود.
(٢) فضلت ما جاء فى الحاشية لخدمة المعنى .

ينمو في بستان قلبي أفكارُ البيان لوصف ناصية ضــفيرة مَــنْ الأســرارُ صفتُه.

أتحدث عن ثَغْره الضَّيِّق الذى من فرط ضيقه، لا يتصوَّر أحدٌ قدرتَه علــى حَمْل القول .

وكيف يتَسَنَّى الطَّمعُ فى قُبْلة من ذلك الثَّغْر، حين لا أرى قدرتَه على القول لفرط صِغَرِه ؟! .

يَقَرُّ فى الخاطر شكلُ وسطه الدَّقيق، ولكنْ لن أخاطبَه حتى لا ينقطع الكلامُ وَسَطَه .

أنا ومعشوقى لا نَخْرج عن وَسَطين اثنين : هو عن وسط الحُسْن وأنا عن وسط البيان.

١٠ - أنَّى لىَ أنْ أعرض البيانَ على العالم، وقد شمل بيانى عــن حُــسْنه كــلَّ أرجائه.

" حميد الدين محمد " الذى كلُّ ما يقال في غير مديحه، لا يَتَعَــدَّى هــراءَ القول .

الصَّدْرُ، صاحبُ المكانة ومنجمُ العقل، أصيلُ النَّسَب، الذى يُعد كلُّ لفظ لــه جوهرًا من منجم البيان .

الكلُّ يشترى البيانَ من العقل بجوهر المنجم، مِنْ ذلك الذى له منجمُ العقــل ومحلُّ البيان.

يَهَب إلى فارس القول الأطلسَ والحريرَ، حين عرض عليه نَظْمَه.

وهو كذلك لايقف على ظاهر القول لأحد ؛ لأنه يقف دائمًا علــى أســرار القول وباطنه .

فهو يَرَى دائمًا بعين العقل ويدرك سريعًا ببُعْد النَّظر المخَّ فى العَظْم.

العظيمُ الذى لو يريد كذلك القولَ الرفيعَ، يصعد إلى سقف العرش على سُلَّم البيان .

يتقاطر الدُّرُّ الصافي من ميزاب البيان من سُحب الطَّبع البليغ بدلاً من الأمطار.

له راحةٌ سَخيَّةٌ ولىَ لسانٌ ذَربٌ، من واقع مديحى له وعنايته بمادح مثلى.

٢٠ - وما إن يبسط طيلسانَ البيان من الفضل، حتى يطوى أهلُ الفضل فى المديح بساطَ القول.

للقول فى حضرته قيمةٌ بالغةٌ ؛ فهو يَهَب بمقابل القول قيمةَ البيان البليغ .

أثناء المجادلة وقت العراك يصوب ساخرًا رمْحَ البيان إلى صَدْر الخصم .

لا تَسَلْنى أنا، وهو له القولُ الدَّافقُ، ويكون تدفقُ حديثه هو روحَ البيان .

يا مَنْ روحُ البيان فى حديثك الدَّافق، أقسم بروحك أنَّ روحَ البيان فى ألفاظك.

لقد طلب منِّى مرادفتَه مختبرًا بيانى ؛ فمضيتُ فى اختبار البيان عن طريق مديحك أيها الصَّدْر،[١].

لقد أجلسنى فى اختبار الطَّبع، واستقبل غصنُ مديحك فى ساحة البُستان بيانى.

لقد سمعتُ أنَّ الشَّاعرَ الذي يُلقب بمَلك الشِّعْر، هو من هؤلاء الأشخاص المادحين.

فلو يصير لىَ حقًّا لقبُ مَلك الشِّعر؛ فلن أكون إلى جوارك سوى حارس للبيان.

---

(١) يراعي " الالتفات " في البيت وهى إحدى سمات الشاعر فى أشعاره، والكلام كلُّه عن الممدوح.

أنت صاحبُ قران للأدباء فى الدنيا، وبك تَتِمُّ مدةُ قران القول.

٣٠ – أنت شمسٌ ساطعةٌ على سماء القول، والسلامةُ كلُّها لشمس سماء القول[(١)].

عُمْرُ القول أطولُ من كلِّ شئ ؛ فليكنْ عُمْرُك أطولَ من عُمْر القول.

طالما يبقي القولُ خالدًا دائمًا ؛ فليكن بقاؤُك فى الدنيا مثلَ ذلك القول .

فى مدح مسعود بن حسن (ص٢٣٤-٢٣٥)

١ – حين طَالَعْنا وَجْهَ المَلك وقت الصباح، كانت مطالعتُنا لوجهه تجعله مباركًا.

لماذا المَلكُ ؟ ملكُ الشَّرق والغرب ركنُ الدين ؟! لأن طلعتَه جالبةٌ الرَّونقَ للدين.

فطلعتُه المباركةُ موضعَ فأل للأئمة، مثلما مطالعةُ وجه " المصطفي " للأمة .

المَلكُ المظفَّرُ " مسعودٌ بنُ حَسَن " الذى يليق له مُلكُ وجه البسيطة .

استَرَدَّ عرشَ الجَدِّ من التافهين بحدِّ السيف ؛ فما أفضلَ من مطالعة الحفيد على عرش الجَدِّ.

طالما أنَّ عملَه معاقبةُ الأشرار، فقد تجاوز عن فعل السُّوء وتفرغ للعقاب.

لأعدائه فى الوغى أمران : الإدبارُ، أو مطالعةُ السيف فى الدُّبُر.

بسبب سيف المَلك تدور الطاحونةُ بالدَّم ؛ لأنها تجعل الجَزْعَ[(٢)] ياقوتًا[(٣)] فى مطالعة دورانها.

كلُّ مَنْ طالع في الميدان خنجرَ المَلك مُسْتَلاًّ ؛ سوف يطالعه وقد سبح فى دم العدوِّ.

---

(١) أى : الممدوح .

(٢) أى : الأسود.

(٣) أى : أحمر.

فسيفُ الملك المعروفُ بخنجر الموت يحجب ألفَ عين عن الإدراك والمطالعة.

يكون الظَّفَرُ واضحًا فى رمح المَلك الذى هو أفعى ملتوية مثلَ معجزة "موسى" فى مواجهة الأفاعي .

كلُّ مَنْ يطالع المَلكَ ؛ فمن المحال ألا يبدو له رؤيةُ ألف " زال زر[(١)] " فى قباء واحد.

رعبًا وهيبةً من سيفٍ صفتُه التَّداوةُ لم يَعُدْ أعداؤُه يرون نداوةً

اختفى أعداؤُه ولم يَعُدْ أحدٌ يراهم ؛ ذلك لأنَّهم أدبروا واختفوا عن الأنظار.

عَمَّ الأمانُ أرجاءَ الدنيا من عَدْل المَلك، بحيث نطالع الذئبَ أيضًا راعيًا مع الحمَل.

أقبل الربيعُ وقاضى القلبَ حين طالع كمالَ قدرةٍ لا نظيرَ لها وبلا سبب .

ينبغي مطالعةُ المَلك ولقاؤه في بلاط إمبراطور الشَّرق وكفي.

المديحُ – للملَك – يكون بمائة ألف لسان، ومكافأتُهُ نَثْرُ الدُّرِّ النَّفيس .

ملكُ العالم، الملكُ عظيمُ العطاء لا يحبُ مطالعةَ عَبْدٍ واحدٍ بغير عطاء.

أنا ثَرىٌّ بالقول، وقد مَنَحنى المالَ ؛ لأنه لا يجب مطالعةُ مادح محتاجًا.

وطالما يرعانى اللهُ بمطالعة الخطأ ؛ فقد رأيتُ مديحَ الملك هو الصوابَ.

كلُّ مَنْ لا يقع فى هوى المَلك ؛ فليمكثْ فى مكانه ؛ لأنَّ عينَه قد تخلَّفت عن مطالعة الهوى.

فهَوَى المَلكِ سُنَّةٌ وليست بدعةً، ولدن أهل البَغْى مطالعةُ الهَوى بدعةٌ .

طالما تُطَالَعُ أسبابُ الرزق والبقاء تجرى في شمس السماء عاليًا وسافلاً.

---

(١) هو والد "رستم" البطل الفارسي القديم وابن "سام" كما جاء في "شاهنامة الفردوسى.

فَملكُ وجه البسيطة يشاهد عليها فى رفعة دائمة مثلَ شمس السماء فى السماء.
طالما تطالع دائمًا في دنيا النور والظلام، الظلمةَ والنُّورَ كلَّها بنور العين.
فلتكن الرؤيةُ ميسَّرةً لمَلك العالم بعين القلب من بدء الخليقة إلى منتهاها .
وليبقَ عُمْرُه مرئيًا في صحيفة الأزلى فى اللوح الإلهي الدَّائم العالى المحفوظ.
لا يليق في شَرْع الشِّعر رؤيةُ مديح مَلك العالم بعين الخاطر قد انتهى.

٣٠- وعودًا على بَدْء أعود وأقول : مطالعةُ وجه المَلك في الصباح تجعله مباركًا.

فى مدح ناصر الدين محمد بن أحمد (ص٢٣٦-٢٣٨)

١ - يكون قَدُّ محبوبي سَرْوَ الخميلة المتبخترَ، وقد استقرَّ القمرُ السَّاطعُ[١] على قمة السَّرْو المتبختر[٢].
بل إنَّ القمرَ السَّاطعَ على الفلك والسَّرْوَ المتبخترَ في الخميلة عبيدُ خَدِّ ذلك المعشوق الآسرو قَدِّه.
قَدُّ المعشوق السَّامقُ يفوق فرعَ الشمس والقمر، ورحيقُ رمان شفة المعشوق يفوق الشَّهدَ واللَّبَنَ.
طالما هو في حضني؛ يكون في حضنى الشَّهدُ واللَّبنُ وعصيرُ الرمان والشمسُ والقمرُ وغصنُ البان.
الذي له على وجنتيه ضفيرةُ "أهرمن" إله الدين، تُزيِّن صاحبَ الدين بكفر "أهرمن"[٣].

---

(١) أى : خدُّ المعشوق.
(٢) أى : قدُّ المعشوق.
(٣) أهرمن" هو إلهُ الشَّر في الديانة الزرادشتية" عند الفرس قبل الإسلام، وإلهُ الشَّر لدى ما يُسمى بالديانات عند الفرس القدماء هو إلهُ الظلمة والظلام، ويمكن "مراعاة النظير" هنا بين سواد ضفيرة المعشوق وسواد ظلمة كفر "أهرمن".

يُضَحِّى الوثني بنفسه أمام الصَّنم، وقد صار عشقُ ذلك المعشوق الصَّنمَ وقلبي الوثنيَّ.

طالما أخفى الجُبُّ "يوسفَ"؛ فإنَّ محبوبى قد أظهر "يوسفَ" في وجهه والجُبَّ في ذقنه(١)

في عشق ذلك المعشوق الذى له جمالُ "يوسف"؛ صار قلبي عاجزًا في جُبِّ ذقنه مثلَ "يوسف" في الجُبِّ بلا رَسَنٍ.

قمرُ "يغما" و"الخَتَن" ذلك، لَمْلَمَ عنِّى حواشي ثوبه، مثلَ الظِّل الذي انحسر عن شمس المشرق.

١٠ - غديرتُه الحائرةُ زينةُ الشمس والقمر(٢) ولحظُه الوسنانُ رأسُ مال السِّحر والفَن.

وكيف أنَّ "قطرانَ" قد ضرب الفألَ بطُرَّته التى هى على هذه الشاكلة وقال: "أسحق المسكَ بالكيل وأذيب الغاليةَ لأجلى"(٣).

تَهُبُّ رياحُ السَّحر على ورق الياسمين النَّضر(٤)؛ فيفوح عبيرُ ضفيرته بصورة أطيب من تلك التى تكون في الربيع.

وتكون رائحةُ ذؤابته من خُلق الأمير الجليل العطر "ناصر الدين" ملك آل النبى وأبى الحَسَن.

هو "محمد بن أحمد بن أحمد" الذى من الشَّرف هو عالمُ الحَمْد وخلُقُه محمودٌ وحسَنٌ.

---

(١) المقصود نونة الذقن الشبيهة بالجُبِّ في هذا البيت وكذلك فى البيت التالى.

(٢) أى : الوجه والخدِّ.

(٣) المقصود الشاعر "قطران التبريزى" من شعراء القرن الخامس الهجرى. وقد فضَّلتُ ما جاء. فى الحاشية لأن المحقق نقلها عن ديوان قطران بطبع محمد نخجوانى ص٣١٥.

(٤) أى : وجنته.

ذلك الذى طالما فى الدنيا دينارٌ وسيفٌ؛ فقد صار مشهورًا فى الدنيا مثلَ ديناره الممنوح وسيفه الضّارب.

طالما يجعل الأحرارَ عبيدَ إحسانه؛ فهو يجعل للكرم وللمروءة طريقًا ورَسْمًا وسُننًا

ما إنْ حلَّقَ عقابُ عَدْله فى الهواء، حتى تشرَّد الظُّلمُ والفتنةُ فى الدنيا مثل "السيمرغ".

فى يوم الحفيظة والعريكة يتلظَّى خصمُه وسط نار الحقد مثلَ الطائر، ويكون رمحُه مثلَ السفود.

هو مثلُ "سيف بن ذى يزل" يواجه مائةَ خَصْم، وكيف لروح أن تنجو فى النهاية من صَقْره وسيفه.

٢٠ - يزيِّن المجالسَ وقت المحفل ويقود الجيشَ وقت الوغى؛ فأضحى كلُ مَنْ فى المجلس والجيش مفتونًا به.

طالما سطع في المجلس والجيش؛ فإنَّ المجلس لم يَزَيَّنْ بمحطّمٍ للجيوش مثلَه.

أيها الملكُ الذى لم يَرِدْ على كلٍّ أرجاء البسيطة جاذبٌ للصديق ومجندلٌ للعدوِّ مثلُه .

يكون حلمُك وغضبُك روضةَ الدولة ووَسْمَ المحنة لأحباب وأعداء دولتك وجاهك.

الكلامُ فى طبع المرء يشبه بنات النَّعش يتجمع كالثُّريا لأجل مديحك.

ذلك لأنك تملك في سرِّك وعلنك أديبًا نادرًا، ويصير سرُّ البلغاء فى مدحك علنًا.

يلزم لمجلسك الشّاعرُ "العنصرى"؛ فإمَّا شِعْرى أو شِعْرُه؛ وأنا الموجودُ الآن في الدنيا.

كفى بأنك القائدُ المتواضعُ والعظيمُ فى غير غرور؛ فأنت قائدُ أهل الأرض وعظيمُ أهل الدَّهر.

أنت فى رأس أهل الطريقة مثلُ العين؛ فإنْ لم تكن مغرورًا فأغمض العينَ عن نفسك.

تصير مرارةُ الأذن من سماع مديحك عسلاً، وصَفُّ الأسنان وقت حـديثك عِقْدًا من دُرِّ عَدَن.

٣٠ - إنْ لم تكن لأجل سماع مديحك وترديده؛ لم يخلقْ "ذو المنن" للإنسان أذنًا وفَمًا.

يفتح طبعى فى مدحك كنزَ الجوهر، وليس لكنز الجوهر ثمنٌ سوى قبولك له.

وأنا بقبول خدمتك أعلو بهامتى مثل الفَلَك، وأدور حول نفسى مع الطـرب وأصير وحيدًا مع الشَّجن.

لو تسطع شمسُ دولتك على رأسى؛ أصير بروحى وجسدى مثلَ الـشجرة المثمرة.

كلُّ مَنْ يركن إلى ظلِّك لحظةً واحدةً، أضحى فى إقبالٍ وسعادةٍ حتى قيـام الساعة.

فى مدح نصرة الدين حسن (ص ٢٣٨ - ٢٣٩)

١ - يا مَنْ حَظِيتْ ناصيةُ ضفيرتك بألف تصفيفة، وقد استقرَّ قلـبٌ وسـط كـلِّ تصفيفة.

فلقلبى موطنٌ وسط ضفيرتك، مثلما أنَّ لك مكانًا وسط قلبى.

فـأنت وسطَ القلب والقلبُ وسطَ ضفيرتك؛ فلا تَضْرِب الضَّفيرةَ بالمـشط ولا تطلبْ جُرْحَه.

لأنَّ قلبى لو يصير مجروحًا من سنِّ مشطك، فإنَّه يسبب جُرْحًـا لجـسدك أيضًا .

فأنت محبوبٌ ذو غديرةٍ من الغالية وأنت قمرٌ ذو خَط من الغاليـــة، وأنـــت مثلُ وعاء الغالية الضَّيق لك ثَغْرٌ ضيّقٌ

مَنْ وضع، يا بنيَّ، وسط وعاء غاليتك[١] اثنتين وثلاثين حَبَّـــةَ دُرٍّ عَـــدَنيٍّ بذلك اللُّطف؟!.

الشخصُ الذى يصنع وعاءَ الغالية[٢] من العقيق اليَمن[٣] هو الـــذى يـــضع لؤلؤَ عَدَن[٤] وسط وعاء الغالية؟!

لك ضفيرتان بهما مائةُ ألف ثنيَّة وتجعيدة، ولك لحظان بهما مائةُ ألف حيلة وفنٍّ.

عيناك نرجستان بين قوسين، ضفيرتاك سنبلتان على حافة الياسمين.

١٠ – الأُوليانِ ساحرتان، بياضُهما وسوادُهما شَرك، والأخريان زنجيَّان؛ حُلكتُهما وضيائُهما مُشعلاَ العالم.

هما خنجرٌ مسحوبٌ على الأحباب الوالهين[٥] مثـــلُ ســـيف بطـــل العـــالم المسلول على رأس العدوِّ .

أميرِ الأمراءِ ابنِ المَلك "سنجر"، "أبى على حسن بنِ عليِ بنِ حسن".

المباركِ نصرةِ الدين "ذلك الذى لم تَمنح الأرضُ ابنًا مثلَه من دورة الفَلَـــك فى أىِّ زمن.

القائدِ الذى فى وقت الحملة يوم الوغى والاضطراب والفتنة يفـــوق وحـــده مائةَ جيش.

---

(١) أى : ثغرك.
(٢) أى : الثغر.
(٣) أى : الشفاه.
(٤) أى : الأسنان.
(٥) فضَّلت ما جاء به "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص ٤١٧) من نسخة أخرى للـــديوان في شطر البيت الأول.

المحاربِ الذى بحملةٍ واحدةٍ لجواده يقتلع "قارنَ" من السَّرج بسن رُمْحه.
وقت السَّخاء هو "معن" و"حاتم" و"افشين" ووقت الشجاعة هو"فرهاد" و"رستم" و"بيجن".
وقت المحفل كريمٌ ولطيفٌ، وقت الكريهة باسلٌ ومجندلٌ(١).
يسبب برمحه الجارح ثقبًا فى السَّندان، ويَقْسم بسيفه الباتر الحديدَ نصفين.
وقت الحملة ينفث رُمْحُه المتَّصفُ بالأفعى سُمًّا حول أجساد الأعداء.

٢٠ – ما إن شَرَع السِّلاحَ لأجل قتال العدوِّ، حتى ألقى عدوُّه سلاحَه من الفزع.
وحين يتَّجه صوبَ العدوِّ تخال أنَّه مثلُ المحارب، وحين يلقى الصديقَ فإنَّه يعقد طرفَ ثوبه هناك مرحبًا.
أيها المقاتلُ الفارسُ الذى يقول عدوُّه: إنك لم تُولد من امرأة بل من زَهْر وحديد وفولاذ.
فإذا ما كان عدوُّك جَبَلاً من حديد وفولاذ؛ فإنَّه من ضربة واحدة لك يتناثر كحبَّات الذُّرة.
ما إنْ تقع هيبتُك فى صُدور الرجال، حتى يصير الرجالُ مثلَ النساء الحبليات.
لا يكون من كرة المغفر حتى ثنيَّات الدِّرع حجابٌ لسيفك عن عدوِّك.
رُمْحُك المخترقُ للصدر يخرج بيُسر من جبل الحديد مثلَ الإبرة من الحرير.
طالما يُذكر الحريرُ والملاكُ فى سياق الحديث عن وصف الوجه النَّاعم والحَسَن دائمًا.

---

(١) حرفيًّا : حين يأخذ بالكأس فهو معطى البِدَر والملاطف للعبد، وحين يأخذ بالسيف فهو المجندل للأبطال والمحطم للأعداء.

فتناولْ من السَّاقيات ذوات الوجه الملائكى والحريرى خمرًا فى دَنٍّ كأنهـا الروحُ فى الجسد.

ولاطفْ أحبابَك بيد اللُّطف، وأطِحْ عُنقَ أعدائك بسيف القهر.

٣٠ - وليكن لأعدائك مستقرٌ فى النَّار، وليكن لأحبابك مسكنٌ فى الجِنان.

فى مدح أحمد بن على (ص ٢٣٩ - ٢٤٢)

١ - لا تنكثْ عَهْدَ وصالى يا صاحبَ الضَّفيرة المصفوفة، ولا تجعلْ قامتى مثلَ غديرتك من وطأة الهجر.

حينما صرتُ مكبَّلاً فى شَرَك هواك؛ فلا تَعْرضْ عَنِّى ولا تَنْزَعْ ثوبَك من يدى.

لقد وطَّنتُك فى القلب والعين محبَّةً، واعلمْ أنَّه لا وطنَ أفضلُ مـن هـذين الاثنين.

لا تَخْشَ من دَمع عينى وحُرقة قلبى؛ لأنهما يعرفان صديقى من عدوِّى.

انفَحْ رائحةً كمسك "التِّبت" من نيران قلبى، وصرْ يانعًا كسَرْو الخميلة مـن دَمْع عينى.

وأقْبِلْ مَرَّةً تجاهى متبخترًا كسَرْوٍ أو قمـر، إنَّ لقمـرى غـديرةً مـسكيَّةً ولسَرْوى قوامًا فضيًا.

أنتَ الصَّنمُ(١) ملائكىُّ الوجه قاسى القلب، وبـدون محيَّـاك صـار حـالُ الوثنى(٢) على شاكلة المصروع(٣) والواله.

---

(١) أى : المعشوق

(٢) أى : العاشق

(٣) أى: المجذوب أو الذى مَسَّه الجنُّ.

اكشفْ لىَ عن وجهك، وأقللْ من قسوتك؛ لأنَّهم يرأفون بحال المصروع.

صِدْ رُوحى بقوس حاجبك، وإرْمِ عليها سَهْمًا من لحظيك الوسْنانين.

١٠ – لماذا وضعتَ على وجنتك الشَّبيهة بالوَرد ذلك الخَطَّ العنبرىَّ الملفوفَ ظُلْمةً وضياءً؛ فصار عليها كأنَّه مخلبُ صقر.

لعلَّه خطُّ ولىٍّ نعمتى الكريم، رَسَمه بقلم فصيح وألكن.

نصير الدين شرف الدولة "أحمد بن على"، رأس المعالى عين الكفاءة صَدْر الزَّمن.

القائد الذى يُهيِّئ أمامه أهلُ القلَمَ للعمل دائمًا، ويفتحون أفواهَهم بالثناء.

بسبب عظمة دولة وإقبال الصَّاحب العادل؛ يمتثل الفلكُ الشموسُ لأمره.

وقد جعل برأيه السَّاطع وكفِّه الجواد وخُلقه الحَسَن خَلْقَ العالم رهينَ منَّته.

يحفظه اللهُ من عين السُّوء؛ لأنَّ بلاطَه مأمنٌ للخلق من كلِّ سُوء.

يا مَنْ أساسُ مملكة توران[1] متينٌ بك، وظَهْر وحمى الدِّين والسُّنن قويــان بكَ.

اختفى فى عصرك ولم يَعُدْ له ظهورٌ الظُّلمُ والفتَنُ مثــلَ "الــسيمرغ" مــن "صقر" عَدْلك.

صارت عينُ العقل من رائحة خُلقك بصيرةً، مثلَ عين رسول كنعان[2] من رائحة القميص.

---

(١) أى : ذكرها : همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص ٤١٨)

(٢) أى : يعقوب.

٢٠ - خَلَى قلبُ يقينك النَّقى من كلِّ سوء، على ذلك القياس الذى يكون فيه الخلدُ خاليًا من "أهريمن"(١).

صار يقينًا لكل الخلق أنْ ليس مثلك محمودُ السيرة ونقىُّ العقيدة وحَسَنُ الظَّن.

ولم يظهرْ فى عالم السَّخاء والأدب أحدٌ يفوقك سَخِيًّا وأديبًا.

لا تطلبْ من أحد رياءً ونفاقًا فى الأدب، وليس لأحدٍ فى السَّخاء مالرياح مِنَنِك من هُبوب.

الفضلُ والمروءةُ والحكمةُ مزيَّنةٌ فى جسدك مثلما الرائحةُ فى الوَرْد واللَّونُ فى نبات البرناس(٢) .

وضعت يدُ الزَّمان(٣) مرارةَ الحنظل فى غضبك وحلاوةَ المَنِّ فى رضاك.

ولأنَّ شعاعَ دولتك يسطع كالشمس على كلِّ أنحاء العالم من كلِّ باب وشُرفة.

فإنَّ الليلَ الأسودَ يظل حتى يوم الحشر حاملاً فى النَّهار الأبيض لأجل إنجاب إقبالك.

فأنت فى بلاد العَجم على تلك الصفة المثلى فى الكفاية، وفى بلاد العرب "الزُّبير" و"أبو محجن" فى الشجاعة.

كَفى أن يكون سنانُ "رستم بن زال" وخنجرُ "بيجن"(٤) فى سنِّ قلمك فى العقاب والإرهاب.

٣٠ - يفرُّ الأسدُ الهصورُ رُعْبًا من ظِلِّ أى قلم يصبح قلمَك.

أنت شمسٌ وعدوُّك أمامك أضعفُ حالاً من مصباح بلا زيت.

---

(١) أى : الشيطان.
(٢) هو نبات أحمر اللون ويستخدم فى الصبغة الحمراء.
(٣) ذكرها "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص ٤١٨).
(٤) هو ابن أخى البطل "رستم بن زال".

لو تشعل عظمتُك العدوَّ كالشَّمع، فكلُّ شخص قد أصابه العَمَى يتَسنَّى له العملُ بوضوح.

الشخصُ الذى سيتجرَّع صهباءَ غضبك، سيترع أيضًا من فوهة الدَّنِّ رواسبَه لسُوء طالعه.

الشخصُ الذى يقيم معك عداوةً، يعضُّه الزَّمانُ بناب القهر.

لا يسلم أحدٌ من أعدائك من طاحونة الفَلك الدائرة مثلَ الذُّرة من رَحَى الطاحونة.

عصرُ دولتك يتوِّج هَامَ أحبابك بكلِّ حبور.

لو يطالع " السوزنى " العالمَ بعيدًا عنك(۱)؛ فلْتَخِزْه إبرةٌ في عينه البصيرة.

طالما يكون دائمًا في الكتابة عناءٌ مثلُ الغناء، على ذلك القياس الذى تكون فيه المحَنُ بمثل المجَنِّ .

فليكن اللهُ لجسدك مجَنًّا حافظًا، وليجعلْ لك الغناءَ ولحسودك العَناءَ والمحَنَ.

فى مدح شرف الدولة أحمد (ص ٢٤٢ – ٢٤٤)

١ – يا مَنْ قدُّك عندى هو الصنوبرُ الفضِّيُّ، وجنتُك لدىَّ هي الشمسُ الساطعةُ.

خالُك وخَطُّك شَرَكٌ لىَ وحَبَّةٌ، لحْظُك وشفتُك خَصْمٌ لىَ وحَكَمٌ(٢).

أهدابُك رُمَاةٌ متصافةٌ نحوى، وغديرتُك ليست لدىَّ سوى أنَّها مدرَّعةٌ .

تَجَمَّعت جيوشُ العشق حولى وأثارت الفتنةَ .

وما إنْ أقبل جيشُ العشق نحوى تحلَّيتُ بجيش من الصبر .

---

(١) هذا ما أورده " همائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٨١٤) . وقد فضَّلتُه على متن الأصل لجمال المعنى .

(٢) كما قال " المتنبى " : فيك الخصامُ وأنت الخصمُ والحكمُ .

يا مَنْ ثَغْرُك مثلُ الشراب والسُّكر، ألا فـــانْزَعْ منِّـــى حـــديثًا – عَـــذْبًا – كالسُّكر.

صارت هيئتى ذرَّاتٍ متناثرةً من الفتنة التى تعلو طلعةَ شمس هيئتك .

بدون قامتك الصنوبرية الفضيَّة، انحنى صنوبرى[1] مثل قلم البوص .

اليوم الذى لا أجاورك فيه، يجاورني الحزنُ لأجلك .

١٠ – عَنْبَرُ ناصية حلقات ضفيرتك، هو مَجْمَرُ قلبي المنصهر المتَّقدُ نارًا .

عبقُ كلِّ العالم من عنبرك، وحرقةُ كلِّ الدنيا من مجمرى .

طرَّتُك تلك العنبريةُ المعقوفةُ، هى طوقٌ فى عنق قلبي[2].

حين أكون المادحَ، تفوح رائحةٌ عبقةٌ من مديحى فى الصَّدْر مليكى المعظم .

الصَّدْرُ الذى حين أتحدَّث عن خُلقه، تصير حنجرتى مضمَّخةً بالمسْك.

ليس فى قلبي وطبعى المعطَّر ثناءٌ معطَّرٌ سوى مديحه .

وتتبثق النَّوافجُ من أوراق دفترى عن راوٍ لمديحه .

ليس فى صَدْرى الشَّبيه بدُرْج الجوهر سوى لؤلؤ شُكْره المنظوم .

الدِّهقانُ الأجل " أحمد " ذلك الذى أعلم أنَّه لا يجوز لىَ سوى خدمته .

حضرةُ شرف الدَّولة الذى يُعَدُّ نصيرًا لىَ فى دين الله والرسول .

٢٠ – " الصَّدرُ " الذى يكون خطابُه من " الصَّاحب " : يا نائبى ويا أخى .

ويقول عنه " محمودٌ " إمبراطورُ الشَّرق : إنَّ خنجرى القاطعَ من قلمه .

أيها الملاطفُ أتباعه، لا يكون لىَ الآن تفاخرٌ دائمٌ إلا بك .

---

(١) أى : قامتى.

(٢) جاء الشطر الثاني لهذا البيت في حاشيته : " يك روز آرد آسيب برسر من "ومعناه : "وضَعَتْ ذاتَ يوم تفاحةً على رأسى" ويكون البيت بهذا الشكل أكثر جمالاً فى التصوير، وكأن الشاعر يرى الطرةَ أو الضفيرةَ بمثابة العبد الأسود يرمى بسهم تفاحةً موضوعةً على رأسي .

ما إن صرتُ خادمًا فى بلاطك حتى تحقَّقَت لىَ سعادةُ الظَّفر .
وحين أقصد بلاطَك ؛ يقصد الإقبالُ بابي .
وحيثما أريد ثناءَك ؛ يصبح قولى هو المُثْنى عليك.
لو أنَّ نعمةَ الممدوح تُربى الطَّبْعَ ؛ فقد أضحت نعمتُك مربيةً لطبعى .
ولو أنَّ همَّةَ السَّيد تُشْهر الاسْمَ ؛ فقد أضحت همَّتُك مشهرةً لا سْمى .
أيها الخالدُ، ألا فاسْعَدْ ؛ لأنَّ القليلَ من جُودك يزيل عنِّى الغَمَّ الأزلى والمذلَّةَ .
لقد نَصَّبَنى مديحُك ملكًا للقول، وقد صارت عمامتُك لىَ بمثابة التَّاج والإكليل.
٣٠ - وما إنْ رأى أمراءُ القول التَّاجَ على هامتى حتى انخرطوا فى طاعتى .
فإن أعتابَك وسادتى، وفراشى من ثَرَى بلاطك .
فالثناءُ لأمى ؛ لأنَّها أرضعتنى حُبَّك مع لبن الرضاعة .
وأنا أصاحبُ مديحَك دائمًا وهو رفيقى حتى آخر رمق لىَ في الدنيا .
وقد قال الفَلَكُ حقًّا : فلتكن النجومُ السَّبعةُ الخاصةُ بىَ فى نظرك نجومَ السَّعد .
وقد قالت الأرضُ حقًّا : فليكن أمْرُك نافذًا على الأقاليم السَّبعة الخاصة بىَ.
وأنا سأدعو لك بالخير، وهو بالنسبة لىَ أمرٌ سهلٌ وميسورٌ .
فليكن العالمُ كلُّه مسخَّرًا لك، مثلما صار القولُ مسخَّرًا لىَ .
وليمنَحْك الله صلاحَ العالمين كليهما، وهذا هو أطيبُ دعاء لىَ .

فى مدح علاء الدين محمد (ص ٢٤٤ - ٢٤٦)

١ - قلبى موطنٌ لهَوى " آل النَّبى "، فلا كان قلبى لحظةً بغير هذا الهَوى .

لو أنَّ عدوٍّى يدعونى طاعنًا بالعاشق بهذا الهَوى الذى عندى ؛ فإنِّى أكون عبدًا عنده .

هذا الهَوى الذى أنا فيه ليس فيه لونُ البدعة ولا رائحتُها ؛ لأنَّ كلَّ هذا الهَوى هو عينُ الشريعة والسُّنن .

ليس هذا الهَوى مثلَ الهواء المظلم والحالك ؛ لأنَّه مثلُ الهواء الصافي والمضيئ .

وأنا لا أنزع القلبَ من هَوى أفلاذ أكباد النَّبى طالما رُوحى فى جَسَدى .

هَوایَ كلُّه لهم كى يصير طبعى ماهرًا فى نظم القول فى مدح آل النَّبى .

سواء أكنتُ فصيحًا أم ألكنَ، فحين أمتدح آل النبي تكون لىَ فصاحةُ " حَسَّان".

فَمَنْ أفضل من هؤلاء يُزَيِّن ديوانى بمدح عترة الكرَّار الأسد الهصور .

فيكون عند السَّيد الأجلِّ السَّعيد الذى هو مَلِكُ " آل الحَسَن " وفخرُ أهل الزمن الرضا عنِّى طوال العُمْر .

١٠ - الأجلُّ أميرُ خراسان الذى يكون اسْمُه سامرًا للحُسْن فى العراق والحجاز والشام واليمن .

لا وَصَلَ إلى مسامعى حديثٌ من فمى، إنْ أعقد لساني عن ذكره .

إنْ فرَّقَ جفاءُ الزَّمن الغادر بينى وبين مَلِك " آل الحَسَن " السَّيِّد الأجلِّ .

- أسارع - وأتمنطق بخدمة مَلِك " آل الحُسَين "، الذى يكون فى ملاذه أهلُ بيت " آل الحَسَن " .

" علاء الدين " ابن السَّيد الأجلِّ " حيدر " الذى يكون سَنَدَ الملك " حيدر " يوم الاضطرابات والفتن .

فأنت " محمدٌ " ؛ لأن " محمدًا " الذى هو فخرُ الرُّسل يكافئه بأنْ يتفاخر به يوم الحَشْر .

أنت المختارُ الذى يكون كلُّ قوله له مستحكمًا، وأنت الممدوحُ الذى يكــون كلُّ فعل له مستحسنًا .

ويكون بين عترة وأولاد " المرتضى " و " النبي "، مثلَ البَدْر بــين الثُّريــا على السماء .

ويكون بين روضة سَادة وجه البسيطة، مثلَ الــسَّرْو بــين الخميلــة فــى البُستان.

العظيمُ الطَّليقُ الذى لا تنجو عنقٌ واحدةٌ فى الدنيا من حِمْل منَّته .

٢٠ - من رائحة خُلقه يتنفَّس الوَرْدُ والياسمينُ فى الحــال مــن بــين الأشــواك والأحجار الصَّلدة فى شَهْرى " دى " و " بهمن "(١).

نَفَسُ خَصْمه يكون فى هذا مثلَ " بهمن " و " دى "، ووجهُ صديقه يكــون من ذاك مثلَ الوَرْد والياسمين.

لو تمطر راحتُه الذَّهَبَ العيَارَ والدُّرَّ العَدَنى، فإنَّها تشبه سُــحُبَ " بهمــن " وتَفَضُّلُها .

أيا فَلَكَ المعالى وصَدْرَ " آل على "، يكون لك خُلقُ " عليٍّ " وخصالُه فــى السِّر والعَلَن .

أنت الذى لا شبيهَ لك، ولا شبيهَ لك فى العالم من بين كلِّ آل بيت نبيٍّ ذى المَنِّ .

القلبُ الذى يكمن فيه حبُّك وهواك، ليس ذلك القلبَ الذى يتساوى فيه ديــنُ "الله " ومذهبُ " أهريمن "(٢) .

---

(١) أى : فى فصل الشتاء . وهما الشهران الأول والثاني من هذا الفصل .

(٢) أى : الشيطان.

لو أتَّخذُ أعتابَك وسادةً لرأسي شرفًا، تصل إلى القُبَّة الزرقاء بلا منفذ.

طالما يكون الليلُ الغربيبُ حاملاً فى النَّهار الأبيض من دورة القبَّة الزَّرقاء.

فليكنْ لليل بقائك نهارُ الدولة والعزِّ، وليكنْ لليل بقاء حسودك نهارُ الذُّل والمحَن .

فى مدح الملك نصرة الدين على بن هارون (ص ٢٤٦ – ٢٤٧)

١ – أضحيتُ من عشق المعشوق ثملاً ومجنونًا ؛ لأنَّ له ناصيةَ طُرَّة وسلسلةَ خمريةَ اللون

فأضحيتُ مكبَّلاً بسلسلته الخمرية اللَّون، مثلَ الثَّمل من الخمر ومثلَ المجنون – المكبَّل – بالسلسلة .

المعشوق الذى تَشْمل الفتنةُ قَدَّه وخَدَّه ؛ فالأول سَرْو البستان والثاني قمرُ السمَّاء .

وحين أقارنه بالسَّرْو وبالقمر ؛ فالأول يبدو ذليلاً والثاني يبدو حقيرًا .

" ألفُ " قامته هى التى مع " نون " ثنيَّة طُرَّته تجعل " ألفَ " قامتى فى إنثنائة "النون " .

صار قلبي المعنَّى والمكبَّلُ بطُرَّته مثلَ النُّون فى ناصية الشَّصِّ، ومثلَ "يونس" من النُّون

ذو الوجنة العنَّابية الذى يغسل لَحْظُه السَّفَّاكُ وَجْنَتى بماء العِنَّاب .

فغسلتُ يدى من دماء قلبي، حينما خلَّصَ يَدَه عن دم القلب المسفوك .

الحبيبُ ظالمٌ وأنا بقيتُ عاجزًا، فحتَّامَ أتحمل جورَه، حتَّامَ ؟!

١٠ - أتظلَّم لدى الملك الحاكم العادل " على بن هارون " كى يَرُدَّ عنِّى ظُلْمَه وجورَه.

الأجلُّ " نصرةُ الدين " الذى هو من حيث العظمة فى علم وعَدْل " هارون " و " المأمون " .

الملكُ الذى يعود نسبُه إلى " أفريدون "، فالذى يأتى من " أفريدون " هو كذلك ملكٌ للعالم .

فلذةُ كبد " أرسلان خان " الغازى، وقلبُ وظهرُ الخاقان المنصور الميمون.

أيها الملكُ الذى لم يَجِدِ الزَّمانُ بقرين لك فى " مُلك توران " .

تجمَّع فى ذاتك واقترن بها : السَّخاءُ والشجاعةُ والسياسةُ والكياسةُ .

يا ملكَ الأقاليم السَّبعة فى ذات الأركان الأربعة هذه لا ينال أحدٌ فيها أكثر منك .

فأنت تنثر الذَّهبَ بسخاء مثلَ " حاتم "، وأنت تحمل بشجاعة مثلَ "رستم ".

وأنت تَبْدو في السياسة كأنك " كاوس "، وتبدو " أفلاطونَ " وقت الكياسة.

من غضبك يصير الخصمُ رفيعُ الشَّأن منكوسًا، ومن عَفْوك يصير منكوسُ الطَّالع رفيعَ الشَّأن .

٢٠ - من حُبِّك يصير المحزونُ مسْرورًا، ومن كُرْهك يصير المسْرورُ محزونًا.

من ثَرى حِلْمك يصير الغبارُ جَبَلَ الجُودى، ومن ماء يدك يصير البخارُ نَهْرَ " جيحون " .

لك في الجُود اليدُ البيضاءُ مثلَ " موسى " ؛ فأنت من نسل "هارون"[١] الآن أيها الملَكُ .

لو تظهر كنوزُ " قارون " من الثَّرى، تصير غارقةً مثل " فرعون " فى ماء جُودك .

---

(١) هنا تلاعب لفظى بين "هارون" أخ موسى، و"هارون" نسب الممدوح "على بن هارون".

لقد فتحتُ خزانةَ مديحك، وملأتُ الصحراءَ بالدُّرِّ المكنون .

فلو يأتي مديحى أيها الملكُ لديك مستحبًّا، أجعل الدُّرَّ المكنونَ مقفًا وموزونًا.

طالما أنَّ حَدَّ الشِّعر لدى الشَّاعر التقفيةُ والوزنُ فى الأصل والقانون .

فكلُّ ذلك الشِّعر الذى يصدر من طبع الشَّاعر، فليكنْ مديحُك فيه مشحونًا.

وطالما سيكون مدارُ الفَلك ساكنًا فوق الأرض فى الدنيا على هذه الشَّاكلة.

فليكنْ مدارُ الفَلك وفقَ مُرادك، وأنت على العرش، وحاسدُ جاهك مسجونٌ.

فى مدح فخر الدين أحمد (ص ٢٤٧ - ٢٤٨)

١ - المنَّةُ لله ؛ لأنَّنى مع الطَّالع السَّعد ومع البخت الميمون الذى لا مثيل له ولا شبيه(١).

قد طالعتُ الملكَ، والنَّهارُ قد صار بطلعته الميمونة نهارًا مباركاً بالنسبة ليَ.

الأجلُّ "فخر الدين أحمد" ذلك صَدْرُ الدنيا، الذى أمام قَدْره الرَّفيع يُعَدُّ الفَلكُ حقيرًا.

والذى لا يكون للكواكب سيرٌ ولا للفَلك دورانٌ سوى ما يوافق مرادَ قلبه.

لا يحيد أحدٌ في العالم عن أمْره، سوى ذلك الذى يخرج عن حدود عالم العقل.

قلبُ الدولة وروحُها هائمان به عشْقًا، مثلما قلبُ "المجنون "ورُوحُه لوجه "ليلى".

---

(١) يقرأ هذا البيت مع البيت التالي له مباشرة، فأنا أرى ارتباطهما في المعنى .

الخَلْقُ جميعًا أسْرى فتنة الدَّلال والتَّبختر، وهم طوال العُمْر أسْرى فتنة دلاله وتَبَخْتُره.
يا صَدْرَ الدنيا، إنَّ حُبَّك مخزونٌ فى الصَّدْر مثلما الدِّينُ لدى أرباب الدِّين.
وكلُّ قلب قد اختزن حُبَّك، صار بمخزونه سعيدًا وغيرَ محْزون.
١٠ – مديحُك فرضٌ على أهل الحكمة؛ لأنهم يحصدون فى مديحك الدُّرَّ المكنونَ.
وأنا لستُ مهيَّئًا لتلك الحكمة، فأعرض عليك كلَّ لون آخر شبيه بها.
فأنا أستطيع أنْ أنظم في سلْك المديح لأجل صَدْرك موزوناتٍ عديدةً من نفاية صَدَفٍ.
فمديحُك يُنَقّى الطَّبْعَ من الدَّنس، على الشاكلة التى يُنَقّى بها الصابونُ الثيابَ.
ومديحُك لا يُعَد قولاً مغبونًا وفاحشًا، فلا كان مديحُ صَدْرك مغبونًا.
تَدْمَى قلوبُ حُسَّادك من الحَسْرة، حين تُصاب بغارة من قهرك مفاجئة.
مَنْ يمنع غارةَ قهرك المفاجئة، فالحَجَرُ الصَّلْدُ يَدْمَى رُعبًا منك وخوفًا.
صارت قلوبُ حُسَّادك أسْرى يَد هَواك، بسبب إحسانك وبرِّك.
فأنت تُعطى تكرُّمًا ولا تحتاج مِنَّةً؛ فعطاءُ الكرام غيرُ ممنون.
طالما يكون مرتعُ الحيوانات المتوحشة دائمًا في الصحراء ؛ فلتكن الصَّحراءُ مرتعًا لأعدائك.

فى مدح الوزير صدر الدين (ص٢٤٩–٢٥٠)

١ – أخذ مجلسُ الوزارة بـ "صَدْر الدين" زينةً من الإقبال على كمال إمبراطور الشرق والصين.
الصَّدْرُ الذى يكون دينُ "محمد" الطاهر محمودًا باسْمه أبد الدَّهر حتى يوم الدين.

الصَّدْرُ الذى يُعَدُّ واسطةَ عِقْد أهل الفضل، وكلُّ طُرفة من عبارته جـوهرٌ ثمينٌ.

وكلُّ جوهر يأتي به لفظُه من منجم الطَّبع، يكون من ذلك الجـوهر فَـصٌّ لخاتم الإقبال.

خَطُّ الصَّدْر المنعشُ عِقْدُ جواهر، وهو مِثْلُ الصَّدْر جوهرًا، وهـو كـذلك حقًّا.

مكتوبُ الصَّدْر وتوقيعُ قلمه، يشبه الطُّرَّةَ المسلسلةَ وشَـحْمَةَ أذن الحـوُر العين.

تلاميذُه السَّابقون ومريدُوه، هم على الأرض "عطاردُ" الفَلك المعلِّمُ الماهرُ.

هو مخلوقٌ من التَّمجيد ومن ألطاف الخَالق، فى حين أنَّ "آدمَ" مخلوقٌ مـن الماء والطِّين.

يكون قولُ المديح فى مديحك، يا مَنْ لك عالَمُ الثناء أيهـا المخلـوقُ مـن التمجيد.

١٠ – كلُّ شخص ينشد مديحَك بمائة لسان، فإنَّهم يوصلون الثناءَ إلى مسامعه من مائة لسان.

ليس من بين كبار الدَّهر شخصٌ يناظرك، وليس من بين كـرام العـصر شخصٌ يقارن بك.

قلمُك فى بنانك حاملٌ، وسيلد من سِّره بناتٍ للفضل وبنين.

تدبيرُك مفتاحٌ لكلِّ مغلق، بحيث لا يقوى سَدُّ الإسكندر على الصمود أمامه.

عبارتُك لأهل الفضل عذبةٌ، وهى الأطيبُ في الأذن لأنَّ مذاقَها فـي الفَـم الشَّهْدُ.

لو يصدح البلبلُ "بالنَّوا" من لفظك على ثمرة "مازو"[١] ويصفِّر حزينًا

فلا عَجَبَ أنَّ ثمرةَ "مازو" هذه التى لا لُبَّ لها ولا مذاقًا، تنال مـن ذلـك الصدْح المذاقَ واللُّبَّ كأنَّها "التِّين".

أنت وزيرُ مَلك الشرق ولك في كم الثوب يدٌ بيضاء؛ مثلُ الصبح الصَّادق على سَماء الفضل.

حين تصير شمسُ فضلك ساطعةً بيِّنةً، تتزيَّن الدنيا بنور عَدْل المَلك.

ما دام ظنُّ الخَلْق فيك بالطَّيِّب ؛ فكنْ طَيِّبًا حتى يصير ظَـنُّ الخَلْـق فيـك بالطَّيِّب يقينًا.

٢٠- أضحت قلوبُ الخَلْق أمام شمس أمرك شمعةً، فافعلْ ذلك الذى يناسب شمسَ الحُبِّ ولا يناسب شمسَ الحقد.

طالما تُعَدُّ الشَّمسُ ملكَ النجوم والقمرُ وزيرًا، وبينهما يدور الفَلكُ شـهورًا وسنين.

فلتكنْ تلك الأشهرُ والسُّنون عَدَد عُمْر المَلك، ولـتكنْ أنـت القَمـرَ، أيهـا الصَّدْرُ، والمَلكُ شمسَ الدين.

فى مدح سعد الدين (ص٢٥٠-٢٥١)

١ - السَّلامةُ كلُّها لسلطان مُلْك المشرق والصين، السَّعادةُ كلُّها للأميـر العميـد "سعد الدين".

فمن سيف ساعده ومن بنانه وقلمه صار للمُلْك وللدين أساسٌ محكمٌ وقوىٌّ.

الأمينُ والمؤتمنُ ملكُ المشرق والمغرب، العميدُ، الملـكُ صـاحبُ التَّـاج والعرش والخاتَم.

---

(١) ثمرة شجرة يدبغ الجلد بها.

وهكذا العالمُ من عَدْل المَلك بحيث يقيم "الكبكُ" عُشًا على رأس "الشاهين".
الحقيقةُ أنَّ مؤشِّرَ ميزان العقل في مُلك المَلك زينةِ المُلْك يكون من رأيه.
كلماتُه لها وقْعُ العذوبة في أذن المَلك؛ لأنَّ المَلكَ يحبُّ عباراته العَذْبةَ .
الشَّخصُ الذى يكون عَذْبَ الحديث يعلم أنَّه حديثٌ لا يصدر مـن "خـسرو پرويز" ولا من "شيرين".
ولفظُ " الأمير العميد" حديثٌ من "مَلك الصين"؛ ذلك لأنَّ "الأميـرَ العميـدَ" أثيرٌ لدن "مَلك الصين".
وهكذا يتحدث فى أذن مَلك الصين، التى تصير مفعمةً من سُكّر حديثـه[1] المعقود بالسُّكَّر.
١٠ – كلُّ مَنْ رأى خَطَّه المسلسلَ[2] يعتقد أنَّه طُرَّةُ معشوق معقودة وغديرةٌ مليئةٌ بالتَّصفيف والتجعيد.
ما إنْ يطالع العقلُ كتاباته حتـى يقـول : إنهـا بكـلِّ يقـين "كارنامـه" لـ"مانى"[3].
مَرْحَى لعالَم الفضل الذى يتَّخذ أهلُ الفضل فى الدنيا أعتابَك وسادةً لهم عن طيب خاطر.
ويتَسَنَّى للهامة أنْ تعلو من أعتابك إلى ما فوق الفَلك، ليس هذا الفَلَكَ بـل هو عَنَانُ علّيِّين.
"القلمُ بيد معلِّمٍ أفضلُ من ألف درهم"، مَثَلٌ يـضربه المعلِّمـون المفلـسون المساكين.

---

(١) حرفيًا : كم ثوبه.
(٢) هو أحد أقسام الخطوط الإسلامية.
(٣) سبق الحديث عنها وعن صاحبها.

ولو كان القلمُ قلمَك والخَطُّ خَطَّك، فهو أفضلُ من ألف بِدْرَةِ دينـــارٍ ودرجِ دُرّ ثمين.
خَطُّ العطاء خَطُّك بالعطاء لهذا وذاك، وليس الخَطُّ بالطلب من هـــذا وذاك بالقهر
وبالغضب.
حين يُزيِّن يمينُك الخَطَّ، تسمع الثَّناءَ على تلك اليمين المزيَّنةِ للخَـــطِّ مـــن اليسارِ واليمين.
يمينُ[1] أهل القلم لا يكون إلاَّ بخطِّ يدك، ولا يحنثون يمينًا بخطِّك لأنَّه من خَطِّك.
يكون للمادحين فى قصرك حرمةٌ جديرةٌ بأن تكون كعبـــةَ الحاجـــة علـــى التَّعيين.

٢٠ – وقد أتيتُ بحاجة حتى تتفضل بقبولى فى خدمتك عَبْدًا ورَهْنًا لأمرك.
ولرفعة دولة سلطان سَماء الهِمَّة؛ فإنَّ أهلَ السَّماء والأرض هم خُلَفَاؤُه.
ولأنَّ الإقبالَ حليفُك فأنت صاحبُه، ولتكنْ دائمًا قرينًا لحليفك.

فى مدح شجاع الدين (ص٢٥١-٢٥٣)

١ – قائدُ جيش الأشاوس "أبو على شجاع الدين" هو "علـــىٌّ"[2] يـــوم الحفيظـــة والعريكة واللِّقاء والكريهة.
بهاءُ الدولة والدِّين ذلك بطلُ الحَضْرة، وملاذُ جيش السلطان وملكُ وجه البسيطة.
المبارزُ الذى كلُّ مَنْ رآه يوم الدعوة العامة ويوم الوغَى، لا يراه بـــالعين البصيرة.

---

(١) أى : قَسَمٌ.

(٢) أى: على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

فهو ألفُ "حاتم الطائي" استقروا فى عرش واحد، وهو ألــفُ "رســتم بــن دستان" و"سام" فى ركاب واحد.

لا تخال عينُه فى الحرب سوى ملاعبة قتــال ونــزال وعــراك "رســتم" و"رويين"[1] .

ما إنْ يقصد بلادَ "الصين" فى يوم النزال[2]، حتى يقع الفزعُ بــين جــيش الصين من فرط الرُّعب منه.

ورعبًا من ضربة صَمْصَامه الباتر، يمتلئ وَجْهُ عــدوِّ المَلــك بالتَّجاعيــد كالدِّرع.

ومن فرط شجاعته، يجرى القولُ على لسان مادحه بكلٍّ ما تخاله صــحيحًا ويقينًا.

لأنَّ الخالقَ وقت خَلْق البَشَر، خَلَقَ "أبا عليٍّ" و"عليًّا" من طينة واحدة.

١٠ - يعود من كلِّ معركة مظفَّرًا ومنصورًا، بتلك الصِّفة التى عاد منها "علــيٌّ" من موقعة "صِفِّين".

ما إنْ ينصب للعدوِّ كمينًا من ثنيَّة قوسه، حتى يصير قَــدُّ عــدوِّه منحنيًــا كالقوس.

يصير سَهْمُه من القوة شهابًا ثاقبًا، يحترق به عدوُّه مثلَ الشيطان اللَّعين [3].

يجعل من جُبَّه وقَيْده وتابوته لعدوِّه تاجًا وعرشًا وخاتمًا جزاءً له.

يا مَنْ يكون للعرش وللخاتم وللتاج إعزازٌ ومكانةٌ لائقةٌ لديه دائمًا.

تظفر رعيَّتُك بالأمان من الظُّلم، ولذلك السَّبب فأنت لستَ بــالمؤَمِّن علــى ظُلم مطلقًا ولا بالمصدِّق عليه.

---

(١) هو:" رويين تن" لقب "سفنديار بن گشتاسب" أحد أبطال "شاهنامة الفردوسى".

(٢) فضَّلت ما جاء فى الحاشية هنا لتمام المعنى.

(٣) استفاد الشاعر فى تكوين الصورة هنا مما جاء فى سورة "الصافات" آية (١٠) وفى سورة "الجن" آية (٨، ٩).

بدلاً من أن يأخذ العالمَ لنفسه فهو مانحٌ إيَّاه، مثلما ضَحَّى "خسرو" بمُلْك العالم لأجل "شيرين".

الشَّخصُ الذى سَبَّبَت آفةُ الدَّهر المرارةَ لعيشه، ما إنْ رآك حتى أضحى مُرُّ عيشه حُلْوًا.

أنت شمسُ الأرض بالرأى السَّاطع؛ لأنَّ الشَّمسَ السَّاطعةَ تُعَدُّ عَبْدًا لرأيك.

أنت فى الجُود لستَ البحرَ المحيطَ؛ ذلك لأنَّ البحرَ المحيطَ يكون مثلَ العَبْد والغلام لكفِّك الجوَّاد.

٢٠ - رهينُ مِنَّتك وإنعامك فى العالَم يفوق ذرَّات وقطرات.

الفارُّون والرَّاغبون يريدون بدعائهم لله اللُّواذَ دائما بوطنك.

فما أكثرَ الغرباءَ المساكينَ الذين يلوذون بدولتك وإقبالك وجاهك وحشمتك.

ويتظلَّلون أبدا الدَّهر بظلِّ عَدْلك؛ لأنَّ عَدْلَك فى الدُّنيا مثلُ "الطُّوبى" فى الخُلْد الأعلى.

ألاّ فانثُرْ من كفِّك المعطاء الدُّرَّ الثمينَ على الخلق، ما دامت قطراتُ الأمطار تتقاطر من السَّحاب.

وتَنَاوَلْ الكأسَ من يَد تلك التى تشبه وجنتُها النِّسْرينَ والشَّقائقَ وانْزَعْ راحًا تشبه الماءَ المعينَ.

فليكن الله حليفَك، وليكنْ لك حافظًا ومعينًا حيثما تمضى، فأنت حليفُ خَلْق الله.

فى مدح أمين الدين محمد (ص٢٥٣-٢٥٥)

١ - يا مَنْ شَفتاك المرجانُ ووجنتاك النِّسْرينُ، نِسْرينُك[١] مليئٌ بالسُّنْبل[٢]، والثُّريّا[٣] فى مُرجانك[٤].

أنا فى قلب وعين تفوقان قلبَ وعينَ عقيق ذلك المرجان المشاهد ذلك النِّسْرين.

أيها التُّركى البديعَ الحُسْن، أضْحَى مَذْهبُ عشقك مَذْهبى، لأنَّك زيَّنْتَ القَمرَ[٥] بالسِّلسلة المسْكية[٦].

وطالما زيَّنَت السِّلسلةُ المسْكيةُ القَمرَ، فقد أضْحى الجنونُ والثُّمالةُ مَذْهبى.

وحين تَفْتَح ثَغْرَك العَذْبَ أمامى ضاحكًا، فأحْسَبنى " خسْرو" مثلما أنَّك "شيرين".

صارت المرارةُ والحلاوةُ مضمرةً فى شفتك، حين تمنح القُبْلَةَ الحلوةَ وحينما يكون جوابُك مُرًّا.

شملت الفتنةُ وجْهَ معشوق "الصنَّم"، ذلك الشَّخصَ الذى يُزَيِّن بروحه وبقلبه الصنَّمَ[٧] فى معابد الصِّين.

فالوثنيون الصينيون دائمًا مثلنا معك، هم قاطفو الوَرْدَ من وجه معبوديهم فى كلِّ نظرة.

الذى له صفةُ الشَّاهين عاشقٌ لصَيْد قلب العاشق، وله فى سُلوكه معك حقًّا صفةُ الشَّاهين.

---

(١) أى : محياك.
(٢) أى : الخطوط.
(٣) أى : الأسنان.
(٤) أى : ثَغْرك.
(٥) أى : الوجه.
(٦) أى : الغديرة.
(٧) أى : المعبودَ.

فتخال أنَّ قَلْبَ "السَّيِّد" قد صار لك مؤشِّرَ الميزان، تارةً صوب عشق البط وتارةً صوب هَوَى الشاهين.

أىُّ خَطَرٍ للشاهين ؟! إنَّه الصَّقْرُ النَّجيبُ حَسَنُ الصَّيد، وقد صار صَيْدُ "أمين الدين" فى شِرَاك هَواك.

سيدُ الفضلاء الذى ينالون منه الإحسانَ فى الفضل والعلم ويُثْنون عليه.

سَمِىُّ رسول الله الذى لا يَتَّسَنَّى تحديدُ شخص واحد من أمة سَمِيِّه بلا منَّة له.

الكريمُ الذى صار الكرمُ مخلوطًا بطينته، فى حين أنَّ اللهَ قد خَلَقَ "آدم"[1] من الطين.

فى عمل "تكسين عيار بك"[2] الشجاع، يتمنطق أمامه – لخدمته – مائةُ "بيغو" و مائةَ "تكسين"[3].

البطلُ "عيار بك" حامى جيش "توران" هو الرجلُ الذى يكون بمفرده يوم الكريهة مائة "رستم".

طالما يكون نائبُه قاطنًا فى دولته، فإنَّه يمنح السَّكينةَ لمُلْك العالم كلِّه من الفتنة.

هذا النَّائبُ "عيار بك" الذى يرغب قائدُ " قسطنطينية "بحقٍّ أنْ يكون خادمَه.

يا مَنْ أنت فى الفضل أعظم من الصَّاحب" و"الصَّابى"[4]، ويا مَنْ أنت فى المروءة أفضل من "حاتم" و"افشين".

همَّتُك العاليةُ مصاحبةٌ أوَّلَ خَلْقك، ومن همَّتك عَلا جاهُك إلى علِّيِّين.

---

(١) أو: البشر.

(٢) واضحٌ من الأبياتِ التالية أنه كان نائبًا للممدوح.

(٣) هما من عظماء الترك (الديوان. لغات ص٤٤٣).

(٤) هو ابراهيم بن هلال المكنى بأبى إسحاق وهو من عظماء كتاب وبلغاء عصره ت ٣٨٤هـ. (الديوان: لغات ٤٦٥).

أضحيتَ من الفضل والحكمة فى علم وعمل كاملين؛ فبالعِلْم تـصير عـينُ عَملك بصيرةً دائمًا.

سَعد بجاهك العالمُ وأيضًا العاملُ، فالعالِمُ له حُرمةٌ معك والعاملُ له مكانـةٌ لديك.

لعين الدَّولة نظرةٌ صادقةٌ فيك، لأنَّ أحبابَك سُعداءٌ فى دولتك.

سَعد الخَلْقُ فى دولتك بك، ولم تَنْقُصْ ذَرَّةٌ واحدةٌ، وهذا أيضًا فضلُ الله.

امتلأت القلوبُ كلُّها بحبِّك وهواك؛ ذلك لأنَّ لك قلبًا خاليًـا مـن الجَفَـاء والحقْد.

تَستَرشد بالعقل وتُحْسِن الصَّنيعَ مع الخَلْق، ولم تقبلْ مطلقًا وشايةً فى أحد.

طالما لم يصل الخلقَ لديكَ آفةُ عين السُّوء؛ فأنا أطلق لسانى بالـدُّعاء لـك والتأمين عليه.

طالما تُحْسِنُ الظَّنَّ بـ "سراج الدين"؛ فهو آمنٌ مِن سَيِّئى الطَّوية فـى كـلِّ وقت وحين.

طالما يعلو الفَلَكَ الأزْرَقَ الحُسْنُ والزِّينةُ من الشَّمس والقمر والنجوم طَوالَ الدَّهر.

٣٠ - فليكنْ سَعْدُ الفَلك صِنْوَك فى الرُّتبة والبَهاء أبد الدَّهر حتى يوم الدِّين.

فى مدح نصير الدين أحمد (ص٢٥٥-٢٥٦)

١ - أقبلت الشَّمسُ المنيرةُ مثلُ رأى "نصير الدين"، صوب برج "الحَمَل" سـاطعةً ومشرقةً.

وصارت صفحةُ البُسْتان والحديقة من نور بهائها مزيَّنةً مثلَ سـيرة طبـع "نصير الدين".

تعلَّم السَّحابُ الجُودَ من كفٍّ ذلك العظيم؛ فكشف للعالم صَدَفَ اللؤلؤ الثَّمين.

ونالت ريحُ الصَّبا نصيبًا من خُلق ذلك الكريم؛ فظهرت في البُستان الأزاهيرُ والياسمين.

وطَالَعَتْ قمَّةُ الشَّجر في الحديقة رَسْمَ محفله؛ فنثرت مثلَ راحته الذَّهَبَ والفضّةَ على صفحة الأرض.

ويبكي السَّحابُ مثلَ أعدائه طَوال العُمْر، ويئنُّ الرَّعْدُ مثلَ حاسديه وينوح.

وبين بكاء السَّحاب ونواح الرَّعْد، يضحك البَرْقُ مثلَ ناصحيه على هذا وذاك.

وتَمَنَّى غصنُ الصفصاف في الحديقة خُضْرَةَ رأسه؛ فصار مخضَرًّا وعبقَ الرَّائحة مثل ذؤابة الحور العين.

بغير صَدْح البلبل لا يكون للربيع وللحديقة بهجةٌ، مع أنَّ الخميلةَ قد صارت معرضَ الصين للربيع.

١٠ – وقد صارت البلابلُ في الحديقة صَدَّاحةً، كي تَتَغَنَّى بـ"تصير الدين".

أنت يا مَنْ ثناؤك في طينة أهل العالم، وخَلَقَك خالقُ العالم من الثَّناء والتَّمجيد.

مُلْكُ المَلك كلُّه تحت فَصِّ خاتمك، والمُلْكُ قد نال منك قَدْرًا مثلَ الخاتم من الفَصِّ.

ليس فى مجلس العظمة أحدٌ جليسٌ معك؛ فالإقبالُ والتوفيقُ جليساك في المجلس.

وليس من بين العظماء أحدٌ قرينٌ لك؛ فطالعُك الطَّيِّبُ قرينٌ لك من هذه النَّاحية.

وليس لأهلِ الدُّنيا ظَنٌّ فيك إلاَّ بالطَّيِّب؛ فَلْتَصِر الظنونُ الطَّيِّبَةُ فيك يقينًا.

صار بلاطُك كعبةً؛ لأنَّ الأحرارَ بالطَّبع يحنون الجبينَ على أعتاب بلاطك.
فَضَّلَ الأحرارُ العبوديةَ لك عن الحريَّة؛ بسبب ملاطفتك لعبيدك.
البصيرُ هو الذى يتَّخذ ثَرَى أعتابك كُحلاً؛ لأنَّه شَفَّافٌ وعالمٌ وذو بصيرة.
ذلك الشخصُ الذى يطلق عليك سَهْمًا من قوس الحقد، تكبِّل حلقةُ الرِّكاب قدمَه.

٢٠ - كلُّ شخص يخرج من مخبئه كالعدوِّ، ينقاد ذليلاً أمام أقلِّ عَبْدٍ لديك.
يكون للفَلك يمينٌ مع دولتك، ولا يحنث بيَمينه وإنْ تحطِّمْه.
ومن عون خَالق الفلك، اليُسْرُ على يَسَارك واليُمْنُ على يمينك مثلُ الملكين.
لنْ يَسْعى فَلَكٌ إلى حفظك وعنايتك؛ لأنَّ الخالقَ لك حافظٌ ومعينٌ.
طالما تَنْبت الخضرةُ والشَّقائقُ على صفحة الأرض في الحدائق والمروج من قطرات السُّحب في فصل الربيع.
فلتكنْ وجنتاك ومفرقُك مثلَ الشَّقائق والخُضرة، وليَسْعَدْ طَبْعُك وليَبْتَئسْ طَبْعُ حاسدك.
وليكن خَصْمُك مثلَ الشَّقائق، ولتكن الحُمرةُ ياقوتًا من يَد ساقٍ: الشَّقائقُ خجلةٌ من وجنته.

فى مدح نصير الدين أحمد (ص٢٥٦- ٢٥٧)

١ - جاء الشَّهْرُ المعظَّمُ بالتَّعظيم والتَّمجيد،بفضل خالق العالم وعفوه ومغفرته.
هذا هو الشَّهْرُ الذى تَحِلُّ البركةُ بمجيئه؛ فليكن مجيئُه مباركًا على "نصير الدين".
حضرةُ "نصير الدين" شرفُ الدولة رفيعُ القَدْر، أحمدُ المخلوقُ من الحَمْد والثَّناء.
عينُ الكفاية الحافظُ لشئون المُلك بعين البصيرة والرؤية الثَّاقبة.

الحُرُّ وقد صار بالجُود والسَّخاء بلا نظير، الحكيمُ وقد صار بالحجى والذَّكاء بلا قرين.

صار الأحرارُ عبيدًا له بالطَّوع، وصار الحكماءُ غلمانًا له بالطَّبع.

الصَّدرُ الذى بسبب قَدْره وهمَّته صار الفلكُ السَّابعُ طوعَ أمْرِه مثلما الأرضُ بالنِّسبة للفَلك السَّابع.

يكون الفَلكُ فى ظلِّ فَصِّ خاتمه مثلما الأرضُ التى تكون فى ظلِّ الفَلك.

لا تخطو أقدامُه خارجَ بلاطه إلاَّ للسخاء، ولا تَتَجاوز راحتُه كمَّ ثوبه إلاَّ بالعطاء.

١٠ - تَخَمَّرت الأصالةُ بطينته، فى الوقت الذى صار فيه "آدمُ" مخلوقًا من الماء والطين.

يا مَنْ مُلْكُ مَلك الشَّرق له عظمةُ مُلْك المَلك "أفريدون بن آتبين" بفضل ثقافتك وفضلك.

يُعَدُّ تدبيرُك صوابًا ورأيُك متينًا لشئون الرعيَّة وحشَم المَلك.

الخَطُّ الذى تخطُّه دائمًا لأركان المُلْك، هو الطَّريقُ المستقيمُ والسَّبيلُ المستبين.

الصَّاحبُ المختارُ من قِبل سلطان العالم، قد اختارك من بين أهل العالم.

وحين وَجَدك مكينًا وأمينًا لديه، جعلك[1] لدى المَلك مكينًا وأمينًا.

صار مُلْكُ الشَّرق والصيت منيرًا من كفايته مثلُ شمس الفَلك التى تنير العالَمَ.

ينير وجهُ قلمك حُلْكةَ دواتك، ويجعل قلمُك النَّحيلُ القوامِ الدولةَ سمينةً.

---

(١) فضَّلتُ ما جاء به "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص ٤١٩) لتمام المعنى.

فى مدح شاه مسعود (ص٢٥٧- ٢٥٩)

١ - استأذنَ العيدُ السَّعيدُ فى الدخول إلى قصر مَلك المشرق والصين وانحنـىَ وقبّل الأرضَ.

وبتقبيله الأرضَ تَزيَّن القَصرُ بجمال مَلك المشرق والصين مثلَ الفـردوس المنمَّق.

فالزِّينةُ على وَجْه البسيطة لأجل الاحتفال بالمَلك، ليست شيئًا نـادرًا علـى فَلك سَعْد السُّعود[١].

المَلكُ "مسعود" الذى من طالعه السَّعيد، يكون كلُّ يوم ليس عيدًا هو علـى أهل العالم له سَمْتُ العيد.

هو مَلكُ التُرك والعجم والبحر والبر والسهل والجبل، الذى تجعـل هيبتُـه الجبلَ فى بلاد الصين سهلاً.

أقبل العيدُ فحمل إلينا خَبرَ الفتح من الجناب الذى يُعَدُّ الفَلكُ الأعلى تابعًا له.

يقرأ الملكُ آيةَ "عاليها سافلها"؛ لأنَّ "الفتح المبين" قد تحقق بجـيش المَلـك المنصور [٢].

فليكن لأعدائه الإدبارُ هكذا، وليكن فى الحال نفسه لأحبابه الإقبالُ.

أيها الإمبراطورُ الذى يحصد الجيشُ المنصورُ لك الظَّفرَ والفتحَ من اليسار ومن اليمين.

١٠ - كلُّ مَنْ كان عاقلاً ومستقيمًا فى عهد يمينك، لا يحنث بعهد ويمـين دولتـه حتى الأبد.

---

(١) المشترى.

(٢) هنا استفادة من قوله تعالى :" فجعلنا عاليها سافلها "(سورة الحجر آية ٧٤) ومن قوله :" إنا فتحنا لك فتحا مبينا" (سورة الفتح آية ١).

الدَّهرُ فى عهدك غلامٌ، لأنَّه يتَّخذ فى خدمتك من لُبَّاد الجواد فراشًا ومن سرجه وسادةً.

حتى الفَلَكُ يحطِّم جيشَ عدوِّك ولا يبالى من اللَّيل حتى النَّهار فى هذا بأدْهمه وأشْهبه مطلقًا.

أنتَ المَلكُ المعظَّمُ "أفريدون" وعلَمُ طائفتك مثلُ علَمه المنصور فى كل كفاح وانتقام.

تَهب القوَّةَ للقلوب الجبانة من نُصرة الحقِّ، ولك سيفٌ هراق الدَّمَ من أُسْد العَرين.

تخال ظ نًا أنَّ "قراخان" هو "آبتين"، فهو من "آبتين" بالظَّن ومنه "افريدون" باليقين.

أنتَ الأجْدَرُ والأليقُ بين كلِّ الملوك بالتَّاج والحزام الملكى والسَّيف وفصِّ الخاتم.

يهابك الأمراءُ من أتباعك الأبطال، وكلُّ أمير وبطل تحت إمرتك فى كلِّ مكان مهابةً.

مُلْكُك من "الختَن" حتى "اليمن" هو مكانُ الخُطبة لك، ولا يُوجد فيه متصرِّفٌ آخر سواك سواء أكان متولِّيًا أم واليًا.

طالما لا يقترن فكرُ "القيصر" بفكر الفرد؛ فطريقُ القيصر إلى "قسطنطينة" من أعلى المحراب.

٢٠ - الملكُ يعلم أنَّك آدم و"آدمُ" من طين، وقد صارت طينةُ مُلْكك ممزوجةً من "آدم" حتى الحَشْر.

كلُّ مَنْ تَمرَّد على أمْرك مثلَ "إبليس" اللَّعين، فهو من النَّار ويستوجب خلودَه فيها.

الخُطبةُ باسمك تُنعش روحَ الخَطيب، ويُردّد الرُّوحُ الأمينُ على الدُّعاء لك: آمين.

ليسَ ثمةَ عجبٌ فى الدُّعاء لك ؛ إذْ يستمد الخَطيبُ عونَ الرُّوح من نفس الروح الأمين.

الخطيبُ وقت الخُطبة يشبه العينَ؛ فله رداءٌ أسود، وله أيضًا النَّظرةُ الثَّاقبةُ.

ألا فاسعدْ، أيها الملكُ العالمُ العادلُ؛ لأنَّك بلا عديل بين الملوك وبلا نظير وبلا قرين.

فأنت الملكُ العادلُ واهبُ الدنيا والحارسُ للدين، والجديرُ بالمُلك وسليلُ الملوك حتى يوم الدين.

عدلُك حقًّا بلا ميل ومحاباة دائمًا، وأنت بالنسبة للمُلك مثلُ المؤشّر لكفَّتَى الميزان.

فى عهدك لا يخاف الحُولى من الذئب والغزالُ من النَّمر والكبْكُ من الشَّاهين؛ لأنَّ الخوفَ فكرٌ خاطئ.

نَظَم "السوزنى" بمديحك الدُّرَّ الثَّمينَ؛ لأنَّ عودةَ العيد تجعل له أحمالاً من الدُّرِّ الثَّمين.

٣٠ – فليكنْ العيدُ سعيدًا ومباركًا عليك أيها الملكُ، ومستمدًّا من جمالك الجمال والزّينةَ.

وليكنْ مددَ عمرك ذلك العددُ الذى يكون للفَلك فى الأيام والليالى والشهور والسنين.

وليكنْ مُلْكُ العالم مُلْكَك، وليكنْ لنَسْلك المُلْكُ فى هذه الدنيا إلى يوم الدين.

حرف "و"

فى مدح الوزير صدر الدين (ص ٣٦٠-٣٦١)

١ - ألا يا صَدْرَ الدِّين والدُّنيا، لا تخلو دُنْياك ودينُك من ثنائك للحظة واحدة.

فهم يثنون عليك، وسوف يثنون أيضًا على خَلْق رُوحك وجَسَدك من أعماق الروح.

صِدْقُك ويقينُك عند إلهك أمرٌ صحيح، طالما أنَّ عملَك ملائمٌ لصدْقك ويقينك.

أمورُ الدِّين فوق رأسك مثلُ التَّاج، ومن هذا فأمورُ الدُّنيا تحت فَصِّ خاتمك.

لو كان فَخْرُ الوزير بالتَّاج والخاتم؛ فإنَّ إنصافَك وعَدْلَك هما تاجُك وخاتمُك.

جَبينُ الخَلق على أعتابك للخدمة، مثلما جبينُك لشُكْر الحقِّ وخدمته.

لا تُغادرُ قدمُك مَخْدعَك إلاَّ على طريق السَّخاء، مثلما يَدُ الكرم مع كُمِّ ثوبك.

مَنْ لا يكون له قرينٌ فهو "صاحبُ قران"، وأنت "صاحبُ قران" العَهْد، ولا قرينَ لك.

لكلِّ مَلِكٍ دفينُ الدُّرِّ والجوهر، ونيَّتُك النَّقيَّةُ دفينةٌ فى قلبك.

١٠ - وأنت تنثر فى كلِّ لحظة دفينَك على العالم، حتى يصير أهلُ العالم عبيدًا لك وأسْرَى(١).

لا يَبْدو لعَيْن أحدٍ مَسْلَكٌ للجُور خشيةَ هَيْبتك وزَوْمِك(٢).

---

(١) أى : إحسانك.

(٢) ما يصدر من أصوات عند الغضب.

لو تمطر السُّحبُ البلاءَ والعَنَاءَ أعوامًا وشهورًا؛ فإنَّ نَبْتَ الظُّلم لا ينمو فى أرضك.

فى الوقت الذى خَلَقَ اللهُ "آدمَ" من طين، كان طينُك فى مكان طين العُمْر.

أنت بالقياس لكلِّ الخَلْق الخلدُ، ويكون خُلُقك الطَّيبُ هو كوثرَك وماءَك المعينَ.

وأنت لكلِّ خَلْق الله المعينُ على الخيرات، والله معينُك حيثما تَمْضى وتَحلُّ.

صارت روحُك وعقلُك يمينَ المَلك، وقد أعطى اليمينَ لك بالبيعة والعهد واليمين.

طالما شمسُ المُلْك والسَّلْطَنة فى يسَاره؛ فإنَّ مُلْكَ الوزارة والقيادة فى يمينك.

ومثلما كنتَ موضعَ اختيار الأب للمَلك، وصار عند المَلك اختيارُ الأب لك هو الأصَحَّ.

وقد اختار رأيُك المبينُ السَّفْرَ إليه، وليكنْ رأيُك المبينُ خيرَ اختيار.

٢٠ - فلو مضَى ابنُك اللَّطيفُ إلى المَلك، فلا كان لجسَدك الرَّقيق قَلَقُ القلب عليه.

يُوفَد إلى المَلك كلُّ شخص أمين، وابنُك فى كلِّ الأحوال هو أفضلُ أمين لديك.

ويكون رأىُ مَلك الدِّين فيه مبهجًا، وقد طالع قلبُك الورِعُ هذا الرَّأىَ الطَّيِّبَ.

لأنَّك ستشاهد مجيئَه إليك مسْرعًا، وقد صار لك خَلَفًا على عرش العزِّ والجاه.

طالما ستتوالى على الدنيا الشهورُ والسِّنون؛ فلتكن شُهورُك وسنوك فى عزٍّ ودلال.

طالما لأمور الدِّين والدنيا طرقٌ عديدةٌ؛ فلا كان لك ذلك وهذا لــك ســوى على الطَّريق المستقيم.

فى مدح الوزير صدر الدين (ص٣٦١- ٣٦٢)(١)

١ - يا صَدْرَ الدِّين والدُّنيا؛ فليكنْ لك البقاءُ، ولا جلسَ أحدٌ فى مكانك سواك.

فليكن الغَمُّ غريبًا عنك والطَّربُ نديمَك، وليكنْ لك السِّباحةُ فى بحر اللَّهــو والطَّرب.

طالما تُوجد غربةٌ بين الغَمِّ والطَّرب، فليكن الغَمُّ غريبًــا عنــك والطَّــربُ نديمَك.

يكون لمُلْك الأرض اتِّكاءٌ على قَلَمك، ويكون متَّكاؤُك على الفَلَــك الأعلــى من علوِّ قَدْرك.

قلمُك يُبْدى كراماتٍ سرمديةً لا نهايةَ لها مثل عصا "الكليم" المرسَل.

فاتَّكئْ على قَلمك فى ثبات المُلْك؛ فهو أفاعٍ لأعدائك وعَصاً لك.

فى شفائك شفاءٌ لكلِّ الخَلق؛ ذلك لأنَّ الخلائقَ تريد دائمًا لك الشِّفاءَ.

يا مَنْ عظماءُ المُلْك كلُّهم طَوْعُ أمرك، ويا مَنْ سادةُ الــدَّهر كلُّهــم ثَــرَى أقدامك.

فقيمةُ رُوح الخَلائق شَعْرَةٌ واحدةٌ لك، وهى الأقلُّ لفضيلة قَدْرك وقيمتك.

١٠ - اعلَمْ أنَّهم ينثرون الرُّوحَ رخيصةً عليك، أنت يا مَنْ مائةُ ألف روحٍ عزيــزة فداءٌ لك.

الصَّغيرُ الذى مَضَى من نَسْلك صوب الخُلْد كبيرٌ، فليكنْ بقاؤه القليلُ زيادةً لبقائك.

---

(١) هذا هو عنوان القصيدة فى الديوان، ولكنَّ الواضح من الأبيات السِّتة الأخيرة منها أنَّها "مرثيةٌ" فى صغير لدى الممدوح قد توفى وربَّما كان ابنه الصغير.

كان له البقاءُ ألفَ عام والحقُّ لم يُردْ، حتى لا يرى فناءَك فى بقائه.
كان حتى الآن عطاءَ "الله" إليك، والآن هو عطاؤُك إلى "رضوان".
اختفت من الدنيا بهجةُ لقائه، فى رغبة لقائك السَّعيد والميمون.
مَضَى عن قَصْره صوب عَرْش الخُلْد وقَصْره، وعرشُك وقصرُك فى لوعة وحسرة.
انعقد الخاطرُ كلُّه لإنشاد مديحك، وهو لا يمدحك بهذه القصيدة بل هى مرثيةٌ لك.

فى مدح الوزير نصير الدين (ص ٢٦٢-٢٦٣)

١ - أيها العظيمُ بلا نظير، كفَى أنَّك الحكيمُ وبلا قرين.
دينُ الله منصورٌ؛ لأنَّك له نصيرٌ بحقٍّ .
عبيدُك سادةٌ؛ لأنَّك النَّائبُ الصَّاحبُ السَّيِّدُ.
أنت الأعلى من العالم الكبير، مع أنَّك فى العالَم الصَّغير.
أنت الصَّاحبُ المناسبُ على عرش السِّيادة، وأنت الشَّريكُ فوق رُكن العرش.
لا يختار المَلكُ "بزر جمهر" وزيرًا، طالما أنَّك دَسْتُ هذه الوزارة.
أنت السَّفيرُ بكلِّ خيرٍ من المَلك والوزير على الرَّعية.
حين تَحدُث جَلَبةٌ عامةٌ من الجُور؛ فأنت الآمرُ بالعَدْل لتلك الجلَبة.
ولأنَّك العادلُ والمعينُ؛ فليس للظُّلْم أنْ يأخذ بتلابيب الثَّوب.
١٠ - أنت المجيرُ لعامة البائسين المساكين من الجائرين.
وأنت المحافظُ حقًّا لمُلك المَلك بسَيف اللِّسان مثلُ "عطارد".
وأنت الجاعلُ نهارَ الخصوم حالكًا كاللَّيل بسِنِّ قلمك الحالك اللَّون.

أنت سُحبُ فصل الرَّبيع وأنت رياحُ فصل الخريف لحديقــة طبــع الــولىِّ والعدوِّ.

أنت نعيمُ الخُلْد والنَّعيم للحبيب، وأنت وهَجُ السَّعير على العدوِّ.

ولأنَّك لستَ قصيرَ الهمَّة؛ فدولتُك من ذلك عاليةٌ مثلُ همَّتك.

صار الثَّرى أعلى بسبب تواضعك، وأنت من حيث الشَّرف أعلى من فَلــك الأثير[١].

كلُّ من يقع أسيرًا فى قبضة الغمِّ، فأنت وسيلةُ الأمن لذلك الأسير.

كلُّ فقير يتمنَّى الغِنَى منك، أنت الباعثُ لغِناه.

مَنْ تقبل رعايتَه، لا يردُّه الطَّالعُ السَّعيدُ[٢].

٢٠ - أنت الواهبُ الصِّلةَ بكثرة للمديح القليل من عبيدك.

فما تأثيرُ المديح لك فى ذلك، وهو عبثٌ لأنَّك واهبٌ الكنوزَ.

ضياءُ المُلْك من ضميرك؛ ذلك لأنَّك نقىُّ القلب والضَّمير.

من حيث السَّخاء؛ فأنت الأعظمُ على كلِّ الكرام والسَّيِّدُ والأميرُ.

فامْضِ بمثل هذه السُّمعة الطَّيِّبة الحيَّة؛ كى تَبْقى خالدًا.

---

(١) هو: الفلك التاسع.

(٢) أى: يكون حسن الطالع.

فى مدح سعد الدين (٢٦٤ - ٢٦٥)[1]

((" ياسعدَ الدِّين"، لقد سمعتَ مديحَ السَّيد المستوفى[2]، ووقـع فـى القلب عشقُ ذلك الطَّريق الجديد، واستحسنْتَه على ذلك الوزن والقافية حتى وقف خاطرى لأجل ذكرك على ذلك النَّسق الموزون لمـديحك، فَمَرْحَى للعظيم السَّخيِّ الأديب الذى لم يـأتِ سـيرُ النجـوم ودوران والفَلَك من الماضى بـ "الصَّاحب" و"سحبان وائل " مثلَك فـى العلـم والدَّولة رجولةً ومروءةً من أكابر مدينة "أخسيكت" التى من خُطَّتهـا منشأُ ومولدُ أسلافك وأصل جـوهرك النَّقـى ومـن أولاد الـدِّهقان والعزيز الذى يعد أهلُ "فرغانه" خدمًا وعبيدًا وموالىَ لـذلك الأصـل الشريف وقد جعلوك شريفًا طوعًا واختيارًا منهم حين وجـدوا منـك الرِّعايةَ والعنايةَ، وتجد منهم ومنًّا ومن القوم الذين هـم فـى العـالم وعلى علم بحقِّه توفيقَ الإحسان والمكرمة سواء بكفِّك الجوَّاد المعطاء أو بتوقيع قلمك الذى ينقش المسْكَ[3] على الكـافور[4] مثـل حلقـات العِذَار المصفوفة على وجنة الحوراء، ومن ذلك توجيه الذَّهب لـنقش الشُعراء والفضَّة والحرير والـدِّيباج الأسـود والقمـاش الـدمياطى والعتَّابى[5] والتوزى[6] والدقى[7] والفَرْش والأوانى، وجعـل الفكـرةَ

---

(١) هذه القصيدة والأخرى الملحقة بِها نظمها الشاعرُ من نوع يسمى بالفارسية (مضمَّن) و(الموقوف الألفاظ) وبالعربية (التضمين) و(المدرَّج) وهو من الشعر المعيب لدى النقاد، وتحدث عنه "ابن رشيق فى عمدته ١٢٣/١" ضمن عيوب القوافى وعرَّفه قائلا:"والتضمين أن تتعلق القافية أو لفظه مما قبلها بما بعدها" مما أوجد لترجمة هاتين القصيدتين شيئًا من الصعوبة فى الفهم والنقل إلى العربية.

(٢) هو السَّيد حميد الدين الجوهرى المستوفى من أعيان بلاد ما وراء النهر والقصيدة التالية هى لشاعرنا فيه.

(٣) أى : الأسود.

(٤) أى : الأبيض.

(٥) نوع من أنواع القماش تمتاز به هذه المدينة.

(٦) اسم مدينة قريبة من الأهواز أو من الكوفة ومشهورة بالحرير.

(٧) نوع من القماش الرَّقيق.

الواحدةَ لمديحك بالرونق والترتيب بَحْرَ العيش والعُمْر مع الذَّوق العروض حتى ينشدوا ثناءَك ومديحَك من هذا النوع أو من النوع الآخر الذى يعرفونه، وأنا على رأس هذه المزرعة أزرع النَّثْرَ وأحصد النَّظْمَ)).

* * *

((فليكنْ سعيدًا مجلسُ مستوفى المشرق "حميد الدين الجوهرى" ذلك الصَّدْرُ الذى من جواهر ألفاظه يتفاخر أهلُ الدِّين والعلم والدولة، وحُقَّ له التَّفاخرُ بسبب أنَّه بتلك الجواهر يُرصِّع الطوقَ على أعناق أبناء أرباب الحُسْن والزِّينة والرَّونق، وكلُّ مَنْ تَقلَّد ذلك الطوقَ من الأدباء وأهل الدين هو الظَّافرُ بتوفيقه وجاهه ومجلسه الميمون؛ ذلك لأنَّ بفضل قلمه الذى هو شجرةٌ باسقةٌ[1] فى بُستان النَّظم والنثر يكون تدبيرُ شئون المُلْك والدين ومن كلِّ نوعٍ تَطلُّب تَجده مستوفيًا له؛ فما أجمل خَطَّه وقَلمَه المسلسلَ والمسكىَّ الذى يشبه عِذَارَ عروس نوشادية[2] وصار بخطِّك ديوانُ الملك الحديث معبدًا؛ فهذه هى السَّعادةُ الجديدة)).

---

(١) أى : صنوبر

(٢) نوشاد: تسمى أحيانًا (نوشاه)؛ وهى اسم مدينة ومعبد للأصنام، وتطلق أحيانًا على المتزوج حديثًا (فرهنك عميد).

حرف (هـ)

فى مدح سعد الملك (ص ٢٦٦ - ٢٦٧)

١ - ما إنْ يتحرك جيشُ الوَرْد فى البُستان(١)، حتى يكون مدحُ الوزير المَلك على أمراء الشِّعر أمرًا واجبًا.

فطالما يتحرك وَرْدُ المعنى فى بُستان الطَّبع؛ فيكون هو المادحَ للصدْر والوزير والمَلك.

مَلك العلماء، ذلك الذى أضْحى من قِبل صاحب التَّاج ملكًا على العلماء.

لا يتَّصل اللَّيلُ بالنَّهار حتى لا يقول أحدٌ: إنَّ هذا البياضَ وذلك السَّوادَ للنَّهار واللَّيل من قَلمه الممتلئ - حبرًا -

"سعدُ المُلك" ذلك الصَّدْرُ المحترمُ الذى يُعَد سَعْدا الفَلك(٢) خَدَمَه وهو القائمُ عليهما.

طالما يشبه القمرُ نَعْلَ جواده فى اللَّون الذَّهبى؛ فإنَّه يرفع من الطَّريق صورةً لنَعْل جَواده.

فيبْدو فيه جمالُ سعد الدَّولة وأيضًا كمالُ سَعْد المُلك لأنَّه ينتبه لكليهما.

الخَلْقُ يكونون من خَلْقه و" اليبروح" (٣) هو الصورةُ أيضًا، "فاليبروح" فى عهده يكون خلقًا آخرين.

يا مَنْ لمَلك الشَّرق بطَلْعتك الميمونة وقتٌ بهيج ولحظةٌ ميمونة وسعادةُ الأبد.

---

(١) يعنى قدوم فصل الربيع.

(٢) السَّعدان فى الأفلاك هما: الزُّهرة والمشترى، والنَّحْسان فى الأفلاك هما: زُحل والمريخ.

(٣) هو نباتٌ يشبه الآدمى.

١٠ - ألا فانْزَع الرَّاحَ على صَدْح البلابل مثل سَعْد الدولة، إن لـم تَـرَ مجلسَ طرب "سَعْد المُلك" سلطان الكفاية.

اسْحَبِ القلبَ لعشْق الحسْناوات فى السَّلاسل العَنْبرية واحْبسْه فى الجُبِّ الفِضِّى حتى لا يفكر فى العصيان.

وكيف لقلبٍ أنْ يَعْصى وهم يُزيِّنون لأجله حَسْناواتٍ بالسَّلاسل العَنْبرية وبالجُبِّ الفِضِّى.

صار الذَّهبُ بلون العَلَف الجاف من خوف يوم مجلس طَربك؛ لأنَّه يرى منك يوم ذلك المجلس يومَ نَثْره والعَصْفِ به.

جُودُك وإحسانُك بغير تركيب وتَعْليم ؛ فلا يُعَلِّم أىُّ عالمٍ صغارَ البَط العَوْمَ.

صفحةُ محيَّاك مرآةٌ لرؤية صورة المروءة، ولا تبدو صورةٌ فيها للمشاهدة سوى المروءة.

صار "السوزنى" فى الشَّاعرية مبدعًا ومحافظًا؛ وشرطُ الخدمة لمكانة المبدع وحَقُّ النِّعمة للمحافظ.

وقد جعل بفكرة مديحك القلبَ مثلَ مكان الفضَّة، كى يَخْرُجَ القولُ من مَكْمنه مثلَ الفضَّة الخالصة.

لدىَّ عقيدةٌ صافيةٌ فى حقِّك، واللَّهُ يعلم جيدًا صفاءَ عقيدتى.

في مدح شاه مسعود حسن (ص٢٦٧ – ٢٦٩)

١ – أيها السلطانُ مُعِدَّ الجيش، أيها المَلِكُ مهيئَ السَّكينة للدنيا، أيها الموفقُ على العدوِّ والمتحكِّمُ في أمر الجيش.

لا يُوجد سواك مُعِدٌّ للجيش ومُهَيِئُ السَّكينة للدنيا، حتى يكون هذا للجيش وذلك للدنيا.

أنت في المُلْك شمسٌ وظِلٌّ ولك مُلْكُ الدنيا، لأنَّك في السَّلطنة شمسُ العالَم وظِلُّ الله.

أنت المَلكُ التَّقيُّ وفاتحُ الدنيا، لقد ذاع صيتُك شرقًا وغربًا من ظَهر السَّمك حتى إلى القمر.

يَنْحنى البَدْرُ في السَّماء في آخره وغرَّته حتى يَتَشبَّه بِنَعْل جَوادك[١] الذَّهبي.

ركن الدين طمغاج خان "شاه مسعود حسن"، له الطَّالعُ المسعودُ وحُسْنُ الأخلاق وإحسانُ الرَّسْم والطَّريق.

أنت وارثُ "أفراسياب"، ومُلْكُ توران" حقُّك، طلبتَ الحقَّ بالسَّيف واستوليتَ على العرش.

دعاك الملوكُ القدماءُ بحَقٍّ، "كيقباد" وقت المحفل و"أفراسياب" وقت النِّزال.

ما إنْ تُظْهر القَدَحَ حتى يصير "كأسَ جمشيد"، ولك دُرَّةٌ تصبح أمامها هِراوةُ "أفريدون" في خِفَّة العَلَف الجاف.

١٠ – قصرُك الملكى الذى يأتيه خراجُ العالم هو قِبْلةُ أهل الدنيا شاءوا أو أبوا.

يصل إلى قصرك من الحَشَم ومن المحْتَشِم أفواجٌ وجماعاتٌ وأزواجٌ وأفرادٌ متعاقبةٌ.

حتى الملوكُ يلثمون الثَّرى على بساط قصرك، وتمسحه عيونُهم وجباهُهم.

---

(١) استخدم الشاعر هنا كلمة "شبديز" وهو اسمُ جَواد الملك "پرويز".

يقوى بك دينُ الإسلام فى دار الكفر؛ لأنَّك لأهل المعرفة مَلاذٌ من سُوء الجهل.

السَّعْدُ الأكبرُ[1] على الفَلك يدعو باسْمك فى الخُطْبة، فلو يَرْتَدى الرِّداءَ الأسودَ تخال أنَّه شيخُ الإسلام.

مادام البياضُ والسَّوادُ أساسَ النَّهار واللَّيل، ومادام تتابعُ اللَّيل والنَّهار أساسَ العام والشَّهر.

فَلْيتَزَيَّن المنبرُ والخَاتمُ والفَصُّ والخطبةُ والسَّيفُ والتاجُ باسْمك طوال العام والشَّهر والنَّهار واللَّيل.

لك مُلْكُ "أفريدون" وقد خَرج منه "الضَّحاكُ" ليؤدِّب العُصَاةَ ويُحذِّرهم.

قَسِّمْ الأقاليمَ السَّبْعةَ على الملوك السَّبعة اللَّائقين، كى يرعى كلُّ مَلك إقليمًا فى عَهْدك.

يَهُبُّ على الرَّعية نَسيمٌ عَبقٌ من صَبَا لطف طَبْعك وعَدْلك مثلَ نَسيم "هراة" المضمَّخ بمسْك "التِّبت".

٢٠ - ألا فَعِشْ طويلاً أيها المَلكُ بالمزيد من عَدْل "عُمر" ونقصان الغَمِّ، حتى يزيد به الغَمُّ للطغاة وينقص عُمْرُهم.

لا تَصْدر الآهةُ من حَلْق الخَلْق فى عهْدك؛ فهم لا يتألَّمون معك، فكيف تَصْدر الآهُ منهم؟!

أنت مَلكُ الدنيا، تَربيتَ فيها وتعلَّمت لُطفَها؛ فافْتَحْ للعُصاة فيها بابَ قبول التَّوبة والعَفو.

يُعَدُّ المَلكُ بحرًا، فكنْ بَحْرَ الرَّحمة، كى يسبح فيه كلُّ مطيع وعاصٍ.

---

(١) أى : المشترى.

يُهَيِّئ خاطرُ الحكيم "السُّوزنى" بالإبرة جُبًّا، حتى صعد "يوسفُ بنُ يعقوب" مَدْحِك من الجُبِّ.

فالخَلْقُ فى شوقٍ لأشعار مديحك وكفى؛ فمَنْ يعرف بغَيْر مديحك النَّاسَ من البيروح؟!!

وقد نال(١) فى نَظْم القول الشَّبابَ بعد الشَّيخوخة، حتى جاء للخدمة شابًّا فى التَّوِّ واللَّحظة.

فليحفَظْك اللَّهُ من ضَرَر عين السُّوء، كى لا ينظر إليك أحدٌ بعين السُّوء.

فلتكن لحاسدك العينُ بحرًا وليكن القلبُ سعيرًا، كى يكون البحرُ والسَّعيرُ موضعَى نيران ومياه له.

وليقِفِ المَلِكُ والمُلْكُ والتَّاجُ والعرشُ والفخرُ والبَهَاءُ والعِزُّ والجاهُ عليك وعلى أولادك حتى الأبد.

التَّوبةُ عن الذنوب (ص ٢٦٩ – ٢٧١)

١ – حينما صار جَسَدى أميرًا على أهواء قلبى، أقبل جيشٌ من السَّفاهة نحو صدْرى.

استعرضَ الشَّيطانُ معسْكرَ سفاهتى؛ وأنا واقفٌ مرافقٌ للعَارض أثناء العَرْض.

وكان الشَّيطانُ أسودُ الكليم على ذلك، حتى يجعل لباس قَلبى أسودَ مثل كليمه.

وظهرت خيولُ الذِّنوب أمام ناظرى، حتى أرى بوضوح أكثر؛ كمْ عددُها؟!

---

(١) أى: الشاعر السوزنى.

وهو[1] يزيِّن تلك الخيولَ فى عينى، ويجعل منها حبَّةً، ويلقيها شرَكًا فى طريقى.

فمضيتُ فى طريق الشَّيطان ووقعتُ فى شِراكه، وبسيرتى السَّيئة صرتُ أسوأ من الشَّيطان نفسِه.

لم أكنْ يومًا فى حياتى بدون ذَنْب؛ فكأنَّك تقول إنَّ الخلوَّ من الذَّنب عندى ذَنْبٌ.

نَبَتَ فى أعضائى كلُّ ألوان الذنوب، مثلما تَنْبت مختلفُ أنواع الأعشاب من الأرض النَّدية.

وغدًا فى يوم الحَشْر سوف تَشْهد أعضائى على أعمالى إنْ أنكرتُ يومى هذا.

١٠ - أيها الجَسَدُ الذى صار أميرًا على أهواء القلب؛ أنت أيضًا أيها الأميرُ عبدٌ لذلك الذى يكون الإله.

انظرْ إلى قُدْرة الله بعين العقل، طالما تَرى عَجْزَك- فى إدراك- قُدرة الله.

حَنَيْتَ قامتَك فاعتدلْ ولا تكنْ قرينَ الشَّيطان حتى لا تمضى عن الدنيا منحنيًا.

حلَّت الشيخوخةُ وصار الشَّعرُ الأسودُ أبيضَ؛ فلا تَطْلُبْ رفقةَ بيضِ الوجوه سُودِ الشَّعْر.

ولا تَنْظِمْ غزلاً بكثرة بعد هذا فى نُونة ذَقْن الحسْناوات؛ لأنَّك ستسقط فى الجُبِّ من هذا النَّظم.

لو تَطلُب جاهًا وشرفًا؛ فلا تفترفْ معصيةً، اطْلُبِ الشَّرفَ والجاهَ بطاعة الله.

---

(١) أى: الشيطان.

ولا تَتَحَسَّرْ لحظةً واحدةً على ذلك العُمْر الذى لا يتجاوز لحظتين اثنتــين، ولا تَنْدَمْ عليه ولا تَذْرفِ الدَّمْعَ وتتوجع.

يتصاعد منك شَرَرُ نيران السَّعير ودخانُها ؛ إنْ لم تَذْرفِ الدَّمْعَ من العيون ندمًا.

لو تخشى عذابَ النَّار فابحثْ عن المنْجَاة، واخْتـرِ التَّوبــةَ والتَـزمْ ظِـلَّ "الطُّوبى".

أيها "السوزنى" إنْ كان جَسَدُك من جَبل من حديد، فتعالَ إلى معبد القلـــب، ومثل الإبرة انقُصْ من الغَمِّ.

٢٠ - واجْعَل الدنيا الواسعةَ العريضةَ أمام عين العقل مثلَ سَمِّ الخيــاط، واغْلِقْهــا فى لحظة.

لم يصدرْ عنك مطلقًا ذَنْبٌ أقلُّ من جَبَل، ولم يأتِ منك مطلقًا طاعةٌ تزيــد عن قَشَّةٍ.

أنت من أهل السَّموم والهاوية وتريد دائمًا أنْ يَهُبَّ عليك نَسيمُ الشَّمال مــن "هَراة"!!

تَعْصِى وتَطْمع فى مكانة الطَّائعين!! ما أكثر الرءوسَ العاشقةَ لهذا التَّاج.

اقتربْ من التَّوبة وانصرفْ عن الجُرم؛ كى تسبحَ فى بحار رحمة الله.

وصِرْ ذا وجهٍ كالذَّهب وذا دَمْعٍ كالدُّرِّ واصْهَر الجَسَدَ فى داخل البوتقة مثلَ الفضَّة والرصاص.

واحْفَظ الدِّينَ لأنَّه يحفظك من كلِّ سوء؛فالله يحفظُك من كلِّ سوء مادمــتَ تحفظ دينَه.

أيها القادرُ الذى يُعَدُّ الفَلكُ الأخضرُ دائرًا والشَّمسُ والقمرُ ساطعين بتَقْدير حُكْمك.

أنا العاصى المتفرِّدُ[1] والعُصَاةُ مثلى كثيرون، والكلُّ محتاجٌ إلـى فَـضْلك طوال العام والشهر.

فافْتَحْ وتفضَّلْ، عن طريق الاستغناء،علىَّ أنا العاصى المتفرِّد وعلى كافة العُصَاة.

٣٠ – أنت الكافى وأنت أيضًا قاضى الحاجات،ولا اعتمادَ لنا على الكفاة ولا على القضاة.

اجعلْ بفضلك حاجات الجميع مكفيةً ومقضيةً، ولا تدفَعْنا إلى مجلس القضاة وباب الكفاة.

واحْمِلْ منَّا تحيَّاتِنا إلى مرقد النَّبى، وأيقظْنا يومًا من نوم الغَفْلَة.

ولا تُبَاعِدْ بيننا وبين إيماننا وقوَّة إسلامنا وديننا؛ فقد باعدت الحياةُ بيننا.

واجعلْ لباسَ القبر علينا مثلَ جيب الكليم، كى نرفع الجباهَ منـه مثـلَ يـد "الكليم"[2]

أيها الرَّاوى، اقرأ هذه القصيدةَ وانظرْ إلىَّ "فالسمع بالمعيدى خير مـن أن تراه"[3]

فى مدح محمد بن يوسف (ص ٢٧١ – ٢٧٢)[4]

١ – القائدُ الذى يكون لخَلْق العالم القائدَ والحامى والملاذَ، والأمينَ على الـدِّين الإلهى والسَّعْدَ لمملكة المَلك.

---

(١) أى : فى عصيانى.

(٢) أى: بيضاء مثل يَد موسى عليه السلام. وفضَّلتُ فى التَّرجمة كلمة "جباه" بدلا من "جناه" كما جاء فى (المستدركات ص٤٢٠) .

(٣) هذا البيت من "الملمَّع" ؛ شطره الأول فارسى، وشطره الثانى عربى يشير إلى المثل العربى الذى صار شاهِدًا نحويًا وهو: "تَسْمع بالمعيدى خيرٌ من أنْ تَراه".

(٤) يراعى حتى تفهم هذه القصيدة جيدًا أنَّ الشاعر فى صدد مديحه لممدوحه "محمد بن يوسف" يقارن بين مواقف شهيرة لسيدنا "محمد" ﷺ ولسيدنا يوسف عليه السلام وبين مواقف للممدوح نفسه يراها الشاعر متشابهة.

هو الممدوحُ فَخْرُ خراسان "محمدُ بنُ يوسف"،الذى له جمالُ وجاهُ "محمدٍ" و"يوسفَ".

لأنَّ ذلك الوقت الذى خرج فيه "محمدٌ" من قلب الغَار، أو ذلك الذى خرج فيه "يوسفُ" من أعماق الجُبِّ.

لم يكن الخَلقُ قد شاهدوا فيهما "محمدًا" و"يوسفَ"؛ فإنَّهم الآن يرونه – أى الممدوح – وينظرون إليه.

قد أشار "محمدٌ" بطرف إصْبعه إلى بَدْر التِّم؛ فأضْحى بحُكْم اللَّه إلى قسمين اثنين.

وهو(١) قد قَسَم شَهْرَ "رمضان" إلى قسمين اثنين؛ فقضى قِسْمَ النَّهار فى الصوم وقِسْمَ اللَّيل فى الصلاة.

نِسوةُ "مصر" قد قَطَّعن أيديهنَّ حين طالعن لمرَّةٍ واحدةٍ جمالَ "يوسف" وهو يَعْبُر أمامهن فجأةً.

والآن يصير معلومًا فى عهده أنَّهم من شدَّة الخوف يقطعون يَدَ الظُّلْم لألف رجل ظالم.

طالما "محمدٌ" فى مقامٍ محمودٍ؛ فاطلبْ من الحَقِّ الشَّفاعةَ لذنوب أمَّته.

١٠ – وهو يطلب للرعية من "الخاقان محمود" الشَّفاعةَ دائمًا من كلِّ ألوان الذُّنوب.

حين أعطى "يوسفُ" إخوتَه القمحَ والشَّعيرَ وأخذ ثمنَها منهم بضاعةً مزجاةً.

وإذا كانت البضاعةُ المزجاةُ صوفًا وقطنًا؛ ولا يُعَدُّ القمحُ والشَّعيرُ سوى أنَّه بذرةُ نبات.

---

(١) كلمة هو فى القصيدة كلِّها تعنى : الممدوح .

فليسَ ثمَّةَ تفاوتٌ يُذكر بين البذر والعُشْب وبين القطن والصوف لو يُنظر إليه عن طريق العقل.

وهو يمنح دائمًا الذَّهبَ والفضَّةَ بدلاً من القمح والشَّعير في سبيل الله للقريب وللغريب على حدٍ سواء.

ويأخذ منهم في مقابل القطن والصوف أشعارًا ركيكةً وأنثارًا تافهةً.

وما بين ما يمنحه لهم وما يأخذه منهم تفاوتٌ مثل ما بين بوتَقَة الذَّهب وبَيْدر القَش.

طالما يكون دائمًا في مجالس العلم في شهر رمضان الثَّناءُ على "محمدٍ" جاريًا على الأفواه.

فليكنْ، بعد الثَّناء على "محمدٍ"،الثَّناءُ والمديحُ له جاريًا على أفواه الخَلْق بغير إكراه.

طالما يقولون دائمًا في أيِّ سيرة كانت: إنَّ "يوسفَ" قد جلس في صَدْر المُلك والعَرش.

٢٠ - فلتجلسْ مثلَ "يوسف" في صَدْر العزَّة،وليكنْ قادةُ المُلك قائمين بالخدمة على بلاطك.

وأمام وجهك الكثيرُ من أمة "محمد"،وقد جلَستْ صويحباتُ "يوسف" بالقباء والقلانس.

في مدح السلطان أتسز (ص٢٧٢ - ٢٧٣)

١ - ذلك الذي زَيَّنَ وَجْهَ الفَلك بالنجوم والقمر، زَيَّنَ مُلْكَ الشَّرق بالمَلك وبخَيْله.

هو المَلكُ المقدامُ "أتسز خوارزمشاه"،الذي يكْمُن على أسنَّة سَيفه انتصارُ دين الإله.

الملكُ الذى أخْلى الانتصارٌ لأجله بلا مشقَّة الفَلَكَ من سَيِّدٍ للتاجِ وللعرش وللجاه.

الآن قد وصل من كلٍّ جانب أمام عرشه وجاهه ملوكٌ على هيئة المتمنطقين للخدمة.

وأضحى مَلكُ المشرق مثلَ شمس المشْرِق، حين ترسل أشَعَّتَها كلَّ سحَر (١)

فالشَّمسُ يحيط بها جيشٌ من النُّجوم من كلِّ ناحية، ومع ذلك تحصل على سطوتها – مثله – من سيفها(٢) وليس من سيف جيشها(٣).

حين تتأمل جيِّدًا – تجد أنَّ– سيفَك يشبه السَّماءَ، والسماءَ تشبه سيفَك؛ فلهما بريقٌ؛ هذا من الجوهر وتلك من الكوكب.

سيفُك السَّماوى اللَّون يطوف بالدَّم فى السَّماء، ولا يَتَسَنَى لها أنْ تَحمى نفسها من حَدِّه.

سماءُ أعدائك لها شَبَهٌ بسيفك السَّماوى اللَّون؛ لأنَّها تدور– مثله – على رءوسهم دائمًا أبدًا.

١٠ – بسبب سيفك، يضيع طريقُ الفرار على جَسَد الأعداء؛ فتطلب أرواحُهم الطريقَ صوب السَّماء من شدَّة الفزع.

كلُّ مَلِك يَدَّعى أنَّه مَلكُ المشرق، يجد شاهدين له على شاكلة ساعديك الفَتيَّين.

مَلكَ "خوارزم" يا مَلكَ المشرق حينما يكون لك جَوادٌ؛ فإنَّه من عَدْلك يجد فى المرعى الماءَ والعُشْبَ.

---

(١) يتلاعب الشاعر هنا بكلمة "تيغ زن" التى تكون بمعنى "أشعة الشمس" – كما فى الترجمة – وبمعنى "الضَّارب بالسيف" وتكون صفةً للمدوح.

(٢) أى : أشعَّتها.

(٣) أى : النجوم.

المروضون لطالعك يرضونه دائمًا لأجل ركابك العالى فى المساء وفى السَّحر.

أيها الملكُ مظفَّر الطَّالع، نالت دارُ المُلك "تركستان" منك إقبالاً وجاهًا مثلَ دار المُلك "خوارزم".

وكلاهما لديك واحدٌ أيها الملكُ الجَادُّ، الذى لا يُوجد فى هذه المملكة أحدٌ منافقٌ لك.

ما إنْ بلغ الخطيبُ فوق المنبر اسْمَك، حتى تجاوز درجةَ المنبر وبلغ أوجَ القَمر رفعةً.

حيثما تدفع الرِّياحُ المخالفةُ بورقة العَلَف الجافة؛ فإنَّها – أى الورقة– تعود عن طريق عَدْلك ثانيةً بمائة عُذْر.

عليك بالعَدْل؛ فإن العَدْل يا ملكَ الشَّرق فى كلا العالمين أمرٌ حَسَنٌ وللعادل عَدْله ملجأٌ وملاذٌ.

مادمتَ تنظر فى مرآة الخاطر بالعَدْل؛ فلا كان شخصٌ يتأوَّه فى مرآة عَدْلك.

٢٠ – طالما يكون للفَلك السَّماوى اللَّون دورانٌ حول الأرض؛ فليغْرَقْ أعداؤُك فى ماء العيون.

فى مدح السلطان طغان خان (ص٢٧٣ – ٢٧٤)

١ – مَلكُ الأنجم على الخيمة الفيروزية تحوَّل بنَصْر الإمبراطور.

من بُرج "الحوت" بتَدَرُّعاته المتلألئة إلى بُرج "الحَمَل" مرتع المرجان.

وصار معلومًا أنَّ "مَلكَ الأنجم" يشبه "النَّوروزَ الجلالى"(١) بالتَّعجيل فى التَّحويل.

---

(١) يراعى أنَّ فى عيد "النيروز" (وهو أول السنة الإيرانية الشمسية) انتقالَ الشمس من برج "الحوت" إلى برج "الحمل"، وهذا يوافق يوم الحادى والعشرين من مارس. وهذا التاريخ الجلالى منسوب إلى "جلال الدين ملكشاه" السلجوقى الذى أمر علماء النجوم ومن بينهم الحكيم الشاعر عمر الخيام بإعداده .

فقد أَقْبَلَ إلى القصر الملكى وجَدَّدَ التَّاريخَ إلى أيـــام الأمبراطـــور "جـــلال الدين"

أعظمُ ملوك المشْرق "طغان خان" صاحبُ الخاتم والخطبة والعرش.

الذى له عظمةُ "أفريدون" وحشمةُ "كيكاوس" وطالعُ "الإســكندر" وعــرشُ "دارا "وجاهُ "جمشيد".

الجديرُ من بين الملوك بالنَّوبات الخمس ومكان النوبات الخمسين(١) .

المظفَّرُ الذى يجد فى العالم كلَّ ما يبحث عنه إلاَّ الشَّريك والمثيل والنَّظير.

يجعل بالسَّيف السَّماوى اللَّون الشَّبيه بالسَّماء صباحَ المُعادى وقتَ المساء.

١٠ - من نَعْل جواده السَّريع على وجه الأرض، ينثر الترابَ على جبهة القَمر.

يهاب أسَدُ الفَلَك(٢) أسَدَ بيرقه، مثلما يهاب الثَّعلبُ أسَدَ الغاب.

يطوِّق الدَّهرُ بالإكراه أعناقَ المتمردين بطوق الطَّاعة له.

تقصر دائمًا يَدُ الحوادث عن حواشي وجود أحبابه.

فى عهد عَدْله لا يصعد من قلب أحد إلى شفته أنينٌ وتأوُّهٌ من الظُّلم.

يقَبِّل الملوكُ من أرجاء الأرض قادةَ جيشه على قارعة الطَّريق.

لك بعون الله مُلْكٌ على هذه الشَّاكلة، وصار بحمد الله مُسَلَّمًا به.

---

(١) هى علامة السَّلطنة والمُلك، وهى قرعات الطَّبل الثلاث التى وضعها "الاسكندر" وتقرع فى الليل والنهار وزادها "سنجر" إلى خمس (الديوان: لغات ص ٤٤٢).

(٢) أى : برج الأسد.

فى مدح وزير (ص٢٧٤ – ٢٧٥)

١ – يا مَنْ مكانُ الوزارة مزيَّنٌ بك مثلُ الفَلك بالقمر،طالما تضع العرشَ على فَلك القَمر.

أنت قمرُ فَلَك الفضل ومَلكُ حَشَم الجُود، وأنت أشَدُّ ضياءً من القمر وعطاءً من المَلك(١).

تزيد الشَّمسُ والقمرُ من همَّتك، مثلُ الطاعة للمَلك،ومثلُ الهلال من – أول– الشَّهر.

انتظم الدِّينُ منك مثلَ العِقْد من اللُّؤلؤ، مثلما جاء مساويًا بين الأجناس والقرناء.

أنت لا تخطو إلى كلِّ مكان إلا كان العدلُ والحكمةُ والفضلُ والفتوةُ رفيقًا لك دائمًا.

طالما لم تأخذ الكهرباءُ من قلمك الشَّبيه مثالاً؛ فلن تصبح جذابةً للقَشْ.

يكون متمنطقًا كالقلم فى محفلك، العقيقُ المُزيدُ من نَشْوى الشِّفاه المُنقص من التَّعب.

يأتى خنصرُك بالكسوة لأهل الفضل دائمًا بغير دراية من قلمك المنمِّق للخَطِّ.

ويظهر كرمُك بوفرةِ الحريرَ والأطلسَ والصوفَ والقطنَ والدِّيباجَ بغير دراية من الكرم.

١٠ – لا يجد الأدباءُ المشبِّهون فى مائة قرن شبيهًا لك من الأقران ومن الأشباه.

على رقعة "شطرنج" مديحك أيها "الوزيرُ"، أنا "السوزنى" "البيدقُ" وصاحبُ شرف ذلك "المَلك".

---

(١) أى : الشمس.

ولن أجدَ فى شُكْر نعمك لبحر مديحك ساحلاً، لا بالزّورق ولا بالسباحة.
يظهر الصَّدَأُ فى المرايا من الآه، ولقد طالعنا المرآةَ كثيرًا فى مدَّة قصيرة.
فأنَّى للصدأ أنْ يعلو مرآتَك النَّاصعةَ من صيقل عَدْلك؟!، طالما لـم يتـأوَّهْ أحدٌ منك؟!
فلتكنْ تلك المرأةُ التى تلد، وذلك الرجلُ الذى يكون سيِّئَ الطَّوية تجاهـك، تلك عاقرًا حتى يوم الحَشْر وهذا منقطعَ الباءة.
طالما يُحضر الفَلَكُ الهَرِمُ العَامَ والشَّهْرَ والنَّهارَ واللَّيلَ فى دولتـك الـشَّابة بحُكْم الله.
فليكن ليلُك أفضلَ من اللَّيل ونهارُك أفضلَ من النَّهار وعامُك أفـضلَ مـن العام وشَهْرُك أفضلَ من الشَّهر.

فى مدح الأمير العميد (ص ٢٧٥ - ٢٧٧)

١ - الأميرُ العميدُ، عمدةُ المُلْك، شمسُ الجاه، احترف السَّفَرَ مثلَ القمـر علـى الفَلَك حَسْب رأى المَلك.
فَبَدَا فى طريق السَّفَر لأجل المَلك قمرًا، وهو شمسُ حضرة المَلك من حيث العظمة والجاه.
أضْحى إصلاحُ المُلك معقودًا مرةً أخرى فى سَفَره، وقـد اختـار الـسَّفَرَ والطَّريقَ لأجل صلاح المُلك.
وقد علم مَلكُ العالم أنَّه حيثما يمضى، تكون الرَّعيَّةُ فى أمْن وفى حماية به.
ويعلم أنَّ الاهتمامَ بالخَلْق هو حقٌ لخَلق العالم وحقٌ للمَلك.
وله فى السَّفر مثلما فى الحَضَر؛ فله حقُّ خَلْق العالم وله رعايةُ الله.
اللَّهُ رَعَاه؛ لأنَّه عاد من السَّفر إلى العرش والجاه بالحبور وبالسرور.
وعندما انتظرنا فترةً على الأمل، كانت عودتُه مبكرًا بالخير وبالسَّعادة.

فأضْحى قلبُ حسوده وروحُه فى نار الحَسَد مثلَ الذَّهب والفضَّة المنصهرة والمنقوصة فى البوتقة.

ولا حَسْرَةَ فى هذا على روح الحسود وقلبه؛ فلو احْتَرقَ، فقلْ: احْرَقْه، ولو نَقَص، فقلْ: أنْقِصْ منه.

وطوال سَفَره؛ قام أهلُ الحضرة بالدُّعاء الطَّيب له بكثرة فى كلِّ مكان حَلَّ فيه.

وحين آبَ حضرتُه، فهم يكونون بلا شك مثلَ أهل حضرته من القوم المخلصين.

فلم يحدثْ مطلقًا ولم يُعرفْ ولم يَستحسنْ أحدٌ مطلقًا إفسادَ رأى له.

مَدَّتْ عظمتُه وجاهُه وقَدْرُه يَدَ العون لأمور مُلك المَلك مثلَ رَسْم طَبْعه.

سواء الملكُ أو الرَّعيةُ وأيضًا الخاصةُ والجيشُ كلُّهم خلصاء له لفرط أدبه ولإخلاصه.

بين خنصره سهٌم يجعل عدوَّ مملكة المَلك محنيًّا كالقوس من فرط الرُّعب.

ويجعل رُعْبُ رؤية وجهه يومَ عدوِّ دولة "الخاقان" أسودَ مثلما يجعل وجهَه أسودَ.

ذلك الصَّدْرُ العظيمُ الذى يتفرَّد بالعظمة بين كافة العظماء فى مُلك المَلك.

لو يمنح جاهًا واحدًا من ألف جاه له زكاةً، يزيد جاهَ ألف عظيم وسيِّد.

ما أكْثَرَ أنْ قام نجيبٌ بخدمته؛ فأضْحَى الأحرارُ خدمًا لأجل خدمته.

كلُّ منْ تمنطق بنطاق الخدمة له، يسحق حواشى قلنسوته على السَّماء شرفًا.

وذلك الذى يلجأ إلى دولته وجاهه، يرتفع شأنُ جاهه من القاع إلى فَلَك القَمر شرفًا.

واجبٌ على الخَلْق أنْ يضعوا العيونَ والجباهَ على ثَرى أعتابه مثلَ العبيد.

أنا العبدُ الغريقُ فى بحر برِّه وإحسانه،وأسبح فيه بيدى وقدمى بالشُّكر والثَّناء.

ولا يَتَسَنَّى لىَ بسباحة الثَّناء والشُّكر عبورُ بَحْر برِّه وإحسانه ولا الوصول إلى ساحل الطَّريق.

وشِعْرى المتواضعُ هذا واهٍ كأنَّه قشَّةٌ؛ لكنَّ الغريقَ يتعلَّق بالقشَّة(١).

وأرفع الأكفَّ صوب الدُّعاء بالثناء والشكر، وفى الدُّعاء أطلب من الله بقاءَه.

طالما يكون من الخَالق الموتُ والحياةُ، وقد صار ذلك للخلق على مَرِّ الزَّمن.

فأنا أطْلُبُ له الحياةَ باقيةً مثلَ الزَّمَن من الخَالق"الذى خَلَق الموتَ والحياةَ"(٢).

٣٠ – فليكنْ صومُه مباركًا ويومُ عيده سعيدًا وطاعتُه مقبولةً وذنبُه مغفورًا.

فى مدح نصير الدين على بن أحمد (ص ٢٧٧ – ٢٧٨)

١ – يا مَنْ ثَغْرُك محطِّمُ قافلةِ القند، وقدُّك مطيِّرُ ناصيةِ سَرْو "سمرقند".

يُسقط لوزُ مقلتيك بالخداع والجرأة مائةَ ثمرة لوز محطَّمةً فى كل لحظة.

ومخالبُ أسود الأرض المعربدة، مقلومةٌ رعبًا من مخالب أهداب لوزتيك(٣).

ولا يتَسنَّى لك أنْ تفلتَ من قبضة تلك العين الشَّبيهة باللُّوز، والمحطِّمة عدَّةَ حبَّات صلبة بالكسَّارة.

---

(١) مثَلٌ معروف: الغريقُ يتعلَّق بقشَّة.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى:" الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا" [سورة المُلك آية ٢].

(٣) أى : مقلتيك.

سَحق لوزُك[1] المحصَّنُ فى غلاف من الحجر ذلك الجَسُورَ مثل البرقــوق مع ريح الصَّبا العاتية.
خَفَّضتَ ثمنَ الياقوت والسُكَّر، بسبب ثَغْــرك العَــذْب المفْعَــم باليــاقوت وبالسُكَّر.
ألا فاهْنأ بذلك الثَّغْر عَذْب الضّحكة الذى أغْلَقَ بسببه سوقَ السُكَّر.
الرياحُ التى بعثرت لفائف غديرتيك، صار قلبٌ محطَّمًا بشدَّة من فعلها.
أنا لا أدرى كمْ عددُ ثنيَّات وتصفيفات عذارك، لكنَّ ما أعلمه أنَّ بها عــدَّةَ قلوب محطَّمَةً.
١٠ – ولا يقطنها قلْبى؛ لأنَّ قلبَ مداح الملك لا يكون محطَّمًا أبدًا.
الشَّريفِ "نصير الدين" الذى لا تَبْخَس فى دولته قيمةُ الفَضْل وقَدْرُ الفاضل.
الممدوحِ الفاضلِ الذى لا تنقطع له مودةٌ مع أىِّ فاضل ولا تَتَّصل له قطيعةٌ به.
الصَّدْرِ الذى ليس له مثيلٌ بين الفضلاء، وطالما هو موجــودٌ، ينعــدم أىُّ مثيل بين المثلاء.
أيها الرَّاعى،الذى لكفِّك المعطاء السَّعادةُ فى كلِّ قلــب، ولا يُــسْعده كــسْرُ الخاطر.
كفُّك الطَّليقُ له شرَهُ الجُود على تلك الشَّاكلة التى تخــال أنَّــه قــد صــار مجنونًا.
ولو ينصحونه: لا تُعْطِ المالَ لما استجاب لنُصْح، ولا يكون شرهُه للجُــود من قبيل تحطيم النُصح.

---

(١) أى : عينك.

كلُّ ما أخُطُّه فى غير مديحك يكون عَبَثًا،وقد حطَّمتُ القلمَ عن الهُراء والعَبَث.

حينما ينجب خاطرى ابنًا هو مديحُك، فلا أريد انتزاعَ شَعْرة واحدة على رأس ابنى.

لو أنَّ نارَ مدح الآخرين يجب لها أنْ تشتعل، فكىْ تَشْتَدَّ احتراقًا يعملون على خبوِّها.

٢٠ - ذلك الشَّخصُ الذى يحطِّم بناءَ القول، يقيم قولى فى مديحك.

للفَلَك بيعةٌ وعهدٌ ببقائك، وهو لا ينكث مطلقًا بيعةً وعهدًا.

لقلب أعدائك حُرْقةٌ، لا تشتعل بالكافور[١] ولا تخبو بالريوند[٢].

نام حسودُك على فراش الغَمِّ متألمًا هكذا؛ لأنَّ جَسَدَه يصير ممزَّقَ ثيابِ النَّوم بفعل الرياح.

أضْحى عدوُّك مقلوبًا فى دار المحن، مثلَ عنقود الكَرْم المحصرم المدلَّى.

يكمن الانكسارُ فى قلب حاسدك وفى ظهره؛ فلا تَسْعَدْ لانكسارٍ سوى لظهر حاسدٍ لقلبه.

طالما يكون لعين المعشوق النَّاعسة شهرةٌ، وطالما يكون لطُرَّة المحبوب المتكسِّرة طرفةٌ.

فتَعَلَّقْ بطُرَّة عذب الشَّفة ذلك الذى تصطف أهدابُه السَّاحرةُ لتحطيم "جبل دماوند".

واطلبْ دائمًا قُبْلَةً من عَذْب الشَّفَة، فمن ثَغْره قافلةُ القَنْد محطَّمَةٌ.

---

(١) نبات عنبرى الرائحة.

(٢) اسم نبات ينبت فى وسط وغرب آسيا ويؤكل ويستفاد منه فى المواد الطبية ويعرف أيضا باسم : ريواس وراوند (فرهنك عميد).

فى مدح الدّهقان الأجلّ أحمد سمسار (ص ٢٧٩ – ٢٨١)

١ – يا مَنْ لونُ وجنتك محطِّمٌ لونَ الجُلّنار، وشَعْرةٌ واحدةٌ لك محطِّمةٌ مائة دكان عطّار.

نواصى السَّرْو ملقى وشَجَرُ الحُور محطَّمٌ فى كلِّ خميلة وحديقة خجلاً من قامتك.

بك اشتعل سوقُ الحُسْن، ومنك انكسَر خاطرُ الحِسَان جميعا بكلِّ أسَى.

وصلت صورتُك إلى مصوِّر"فرخار"، فتحطَّم بسببها القَلَمُ المصوِّرُ المنَمِّقُ(١).

وتمثالُك مثلُ كفِّ "إبراهيم" النَّبى، محطِّمُ أبوابَ وحيطانَ المعابد.

عيناك الثَّملتان محطِّمتان بغُنْج ودلال واحد بابَ حانة الخمَّار مائةَ مرَّة.

بسبب سهام أهدابك، انْدَحَرت في " بابل" و"كشمير" صفوفُ السَّحرة المكّارين المتعَدِّدة.

ونحن أيضًا؛ بسبب تلك السِّهام الجريئة، تحطَّمت قلوبُنا المتعبةُ مثلَ الهدف وانحنت ظهورُنا مثلَ القوس.

طالما صارت تلك الذؤابةُ الحالكةُ محطِّمةً بالضرورة قلبى الذي هو بيتُ الملاذ بكلِّ خيطٍ بها.

١٠ – فأنا لا أريد أنْ ينقص من تلك الذؤابة خيطٌ واحدٌ، كيْ لا ينهار بسببها بيتُ الملاذ(٢).

عيناك السَّودوان وسْنانتان دائمًا، مثلهما طرَّتُك السَّوداءُ محطِّمةٌ دائمًا.

---

(١) فرخار: اسم معبد واسم مدينة فى " التِّبت" مشهورة بالحسناوات وهو المقصود بها فى الشطر الأول من البيت، وهى أيضا بمعنى المزيَّن والمجمَّل والمنمَّق وهو المقصود بها فى الشطر الثاني حسب تصورى.

(٢) أى : قلبى.

ما إنْ صارت عينُك النَّاعسةُ نصيبى أيها الحبيبُ، حتــى صـــار ظَهْــرى معقوفًا مثلَ طُرَّتك أيها الحبيبُ.

جعلتُ قلبى مقهورًا فى عشْقك أيها المعشوقُ، مثلَ "الرودكى"فـــى عـــشْق "عيَّار".

ومثلَ أعناق الأحرار المقهورة من حِمل مِنَنِـــه؛ "الـــدِّهقانِ الأجـــلِّ أحمـــد سمسار".

الصَّدْرِ الذى انفصمت بيد كرمه من باب البُخْل السِّلسلةُ وتَحطَّم المسمارُ.

إنَّه مَلِكُ الأحرار، ولا يُقْهَر جيشُ الأحرار من حول عرشـــه حتـــى يـــوم الحَشْر.

أياديه قد أوصلت الرُّطْبَ على أشجار المروءة فى الحديقـــة إلـــى درجـــة النُّضج، وحطَّمت شَوْكَه.

ولا يَنُوء غُصْنٌ واحدٌ من تلك الأشجار كافةً بما عليـــه مـــن وَرَق وثمـــر وفير.

ولو يثمر غُصْنُ مراد عدوِّه؛ فإنَّه ينوء بحَمْله المليئ بالثِّمار مكسورًا.

٢٠ – دائمًا ما يكون حسُودُه بسبب أنفاسه الباردة متدفِّئًا بالسَّعير، ويـــشوى بلفـــح نارها.

ولو تنثر أهدابُه دمعًا من دَم الكبدِ على وجهه؛ يصير عليه مثـــلَ حجـــاب النَّار، ومثلَ الرُّمَّان المسحوق عليه.

مَنْ احتَمى به، لا يتَسنَّى للفَلَك أنْ ينتزع شعْرةً واحدةً على جَسَده.

ومَنْ حَادَ عنْ خَطِّ أمْره، يصيب أذَى مائة شوك كلَّ جَسَده عاليًا وسافلاً.

صار بابُه كعبةَ الزَّائرين؛ ذلك لأنَّ رغبات ضمائره فى صدورهم تنقـــضى على ذلك الباب.

ولا يصير ثوبُ الزّائر ممزّقًا على باب مطلقًا من الغسيل انتظـارًا وعـدم الحصول على إذْن الدخول.

يا مَنْ تُقصير يَدَ الظُّلم والجُور عن الخَلْق بالعمل وبالقول أبد الدَّهر.

مَنْ سواك يمنع يَدَ السُوء عن الخَلْق بالقول وبالعمل أبد الدَّهر.

يَبْخَسُ ثَمَنُ الدِّرهم وقيمةُ الدِّينار من كثرة إحسان كفِّك الكافى وكرمه.

ويهبط سِعْرُ الجوهر واللؤلؤ النَّفيس بسبب طرائفك المليئة باللَّطائف وقـتَ حديثك.

٣٠ - أنت الممدوحُ الأديبُ، ولا ينقص للحديث لديك شرفٌ وقيمةٌ ومقدارٌ.

أنا الشّاعرُ لأجل نَظْم مديحك، وإلاَّ أكون عابثَ القول مكسَّرَ الأشْعار.

طالما أنَّ عملَ طبعى هو نَظْمُ مديحك، فلا كان لعمل طبعه توقفٌ مطلقًا.

أنا موضعُ غيرةٍ وحَسَدٍ على مديحك، وأقصف القلمَ عن مديح الغَير.

إنْ لم يصدحْ بلبلُ طبعى بمديحك؛ فسوف أقطع لسانَه وأحطِّم منقارَه.

وإنْ لم أنقشْ على صفحة الورق سوى مديحك؛ فلينفَصمْ الإصبعُ الممسكُ بالقَلم من كفِّى.

للأستاذ "الرشيدى"[١] شِعْرٌ، رديفُه بديعٌ مثلُ ضفائر الحسْناوات، ويَبَزٌّ فـى الأسلوب.

وأنا "السوزنى" شِعْرى يتبع شِعْرَه، ولا يساوى ثقبًا أوجده بإبرة واحدة.

لكنْ حين ينال شِعْرى قبولَك أيها المَلِكُ، فإنَّ سوقَ شِعْره يصاب بالكساد بسبب شِعْرى.

طالما سيكون الفَلكُ الدَّائرُ معدومَ الراحة والسَّير بكليهما حول الأرض.

---

(١) هو سيد الشعراء الأستاذ أبو محمد بن محمد الرشيدى السمرقندى من أساتذة القرن السادس ومن شعراء ما وراء النهر المشهورين، وكان من الشعراء المعاصرين للسوزنى .

٤٠ – فلا تكفَّ عن السَّعادة؛ لأنَّ ظَهْرَ حسُودك له هيئةُ دوران الفَلك الدَّائر مــن فرط الغَمِّ.

فلْيَسقُطْ سَيِّئُ الطَّوية تجاهك من الفَلك الدَّائر على الثَّرى، ولينكــبَّ علــى وجهه مقهورًا.

حرف (ى)

فى مدح نصير الدين على (ص ٢٨٢ - ٢٨٣)

١ - تَزَيَّنَ هذا القصرُ المباركُ مثلَ الجنَّة ببهاء صاحب الدَّولة "نصير دين الله".

كلُّ قصر وكلُّ مجلس قد حَظِى برؤية صَدْر الدِّين وحاكم الدنيا يصير كأنَّه الجنَّةُ.

أضْحى هذا القصرُ بجاه الصَّاحب العَادل جَنَّـةً؛ فالـدِّهقانُ فيـه بمثابـة "رضوان" زينةِ الجنَّة.

اليوم، الأرضُ تَتَفاخر على السَّماء الدَّائرة بقدومه بصحبة الصَّاحب الكبير.

فلو يتفاخر هذا القَصْرُ على الفردوس، فبمجيئه، ولو يعتَزُّ بمكان، فبمكانه.

إنَّهم يضربون المثلَ بحُبِّ الكرام للضيفِ؛ لأنَّ الضَّيفَ يكون عطاءً مبهجًا من اللَّه.

ولقد طلب "نصيرُ الدين" عطاءً من إله الكون، فوصـل عطـاءُ الله إليـه "الصَّاحبُ العادلُ".

أقبل كبيرُ العالم والعادلُ متبخترًا سعيدًا صوب "نصير" بكلِّ بشاشة وسرور وخاطر منشرح.

فإنْ تناول الكأسَ والقدحَ بعينه - فحسْب- وليس بيده، وإنْ يقف فى الرِّواق بمفرق رأسه - فقط- وليس بقدمه.

١٠ - فإنَّ "نصيرًا" يمتَنُّ له اليوم بالرُّوح وبالفؤاد، لو يطلب منه الرُّوحَ والفـؤادَ إزاء ذلك.

فالصَّدْرُ الكبير وياللأسف يمضى طوال اللَّيل فى حيـاء وخجـل، بسبب التَّقْصير فى الدَّعوة.

ولا يريد أن يكون الخجلُ سببًا للمجئ، ومادامَ قد كان؛ فالكبيرُ يقْبل العُذْرَ، والصَّغيرُ يعجز عنه.

طالما يمثّل الشُعراءُ الأدباءُ للسَعادة بظلٍّ طائر "الهُمَا".

وقَصرُ الدِّهقانِ مباركِ الدَّولة صاحبِ "الهُمَا" رفيق اليُمن سعيدٌ مثلُ عُـشٍّ "الهُمَا".

فليكنْ لـ "نصير الدين"– فيه– راحةٌ دائمةٌ تحت ظِلٍّ تلك الدَّولـة مـستَقَرٍّ "الهُمَا".

فى مدح طمغاج خان مسعود بن حسن (ص ٢٨٣ – ٢٨٤)

١ – شهرُ رجب هو الذى حلَّق فيه طائرُ "الهُمَا" الأكثرُ يُمنًا من عُـشٍّ فـضل المولى باسطًا جناحيه.

معتمدًا فى طيرانه على قوادم الظَّفر والنَّصر،ناشرًا ظِلَّه فوق عَلَـم ظِـلِّ المَلك.

شمسِ الملوك الذى يكون عدلُه للدنيا مثلُ شعاع القَمر سيِّدًا فى كلِّ بيت.

كلمةُ (آى) فى لغة التُرك تعنى القَمَر، وقد رأى مَلكُ التُّرك فى الفَلك الشَّبيه بالمرآة هذا القَمَر سعيدًا.

فقد سعد القَمَرُ بالمَلك وأيضًا شهرُ رجب،فقد كان بـاشَّ الهيئـة وميمـونَ القَصْد أيضًا.

وأضحى للفَلك لسانٌ بهلال رجب، كىْ يلهجَ بالثَّناء والمديح علـى قـصر المَلك.

وحتى يصبح هذا الهلالُ بَدْرًا، فبلا ريب أنَّ هذا القَصْرَ سـيمتلئ بالثَّنـاء إلى– أنْ يصل– إلى أوج السَّماء .

المَلكُ الذى له قَدْرُ الفَلك، ربُّ السَّيف والتَّاج، سيفُه له سَمْتُ الفَلك وتاجُـه ساحقٌ للفَلك.

جَواده يجول فى الفَلك، رمْحُه خارقٌ للفَلك، طالعُه متَّكأُ الفَلك، عرشُه مكانُه الفَلك(١).

١٠ - "طمغاج خان" أعظمُ "مسعود" ركنُ الدين،حَسَنُ الطَّالع وقرينُ البَخت وسديدُ الرأى.

له رأىٌ سديدٌ وبأسٌ شديدٌ، وأضحى "القيصرُ " فى "الرُّوم" خاضعًا له، وصار "المهراجا" فى "الهند" مسخَّرًا له.

له سيفٌ فاتحُ العالم مرصَّعُ الجوهر، فى كلِّ جواهره ظهورٌ للكأس مظهرةِ العالم.

السَّيفُ فى كفِّ المَلك الكأسُ مظهرةُ العالم، لك أنْ تمدح سيفَه وتُثْنى على كفِّه.

يا كفَّ المَلك، أمام كرمك الذى لا يُحَدُّ، السَّحابُ شحيحٌ والبحرُ بخيلٌ والمنجمُ شَحَّاذٌ.

أيها المَلكُ، قوامُ العالم فى كفِّك وسيفك؛كفُّك قائمةٌ بالحماية لسيفك مضرٌ الروح.

طالما لم ينلْ أىُّ مغرور فرصةَ النَّجاة بروحه؛ فلأنَّه لم يَنْحنِ مقبِّلاً الأرضَ بين يديك.

كلُّ عدوٍّ يجرِّب معك، يحمل روحَه لتجربة سيف الأجَل.

أضْحَت جيادُ جيشك الجامحة أسودًا تمضغ الموتَ حين يَجدُ النِّزالُ.

وأنت تخلط بالجياد السَّريعة الجامحة النَّهارَ الفائتَ والليلَ الآتى بعضهما ببعض.

٢٠ - يكون المُلْكُ دائمًا للملوك بَسبب العَدْل، وعدْلك يجعل مُلْكَكَ دائمًا لك.

---

(١) فضلتُ ما جاء به "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢١) أن القافية "جاى" بدلاً من (خاى) التى ستأتى بعد أبيات قليلة بما يُعد عيبًا فى القافية.

أيها الملكُ يكون الإنصافُ هو شكْرَ نعمة المُلك، فزدْ من الإنــصاف كــى يزيدَ ملكُك.

لا تَجْلُ[1] صدَأ دم الظَّالم عن سيفك؛ فسيفُك الصَّيقلُ يجلو من تلقاء نفــسه صدَأ الظُّلم.

لا تَسَلْ عن هراق دم الظَّالم فهو مباح، أرِقْه بلا هوادة سواء أكان مباحًا أم غيرَ مباح.

عَدْلُك أيها الملكُ واجبٌ للخاص وللعــام، ولا ينقطــع اتــصالُه ولا وقــت لاتصاله ولا يتصل فى وقت محدد.

يا "سوزنى"، بمديحك للمَلك، يَهُبُّ من بُسْتان الطَّبع نَسيمُ وَرْدٍ منعشٌ للنفْس فى الحلْق والحلقوم.

حتى تسعد منك الرُّوحُ فى الجِنان والجَسَدُ فى القبر لـــ "مسعود سعد"[2].

فكلُّ ما يقوله شاعرٌ بغير مديح المَلك لغوٌ وباطلٌ، كفَى ثمانون عامًا قضاها فى باطل القول.

يقولون وقد قالوا إنَّ اللَّيلَ حافلٌ، ويعلم ذلك القول أهلُ الحديث والرأى.

فلتكنْ كلُّ ليلة فى عمرك أيها الملكُ المتفرِّدُ حُبْلَــى؛ لأنَّ المولــودَ يكــون شمسَ العَدْل.

٣٠ - لو يسقط ظِلُّ طائر "الهُمَا" على أعدائك؛ فليكنْ سالبًا للروح مثــلَ مخلــب العقاب.

وليكنْ ظِلُّ "الطُّوبى" مبسوطًا على مفرقك؛ لأنَّ طائرَ "الهُمَا" الأكثرَ يُمْنًا هو شهرُ رجب.

---

(١) فضلتُ ما جاء به "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢١) لتمام المعنى وجمال الصورة.

(٢) أحد الشعراء المشهورين فى النصف الثانى من القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجرى.

في مدح العميد أحمد (ص٢٨٤-٢٨٦)

١ - إنْ تَقُلْ إنَّ الملاكَ أفضلُ من الإنسان؛ فأنا لا أصدق، وطالما كان الملاكُ على هذه الشَّاكلة؛ فتأمَّلْ وجهَ ذلك الغُلام الأسِير.

طالِعْ جمالَ ذلك الغلام الذى يبقى حيالَه الإنسانُ وقحًا والملاكُ عاجزًا وحائرًا.

لو يقذف[1] مع الملاك كرةَ الحُسْن إلى الميدان؛ فإنَّ الملاكَ يستخلَص من الكرة والصولجان ويفرُّ هاربًا من الميدان.

يا مَنْ لك إدراكٌ بأوصاف الملاك تأمَّلْ جمالَ ذاك الغلام، متى كان للملاك طلعةٌ تشبه ما لذاك الحبيب؟!!.

لمحبوبى قامةٌ تشبه سَرْوَ البستان، وليس للملاك أيها المحبوبُ شيءٌ من ذلك.

حينما يكثرون من تشبيه السَّرْو بقامة ذلك المعشوق؛ فإنَّهم يقيمون من ذلك الملاك بستانيًّا[2] بين السَّرْو.

أسنانُ المحبوب وشفتُه دُرٌّ ومرجانٌ، وليس للملاك شفةٌ وأسنانٌ تشبه الدُّرَّ والمرجانَ.

لذلك الغلام كرةٌ فضِّيةٌ[3] وصولجانٌ مِسْكىٌّ[4]، يصول على الملاك بهذه الكُرة وبهذا الصَّولجان كذلك.

والملاكُ يظهر العبودية فى كلِّ لحظة لدُرِّ ولمرجان شفته وأسنانه عن طواعية.

---

(١) أى: الغلام.

(٢) أى: حارسًا.

(٣) أى : ذقنه.

(٤) أى : ذوابته.

وحين يقذف بهذه الكرة وهذا الصولجان إلى ميدان النِّزال، تحطِّم كرةٌ من جماله صولجانَ الملاك.

لو كان الملاكُ يفضل الإنسانَ فى الحُسْن، ما كان الملاكُ يتوارى ويختفى مطلقًا من الإنسان أبد الدَّهر.

أين يوجد ذلك الملاكُ الذى يبدو أنَّه أفضل من الإنسان، وتظلُّ عينُ الإنسان الوقحةُ تطارد جمالَه؟!

الإنسانُ يتوارى مثلَ الملاك خجلاً، على خلاف ذلك الذى يجعل الملاكَ يتوارى عن الإنسان.

ويكون دليلُ ذلك أنَّ الإنسانَ يصبح على هيئة ملاك، ولو تتحدث بذلك؛ فليس للملاك مطلقًا هذا الدليلُ[1] .

ها هو ذا حين يقوم باستعراض الغلمان، فالملاكُ عارضُ الغلمان عارضُه أمام الصَّدْر.

السيدُ العالمُ الحكيمُ العارضُ "أحمدُ"، ذلك الذى هو فخرُ الإنسان، والملاكُ خاضعٌ لأمره.

حين تَرى الحِسَانَ صفوفًا أمام عرشه، تَخَال أنَّه مثلُ "سليمان" وهم الملاكُ.

مجلسُه مثلُ بستان "سليمان"، وقد اصطفَّ الملاكُ أمامه مرَّةً أخرى مثلَ السَّرْو فى البُسْتان.

كلُّ ملاك يخرج عن طوع أمره يصبح شيطانًا، وحين يدخل الشَّيطانُ رأسه تحت ربقة أمره يصير ملاكًا.

لو يملك الملاكُ إيمانًا صادقًا بالله وبالنَّبى، يجعل خدمتَه له تاجًا على رأس إيمانه.

---

(١) أى: يصبح على هيئة إنسان.

وما إنْ أرى ملاكًا أمام خدمته، يصير يقينًا أنَّ اللهَ قد خَلَق المــلاكَ لأجــل خدمته.

طالما لا يحظى الملاكُ بنصيب تلك الرائحة العبقة الشَّبيهة بخُلقه؛ فإنَّ هذا يُنْقِص منه عن الإنسان[١].

دفَعَني السَّيِّدُ إلى القَسَم بأنْ أنظم شِعْرًا في الرَّديــف[٢]، فجعلــتُ المــلاكَ رديفًا لشِعْري وفاءً لذلك القَسَم.

الإنسانُ عبدُ الإحسان، وهذا القولُ حقٌّ، والملاكُ عبدٌ للإحــسان بــصورة أفضل من الإنسان.

فليكن الجانُّ والإنسانُ عبيدَ أمْره دائمًا، طالما يكون فــي اللغــة العربيــة الآدميُّ إنسانًا والملاكُ جانًا.

* * *

١ - أيها العظيمُ، أنت العظيمُ ابنُ العظيم، ولا تليــق العظمــةُ إلاَّ للعظــيم ابــنِ العظيم[٣]

الأصلُ والجوهرُ هما أعلى درجات العظمة، ولا ينال العظمةَ عديمُ الأصل وعديمُ الجوهر.

---

(١) الذى يحظى بها.

(٢) كلمة أو أكثر أو أداة أو حرف تتكرر بعد القافية بلفظها ومعناها وتخضع للوزن العروضى.

(٣) هذه القصيدة بلا عنوان فى الديوان، ويرى "همائى" فى(مستدركاته على الديوان ص ٤٢١) أنها فى "فخر الدين محمد"، ونحن لا نميل إلا هذا الرأى؛ فليس فى فهرست عناوين القصائد سوى "فخر الدين أحمد" الذى تكرَّرَ كثيرًا. وأميل إلى أنها فى مدح "حميد الدين محمد الجوهرى" وسبَقَ مدحُه وذكرُه، ويؤكد ذلك تكرارُ كلمة "جوهر" فى كلِّ قصيدة يمدح فيها الشاعرُ هذا الممدوحَ ومنها هذه القصيدة، كذلك يؤكد ذلك ذكرُ الشاعر لقبَ "حميد الدين" فى البيت الرابع" من هذه القصيدة واسمَ "محمد" فى البيت "الثامن" منها.

ومع أنَّ العظمةَ شيء عارضٌ وليست ثابتةً، إلاَّ أنَّها تَثْبت عليك حيث يُوجد الأصلُ والجوهرُ.

طالما نَزَل من السَّماء عليك لقبُ "حميد الدين"(١)؛ فإنَّ هذا اللَّقَبَ لم يأتِ لأحد بهذه الصورة اللائقة.

السَّماءُ تحت فَصِّ خاتمك، والأرضُ على اتساعها ضيقةٌ على أعدائك مثلُ الخاتم.

ما إنْ طالعك "المشترى" قبل ذلك أيها الصَّدْرُ ناصر الدين حتى تفاءل بوجهك وصار مشتريًا لك بروحه.

وأنا أدعوك فى الدنيا ناصرَ الدين؛ ثم أقول لك فى الوقت نفسه: يا مَنْ رؤيةُ وجهك فألُ "المشترى" بالنسبة للدنيا (٢).

بقى لك ميراثًا من "محمد"(٣)؛ الاسمُ والخلقُ الطَّيِّبُ، ولو كانت النُّبوةُ باقيةً لكانت حفيَّةً بك أيضًا.

أنت فى الكفاية بلا نظير وفى المروءة بلا عديل، وفى السَّخاء بلا شبيه وفى البيان بلا قرين.

١٠ – العالمُ والعاملُ يقصدان بلاطَك، فهذا يقرُّ بالتَّلْمذة وذاك بالخدمة.

عالمُ القادة كلُّهم خدمٌ لك، يا مَنْ كلُّ آمر أمامك مأمورٌ.

طالما أنت راعٍ للأدب؛ فأنت تفضل "الصَّاحبَ الرازى"، وطالما أنت باسطٌ للسخاء، فأنت تفوق "حاتمَ الطائى".

فإنْ كانا كلاهما مشهورين فى أيامك هذه، وقد تجرَّدا أمامك من السخاء ومن الأدب.

---

(١) ارجعْ إلى الحاشية السابقة مباشرةً.

(٢) الشطر الثانى من هذا البيت تضمين للشاعر "العنصرى" فى ديوانه بكوشش د. دبيرسياقى ص٢٨٢ تهران ١٣٤٢هـ .

(٣) ارجع إلى الحاشية قبل قبل السابقة.

فأنت تُحْيِى اسْمَيْهما ولك القدرةُ، طالما تَرْعى الأدبَ وتبْسِط السَّخاءَ.

كلُّ لسان يفتح عليك من العلم بابًا، كى تَتَبَخْتَر من كلٍّ باب كأنَّك فيه قطاةُ الوادى.

طالما يلزم لممدوح مثلك شاعرٌ مثلى، يخاطب أبوابَ العلم فى الطَّريق فيستجيب له كلُّ باب.

حينما يستل كفُّك سيفَ الإحسان فهو فى طوعك، تشقُّ الصَّدْرَ بالدُّرَّة وتمزِّقَ– بسيف الإحسان – طبيعةَ البُخْل.

يتحتَّم علىَّ فى مديحك إظهارَ السِّحر؛لأنَّك فى هذا المجال أقوى سِحْرًا من كلٍّ ساحر.

ذلك الذى فى بضعة أبياتٍ لىَ من صنعة الشِّعْر، لا يُوجد فى ديوان شِعْر "العنصرى" على الجملة.

الأدباءُ يدبِّجون القولَ فى مديحك، ما دمتَ تحنو عليهم بيد السَّخاء.

فاكهتى المديحُ، ويخلد فيها ماءُ الحياة، مادمتَ تهتَّمُ برعايتها.

إنْ لم يَصرْ للفَلَك دائرةٌ على طريق رأيك؛ فإنَّه يفتح بإرادته دائرةً لإقبالك.

طالما يكون لدائرة الفَلَك الأزرق دورانٌ حولَ الأرض السَّاكنة بلا راحة.

فليكنْ قدُّ حاسدك محنيًّا كالدائرة،وخَدُّه أزرقَ مثلَ النيلوفر من ألمه وسوء طالعه.

خَلْقُ العالم محظوظون بك، وراغبون من الله لك التَّوفيقَ مادمتَ فى إقبال وفى حَظٍّ سعيد.

فى مدح طمغاج خان (ص٢٨٧- ٢٨٩)

١ - يا مَنْ أنتَ ملكُ العالم؛ لأنَّ لك السُّلطانَ على ملوك العالم، دعاوى الملــوك باطلةٌ أمامك باستثناء العبودية – لك – .

أنت ملكُ الشَّرق والصين، ولا يتَسنَّى في " الهند " و " الــروم " أن يكــون "المهراجا " مهراجا ولا " القيصرُ " قيصرًا رُعْبًا منك .

مع أنَّك لستَ " الإسكندر " و " دارا "، إلاَّ أنَّ فــي ذاتــك شــوكةَ " دارا " وحكمةَ "الإسكندر " .

في إعداد الجيش أنت المُعِدُّ لميدان الوغي، وفي جيشك أنــت " علــيٌّ "[1] الذى يشقُّ صفوفَ العدوِّ .

فى أمانك يسير " الغزالُ" أمام " النَّمر " متبخترًا، ويُعَدُّ ظِــلُّ " الــشَّاهين " مرفأً لـــ "قطاة الوادى " .

ينادون نهارَ وليلَ عَدْلك وإنصافك: يا قمرَ كلِّ شُرْفة، ويــا شــمسَ كــلِّ باب[2].

جوهرُ المُلْك " قلجُ طمغاج خان " ركنُ الدين، هو لأجل قمع الأعداء مثــلُ قوَّة الشكيمة مع الجوهر والأصل .

الملكُ محمودُ القول والفعل والشَّأن والسِّيرة، العادلُ مسعودُ الاسم والفــأل والبخت والطَّالع .

وارثُ العرش وفَصِّ الخاتم والسَّيفِ والتَّاجِ، من " قراخان حــسن " إلــى الملك "أفراسياب " .

---

(١) صفدرى : تعنى مَنْ يشق صفوف الأعداء . وهى لقب على بن أبي طالب .

(٢) يرى " هِمائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢١) أنَّ الأصَحَّ : يا شرفةَ كلِّ قمر وبابَ كلِّ شمس .

١٠ - طالما كان للخاتم زينةٌ من إصبعك، فالسَّماءُ تحت فصٍّ خاتمك بمجـرَّد أنْ تَنْظرَ إليها .
لو يواجه أعداءَك زُمُرُّدٌ فى خاتمك؛فسوف يقتلع عينَ أعدائك مثـلَ عـين الأفعى.
السَّعدُ الأكبر[1] ناظرٌ من الفَلك صوب إقبالك، طالما أنت ناظرٌ بإقبالك إلى السَّعْد الأكبر.
لك شوكةُ " أفريدون " من آبائك وأجدادك، فلا جَرَمَ أنَّك مثلُ " أفريـدون " شوكةً وبهاءً .
المَلكُ زينةُ المُلْك راعى الحقِّ هو اللائِّقُ للمُلْك والدِّين، وأنت اللائِّقُ لذلك؛ لأنَّك زينةُ المُلك وراعي الحقِّ .
أنت الملكُ باسطُ العَدْل عن طريق الإنصاف والعَدْل، ولا تَـسلُك طريقًـا سوى باب الجِنان لأنَّها المنتهى .
العالمُ فردوسٌ بسبب عَدْلك، ونحن وأنت في الفردوس مع أهل الفردوس .
صار ظِلُّ أوراق الطُّوبي ظِلَّ مظلَّتك بالقياس، يا مَنْ أنت ظِلُّ الله ؛ لأنَّـك أيضًا نورُ الشَّمس .
ولأنَّ أهْلَ الحضرة ينعمون في حِمى عَدْلك ؛ فهم يدعون بأنْ تَنْعَمَ بالمُلْـك والتَّوفيق .
أيها المَلكُ، شَهْرُ " شعبان " يُلقي بِظلِّه على شَـهْر " رمـضان "، وهمـا مسرعا الخُطا من المشرق والمغرب .
٢٠ - فلا تَعُدَّ النَّهارَ واللَّيلَ من مشبَّكات شعبان حتى فى شهر رمضان الميمـون ويوم العيد السَّعيد .

---

(١) أى : المشترى.

إذا كان شعبانُ شهرَ الرسول أيها المَلكُ ؛ فأنت المقيمُ لجادة السُّنَّة النَّبوية(١).

فاجعل البلاطَ في هذا الشَّهر عامرًا بالخير من أهل الخير ؛ لأنَّك أفضلُ الملوك وخيرُ السلاطين .

الشعراءُ يعقدون على الملوك الطُّهْرَ والإحسانَ بالمقالات التي تنال الاستحسانَ والتَّرحيبَ العام .

أنت المَلكُ، لك طلعةُ " المشترى " المضيئةُ وكلُّ مَنْ شاهد طَلْعَتَك صار مشتريًا لتُراب أعتابك – كحلاً – لنور عينيه .

تلقيتُ في النَّوم من روح " العنصرى " قولَه : " يا مَنْ رؤيةُ وجهك بالنِّسبة للدنيا فألُ "المشترى" (٢).

بما أنِّى مدحتُك على هذا الوزن والقافية؛ فأنا أرسل التحيات لروح "العنصرى".

أحْسَنَ خياطو النَّظم حياكةَ كِسْوة مديحك، وأنا في وقتٍ كنتُ معنيًّا بالحياكة .

٣٠ – طالما ينبعث القضاءُ من بين التراب والماء والرياح والنار بحُكم الحاكم العادل الذى لا شبيه له .

فلتكنْ عينُ حاسدك مائيةً(٣) وجَسَدُه ترابيًّا(٤)، ولتذهبْ رأسُه من سيفك أدراجَ الرياح، والنَّارُ فضاؤه .

---

(١) استفادةً من حديث الرسول صلى الله علية وسلم : " رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى " أورده الشوكانى في نيل الأمطار.

(٢) الشطر الثاني من هذا البيت " تضمينٌ "للشاعر " العنصرى " وقد أشرنا إليه وإلى مصدره فى إحدى حواشي القصيدة السابقة مباشرة.

(٣) أى : باكيةً.

(٤) أى : مدفونًا.

طالما يكون لمحبوب القلوب السَّعادةُ وطولُ البقاء ؛ فــلا كــان لــسعادتك وطول بقائك حَدٌّ ونهايةٌ .

وليَبْقَ لأمرك السُّلطانُ الأبديُّ على ملوك العالم، يا مَنْ أنت مَلِكُ العــالم ؛ لأنَّ لك السلطانَ على ملوك العالم .

فى مدح الدِّهقان غازى (ص ٢٨٩ – ٢٩٠)

١ – صـار للفلك الأعلى كلُّ رفعة، منْ همَّة " الدِّهقان غازى " وقَدْره .

ومثلما يفعل اللاَّعبون المهرةُ الآن أثناء الصِّراع ؛ فهو المتحكِّمُ دائمًا فــى عقاب همَّته .

للعظماء رغبةٌ بسيطةٌ، وهى أنْ يلاطفَهم بأقلِّ قدْرٍ مِنَ الملاطفة .

فكلُّ مَنْ يَتَضرَّع أمامه يومًا، يبقى طَوالَ العُمْر غيرَ محتاج .

أيها العظيمُ، أنت حَفِيٌّ بالقيادة على الأحرار فى الخُلُق الحَسَن .

يكون خَجِلاً دائمًا من خُلقك العَطِر، المِسْكُ التَّترى والبانُ الحجازى[(١)].

لأنَّك أصلُ ورأسُ مال العزِّ والدَّلال، فقد تَرَبَّيَا على خُلُقك .

الأبُ يتفاخر بك ابنًا ؛ فليكنْ كذلك لك ابنٌ يتفاخر به أيضًا .

الــذى يمنحة كفُّك المعطاءُ لأقلِّ شاعر، هو ما منَحه " محمودُ الغزنــوى " لــ "مسعود الرازى"[(٢)].

---

(١) شجرةٌ أوراقُها خضراء طيبةُ الرائحة وثمارُها تُسَمَّى حبَّ البان، ويقال فى الفارسية إنها ثمارُ الغالية والمسك .

(٢) يقول " همائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢٢) : إنه من الشعراء الملازمين للسلطان محمود الغزنوى واستدل على ذلك بحكايات نقلها عن " تاريخ " بيهقى " وأيضا عن " تاريخ أدبيات إيران " لــ " ذبيح الله صفا " .

١٠ – نَزَلَ فى ضيافتى لأجل السّعادة والمرح والملاطفة غلامٌ آسرٌ تركىُّ اللِّسان[١].

قرأتُ عليه بالتركية والعربية، إلاَّ أنَّه لم يصلْ فى التركية والعربية إلى درجة الإجادة .

سأسكب الليلةَ الفضَّةَ والسُّلافَ على ذلك التركى الآسر ذى اللغة التركية المغيرة .

لقد أحضرتُ إلى جنابك اليوم شخصًا عزيزًا ؛ كى تُهيِّئَ لنا واجبَ الضيافة.

وتمدَّ كفَّك المعطاءَ صوب حافظتك، بما يليق لذلك السَّرْو لطيفِ القوام .

فلو يصير اللَّيلةَ حِصْنُ ذلك المعشوق مدكوكًا، أصوِّب نحوك غدًا نظرةً غامزةً.

لقد اختصرتُ هذه القصةَ الطويلةَ ؛ فليكنْ كلُّ الطول في بقائك .

فى مدح على بن أحمد (ص ٢٩٠ – ٢٩٥)

١ – حين تصوِّب سَهْمَ غمزةٍ بنعومة ودلال ؛ فاجعلْ من قلبي المسكين هدفًا، أيها الغازى .

لقد أتيتُ إليك فى البداية مقامرًا بالقلب[٢]، وحين لا يبقى القلبُ، أضَحى بالجَسَد المعنَّى أيضًا .

أنت بالنِّسبة لىَ مثلُ الروح العزيز، حتى لو أسْرَعَتْ يدُك الآمرةُ بالإغارة على رُوحى دائمًا .

تارةً تَجْرحنى بغَمْزةٍ تقطر ماءَ السُّم، وتارةً تُهيِّئ ترياقًا بقُبْلة عقيقية .

---

(١) الأبيات التالية فى " الغَزَل بالمذكر " وقد أشرنا فى " قسم الدراسة " إلى انشغال الشاعر بذلك فى مرحلة "نَزَق الشباب " .

(٢) أى : عاشقًا ووالهًا .

وحينما لا يكون أيُّ جُرح منك بغير شفقة أيها الحبيبُ ؛ فاجْرَحْنى بغمـزةٍ حتى تشفق علىَّ بقُبلة .

لك ألفُ عاشق وأنا رقمُ ألف وواحد، وأنت تهملنى وتهتَمُّ بهؤلاء جميعًا .

أنت وحيدٌ فى الحُسْن متفرِّدٌ به، لطالما أتجرَّع غمَّ العشق، هَلاَّ تشاركنى.

أفْشَتْ آلةُ "الطِّشت"[1] سرِّى فى عشقك أيها الغلامُ، أىُّ سِرٍّ يبقى مع نغماتها الشَّجيَّة .

عشقُك جميلٌ سواء أكان ظاهرًا أم خفيًّا، ووجُودى معك جميلٌ سواء أكان ظاهرًا أم خفيًّا .

١٠ - تتواءم مع خَصْمك بالحيلة وأنا في سَعْى دائم إليك ؛ " لأنَّ المروزى متوائم مع الرازى "[2].

وأنا لا أتهاون مع خَصْمٍ طَاعنٍ لمَّاز، ولا يوجد خَصْمٌ بلا طَعْن ولَمْز .

لقد وَشَى بىَ مِسْكُ عشقك يا مالكَ القلب والرُّوح، ولا تُعدُّ الوشايةُ من مِسْك العشق شيئًا بديعًا .

فلقد وصل الخبرُ إلى مجلس ممدوحى فقال لك : كيف تُغير على مدَّاحى؟!!

فَلَكُ الفضل " علىٌّ " افتخارُ الدين الذى يتفاخر به دينُ النَّبى العربي .

عِقَابُ همَّته يصيد من الفَلك النَّسْرَ الطَّائرَ ويسقطه أثناء تحليقه الشَّاهق .

أيها الجليلُ العظيمُ، لا نظيرَ لك فى العظمة، ولا قَرينَ لك فى الجلال ولا في الشَّرف .

يَهُبُّ نسيمُ خُلقك من الغزال التَّتَرى، وتأتى سمومُ غضبك من عقارب الأهواز.

الحكمةُ زائدةٌ فى طبعك النَّقىِّ، والطَّمعُ منتزعٌ من جذوره بكفِّك المعطاء .

(١) تشير المعاجم الفارسية إلى كونها آلة موسيقية فارسية.

(٢) مثلٌ فارسي شعبي موروث . والموروزى نسبة إلى " مرو " والرازى نسبة إلى " الرى " .

أنت أكثرُ مهابةً من " الهزبر " فى يوم الوغى والكريهة، وأنت أكثر لطفًا من "الغزال " فى المحفل ومجلس الشّراب .

٢٠ - تصير عينُ المحتاج مستغنيةً بك ؛ لأنَّها لم تَعُدْ محتاجةً وأنت لم تُرَبَّ على التَّفاخر والاستعلاء .

لقد صرتَ مشهورًا معروفًا بحسْن السُّمعة ؛ ذلك لأنَّ لك كفًّا معطاءً وبابًا مفتوحًا .

سخاءُ " حاتم " أمام سخائك شحيحٌ، ومعاركُ " رُسْتم " أمام معاركك مجرّدُ لَعِب.

أنت الغالبُ والقاهرُ فى حملاتك على الأعداء، ربَّما لأنَّ الأعداءَ " قطاةُ الوادى" وربَّما لأنَّك " صقرٌ " .

وصل شِعْرى في مديحك إلى الفلك السابع من أعماق الجُبِّ السحيقة بلا رَسَن.

لو تقبض بإحدى يديك على ألف كنز، سوف تُنْفقه بيدك الأخرى فى لحظة.

لأهل العلم لديك كلُّ الإعزاز ؛ لأنَّهم أهلُ علم ومستحقُّون الإعزاز .

فليكنْ عُمْرُك ألفَ عام – تقضيها – فى إعزاز، ولو يحدث خطأٌ في الحساب، يكون عودٌ على بَدْء .

* * *

١ - أيها المتَّكئُ على عرش السَّعادة والتَّوفيق، أنت السَّيِّدُ بلا خلافٍ والممدوحُ بلا شكٍ .

حضرةُ "وجيهَ الدين "(١) الذى يفخر مَلكُ الشَّرق والغرب بك نائبًا حكيمًا فطنًا.

(١) اسم الممدوح أو لقبه، وسبق ذكر قصائد للشاعر فى مديحه .

ما إنْ اتَّكأ شُغْلُ قلمك على سيفه، حتى صار الرِّجالُ السَّيَّافون متَّكئين على قلمك.

لا يعرف ميدانُ الفضل ومركبُ الإقبال فى الدنيا فارسًا نظيـرًا لـك فـى المهارة.

أمام جُود كفِّك المعطاء وقتَ العطاء، يأتى سَخَاءُ "حاتم" الجَمُّ يسيرًا.

أنت تَزيد فى الجُود عن "معنى بن زائدة"، وتَفْضُل فى الفَضْل على "الفَضْل البرمكى".

كان "الفضلُ" من نَسْل "برمك" المجوسى، وأنت من نَسْل إمام الدِّين "علـىٍّ" المطَهَّر.

تَتَساوى فى الحِلْم مع الأرض المطبَّقة، وفى القَدْر والجـاه تخـرق الفَلَـكَ وتعلوه.

طالما صار لوحُ السَّماء براءةَ أرزاق الخَلْق؛ فأنت أفضلُ رجـلٍ ضـامنٍ للخَلْق تلك البراءة.

١٠ - يصل الرِّزقُ من السَّماء على سِنِّ قلمك، كىْ تَهبَه بسرعة مع دورة قلمك.

لو يسقط ظِلُّ كفِّك على مُمْسكٍ، يسقط عنه لقبُ مُمْسكٍ فى لحظة.

فلم يأخذْ "الرودكى" طوال عُمْره من "البلعمى" واحدًا فى المائة مـن ذلـك الذى تمنحه لأقلِّ شاعر.

أنتَ شيخٌ عن طريق العقل وشابٌ من ناحية الطَّالع، وعلى بساط اللَّهو أنت على سلوك الطِّفل.

لقد شاهدتَ من طالعك أثَرَ الأبوَّة وحنانَ الأمومة مثلَ الأطفال من أبيك وأمك.

فأنت تَرتَوى دائمًا شَهْدَ السَّعادة ولَبَنَ الإقبال، مثلما يمتصُ الطِّفلُ اللَّطيـفُ الشَّهْدَ واللَّبَنَ.

الطَّالعُ يربيك فى دلال ولطف، حتى لا يَمَسَّك الدَّهْرُ بأرقٍّ الأشياء[1].

تُقَبِّل السَّعادةُ ركابَك وقْتَ اعتلائه،

حينما يزيِّنون عِذارَ مركبك بريشة صغيرة.

مَنْ ينظر إليك بحسدٍ، يَنْبت سَهْمٌ فى عينه مكان كلِّ هُدْب فيها.

يشتكى إليك الخَلْقُ من الدَّهر، ولا يشتكى أحدٌ منك طَوال الدَّهر.

٢٠ - يزيد القادةُ فى الدنيا عن مائة ألف وقد صار كلّ واحد منهم قائدًا وصَـدْرًا من خلال فضلك ومن كرمك.

العالمُ تحت حِمْل منَّتك لا ينهى الشَّرحَ والبيانَ بقول: كيف ومتى؟!.

تبتعد السَّعادةُ عن القائد المتَهتِّك[2]، فلا ابْتَعَدَتْ عنك، كفىَ أنَّك غيرُ متهتِّك.

طالما تكون الجنَّةُ والنَّارُ لكلِّ صاحب مَذْهب؛ فهذه مَسْكنُ الموحِّـد وتلـك مُسْتَقَرُّ أتباع "مزدك"[3].

فلتكن النَّارُ مضرمَةً فى قلب حسودك، مثلَ نار جهنم مـصحوبةً بالرُّعْـب من "مالك"[4].

فقلبُك المفعَمُ بالنَّشْوة يشبه الجِنانَ من البهجة والطَّرب، و"رضوانُ" أمامـك غلامٌ[5].

---

(١) حرفيا: ورق الورد.

(٢) أى : المفضوح.

(٣) صاحب ما يُسَمَّى إدعاءً "بالديانة المزدكية" التى أفسدت المجتمع الإيرانى فى عهد الملك "كيقباد" لولا إنقاذ ابنه الملك " أنوشيروان العادل" إيران وقضائه على "مزدك" وأتباعه بعد أنْ تولى العرشَ بعد أبيه.

(٤) خازن النار.

(٥) يرى"همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص٤٢٧) أنَّ كلمة "براندكى" هى "بريدكى" وكلمة "ريدك" فى الفارسية القديمة "ريذك" بمعنى :غلام وهذا هو الأصح.

فلا كان عليك مطلقًا حاصلُ جمع حسابَ العُمْر، لأنَّك فى حساب الفضل والكرم بلا حاصل للجمع[١].

قال "أديبٌ" بإبداع مثلَ هذه القصيدة فى حقِّ الأمير "اسماعيل گيلكى"[٢].

ويُعَدُّ جوابَ هذا الشِّعْر ذلك الذى قاله بإبداع: "ياربِّ، أىُّ سِحْرٍ لمرحلة الطفولة وفتنةٍ ".

* * *

١ – صار شهرُ " رَجَب" المباركُ و"النيروزُ الجلالى"[٣] قرينين من ناحية الفأل السَّعيد.

يصير فألُ العالم كلُّه بهما مباركًا، لو يأخذ فألَه من "صَدْر المعالى" .

الصَّدْرُ الذى يُعَدُّ كلُّ عام للناظر إليه يومًا بهيجًا مثلَ "النيروز الجلالى" .

حضرةُ ابنُ الصَّاحب العادل الذى صار أبوه واليًا على الفضل ومُلْك الفضل .

الشَّريفُ "ضياءُ الدين"[٤]، وبسبب هِمَّة جنابه لا يختار شَمْسَ الفَلَك له قرينًا.

يمنح الدُّرَّ واللآلئَ إلى أقلِّ سائل له أكثَرَ من العدد الذى يكونُه ذَرَّاتُ الشَّمس .

---

(١) أى : بلا إجمال

(٢) يرى "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢٣-٤٢٤) أنَّ كلمة " اديب" فى البيت هى الشاعر "أديب"

– أى أديب صابر– الذى يفهم أنه من مدَّاحى الأمير "اسماعيل كَيلكى" مثل "معزى" و "عثمان مختار"، وأن هذا الأمر محتاج للتأمل والتحقيق لأن المعروف أن الأمير "اسماعيل كَيلكى" من حكام وسادة "إسماعلية طبس" .

(٣) سبق الحديث عنه فى إحدى الحواشى .

(٤) لقب الممدوح، ولم نعرف اسمه ولم يتكرر ذكر، ربما لأنه ابن وزير وليس وزيرًا .

تتوالى النِّعمةُ و السَّعادةُ من عطائه على كلِّ شخص يحبُّه .
كلُّ مَنْ يدخل عليه فورًا بسؤال، ينال فى النِّهاية وفى الحال راحةَ البال .
ذلك الموجودُ من طعام ومالٍ لكفِّه ، يزيد عددًا عن نجوم الفَلَك .
ليس ثَّمةَ عَجبٌ مطلقًا لو يأتى من همَّته زوجٌ ومن الفَلك عيالٌ .
يامَنْ مِنْ شرف ثَرى أعتابك ورتبته، الفَلَكُ الأعلى سافلٌ وبلاطُك عالٍ .
لقد وَهَبك اللهُ المتعال الرِّفعةَ والعزَّ و الشَّرَفَ والقَدْرَ الذى رآه مناسبًا لك .
ذلك الشَّخصُ الذى يمتلئ[1] قلبُه بحبِّك وهواك، يعلو قدرُه من خدمة بلاطك.
أنت بَدْرُ فَلك الفضل، والعالمُ كلُّه يشير إليك بالبنان كالهلال فى كلِّ فنٍّ وفضل.
لا..لا، إنك لستَ هلالاً، لأنَّ أيامَك ولياليك على فَلك الفضل تشبه الشَّمسَ و القمرَ.
لخَلْق العالم كلِّهم نفعٌ منك ومنالٌ، فأنت النَّفعُ لأهل العالم و المنالُ .
لم يُوجدْ طَوال الدَّهر شخصٌ لم يَنَلْ غرضَ الجاه و المال من جاهك ومالك.
كفَى الشَّخصُ الذى يلاطف الصَّديقَ بمالك، وكفَى الشَّخصُ الذى يؤدِّب العدوَّ بجاهك .
لا يفكِّر الفَلَكُ إلاَّ فى الخير لك؛ لأنَّه لا يشغل بالَك سوى الخير .
ذاتُك متحلِّيَةٌ بأوصاف المحاسن، ومتعاليةٌ بكافة الأوصاف السَّويَّة .
كلُّ خُلقٍ ممدوحٌ من الأفعال الطَّيبة، وأيضًا كلُّ الأفعال الطَّيبة ممدوحةٌ منك.

---
(١) فضلتُ هنا ما جاء به "همائى" فى (مستدركاته ص ٤٢٤).

ليس لك مثيلٌ فى عالم العظماء؛ لأنَّك المثيلُ المقبولُ لأبيك منهم .
طَبْعُ الصَّاحب العادل البهيجُ فيك أيها الابنُ؛ فهو مثلُ روضة الخُلد وأنت غصنٌ فى الروضة .
والغُصْنُ ينمو الآنَ وقت الربيع ويزدهر؛ لأنَّه ينمو فى تلك الروضة المبهجة.
وأنت الغُصْنُ الذى ينمو فى تلك الحديقة البهيجة، وثماره وأوراقُه كلُّ الخصال الطَّيِّبة .
طالما تُوجد روضةُ الخلد، والغصنُ ينمو فيها، وأنت قد أتيتَ غُصْنًا، فلا خَلَت تلك الرَّوضَةُ منك.
طالما تَتَولى السنونُ والشهورُ؛ فليكنْ غُرَّةُ كلِّ شهر عليك ميمونًا، ورأسُ كلِّ عام عليك مباركاً.
وليكنْ عيشُك هنيئًا، وعيشُ عدوِّك مكدَّرًا منه، وأمرُك موفقًا وأمورُ أتباعك موفَّقَةً بك.

فى مدح جلال الدين على (ص ٢٩٥-٢٩٦)

١ - جلالَ دين النَّبي، مَلكَ الشَّرق "علىٌّ"، أنت تشبه "عليًّا" وتماثله فى الشَّجاعة وفى الجُود.
أنت من نسل المَلك "حسين بن ذو الفقار"، ولحدِّ حُسَامك مهابةُ "ذو الفقار" سيف " علىٍّ ".
تَزَيَّنَ مُلْكُ الشَّرق بنور عَدْلك، فأنت شمسُ المُلك، وأنت مضئٌ مثلُ "الشَمس" فى بُرج "الحَمل".
أنت نجمٌ بزغ من بيت البطل "ساعون"، فأنت خَيْرُ خَلَفٍ بلا خلاف وبلا شك.

أنت مثلُ جدِّك سيدِ وقائدِ ذوى الأعلام السَّوداء[1] وجاعلِ نهارِ الأعداء أسودَ و مسببِ البطالةِ لهم.

حين تخرج من قصرك براياتِ "تَسَف" السوداء متبخترًا، يُقال إنَّك مَحلُّ الخَليفة.

فأنت الخليفةُ ورايتُك شاهدُ الخليفة، كأنَّك برزتَ من ظلِّ لواء "عليٍّ".

عيونُ الملوك مكتحلةٌ بثَرى نَعْلك؛ فأنت نورُ إنسان عين تلك العيون المكتحلة.

جيشُك أبطالٌ وأشاوسٌ، مادمتَ أنت بنفسك القائدَ و البطلَ.

١٠ - حين تقع فى نزاع مع خصمك، يكون جيشُك وخيلُك عُشَّ زَنْبور الأجل.

وأنت القائدُ تحوم بذلك الجيش قبل سهامه ورماحه على جسد العدوِّ مثلَ الزَّنبور حين يحوم أمام الحلوى.

أنت الأجلُ والأملُ للخصم، فلو يريد الخصمُ الأمانَ منك فأنت الأملُ له ولو ينازع الأجلَ.

العدوُّ المحتالُ يهرب بروحه منك؛ لأنَّك صائدُ الروح بغير حيَلٍ مثلُ أسد الأجل.

تجاوزتَ " زُحَلَ " فى القَدْر والجاه و المكانة؛ فلك الآلافُ منها من جِرْم "الأرض" حتى إلى كوكب "زُحل".

هيَّأ الزَّمانُ من مَسْكنك قِبْلَةَ الإقبال، وأنت المَلكُ قِبْلةُ أهل الزَّمان من قَبْل هذا.

يكون الأفاضلُ خَدَمًا لك و حَشَمًا؛ لأنك مربِّى الخَدَمِ ومغنى الحشَمِ .

التقصيرُ فى نظم مدحك من الزَّلل، مع أنَّك عافٍ الزَّللَ عن أهل النَّظم .

---

(١) أى : العباسيون.

لو كان "معزّى" فى عهد دولتك، ولو كان "كمالى" و "جوهرى" و"جبلى"[١].
لنظموا جميعًا ثناءك و مديحك بطبع الخاطر بلا تعقيد و انفعال .

٢٠ - أنت "جلالُ الدين" ويُوجَد "جلالى" [٢] ذلك الشَّاعرُ الذى يكون فى فنون فَنِّه وافيًا و مقتدرًا.

ربما لو يكون هذا الشخصُ "جلالى"، فلماذا صار لقبُ "جلالى" هو "حكيمك تللى"[٣] ؟!!

إنَّه "حكيمك تللى" الذى تضم جعبتُه بدلاً من أدوات الحياكة فأسًا لقتل الديدان وهراوةً لضرب الثَّعابين على شجرة الكَرْم .

أنا إبرةٌ فى عين "تللى" لأنَّنى "السوزنى"[٤]، وأنا لستُ إبرةَ الحائك المختفيةَ فى كيس أدواته.

و لا أزيد فى ذكره عن هذا، فللمجلس مليكٌ مقتدرٌ هو الحاكمُ القديرُ"علىٌّ" .

يكون مُلْكُك و سلطانك فى حُكْمه[٥] أزليًّا، ولا تظنَّنَ أنَّ قسمةَ الأزل لا تكون سواه .

---

(١) "معزّى"و"كمالى" و " جوهرى " و " جبلى " جمعٌ من شعراء الفرس السابقين على الشَّاعر، وسَبَق أنْ عرَّفنا بهم فى مواضعهم فى الحواشى .

(٢) هو حكيم جلال الترمذى المشهور بــ "جلالى" ترمذى وهو شاعر معاصر"للسوزنى" تبادل معه الهجاء الفاحش.

(٣) تصغير لكلمة " حكيم" لقب "جلالى" واستهزاءً به و"تللى" تعنى كيس الحياكة.

(٤) "السوزنى" : اسم الشاعر، وتعنى أيضا : الحائك.

(٥) أى : المجلس

فى مدح أطهر بن أشرف بن أبى على (ص٢٩٦-٢٩٨)

١ - يا مَنْ أنت فى مُلْك السِّيادة الملكُ الجسورُ، وأنت المفتخـرُ علـى عتـرة "المختار" وعلى آل "الولى" .

كلُّ حديث من لفظك هو دُرٌّ فى بحر الألفاظ، فالدُّرُّ يُستخرج مـن أعمـاق البحر وأنت الغواصُ الجسورُ .

أنت زينةُ آل "الحسين بن على المرتضى"، أنت أميرُ الأمراء أطهـرُ بـنُ أشرف بن أبى على .

"أبو على" من "أشرف" و "أشرف" ذلك الملكُ الكافى المقتدرُ يتفـاخر بـك أمام "المختار" و"علىِّ" في يوم الحَشْر.

أنت "علىٌّ" الذى أطاح بضربة من "ذو الفقار" رأسَ "عمرو" و"عنتر" مـن القفا كأنَّها "أترج آمل"[١].

أنت "علىٌّ" الذى جَابَه فى المعركة مائةَ ألف خصم، كلُّ واحد منهم يـشبه " رستمَ بنَ دستان" و" زال بن زاول".

أنت "علىٌّ" من نِسْل" أبى على"، وأقسم بالله أنْ ليس فى الدنيا ابنٌ يشبهك.

لو يقول أحدٌ إنَّنى رأيتُ سَيِّدًا شبيهًا لك، فهو قد رآك بعينٍ، وعينُه الأخرى بها حَوَلٌ.

يُعَدُّ سَيِّدُ آخر الزَّمان صَدْرَ المرسلين وبَدْرَهم، وأنت صَدْرُ وَبدْرُ عترة ذلك المرسل فى النَّسب.

١٠ - فهو السَّيدُ فى الأول والسَّيدُ فى الآخـر، وأنت سيدُ آلـه سواء أكنتَ آخرًا أم أولاً.

---

(١) نوع من الموالح تشتهر بها مدينة " آمل ". وبعض المعاجم تقول : إنَّه " الخيار " والبعض : إنَّه تفاح مائى .

لو يقاضيك أحدٌ أمام صاحب الذُّؤابة[1]، لبَدَت الذُّؤابةُ وقد انخفضت تمامًا خجلاً منك.

بهجةُ كلِّ محفل تكون من صَدْر ذلك المحفل، وذلك المحفلُ بهيجٌ لأنَّك صَدْرُه وسَيِّدُه.

الشخصُ المحسنُ والمجملُ حَرِىٌّ بالمدح والثناء، فالثناءُ عليك لأنَّك محسنٌ وأيضا مجملٌ.

كلُّ مَنْ يتقاعس هنا فى طريق حُبِّك، هو وثَّابٌ يوم الحَشْر صوب طريق السَّعير.

المنَّةُ لله؛ لأنَّنى لستُ من المتقاعسين مطلقًا، فالتقاعسُ هو مَسْلكُ كلِّ خارجى أو حنبلى.

لو تصير لىَ مرآةُ خاطر فاصقلْها، فالصَّدأُ يزول حينما أُهَيِّىءُ من مديحك صيقلاً.

"منزلُ آل "ولىٍّ "الله" أعلى منزل، وأنت أعلى منزل من كلِّ آل "ولىِّ الله".

لو تلَقَّبُ بـ " كمال الدين" فلأنَّك لسْتَ على باطل، ويزيد دينُ الحقِّ من كمال جاهك قوةً.

فأنت "كمالُ الدين" يا صاحبَ النَّسب الأطهر الأشرف، يا مَنْ أنت من حيث الأصل الأشرف والأكمل بين العالم كلِّه.

٢٠ - أمام حلمك وجُودك لا شيء يُذكر مطلقًا؛ فـ "جبل جُودى" مجرَّدُ ذرَّةٍ، و"بحرُ قُلْزَم"[2] مجرَّدُ حبَّةِ خَرْدل.

---

(١) سيدنا على بن أبى طالب.

(٢) البحر الأحمر.

لو تلقى شمسُ جُودك نورًا على بخيل، يهرب البُخْلُ من طبعه مثلَ الظِّل في لحظة.

ينبع من غضبك ورضاك السُّكرُ والحنظلُ؛ السُّكَّرُ للأحباب والحنظلُ على الأعداء.

الشوكُ والورْدُ لهما صفةُ عنفك ولطفك، طالما تهب الوليَّ رائحةً وتمزِّق قلبَ العدوِّ.

الشُّعراءُ من كلِّ صوب يجلبون الشِّعْرَ لك، وصَمْتى هذا عن صَدْرك ليسَ إلا عن توانٍ.

كان مدحُ جدِّك وَحْيًا منزَّلاً من السماء، وأنتَ يليق بك المدحُ والوحيُ المنزَّلُ مثلُ جدِّك.

لو أدْرى أنَّ من ثنائى ومديحى ما يَسُرُّك، فلن أتقاعس عن مديحك مطلقًا أو أتوانى.

لو كان ذلك الذى يتمخَّض به طبعى يصل إليه رضاك قوافلاً وقطعانًا.

فلو تسُرُّك أشعارى؛ فاعلمْ أنَّ حاصل ذلك ألا أتوقف لحظةً واحدة عن القول.

وأنا أطلب من بلاطك تَقْديرى، مثلما " أبو إسحاق الموصلى" من بلاط "هارون".

٣٠ – فليكن بلاطُك دائمًا موئلاً لأهل الفضل، مع أنَّك الأفضلُ فى كلِّ فضلٍ من كلِّ أهل فضل.

فى مدح صدر جهان (ص ٢٩٨-٣٠٠)

١ - وصل "صَدْرُ جهان"(١) بسعادة وحبور، ولتكنْ كثيرةً فى الأصدقاء قليلةً فى الأعداء.

سَعِدَ مَلكُ العالم بـــ "صَدْر جهان" وسُرَّ، فليدمْ المَلكُ فى السَّعادة والسرور.

يا مَنْ للمَلك ضياءٌ فى العين وانشراحٌ فى الــصَّدْر مــن طلعــة طالعــك الميمون.

أحبابُك غارقون فى الدلال والنِعَم، مثلما حاسدوك مهمومون من وطأة حِمْل الغَمّ.

أيها الصَّدْرُ، لك تواضعُ الأرض وطلعةُ الشَّمس، وإشراقةُ الــشَّمس علـــى الأرض من طلعتك.

أنت شمسٌ وسحابٌ، أىُّ شمس؛ وأىُّ سحاب ؟، شمسُ الجُــود والــذَّرات، سحابُ السَّخاء والنَّدى.

أنت الصَّاحبُ والصَّدْرُ المسلمُ فى علم الشَّرع لأمة الرسول عليه السلام.

عبارتُك العاليةُ البهيَّةُ العذبةُ الفصيحةُ تُذْهِبُ عن الألْكن لكْنَته وعن الأبْكــم بُكْمَه.

أنت سلطانُ مُلْك الدين، والدنيا لك أيضًا، ما دمتَ الصَّاحبَ المخلصَ لدولة المَلك المعظَّم.

١٠ - أنت المَلكُ العالِمُ بالبَشر والقريبُ من أهل النُّهى، وأنــت الآدمـــى والمَلــكُ العالِمُ بالبشر.

ولأنك آدمىٌّ فى الصورة ومَلَكٌ فى المعنى، فيخال أنَّك مَلَكٌ وأدمىٌّ معًا.

مع أنك أعلمُ العلماء فى علم الشَّرع، فأنت المفتى بقول: واللهُ أعلم.

---

(١) هو شمس الدين محمد بن عبد العزيز آل برهان، رئيس "بخارى" سنة ٥٥٩هـــ.

اللهُ أعلم لو يُوجد أكرمُ منك، فأنت الأكرمُ حقًا فى علمنا بين كلِّ الخلق.
وأنا أذكر فى مديحك على هيئة "التَّضمين" بيتًا "للرودكى" فى حقِّ "البلعمى":
"ياصَدْرَ جهان، صارت الدنيا كلُّها ليلةً حالكةً، وأنت بياضُ الصبح الصادق الذى يتنفَّس دائمًا لأجلنا"
يرون الجسمَ ولا يرون الروحَ، ونحن نراك روحًا مجسَّمةً.
"آموى" و"خزرمى" و"كركوى" و"رمى"[١]، يبتغون جسمَك وروحَك بشدَّة.
فابتلعتهم الأرضُ وأذلَّهم الزمانُ، وبقيتَ أنت هكذا عزيزًا وشريفًا ومكرَّمًا.
حتى تواروا حيث مكان "كنز قارون"[٢]، وأنت سَمَوْتَ إلى القبَّة حيث مكان "عيسى ابن مريم"[٣].
٢٠ - لقد تجاوز إيوانُك قبَّةَ الفَلَك الأزرق[٤]؛ لأنَّك صاحبُه .
فأنت مثلُ السَّرْوِ الطَّليق فى جدول السُّنَّة و مثل البنفسج اليانع فى روضة علم الشَّرع .
وأنت كالطاووس فى خميلة الفقه وبستان العلم؛ تتَبختر دائمًا فى هذه الناحية وتختال دومًا فى ذلك الجانب.

---

(١) لم أجد لهذه الأسماء بهذه الصورة أثرًا فى المعاجم الفارسية، ولم يُشر إليها مطلقًا "محقِّقُ الديوان" فى جزء "لغات" الملحق بالديوان، ولا "جلال الدين همائى" فى " مستدركاته على الديوان ". وأرجِّح من الأبيات التالية وبخاصة ما وَرَدَ فى البيت الخامس والعشرين أنَّهم من قادة الأتراك "الخطا" الذين هجموا على " بلاد ما وراء النهر"، وذكرنا ذلك فى قسم الدراسة المتصدرة لهذا العمل. أو أنها أسماء تنتسب إلى أماكن أرادت بالوزير شرًا أو أهالى هذه البلاد والأماكن.
(٢) أى : تحت الأرض.
(٣) أى : فوق السماء.
(٤) أى : السماء.

فأنت لـــ " بخارى" الرَّبضُ والخندقُ والسلاحُ هيبةً، وسَدُّ الإسكندر إحكامًا وحمايةً.
أسلافُك حُماةٌ لها برحمة الحقِّ، وهم جندُ "ديلم" وقادتُها بكلِّ يُسْرٍ.
مَنْ تَرك "بخارى" حقًّا الشَّبيهة بالجنَّة وقد صارت خَربةً من حملة الأوغاد عليها(١) ؟!
أتعلم يا شمسَ "آل برهان" وحُسَامَها، أنَّــك الــدَّواءُ لآلام أهــل "بخــارى" والبَلْسَمُ لجراحهم .
أنت فى حضرة "سمرقند" ببهاء المَلك امبراطورُ أئمة الدين و فخرُ العالم .
درسُك دعاءُ المَلك الأعظم، فأنت الصديقُ الخاصُ المحبُّ للمَلك الأعظم .
طالما لا يكفُّ الفلكُ الوثَّابُ عن الدوران، فيجب ألاَّ تكفَّ عن الدُّعاء للمَلك.
وليكنْ دعاؤُك فى حَقِّ المَلك مستجابًا، وليكنْ دعاءُ العامة فى حقِّك ذخرًا .

فى مدح سعد (ص٣٠٠-٣٠١)

١ - هكذا تَبْقَى أنت ذلك الشخصُ الذى يشبه أباه فى الجمال و الكمال و أيــضا فى الشباب ويماثله .
فكلٌّ مَنْ رآك تَخيَّل أنَّك "سعدُ الدولة"، مع أنَّه قد رَحَل، ولتَبْقَ أنت طويلاً .
جاء جمالُك مرآةً لـــ"سَعْد الدولة"، وبَدَا فيك علامةٌ منه .
فأنت تشبهه حيثما تجلس، ويخال أنك تجلس على شاكلته وهيئته .
كلُّ مَنْ يتطلَّع إليك متأمِّلاً، يستحضر فيك خيالَ الأب مثل الواحد و الثانى.
أنت مثلُ الأب فى كلِّ نواحى الجمال، وكلُّ نَظَرٍ يقــع عليــك ولا يقــرأ- صاحبُه - السَّبعَ المثانىِ(٢) .

---

(١) يعنى بهم: الأتراك "الخَطَا" الذين أغاروا على "بخارى" و"سمرقند" وبقية بلاد ما وراء النهر وتحدثنا عنهم في قسم الدراسة.
(٢) أى: الفاتحة أم الكتاب. وإشارة إلى قوله تعالى في سورة الحجر آية (٨٧): " ولقد أتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم"..

فإنَّه ينال سوءًا من "التوأمان"[١]، فليس فى الدنيا على الحقيقة و المجاز شخصٌ سواك .
يحمل جوهرُ حديثك ماءَ الجوهر، ويتدفَّق منك دُرُّ الكلام .
الواضح أنَّ "جوزاءَ" الفَلك تتمنطق لأجل خدمتك .
١٠ - وعن طريق التَّشبيه؛ فـ "التوأمان" تخال أنَّك تشبه أباك وأنكما توأمان.
فصورتُك ومعناك على صورته و معناه؛ فلتَحْى اسْمَه ما دمتَ تَقْدِر .
فأنت الدنيا، والدنيا فى صورتها ومعناها أكثرُ زينةً بك من الصور فى المعانى.
وأنت تشبه الأب والجدَّ والعمَّ فى الخُلق والخِلْقة، فأنت كريمُ المَحْتِد و محمودُ الخصال والشَّمائل .
فأنت من حيث السيرة والشَّأن والأصل و الخُلق والخِلْقة أكثر حَمْدًا مما تَعلم عن نفسك .
أنت النُّورُ لعين النُّهى من كثرة الشَّرف، وأنت الروحُ لجسم الفضل من كثرة اللُّطف .
لتوقيعك هيبةُ خاتم "سليمان"؛ فالإنسُ و الجانُ طوعُ أمرك .
دولةُ "طمغاج خان" العالمُ العادلُ قد منحك السِّيادةَ على كافة الوزراء.
لحاسد جاهك من الحيرة والغيرة صَدْرٌ مثلُ معبد النَّار، وعينٌ مثلُ النَّبع .
حُلْكةُ قلمك المصرى ذى اللِّسانين أبْهَى من ضياء السَّيف اليمانى .
٢٠ - المَلكُ أقام المُلْكَ بحَدَّى السَّيف، كى يمنحه إلى قلمك ذى اللِّسانين .
فلقد منحتَ الخَلْقَ العطاء من لسَانَىْ قلمك، مثلما حقَّق حَدَّا سَيْفه العَدْلَ لهم.
صَدْرُك الرفيعُ له أعلى مكانة ، فأنت المتمكنُ على أعلى مكان .
أدْعو كفَّك المَنْجَمَ و البَحْرَ، مادام فى كفِّك المعطاء صفةُ البَحْر والمَنْجَم .

---

(١) أى : هو برج الجوزاء؛ وهو كوكب صغير فى المجرة، ولقد فضلت ما جاء فى الحاشية "يابد" بدلاً من "نيامد" فى المتن لتمام المعنى.

يأخذون الدُّرَّ و الجوهرَ من كفِّك المعطاء؛ هذا بالثَّناء وذاك بالمديح .
"السوزنى" سيُهَيِّئ مائدةَ مديحك، وهذه القصيدةُ هى مزَّتُها والمتَصَدِّرةُ لها.
فلا انْقَطَعَ عنك الدُّعاءُ والثَّناءُ لك أبد الدَّهر مثلُ سَيْر السَّوانى(١).
فلقد منح طالعُك الشَّابُ "السوزنى" جمالَ الشَّباب وبهاءَه، بعـد شـيخوخة أصابته.

فى مدح رضا بن عمر بن محمد الحسنى (ص٣٠٢- ٣٠٣)

١ - يسلك قلبي إلى عشق معبودٍ طريقَ العبودية ؛ لأنَّه يختال فى الحُسْن دائمًا على الحِسَان .
المعبود الذي ينساب عِذارُه الشَّبيهُ بالقير على كتفه، يحطِّم القوافـلَ فـي " التِّبت " و"قرقيز"(٢).
لقد حطَّم قيمةَ المسْك والوَرْد والياسمين بثلاثة أشياء ؛ بمسْكِ جَعْـده ووَرْدِ خَدِّه وياسمين ذقنه .
وطَرَحَ الصفرةَ والالتواءَ إلى " الرُّمان " وشجر " النارون " بوجنةٍ خَمرْيـةِ اللَّون وقَدٍّ طليق القامة .
القلبُ الذى سَلَب الهيبةَ والبأسَ أيضًا من " الأسد " قد استولت عليه عيونُ " مَهَا" تعجُّ بالسِّحر والفتنة .
عاش قلبي وعينى من عشق صورته ليلاً ونهارًا فى سُهْد وبلا وَسَن .

---

(١) السَّوانـى: جمـع "سـانيه" وهى الجَمل الذى يسير فى الصحراء دون كلل أو ملل بلا طعام أو شراب. وربما كان هذا هو السبب الذى دفع "همائى" فى (مستدركاته علـى الـديوان ص ٤٢٤) إلى تفضيل هذه الكلمة على كلمة "ثوانى" التى جاءت فى قافيـة البيـت فـى الـنص الأصلى. وإنْ كنا لا نرفض مثله كلمة "ثوانى" جمع "ثانية" وهى تتمشى أيضا مع المعنى.
(٢) " التِّبت " و" قرقيز" : أماكنُ فى منطقة بلاد ما وراء النهـر مـشهورةٌ بالمـسْك والفتيـات الحسناوات.

صرتُ مشهورًا بالبؤس والمسكنة، مثلما الحبيبُ بالغضب والتوبيخ .
أنال منه بمائة مشقَّة وحيلة حِضنًا وقُبْلةً ؛ من خَصْره النَّحيل وفمِه الدَّقيق .
ولا أجد لشفتيه من كلِّ ما أملك أيَّ ثمنٍ لقُبلةٍ واحدةٍ من ثَغْره العَذْب .

١٠ - معبودى الذى بما لديه من لؤلؤ عدن[١] يشبه العقيقَ بشفته وسهيلاً بأسنانه.
فإنْ رأيتَ أنَّ مالديه من لؤلؤ عدن يفوق جوهرَ اليمن في النجم اليمنى[٢].
فاعلمْ أنَّ النجمَ والجوهرَ يطبعان دائم قُبْلةً على أعتاب ابن سيد المدن .
المختارِ سيِّدِ السَّادات افتخارِ الدين " رضا بن عمر بن محمد الحسنى " .
الوحيد الذى شهد العالمان كلاهما له بحُسْن السُّمعة ويُمْن الخَطْو وطهارة البدن.
هو جمالُ محفل القادة، ولا يعد محفلاً الذى يكون كلُّ قائد فيه كفؤًا له .
يا مَنْ لك الصدارةُ على محفل آل " المصطفي " و " على " ؛ فأنت جمالُ الأرض والعهد .
لا يقوى الزمانُ على مجابهة غضبك، وتليق الأرضُ له درعًا أمام حلمك.
ذاتُك ممزوجةٌ بالفضل والفطنة، والعالَمُ لم يَرَ مفعمًا بالفضل وبالفطنة مثلك
.
عجز أهلُ الفضل عن امتحانك، وظَهر لك الفضلُ عاجزًا وذا محنة .

٢٠ - حينما تُظهر فَضلَك تُقِرُّ أسلوبًا، وتقدِّم حقيقةً لكلِّ أهل مروءة .
لك في حديقة المكرمة صنعتان ؛ تغرس غُصْنَ الجُود وتقتلع جذْعَ البُخْل .
فكلٌّ أساس ورسْم وشأن وسيرة لك، ممدوحٌ ومحمودٌ سرًّا وعلانيةً .

---

(١) أى : ثَغْره.

(٢) هو : أحدِ نجمين بهذا الاسمِ ؛ الأول : الشُعرى الشامي والثانى الشُعرى اليمانى ويسميان أيضا بالشِعرى الغميص والشِعرى العبور، والشعرى اليماني يظهر في ليالي الصيف . وهذان النجمان يسميان فى الفارسية بالأختين أو الشقيقتين . (فرهنگ عميد) .

فى خَلْقك يكون ثناءُ ذى المنَن، وأنت جديرٌ بهذا الثَّناء وهو ملائمٌ لك .
أنت من نَسْل أسد الله[1]، وعدوُّك أمامك مثلُ الثعلب أمام عرين الأسد الهصور.
أمام مهابتك ينشد الفيلُ مخبأً له، فيلف جسدَه مثلَ العنكبوت في سُترة من الغبار .
فهكذا يهب الفلكُ عدوَّك غرورًا ؛ لأن " شعاعَ القمر لا يتلف قيمةَ اللِّباس"[2].
فالشخص الذى يتلفَّح بلباس غضبك ؛ ماذا تقول الدنيا عنه ؟ إنَّها تقول : مَرْحَى هذا الكفنُ له .
وفى النِّهاية، المتشَرِّدُ الذى يُسَمَّى عدوَّك يستوطن فى قصرك من بين كلِّ الدنيا.
أىُّ ضُرٍّ لعظمتك ولمقامك ولهيبتك من عدَّة أقوال مثيرةٍ للفتنة ومشعلةٍ لها.
٣٠ - فأنت بنفسجٌ روضة بستان الجاه والشَّرف، وعدوُّ جاهك خَضْراءُ الدِّمَن ؟!
والشَّخصُ الذى يحظى بشمَّة بنفسج الروضة، أنَّى لقلبه أنْ يرغب في خضْراء الدِّمَن ؟!
فالقلبُ الذى لا يكمن فيه حبُّك وهواك، يساوى فيه دينُ الله ومذهبُ "أهرمن"[3] .
لو يشترى غافلٌ عداوتَك بروحه، فلسوف يخجل منك لبَخْس الثَّمن .
والشخصُ الذى يأخذ جاه الدنيا لنفسه، يُلْقى بنفسه إلى خدمة صَدْرك .

---

(١) هو : على بن أبي طالب رضى الله عنه .
(٢) جاء هذا الشطر فى الديوان بين قوسين، بما يدل على أنه " تضمين " لشعر أحد الشعراء، لم أهتد إليه، أو أنَّه مثلٌ سائر، وهو الأقرب للصواب .
(٣) أى : المجوسية.

لم يَرَ أحدٌ شبيهًا لك من بين كلٍّ آل النبي، وأنت أيضا لم تَرَ على أحد شَبَهًا لك.

حسودُ جاهك فى جُبِّ المحنة والحزن، يخلد فيه ولا يخرج منه فهو بلا رَسَن.

فى مدح الدِّهقان الأجل عميد الدين (ص ٣٠٤ – ٣٠٥)[١]

١ – يا سَرْوِىَ الفَضِّىَ[٢] أنا في عشقك غابُ البوص الذَّهبى [٣]، قلبى معك، فلماذا لا يكون قلبُك معى ؟!

حَتَّامَ ذلك التَّرفعُ معى مثل سَرْوِك ؟! ؛ حَتَّامَ يظلُّ جسدى هذا بدونك خاليًا من القلب مثلَ غاب البوص ؟!

أنا مثلُ غاب البوص المفتول المدرَّع أيها السَّرْوُ الطَّليقُ، حتَّام تضع غابَ البوص المفتولَ على القلب المشتعل [٤] ؟!

لو أنقش بغاب البوص شَكْلَك على لوح السَّرْو، يصير ذلك اللوحُ عرشَ الملك ويصير شكلُك ذلك الملكَ .

دائمًا ما تبدو فى ميدان البشاشة مثلَ سَرْوٍ، وتحمل فى يدٍ قدحاً من البوص، وتسكب الصَّهباءَ بالأخرى .

دائمًا ما أراك وأنقش لك بغاب البوص سَرْوَ " سَلمْى " السَّامق، ومحيَّا " مَيَّةَ " المليح[٥].

---

(١) بدءًا، أشير هنا إلى ما عانيتُه فى فهم هذه القصيدة وترجمتها بسبب الإغراق فى المبالغة وفى التلاعب اللفظى بين كلمتى " سَرْو " و" نى" فى القصيدة كلها وربْط ذلك بالممدوح فصارت هَمًّا .

(٢) أى : معشوقى.

(٣) فضَّلتُ ما جاء به " همائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢٤) لتمام المعنى ووضوحه .

(٤) الملحوظة السابقة والصفحة نفسها .

(٥) الشاعر يشير إلى " مَيَّةَ " معشوقة الشاعر العربي " ذى الرمة "، و " سلْمى " التى يرد ذكر اسمها على ألسنة الشعراء العرب بكثرة .

تجلب إلى شفتك البوصَ النَّاطقَ[١] وتصدح مثلَ البلبل، حتى أقول إنك من السَّرْوِ الطَّليق النَّاطق الحَيِّ .

يصير غابُ البوص اليابسُ النَّاطقُ على شفته غُصنًا من السَّرْو، ولا يُعرِّف أحدًا سواك فى مَائة حارة وحَيّ .

السَّرْوُ أفضلُ كثيرًا من غاب البوص فى كلِّ مكان، ولكنْ أيُّ بوص ذلك الذى تكون واحدةٌ منه أفضلَ من السَّرْو ؟!

١٠ - إنَّه بوصُ " الدِّهقان العميد " الذى يجتث مائةَ ميدان سَرْوٍ من الجذور ويطويها[٢] على الطريق .

هو سَرْوُ بُستان السَّخاء الذى بالعطاء من قلمه البوص طُويت رسالةُ الجود والسَّخاء على " حاتم الطائى " .

هو فى بستان النَّسَب واليُمْن سَرْوٌ طليقٌ، والذى يكون سِنُّ قلمه كلُّه رسولاً مباركا .

ذلك الذي يكمن فى السَّرْو والبوص من الخضرة والصفرة، بَدَا جودًا وسخاءً فى كفِّه مثل دَم الشريان والعَصَب .

ذلك المدرَّعُ كالسَّرْو، والسيَّافُ كالبوص، هو ذو هيبة وعادلٌ ومتعقِّبٌ لعدوِّه.

ينقش سِنُّ رُمحه صورةً على قامة السَّرْو، عن رُوحٍ متكدِّرةٍ مثلِ قلْب "ابن آوى" .

لو يجد السَّرْوُ الماءَ من بوصه ذى الخَطِّ الجميل ؛ فإنَّه يتولد فى داخله الصَّمغُ العَبِقُ – ويصبح – طبعُه السُّكَّرَ .

---

(١) أى : النَّاى

(٢) فضَّلتُ ما جاء به " همائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٢٤٢) لتمام المعنى ووضوحه.

ناصيةُ قلمه البوص تخضَرُّ فى فصل الشِّتاء مثلَ ناصية السَّرْو، لو تتـذكَّر فى نضارتها أنينَ النَّاى[1].

لو جرى قلمُه المشبَّعُ بالعطاء على السَّرْوالطَّليق، فإنَّه يزيِّن بُستانَ الفـضل مثلَ " صاحب الرى " .

لو يكون حاسدُ جاهه نضرًا مثلَ السَّرْو بالماء، فإنَّه يصير مـصفرًّا مثـل غاب البوص من نار " هباء لا شئ "[2] .

٢٠ – لو يُمنح السَّرْوُ قُبْلَةً من ناصية قلمه المعقود فى مخدعـه، يـصير سَـرْوًا طليقًا.

طبعى النَّهْرُ، فَمُدَّه من مديحك بالماء ؛ ففى هذا الـشِّعر يرتـوى البـوصُ والسَّرْوُ منه بالماء .

طالما يعبر نورُ الشَّمس على البوص والسَّرْو فى البستان ومنْبَت الغـاب، فهؤلاء جميعا يتفيَّأون بظلِّها[3].

فليكنْ وجهُ أعدائه مثلَ غاب البُوص[4] وليكنْ رأسُه[5] مثلَ السَّرْو[6] ولتزدْ سنواتُ عُمْره فى العَدد على ألف .

---

(١) يعبِّر الشَّاعرُ بهذا البيت كلِّه عن ألم الشَّاعر المداح ومعاناته وحاجته لتقدير الحاكم .

(٢) أى هباءً منثورًا .

(٣) فضَّلتُ كلمة " فئ " فى القافية وفقًا لرأى " همائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢٤) لتمام المعنى ووضوحه .

(٤) أى : شاحبًا

(٥) الضمير يعود على الممدوح .

(٦) أى : شامخًا

وليكنْ ناصحُه مثلَ السَّرْو فى البُستان شامخًا، ولتَصِرْ قدمُ حاسده فى الطين مثلَ أنين النَّاس منخفضةً .

فى مدح محمد بن على بن محمد الهروى (ص ٣٠٥ – ٣٠٦)

١ – يا مَنْ آلُ أسرة النَّبى ممدوحةٌ بك، والعالمُ قد أخذ برأيك الصَّائب وعزمك القوى .

أنت بحقٍّ شرفُ دين خالق العالَم، وحيثما لا تُوجد ليس ثمَّةَ دينٌ ولا شرفٌ.

أنت الأجَلُّ وسيِّدُ العالم وفَلَكُ الجاه والشرف، أنت" محمدُ بنُ على بنُ محمد الهروى " .

لم يَرَ أحدٌ فى الدنيا أعظمَ منك ؛ فالأعظمُ منك هو أنت وأنت ثانيةً .

صارت الدنيا من حالها هرمةً كهْلَةً، وقد استعادت شَبَابَها وجدَّدَته بدولتك.

لو يظهر لأحد من البَشَر مائةُ لسان ؛ فسوف تسمع كلَّ المديح والثَّناء لك من مائة لسان .

الليلةُ التى لا يصبح فيها مائتا فقير غنيًّا منك ؛ تكون نارًا فى الضُّحى وسُهَادًا حتى السَّحر.

غَرْقى منَّةِ إحسانك بلا حَصْر ؛ من الجيش والرَّعية ومن العامة والخاصة.

العالم كلُّه رَهْنُ برِّ مكرماتك، ولا تَعُدّ نفسَك رَهْنًا لمنَّةٍ مطلقًا .

١٠ – لو يدَّعى أحدٌ النبوَّةَ فى السَّخاء ؛ فيجدر أنْ لو تراهنه فى المحبَّة والسَّخاء.

يسلك الجميع طريقَ الصواب استرشادًا برأيك، وأنت أيضًا تفعل الصنيعَ نفسَه.

مهما كان أعداؤك طاعنين وأقوياء، فهم لدن أهل النُّهى جميعًا طُغاةٌ وغواةٌ.

لو جاز أنَّ لك أعداءً فى الدنيا قد خرجوا عن الحَصْر، فأنت وقت الكريهة أقوى من مائة عالم من الأعداء .

ما إنْ يُزكِّى أعداءُك نارَ العداوة، حتى أضحوا جميعًا بسبب طالعك حبَّـةَ خَرْدَل على نارها .

المخلصُ لك وأيضًا حاسدُك؛ سَلَك دائما واحدٌ طريـقَ الـضَّلالة والآخـرُ السَّبيل السَّوى[١].

يتساوى معك عدوُّك فى الأصل والنَّسب ؛ إذا مـا يتَـساوى الكلـيمُ مـع الشَّطوى[٢].

الشخصُ الذى لا يتحدَّث معك بمحبَّة وصدق، فمـع أنَّـه موَحِّـدٌ إلا أنَّـه ثَنَوى[٣].

صار ثناءُك ومديحُك فريضةً على " السوزنى "، فالأصلُ النَّبوى فى حالـة فخر بانتسابك له .

طالما يعرف دائما أهلُ الحكمة والشِّعر الصَّحيحَ من السَّقيم والرديفَ مـن الروىِّ.

٢٠ – فليكنْ فى معيَّة مدَّاحيك ألفُ شاعرٍ أستاذٍ مثلُ " البحترى " و" جرير " ومثلُ "الأصمعى" اللُّغوى .

---

(١) هنا " لف ونشر مشوش " ؛ فالضلالة – من حيث المعنى – تكون للعدوِّ، والـسَّبيل الـسَّوى للمخلص .

(٢) الكليم أرْدأُ أنواع الأقمشة، والشطوى أجودها وهو منسوب إلى شطايا أو شطاة وهى مدينـة مشهورة به بمصر (الديوان . لغات ص ٤٦٤) .

(٣) منسوب إلى الثنوية وهم القائلون بأصلين اثنين للخليفة ؛ أصل للخير والنور وأصـل للـشر والظلام مثل "المانوية " .

فى مدح نصير الدين على (ص ٣٠٦ - ٣٠٧)

نصيرَ الدين الذى لم تطالعْ عينُ المُلْك حاكمًا مباركًا مثلَك .
لا يُوجد للدنيا حاكمٌ سواك، مثلما لا يُوجد لها إلهٌ سوى الله .
لو أقول إنَّ لك همَّةَ السَّماء، فيؤخذ علىَّ خطأً من قِبل كلِّ شخص .
فالسَّماءُ طوعُ همَّتك، مثلُ يَدُ حَجَر الرَّحَى أمام الطاحونة .
هكذا، ولأنه يتولَّد عن همَّتك العالية أساسٌ لبناء شامخ .
فقد شيَّدتَ دنيا جديدةً، وفى الوقت نفسه تسمِّيها دائمًا قَصْرًا .
لأنَّه على جمال الدنيا البهيجة هذه، وعلى ذلك النَّمط الذى تريده وتتصوره.
فأنت نصيرُ دين الله، ولم يأتِ أحدٌ للدين بنَصْرٍ مظفَّرٍ مثلك .
وليس للعقل فى كلِّ طريقٍ مرشدٌ مثلُ رأيك المستنير .
وليس للدنيا غَلْقٌ وفتحٌ بغير كفِّك القابض على قلمك الكافى .
أنت عطاءُ الله على الخَلق، ولا يُوجد أحدٌ لم ينلْ عطاءً من كفِّك المعطاء.
صارت الدنيا فانيةً، لكنْ للحق لها بقاءٌ دائمٌ بجاهك .
فالدنيا ترغب فى بقاء دولتك، حتى لا يأتيها بذلك فناءٌ .
لا يتَسنَّى " للعنصرى " العومُ فى بحر مدحك بمائة مشقَّة وجَهْد .
ولا يكون للمقادير الكاملة معرفةٌ بمديحك بغير طبع القول .
كان وصفُ كمالك إلى حدٍ يقابل مكانةَ قَصْر جلالك .
لأنَّه لم يصل هناك خيالٌ مطلقًا، وليس هنا مجالٌ لرأى مطلقًا .
لقد جعلتَنى جسورًا حتى أتجاسر فى بحر البديهة هذا .
ولسوف أدعو لك فى هذا، ما دام لا يتَسنَّى للمديح أنْ يكون لائقًا بك .
فليهبْك اللهُ ذلك الذى يخلِّدك، ولا أعلم دعاءً أفضل من هذا .

* * * (ص ٣٠٨ – ٣٠٩)[(١)]

١ – أيها الصاحبُ، أنت اليوم الصَّدْرُ والقائدُ، وأنت الوزيرُ الميمونُ المنــصفُ العادل.

من السَّمِيِّ (عُمَر)[(٢)] ؛ لك اسمُهُ، وأنتَ فى السيرة مشهورٌ مثله .

صار اسمُ " عُمر " قصةً فى العَدْل والسِّياسة، وأنت اليوم قصةٌ أيضًا فــى العدل والسياسة .

لم يبقَ من عَدْله فى أرجاء الدنيا سوى الخَبَر، وأنت الآنَ محقِّقُ هذا الخَبَرِ الطَّيبِ عيانًا بيانًا .

لو كان ما فى مذهب " التناسخ " صِدْقًا ؛ فكلُّ مَنْ رآك قال إنَّك " عُمر " .

حينما عقدتَ العَزْمَ على عَدْل " عُمر " للخلق، فيليق أن تكون مثله إذْ ليس وحيدًا فى ذلك .

راح الخلقُ فى سُبات النَّوم بسبب عُدْلك، وأنت ساهرٌ على كلمــة عَــدْل الخالق .

للإسلام بلادٌ وأقاليمٌ بلا نهاية، وأنت الحارسُ لكافة البلاد والأقاليم .

بدونك أهلُ الدنيا بلا رُوح ولا صورة، وأنت مــن فــرط العظمــة روحٌ وصورةٌ .

١٠ – أنت الأذَى التَّامُ لروح ذلك الشَّخص الذي يصل منه أذى ضــئيلٌ لــروح شخص ما .

---

(١) يرى " همائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢٥) أن اسم ممدوح هذه القصيدة هــو "عُمر" وربما كان عمر بن عبد العزيز آل برهان .

(٢) واضح أن المقصود باسم " عُمر " فى هذه القصيدة هو الخليفة العادل " عُمر بن الخطــاب " رضى الله عنه . والقصيدة مثل غيرها تكشف عن اعتدال الشاعر فى " تــشيُّعه " وحُبِّــه لأى البيت وابتعاده عن التعصُّب والعداء للخلفاء الراشدين .

قلبُك كنزُ الجوهر به كلُّ ألوان الفضل، وبسَبب كنز جوهرك نادرًا ما تحتاج إلى فضل .

فأنت كنزُ الجوهر، وأنت بسبب إحسانك ومروءتك واهبُ كنزِ الجوهر إلى رجل الفضل .

فى إحدى يديك قلمٌ هو فى وقت العمل مظفَّرٌ على مائة ألف خنجر وسيف وبلطة .

حيثما تَشبُّ الثَّورةُ والاضطرابُ والفتنةُ، فأنت المطفئُ لها والمسكنُ .

وأنا أحْسَبُ كنزَ ملك الشَّرق وولايتَه وحشمَه، كلَّ هذا لك على الجملة .

إن لم تكن ابنًا للملك، فأنت مثلُ ابنه، وإنْ لم يكن الملكُ أباك، فهو مثلُ أبيك.

فلا بد أنَّك ابنُ للمَلك وهو أبوك، وهو مشتهرٌ بذلك وأنت مشتَهرٌ بهذا .

فالملكُ أبٌ بسَيف معلمٍ للشغل، وأنت ابنٌ بقلم مؤدبٍ للملك .

أقرَّ المنَجِّمُ غيْرَك " صاحبَ قران "، وأنت " صاحبُ قران " رغم أنف المنَجِّم.

٢٠ - فإنَّ ذلك الشَّخصَ يَبْدو أمام همَّتك وكفِّك الجَواد فلكَ الأرض وأنت بَحْرٌ دافقٌ .

فأنت من حيث الحلم والتواضع ومن حيث الجاه والشَّرف، فَلَكٌ جامحٌ وأرضٌ خَصبْةٌ .

حينما تكون رءوسُ المتمردين فداءً لجسدك، فلأنَّهم جميعًا جسدٌ على ذلك الجَسَد بينما أنت الرأسُ .

كلُّ شخص لم يَرَ بعينه شكلَ القضاء والقَدَر، فأنت بالعزم وبالحزم شكلُ القضاء والقَدَر .

فأنت على كرسى الوزارة وعرشها بالبهاء والزينة مثلُ طلعة الشمس والقمر على الفَلك .

قَبْلَك كان البهاءُ والزِّينةُ من الكرسى والعرش، والآن العرشُ والكرسى من زينتك وبهاءك .

فأنت الصَّدْرُ الممدوحُ الخصال حَسَنُ السيرة لدن الرَّعِيَّة وحشم مَلك الشرق.

حينما أطلق ظالمٌ من قوس الظلم سَهْمًا، لم يصل إلى مبتغاه وأنت الدِّرعُ .

مَرْحَى لك لأنك ناجٍ من سَهْم السِّحر، ولأنك العصا التى تلقف سهامَ العاجزين وقت السِّحْر .

يدور الفلكُ أعلى رأسك بحياء ؛ ذلك لأنَّ سيرَك يكون بأقدام القَدرَ وهمَّة الفَلك.

٣٠- الطُّوبى شَجَرٌ فى الجِنان، وهذا الملكُ المباركُ اليوم مثلُ الجِنان، وأنت مثلُ شَجر الطُّوبى.

وأولادُك وأقرباؤك مثلُ الورق والثَّمر، ولديك الثَّمرُ مستحبٌ والورقُ مستحسنٌ.

لا يُوجد أحدٌ فى الدَّهر لم يتفيَّأ بظلِّك؛ طوبى لك يا منْ أنت مثلُ شجر الطَّوبى.

طالما مسْتَقَرُّ الطُّوبى هو الخُلد، فليكنْ كلُّ مستَقَرٍ هو الخُلْدَ؛ لأنَّك ساكنُ ذلك المستَقَر.

فلا انْحَسَرَ مطلقًا ظِلُّ عُمْرِك؛ ذلك لأنك الطُّوبى والظِّلُّ الذى لا ينْحسر.

فليكنْ خَيرُ البَشر شفيعَك فى يوم الحَشْر؛ لأنَّك اليوم خيرُ أمَّةِ خَيْرِ البَشَر.

فى مدح الوزير صدر جهان (ص٣١٠-٣١١)

١ - أيها الصاحبُ؛ أنت صاحبُ "صاحب قران"، وأنت فى الدنيا الشَّخصُ الذى يكون الأفضلَ من الدنيا.

أنت الصَّدْرُ الذى يتفاخر به خلقُ الدنيا، وأنت البَدْرُ الذى يَخْطِرُ فوق السَّماء.

أنت فى أعماق السَّعادة والإقبال قلبٌ، وأنت فى جَسَد المروءة والإنصاف روحٌ.

فى الحقيقة أنت اليوم لدُرٍّ وجوهر الشَّرف والاحترام بَحْرٌ ومنجَمٌ.

لك فى طريق العَدْل من سَمِيِّك السَّابق نفسُ السِّرِّ والطَّريقةِ والرَّسْمِ والدستو(١).

أنت للدين الطَّاهر والسِّيرة الحَسَنة والخُلق الطَّيب، أساسُ الخير وأصلُ الصلاح والأمانُ.

أنت فى محفل قادة الدَّهر وعظمائه، الصَّدْرُ الذى يتزيَّن اسمُ الصَّدْر به.

أنت ببهائك ملكُ عرشَيْن يشبهان بستانين، وأنت فى البُسْتانين سَرْوٌ وارفٌ.

يستدلُّ الخلقُ على القطيع الذى لا راعى له، بأنَّك الحارسُ لهذا القطيع الذى بلا راعٍ.

١٠ - لم يعطوا أحدًا غيرَك اسْمَ العَدْل ورسْمه، فأنت اليوم محترفُ العَدْل بالاسْم والرَّسْم.

لم تَشُبَّ فتنةٌ على أىِّ خلق طوال الدَّهر؛ لأنك مطفئُ الفتنةِ التى تَشُبُّ عليهم حقًّا.

---

(١) يرى "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص٤٢٥) أنَّه يفهم من هذا البيت أنَّ اسمَ الممدوح هو (عُمر). ونحن نؤيد ذلك، ونرجِّح أيضًا أنَّ هذه القصيدة فى مدح " صدر جهان عُمر بن عبد العزيز بن مازه آل برهان" أحد رؤساء "بخارى" فى عصر الشاعر.

بسبب جُودٍ سَرْمَدىً وفضلٍ لا يقارن؛ أنت موضـــعُ حَـــسَد رُوح "حـــاتم" و"نوشيروان".

جنَّبْتَ الأرضَ فتنةَ السَّماء؛ إذْ لم يكن لهم درايةٌ بأنَّك فيها.

فأنت بين الخَلْق محبوبُ كلِّ قلب، ولهذا السَّبب أنت مذكورٌ على كلِّ لسان.

أنت تُربِّى خَلْقَ الدنيا مثلَ ابنك، وأخال أنَّك للخلق أبٌ عطوفٌ.

الإقبالُ والطَّالعُ والدولةُ جلساؤُك؛ ذلك لأنك الجليسُ فى مجلـــس الـــشَّراب والغناء.

ولأنَّك صِرْتَ للضيف خادمًا بحق الضِّيافة، مع أنَّـــك - صـــاحب الجـــاه والشَّرف - المضيفُ له.

فيا حضرةَ جلال الدين وشرفَ أهل البيت، أنت المضيفُ البشوشُ وأنـــت الضيفُ أيضًا.

فكنْ هَنِئَ القلب وتَخَيَّر السعادةَ والطَّربَ؛ لأنَّك جديرٌ بالـــسَّعادة وهنـــاءة البال.

٢٠ - فلتكنْ حياتُك خالدةً بالطَّالع السَّعْد؛ لأنَّك بالسُّمعة الحَسَنة حَيٌّ حتى الخلود.

الغـزليـات

حرف (أ) (ص ٣١٥)

١ - أيها السّاقى، قدِّمْ مرَّةً أخرى ذلك الماءَ بلــون النّــار[1]، أدِرْ كأسًــا وأزِلْ أحزانًا لا نهايةَ لها.

ذلك لأنّ أيامَ البشاشة واللّذّة والسرور ساء حالُها وضاعت هباءً.

هَيِّئْ مجلسًا فى البُستان، وأجلسْ فى كلّ ناحيــة معــشوقةً ورديــةَ الخَــدِّ وحوراءَ فضيَّةَ القوام.

قدِّم الصَّهباءَ التى حَانَ وقتُها، ولا محاباةَ لهذا الوقت بأىِّ وجه.

ساذَجٌ، مَنْ يُردِّد دائمًا: دَعْ ذواتِ الطُرَّة المعقوفة وكأسَ النّبيذ الصّافى.

أقِمْ مجلسَ اللّذة والطّرب، وما إنْ تفعل، فاطلقْ على ذلك المطرب قمــرىَّ الوجه رسْمَ "الطُّوبى".

فقد حَمَل رسولٌ إلينا هذه الرسالةَ :"حيثما تُوجد الطُّوبى يُوجد هناك الخُلْــدُ الأعلى".

حرف (ت) (ص٣١٥-٣١٧)

١ - يا مَنْ صَحَّ عَزمُك على العداوة والخصومة، ولم يَصحْ عهْدُك على الوفــاء مرَّةً واحدةً.

إن لم يكن لعَهْدك معى صِدْقٌ ووفاءٌ، فعَهْدى معك على الوفاء صادقٌ أيها الحبيبُ.

فأنت معشوقى الأثير وأنا العاشقُ المفتونُ بك، وعَهْدى معك حيلةٌ وعَجْــزٌ حقًّا.

لو حطَّمنى عَهْدُك أيها الحبيبُ؛ لساغ ألاَّ أهبَ هذا التّحطيمَ إلى الكثير حقًّا.

---

(١) أى : الخمْر.

عهدُك كذلك أن تكون عزيزًا له قيمةُ الذَّهب طِلاءٌ أصفر وتحطيمٌ، وليس صحيحًا كالدِّينار.

يا مَنْ أنت لدينا أنموذجٌ من "معبد فرخار"[1]، وتصبح صفةُ معبود "فرخار" صحيحةً عليك.

ضفيرتُك بها قوافلُ "التِّبت"- من العنبر- تُشتِّتها بشَعْرةٍ منها وتجمعها بأخرى.

ينبغى سؤالُ لفائفِ تَجعيدتك السَّوداء عن أخبار فاقدى الطريق إلى شَعْرةٍ منها حقًّا.

لقد شاهدنا جميعًا بوضوحٍ فى حُسْنك وجمالك، عن صَحَّة الأخبار التى عن "يوسف مصر".

١٠ - طالما لا تُسَبِّبُ أوصافُك فتنةً لىَ، فلن أصَدِّقها أمام ما لدَى الدِّهقان الأجلّ "أحمد سمسار".

هو فضلُ عين الدَّهاقين الذى؛ كيف ولماذا لا يمنح العقلُ الرؤيةَ الصَّحيحةَ سوى لعين فَضْله؟!.

ذلك السَّيِّدُ الذى يُعَدُّ رأىُ أسلوبه الواضح فى كلِّ عمل صوابًا وفى كلِّ مجال صحيحًا.

---

(١) أشرنا سابقًا إليه وإلى مدينة " فرخار" الشهيرة بهذا المعبد وبالحسناوات.

* * (ص٣١٦)

١ - لماذا لم تقلْ لىَ من اليوم الأول أيها المعشوقُ، إنك لن تحافظَ على عهدى ووعدى وميثاقى.

لا تُسَلِّمْ قلبَك لىَ ولا تبحثْ عن وفاء عندى؛ فوفائى أولاً وجفائى فى الآخر.

أفِى أولاً ثمَّ أجافى فى النهاية؛ ذلك لأنه فى هذا القلب لا ينبت نباتُ القول الثابت.

لقد أبديتَ منذ البداية جسارةً عنِّى فى ذلك، والآن حين أمعن النَّظرَ أجدك أجْسَر من الأخريات.

غَسَلتُ الجسَدَ بدم القلب من سيف هجرك، ولا أعلم- كيف- أغسل القلبَ من أمَل وَصْلك.

امْضِ الآنَ إلى ما أنت فيه فأنا عاجزٌ معك، فكلُّ مرادك أن أكون عبْدَك.

حقًا أنت مضيتَ فى العهد والوعد والميثاق، فيا للعَهْد السَّئ والوعد الكاذب والميثاق المنكوث.

* * (ص٣١٧)

١- شَقَّ المعشوقُ الآسرُ مَرةً أخرى طريقَ قلبى، وأعاد بقلبى ورُوحى مَرّةً أخرى الصَّنيعَ الذى يَتَحتَّم له فعلُهُ.

ومكثَ قلبى المسكينُ مَرَّةً أخرى فى جَوْر ذلك الآسر، واتَّخذت رُوحى المسكينةُ مرَّةً أخرى حَيَّه لها مسْكنًا.

وسَلَبَ ذلك المعشوقُ الآسرُ الرُّوحَ والقلْبَ منّى، وجعل وجودى عَدَمًا ونَسى ذكرى.

تواءم حالُ رُوحي وقلبي مع المعشوق والمحبوب؛ ولكنَّ جَسَدي احترق من الهجران؛ لأنَّ الهجرانَ لكليهما أخَذَ به.

مؤنسُ رُوحي وقلبي، معشوقي الآسرُ، على هيئة البَشَر، لكنَّـه أخـذ مـن الملاك طَلْعَتَه وطَبْعَه.

ما إنْ أظْهَرُ له حتى يختفي دائمًا منِّي، فتخال أنـه أخْفَـي عنِّـي قلبـي ورُوحي.

لو أقول له : أبِنْ عن وجهك ليَ فلا يفعل أبدًا، وبالحال ذلك الـذي حَظـي بحبيبٍ شارد مثلي.

ما إنْ طفتُ حول حَيِّه لأجل طَلْعته، حتى تَدَفَّق طوفانٌ فجأةً مـن ينـابيع عيني.

وعلى غِرَّةٍ؛ أطلقتُ أثناء البكاء من الكبد آهةً، حتى احترق كلُّ حَيِّه بمـاء ونار دَمْعي وحرقتي.

١٠ - ومهما فعلتُ كي أشاهدَ طَلْعَتَه دونَ جدوى، فأنَّى لأمر عاشـقٍ مثلـي أنْ يتحقق مطلقًا؟!.

وبقيتُ والهًا وهائمًا وبلا حبيب و معشوق، مَنْ ذا الذي يُيَسِّرُ ليَ ذلك الأمْرَ الشاقَ؟!.

طالما لا أحْظَى بالحبيب والمعشوق، فلن أجدَ الروحَ والقلـبَ، ولا يتـسنَّى لوالهٍ أنْ يأخذَ الدَّرْسَ أمام مولانا.

حرف (د) (ص ٣١٧-٣١٩) .

غاشيةُ ضفيرتك الحائرةِ تحمل الغاليةَ، وتحمل عن الغريب عنك والقريب منك الضَّريبةَ والجزْيَةَ.

اعلمْ أنَّ لك طرازَ الجيش؛ لأنَّها تصاد بالوهَق جِرْمَ "القمر" من الفَلك وتحمله أمامك .

لا يتَسَنَّى لقَمر السَّماء أنْ يحمل النَّداوةَ من جيشك[1] ويحمل ماءَ عارضك إلى جذْر جيشك [2].

البارحةَ كان مذهبُك العشقَ والعداوةَ؛ فكفى الغَمُّ الذى تَحَمَّله هذا القلبُ المسكينُ من مذهبك.

أنت مثلُ الغزال الذى يحمل مثلَ أهداب طَرْفك الحادة تلك، خفَّةً وجَمَالاً.

فى وَعْدك يتفاوت حِملُ عشقك، وأنَّى للعاشق المعنَّى أنْ يتحمَّل تفاوتَك؟!.

أتحمَّل فى وَعْدك حِملَ تَفاوتك، وكلُّ مَنْ يلزمه عشقُك يتحمَّل تفاوتَك.

أنت لطيفٌ ولكنْ لا تَزِدْ عن الحَدِّ فيه، حتى يتحمَّل قلبى لُطْفَ وَجْنتك وغَديرتك الحائرة.

* * * (ص٣١٨)

١ - ما إنْ ظَهر لمحبوبى خَطٌّ مثلُ البنفسج، حتى فاحَتْ رائحةُ البنفسج من خَدِّه.

ما إنْ أحْنَى المحبوبُ رأسَه مثلَ البنفسج حياءً، حتى ظهر مَنْبَتُ البنفسج حول وَرْده.

---

(١) أى : شَعْرك.

(٢) أى : خصلة شعرك.

من فترة، هبط العشْقُ من ضفيرته الحائرة على قلبى واستكان فيه.
وحالُهُ منقوشٌ فى كلِّ جانب على أطراف ضفيرته؛ فأىُّ بلاء لخطِّه، وعلى أىِّ حال قد ظهر.
تظهر الخُضْرَةُ فى العالم بقدوم فصل الرَّبيع، وتظهر الخُضْرَةُ[1] على شفته بغير ربيع.
عارضُ ذلك المحبوب له وَهَجُ النَّار دائمًا، وقد ظهر عليه الخَطُّ مثلُ الدخان من وهج النَّار.

١٠ - ما إنْ توارت[2] نارُه المتوهِّجَةُ [3] خَلْفَ الدخان[4] حتى هَبَّ الشَّرارُ من قلبى الملتاع حرقةً.
فقال : لقد تخلَّصْتُ من إسار عشقك؛ فقد ظهر الخَطُّ متحرِّرًا من العِذار بنسبة بسيطة.
فقلتُ : وأنا بقيتُ تحت أقدام جَوْرِك، فمع أنَّه خَطٌّ واحدٌ، إلا أنَّه ظهر مائةَ ألف.

١٠ - ما إنْ حَمَلَت ضفيرتُك إلىَّ الجَوْرَ بكثرة، حتى ظهر خَطُّك لأجل الاعتذار.
لقد تَزَيَّنَ حالى بعشْق ذلك المحبوب، فقد ظهر الخَطُّ الملفوفُ مثلُ المحبوب.
ظهر بَدْرُ التِّمِّ حين تأمَّلْتُ فى جمال محبوبى.

---

(١) أى : نَبْت الشَّعر.
(٢) فضَّلت استعمال الفعل بالصورة التى ارتضاها "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص٤٢٥) لاستقامة المعنى.
(٣) أى : خَدُّه.
(٤) أى : نبْت الشَّعر.

حرف (ر) (ص٣١٩-٣٢٤)

١ - العشقُ والربيعُ وفُرقَةُ الحبيب والجَسَدُ النَّحيلُ؛ تحالفوا على قلبى وقَسَوْا عليه.
عَهْدُ المحبوب معى وانفصامُه عنِّى، هجرانُ الحبيب لىَ وانقطاعُه عنّى.
فصلُ الربيع مع الجَسَد الرَّقيق برقَّة وَرَق الوَرْد، جيشٌ أطاح بى مثلَ الوَرْد الأحمر فى الربيع.
طالما صرتُ موفَّقًا على أعداء المَلك، فقد نَحوْتُ عن ورق الوَرْد الأحمر البهيج.
ابتعدتُ وقت الوَرْد عن المعشوق الفاتن، ووُخذتُ فى عين الوصال من هجر الحبيب.
واخترتُ السَّفَرَ لأجل صلاح الخلق بناءً على اختيار الخَلْق وليس على اختيارى.
الخلقُ يطلبون معاناتى لأجل خبزهم، وأنا أتحمَّل المشَاقَ لأجلهم، وأضعه على كاهلى.
وهذا الذى حين أتأمَّله هو فى الحقيقة مؤلمٌ، ويكون التَّنعُّمُ والرَّاحةُ بعد هذا الألم الذى لا يُحصى.
يا أصيصَ الوَرْد، تفضَّلْ بإسعاد قلبى، لا تكنْ نضرًا بدونى، ولا تركنْ إلى الوَرْد.
حتى أنا حين أصل من السَّفر، سأحضن الوَرْدَ على وَجْنَتيك مليًا، يا مَنْ أنت مثلُ وَرْد الرَّبيع.

* * * (ص ٣٢٠)

١ - صار ترابُ الشِّتاء ذا خُضْرة بفعل رياح الربيع، فيا أيها السَّاقى؛ ألا أحْضِرْ ذلك الماءَ الشَّبيه بوهج النَّار(١).

---

(١) يراعى أن الشاعر فى هذه الغزلية يتلاعب بالعناصر الأربعة : التراب والرياح والماء والنار، التى تُعد -عند الصوفية والفلاسفة- أصلَ الخليقة، ويستفيد منها فى تكوين صوره وأفكاره، وسوف التزم فى الترجمة بهذه الأسماء ما أمكن.

وقدَّمْ نصيبًا منه لتراب البُستان، كى يجعل كلَّ أعالى الأشجار مثلَ الثَّمل بغير وقار [1].

من تلك المتوهِّجة والمتدفِّقة كطالع الملك، أظهرت من باطن التراب كنزًا بلا مشقَّة[2].

فالشَّقائقُ الزَّرقاءُ السَّاق والسَّوداءُ الباطن والحمراءُ الوجه، ابنٌ وليدٌ للتراب من الماء والسَحاب من ريح الصَّبا.

نارُ العشق التى تلاطف ذلك الماءَ والترابَ، كانت خفيَّةً وظهرت من الرياح بكثرة التَّقبيل والعناق .

نَبَتَتْ خميلةُ الوَرْد من التراب كأنها جَوادٌ جامحٌ، سلَّم العِنانَ للرياح وعلى سرِّجه فارسٌ من نار.

أيها العاشقُ، أنْصِتْ للرياح، فهى إن لم تكن مقبّلةَ التراب، فإنّها تَسمع وصفَ الوَرْدِ المتوهِّج المونق.

"تاجِ الدين محمودِ بنِ عبد الكريم"، الذى له لطُف الرياح وصفاءُ الماء، الصَّدْرِ الذى له حلمُ التراب واقتدارُ النَّار.

---

(١) أى : تمايلاً.

(٢) أى : الخُضرة.

* * (ص ٣٢٠)

١ - أيها السَّرْوُ الطَّليقُ(١) احملْ سلسلةَ مضمَّخةً بالمسك(٢) إلى السَّرْو والقمـر على ضفاف الجدول .

أيها المعشوقُ البديعُ، ويانَقْشَ معرض الصين للربيع، احملْ إلـى الـصين الفتنةَ المنقوشةَ على صورتك .

مَن يبيع وجْنَتَك وهى مَنْبَتُ الورْد ؟!، احملْ الورْدَ النَّدىَّ إلى القلب اليابس الجاف .

لقد حَلَّ فصلُ الربيع، فانطلقْ صوبَ الحديقة، واحملْ من الحديقـة مـرَّةً أخرى بيتَ القلب بلا غبار.

تأمَّلْ أنَّ الورْدَ هو بهاءُ الحديقة وكفى أيها المعشوق، فلا تجعل الكفَّ خالياً منه وعُضَّ عليه بالنَّواجذ

على حافة السَّرْو بُلْبلان : أنثى وذكر؛ الأنثى على "السَّرو" تناجى الـذَّكرَ على شجرة "الدُّلْب"

ويقول أحدُهما : إنَّ عامًا جديدًا قد حَلَّ بشكل أفضل من الفائت، ولـسوف يجدِّد العامَ الفائتَ بجلب الطيور .

ويقول : لقد صارت جَنَّةٌ بهيجةٌ مَرَّةً أخرى؛ فلا تُغلق البابَ فى وجه أحد أيها البستانى .

يا أيها العاشقُ، ألا أقبلْ وانثرِ الورْدَ على راحة اليد، وأقْبِلْ مع المعـشوق أيضًا وانْزِعِ الرَّاحَ معه.

١٠ - ألا انْزَعِ الصَّهباءَ حـول الحـديقة واقـطفِ الورْدَ اليانعَ، واسْعَدْ؛ فالورْدُ لا يكون بغير نمل وأفاعٍ.

---

(١) أى : المعشوق.

(٢) أى : ضفيرتك.

* * * (ص٣٢١)

١ - كفانى فى النِّهاية من غمِّ عشقك أيها المحبوب، سعادةُ وَصْلك تلــك، أيــن ذهبت فى النهاية؟!

ذهب وصْلُك عنِّى وأنا أتعقبه، فإنْ لم يَعُدْ،ــ على الأقل ــ لا يُعرض عنِّى فى النهاية .

هَوى وعشقُ وُصلك يشغلان بالنّا، وليس لهما خلودٌ آخرُ .

تخلو بىَ أنا المسكينَ فى حجرة واحدة، و مع ذلك يلين قلبُك لكلام شخص آخر .

لن يأتى اليوم الذى يصدق معك صاحبٌ مقرَّبٌ، للحظة بغير جدال معــك وحساب آخر .

وأنت لا تنفض اليدَ عن صُحبة الأدنياء الأخسَّاء؛ فحتّام تــصاحب دنيئــا وخسيسًا آخر ؟!

إن لم يكن عمرى من الدَّهر سوى لحظة واحدة، فحياتى معك هــى هــذه اللحظةُ الأخرى نفسُها

أنت لا تعرف مطلقًا الطريقَ إلىَّ بدون آخر، لقد ضــاع الطريــقُ علــى المولى وهو لا يعرف جرسًا آخر .

يا مَنْ ذائبتُك لصٌّ وقلبى عسَسٌ له، وذلك اللِّصُّ يستعينُ ذات ليلة بعَسَسٍ آخر.

١٠ - تخال أنَّنى المستغيثُ يومًا بروحك، ومادام الأمْرُ قد وصل إلــى الــروح فالمستغيثُ آخرُ .

* * * (ص ٣٢١ـ ٣٢٢)

١ - تجرَّع عُمْرى من متعة عشق العُمْر بنَهَم، ولم تَزِدْ متعةُ عشق العُمْر من عُمرى .

لو يزيد عُمْرى من عشق العُمْر؛ فلسوف استجلب لىَ من عشق العُمْر عُمْرًا آخر مرةً أخرى .

لقد تطلَّعتُ في محيَّاه الشَّبيه بالجنَّة برهةً، فاستزدتُ من شفته الشَّبيهة بالكوثر قُبلةً كالسُّكَّر.

وقلتُ : أيها الغلامُ الجميلُ يقولون: فى جنَّة عدن، " عُمَرُ"[١] هو السَّاقى على حافة الكوثر صباحَ الحَشْر .

حينما يكون " عُمَرُ " هو السَّاقى على حافة الكوثر هناك؛ فالأمرُ الطريفُ أيها الغلامُ أنَّ الكوثَرَ هنا على شفتك[٢]

ولأنَّنى لا أحسن ملاعبةَ العشق فقد ظفرتُ بالتطلع إلى شحمة أذنه وشفته وذائبته السَّوداء وخاله .

وقلتُ : ياروحَ أبيك، هل أعطيتَ الأبَ حَقَّه[٣] ؟!، فأجاب: مادمتُ أنا "عُمَرَ" فماذا تريد طالما لا أكون عادلاً ؟!

أنا دائمُ الاعتقاد أنَّ مَلاعبةَ العشق بدون " عُمَر"[٤] مخاطرةٌ، وتكون المخاطرةُ معه بالروح أمرًا خطيرًا ومؤثرًا .

هكذا عقدتُ عهدًا مع عشق " عُمَر"، ولكنَّ ملاعبات العشق السابقات ضاعت هباءً وهدرًا.

١٠ - إنْ أتخَّذ سوى " عُمَر" معشوقًا؛ فلن أكون مثلَ " الرافضى"[٥] خارجًا عن ممدوح غير " سيد حسين بن عمر".

---

(١) يقصد سيدنا " عمر بن الخطاب" رضى الله عنه وفى الحاشيه أنه " علىٌّ " رضى الله عنه فى نسخه أخرى.

(٢) واضح من الغزلية كلّها ومن هذا البيت أن اسم هذا الغلام هو " عُمَرُ" سَمىٌّ لسيدنا " عُمَـربن الخطاب "

(٣) فضلت هنا ما جاء به " همائى " فى (مستند ركاته على الديوان ص ٤٢٥) لتمام المعنى .

(٤) اسم الغلام المعشوق كما ذكرنا فى الحاشية قبل السابقة ..

(٥) الرافضى هو من يرفض الاعتراف بخلافة " أبى بكر " " وعمر" " وعثمان" رضى الله عنهم

* * * (ص٣٢٢ ـ ٣٢٣)

١ - خَطُّ[١] معشوقى التركى على القمر[٢] مثلُ طوق "القُمرى"، أو معقودٌ حوله مثلَ قطار النَّمل .

وتلك الذَّائبةُ الملتويةُ والمجعَّدةُ المحنيَّةُ مثلُ ظهر الوَثَن على وَجْنَةِ سَـروِ الخميلةِ ذلك، تَزيد من تشويش الشَّعْر[٣] .

خَطُّه البديعُ النِّظام، وذائبتُه المضمَّخةُ بالمسْك تلك، كلاهما سنبلٌ يتفـتح على وجنتيه الخمريتين .

تطلَّعتُ يومًا أنْ أكون له رفيقَ دَرْب، فانطلق ذلك السَّرْوُ الطَّليقُ أمـامى وأنا فى إثْره .

وكنتُ أشاهد قوامَه السَّامقَ ومشيتَه السَّاحرةَ، وكنتُ ثملاً دائمًا من عـشق ثَرى أقدامه.

وعلى غِرَّةٍ، نَفَدَ صَبْرى، واضطربت روحى وهاج فؤادى، ولم أتراجـع، والمدينةُ شاهدةٌ على هذا الأمر.

فتعلَّقتُ بتلابيبه، وتخضَّبتُ بمائة لون ولون، وسَكبتُ الجوهرَ[٤] من مقلتى أمام ذلك الجوهر المتلألىء .

فقلتُ له : أيها المعشوقُ الآسرُ، حَذَار من وَسْم عشقك، أتَدْرى مـدى مـا أتحمَّله من عَناء حراستك .

---

(١) أى : نبت الشعر.
(٢) أى : الخد.
(٣) أى : حركته.
(٤) أى : الدَّمع.

فقال : ألم تَصِرْ عاشقًا سعيدًا لىَ، فما جُرْمى ؟!، فلا تحطِّمْ حُرْمَتى أكثر من هذا، حَذَار، لا تُخْجِلْنى .

١٠ ـ فتقدمتُ إليه بالمحَّبة وانا مجروحُ الخاطر من ذلك، وقلتُ : لقد عدتُ إلى طريقك، فقال: ابتعدْ عَنِّى .

وا أسفاه لهذا، إنَّ حديثَه هنا يقطع ما بيننا فى لحظة، فلا تجلسْ على دهليز الشَّرِّ(١).

وحين يَعْبُر بدلال يومًا؛ فأشِرْ برأسك إليه، واهمسْ فى أذنه فى طريق مخدعه : يا غلام .

أنا مفتتنٌ بوجهك الشَّبيه بالشمس، لقد منحتُك القلبَ فى حُبِّك، فاشْتَرِ طريقًا واحدًا إلى رُوحى مرَّةً .

ثم اطبعْ إحدى عشرة(٢) قُبلةً على وجهه وزدْ عليها، وقُلْ لوجهه: ما أبْدَعَك، ولا تُحْصِ القبلات .

لو يعرف خصمُه؛ فسوف يبدِّل عداوتَه إليك، ولسوف تَختصر الكلامَ، وتبحث عن قافية تحميك.

لا تجلسْ صامتًا مع خَصْمه واسْحَبْه بعنفٍ كالعبد، لو يهرب مداحُ " ابن تغش " من ذلك الميدان .

لقد تعلَّقتُ بضفيرته وقَبَّلْتُ وجنتَه، وصرتُ من قُبلةٍ على محيَّاه الفاتن كالواله.

---

(١) أى : لا تظهر العداء، الشاعر هنا يخاطب نفسه.

(٢) فضلتُ ما جاء به " همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص٤٢٥) لتمام المعنى ووضوحه.

* * * (ص٣٢٣ ــ ٣٢٤)

١ ــ نهارى بدونك كالقير يا مَنْ غَديرتُك كالقير، وفى السَّحَر يكون وجهُك الجميلُ البَدْرَ فى السَّحَر .

البَدْرُ وقت السَّحر لا يمنح نورًا حقيقيًا مثلما وجهُك السَّاحرُ والمعشوقُ من خلال غَديرتك الشَّبيهة بالقير .

فى أطراف غَديرتك الشَّبيهة بالسلسة شَرَكٌ لقلبنا؛ لأنَها تصارع البَدْرَ المنيرَ ناحية الخميلة .

مضى قلبُنا المجنونُ عن باب سلسلتك[١]، فلو ذهب أيها الغلامُ، فهذا قلبٌ وهذه سلسلةٌ .

مقلتى أيها المعشوقُ فريسةٌ لسهام أهدابك، قلبُنا المتعبُ مثلُه مثلُ جَسَدنا فريسةٌ لهذه السهام .

ما العجب فى أنْ يطلق شخصٌ سَهْمًا على الفريسة؟!، بل العجبُ أنْ تطلقَ الفريسةُ سَهْمًا على قلبنا .

وجنتُك جَلبت جيشًا من النَّمل المضمَّخ بالمسك[٢]، وحتى تصير فى مملكة الحُسْن، فاقبل العَزْلَ .

العونُ كلُّه لعشَّاقك ؛ لأنك ستكون أميرًا على حَشَم النَّمل فى ذلك الجيش .

وهؤلاء الأسرى المكبَّلون بسلسلة ثنيَّة غَديرتك، هم أيضا أسْرى بتجعيدة خَطِّك المسكيَّة .

١٠ ــ فحينما تأخذ الدنيا من جمالك زينتَها؛ فلأنَّ خدَّك يصير الماشطةَ بخطِّك .

فهو[٣] يصير وقت القُبلة مثل الزَّبرجد؛ لأنَّ له لونَ المرجان والياقوت وطَعْمَ السُّكر واللَّبن .

---

(١) أى : غديرتك.

(٢) أى : النَّمش.

(٣) أى: الخدُّ.

وهكذا مع وقت القُبلة، فالأفضل أن تُقبّل الأرضَ بين يدى الوزير الذى هو إمامٌ، والإمامُ الذى هو وزير.

ذلك الإمامُ الذى صاربه بيتُ الدين معمورًا، وذلك الوزيرُ الذى تكون منـــه عينُ المُلك قريرةً.

حرف (ز) (ص ٣٢٤)

١ ــ ألا يا "نجمَ كله دوز"[١] يا مَنْ تضع القلنسوةَ المسكيّةَ على الوَرْد[٢]، كـــى تُظهر ثانيةً وَرْدَ " النيروز" فى فصل الشتاء .

ألا فَلْتُلْقِ القلنسوةَ المسكيّةَ على وَرْد النيروز، ولتَدَّخرْ لـــونَ وَرْد النيـــروز للوجنة.

يا مَنْ تشبه وَرْدَ النيروز على الوجنة والقامة، ارفَعْ هامتَك على الـــسَّرْو[٣] بشموخ وتيه .

لو أناديك بالسَّرْو والوَرْد لأنّك تتشابه بهما؛ فلا تَخْتَـــلْ كبْـــرًا ولا تُـــشْعِل الوَجْنَةَ غضبًا .

لىَ جَسَدٌ يشبه إبرتَك النَّحيلةَ، فيا "نجمَ كلـــه دوز" ألا فجِـــكْ مـــن جـــسدنا قلنسوةً.

---

(١) اسم الغلام أو الصبى المعشوق للشاعر وهو " نجم كلاه دوز " وتختصر إلـــى " كلـــه دوز " وتعنى حائك القلانس وسبق أن تحدثنا عنه فى قسم الدراسه . ولقد فضّلت ترجمة " ماه " هنا إلى " نجم " حتى تقابل اسم هذا الصبى كما جاء عند مَنْ تحدث عنه من النقاد الفرس الـــذين كتبوا عن شاعرنا "السوزنى" .

(٢) أى : الوجه.

(٣) أى : قامتك.

حتَّام، أنت تتعلَّم حياكةَ القلانس منَّا، ونحن نسترشد الطريقَ علــى يــديك وفتحة ثوبك .

لا ..لا، فهذا الذى يعلو هامةَ الغلام هو العشق، هاك قلبى و روحى سواء أتوائمتَ معهما أم أحرقتهما .

اطلبْ جوادًا وامتَطِه وغِرْ على الشَّمس[١] اطلبْ سيفَ الجفــاء وامتــشقْه وهاجم الحقْدَ فى الطريق[٢].

أنا على ناصية ميدانك أدور كالكرة، وأنا على بساط هجرانــك أتــدحرج كحبَّة الجوز .

حرف (ل) (ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥)

١ ــ يا مَنْ وَجْهُك مثلُ عين الشمس فى بُرج الحَمل، ويضربون المثلَ لحُلْكَــة اللَّيل بعِذارك .

افتح عِذارَك ينساب الضِّياءُ للنهار، واكشفْ عن وجهك يقع الخللُ فى اللَّيل .

إذْ يتسنَّى لوجهك ولِعذارك أنْ يتبدَّلا باللَّيل والنَّهار ألفَ مرَّة فى لحظة .

يا مَنْ حلقةُ الخداع فى وهق عِذارك، وسهمُ الجبَل فى قوس حاجبك .

كــلُّ مَنْ يتعب مــن الخــداع لا تَعلَّقه إلاَّ بالحيَل، وكلُّ من يتعلَّق بالحيَل لا تَدَعه إلا بالخِداع .

اختفى الأجَلُ بجرأة فى جَزْعك[٣]، وظهر الأملُ بحُسْن فى ياقوتك[٤].

أرجو أنْ يركن جَزْعُك الجرىءُ إلى وسَن النوم، حتى أنــالَ نــصيبًا مــن حُسْن ياقوتك الياقوتى .

---

(١) أى : اسلبْ بهاءَها.

(٢) أى : امْحُه.

(٣) أى : لحظك.

(٤) أى : ثغْرك.

فى القلب الحبُّ لك، فلماذا تجافينى[1] ؟!، وفى نَفْسى شوقٌ إلى أنْ أحادثك وأتجادل معك .

ومهما كان سعيُك للجفاء أيها المعشوق؛ فلا تَبْتَعِدْ عنّى، ولماذا الجفاءُ مكان المجادلة ؟!.

١٠ ـ أنا أيها المعشوقُ بوصْ قلم[2] وجمِلُ هواك جعل ـ لقبَ ـ المرحوم المستنذَل حقيقةً عليَّ.

فلا يليق بك أنْ تعتمد على أىِّ قلم سوى على قلم " سيد الوزراء الصَّاحب الأجل "

فهو صَدْرُ الدين والدنيا الذى يجعل الدينَ لحال الخَلْق بالعلم، والدنيا لهم بالعَمل.

* * * (ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦)

١ ـ ما إنْ تَعلَّق قلبى بتلك الوَجْنتين بلون الشقائق، حتى أضحيتُ مشتعلَ القلب دائمًا كالشَّقائق

صار وجهى بلون الرخام[3] من لطمة الشَّقائق، وصار قلبى رخامًا[4] فى عشق وجه شقائقى الوَجَنات .

خَالُ ذلك المعشوق وثنيَّةُ طُرَّته حَبَّةٌ و شَرَكٌ، وأنا متعلِّقُ القلب بتلك الحبَّة والشَّرك عُمْرًا .

(١) حرفيًا :" أى قلب لك تعاملنى به "؟!، ولقد فضَّلتُ ـ هنا ـ ما تنَبَّه إليه "همائى" فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢٥) من أن كلمه (جدل) فى الشطر الأول من هذا البيت هى (جدل) على سبيل الإدغام .

(٢) أى : محنى القامة.

(٣) أى : أزرق.

(٤) أى : جامدًا.

ما إن تطلّعت عينى إلى ذلك المعشوق عدّة لحظات، حتى تجرّع قلبى شَرابَ عِشقه أقداحًا .

وحين أحَلّ الألمَ لعينى والفاقةَ لقلبى، سلَب العينَ النّومَ وحَرّمَ الراحةَ على القلب.

فى هجران ذلك المحبوب لعينى وقلبى؛ صارت العينُ ساهدةً ورغبةُ القلب محطّمَةً .

ولن تنالَ العينُ النّومَ القريرَ والقلبُ السعادةَ التّامةَ إلاّ على وصال الحبيب .

ما إنْ عزم الحبيبُ على الرحيل عنّى، حتى سبقَه القلبُ وعقد أسبابَ الرّحيل وحقّقَ رغبتَه .

وكلُّ منزل نزل فيه المحبوبُ، سبقه القلبُ وتلاقّاه بالتّحيّة والتّرحاب .

١٠ـ كيف لحالى الساذج أنْ يصبح ناضجًا مع القلبِ؟!، لقد جعل القلبُ حالى النّاضجَ ساذجًا على مائه لون.

وأنت تقول لى : أن اصبِرْ واثْبُتْ، وفى النهاية، وكيف أصبر؟، بأىَّ قلب؟!.

* * * (ص ٣٢٦)

١ ـ يا مَنْ اقترض العقيقُ لونَه من شفاك، وطَلَبَه من لون عارضيك .

فما أسعد شفاك؛ فمنها استمد العقيقُ لونَه، و ما أجمل شفاك التى اقترض العقيقُ منها اللّونَ .

أعرف لك وجهًا وشفةً عقيقين، ولا أعلم أىَّ عقيق سوى وجهك وشفتك .

لو تضع عارضَك على رخام وتُرسل قُبْلةً، يصير الرخامُ عقيقًا من انعكاس ذلك العارض الحَسَن.

الناظر إلى شفتك وعارضك ينطق باسمك، فالعقيقُ أيها الغلامُ هو وجهُك، والعقيقُ أسيرُ شفتك .

حتَّام يمطر جَزْعى الياقوتَ[1] دائمًا على الكهرباء[2] لفراق شفتك ووجنتك العقيقيتين .

ويسمُّونك من لون عارضك وشفتك، يا مَنْ أكون أسيرًا لمن ينطق عليك اسمَ العقيق.

إنِّى أرغب فى أن أكون أنا وأنت فى مجلس ننعم فيه بالسُّكر وكؤوس الخمر العقيقية فى أيدينا.

وجهُك كالعقيق وصار وجهى عقيقًا من انعكاس وجهك، والخمرُ عقيقيةٌ ومنها صار الكأسُ عقيقًا.

١٠ – أخشى من صُفرة الوجه فلا كان ذلك اليوم الذى يصير فيه القفا بلون العقيق من صفعة القاضى الإمام .

حرف (م) (ص ٣٢٦ ــ ٣٢٧)

١ ــ يا قرينَ القلب أنا غريبٌ، ويا راحةَ الروح أنا فى معاناة منك .

ومع أنك قرينٌ لقلبى ولروحى، فأنا غريبٌ عن قلبك وروحك .

الألمُ الذى عانيتُه من تَتَبُّعك، والمعاناةُ التى تجرَّعتُها من عشقك .

كلاهما دليلٌ وبرهانٌ دفعةً واحدةً كى تعرفَ أىَّ نوع من الرجال أنا .

أنَّى لىَ أنْ أجتثَّ غُصْنَ الوفاء والمروءة مثلَك؟! .

---

(١) أى : الدَّمْع الدَّموى.

(٢) أى : الوجه الشاحب.

فى عشقك، ألقى "توبةَ " القلب والروح، فيسقط " نَــرْدى " فـــى " مكعـــب الرقعة "(١)

أيها السَّرْوُ الفضِّيُ، أنا فى فراقك فى أنين وشحوب مثلُ النَّاى الذهبى .

يا ذا الشَّفة الياقوتية، أنا من فراقك شاحبُ الوجنة كالكهرباء .

أنا فى صراع مع جيش هجرك كلَّ عام على أمل الوصال .

يكون البلاءُ للمسافر، وأنا لا أربح وصلَك من بلاء المسافر .

أطوف كالرياح حول بابك بنار القلب وماء العي .

وأنا من ذلك الماء ذليلٌ كالتراب، وأنا من تلك النَّار باردٌ كالرياح.

أصيد عشقك بالروح، وأنا الفريسةُ حتى ينتهى العُمْرُ

* * * (ص ٣٢٧)

١ ــ الصَّحيحُ أنَّنى لا أكون مستقيمَ القلب إلاَّ معك، ولا أسير إلاَّ على الــدَّرب الذى أشار إليه قلبُك .

لو أنحرف عنك أيها المعشوقُ لحظةً واحدةً طوال العُمْر، فلا أكون مع سيد العالم نصفَ لحظة إلا مستقيمًا .

ذلك لأنَّك تزيد فى الحُسْن ولا تُنقص منه، وأنا أزيد فى عشقك ولا أنقص منه .

كلُّ شخص جلس فى طريق عشقك ونهض عنه، أما أنا فــذلك الــشَّخصُ الذى لم ينهضْ مطلقًا من ناصية عشقك.

قدُّك المستقيمُ كالسَّرْو الطَّليق المشذَّب، وأنا ذلك العبدُ الذى لم يشذِّبْ سوى ذلك السَّرْو.

---

(١) استفاد الشاعر هنا من ألفاظ لعبة " النَّرد" فى تكوين صـــورته وإن كانـــت غيـــر واضـــحة بالصورة المرضية لنا.

إن لـــم أكـــنْ مـــزيَّنَ القلب من عشق وجهك الفاتن، فأنا ذلك العبدُ الـــذى لا أكون مزيَّنًا وجْهَك الفاتنَ(١).

حرف (واو) (ص ٣٢٨)

١ــ أيها المعبودُ، تجاوزت فتنتُك وجورُك كلَّ حدٍّ، أنَّى يُستَغاث من جُورك الذى لا مجيرَ منه.

أيها المحبوبُ، كنْ فاتنًا وظالمًا فأنا بك مفتتنٌ، فمثلما أنا مفتونٌ بـــك فأنـــا مفتونٌ بفتنتك وجُورك .

طالما أنك أيها المعشوقُ تلميذٌ لـــ "كله دوز"(٢)، ألا فيجعلْك الحظُّ مباركًـــا لأستاذك .

فلو أنَّنى أريد الابتعادَ عن عينك أصابتنى بنظرة، فلتكنْ عينى مبردًا مـــن أهدابك الفولاذية كالإبرة .

* * * (ص٣٢٨)

١ ــ ليس لىَ معك مجالٌ للوئام، فامضِ، فأنت لم تترك للوئام مجالاً، فامضِ

لقد أحترفتَ طريقَ الوقاحة، فإنْ لم يأتِك من الوقاحة خيرٌ، فامضِ .

ما دمتَ تظنُّ بنا السَّذاجةَ، فامضِ إلى ذلك الذى يملك شغافَ قلبك .

وما دمتَ تطلب منا المودةَ والحُبَّ، فلا تدفَعْنا عنك وتخلطنـــا بـــالتراب، وامضِ .

فحينما قلتُ لك : اضْرِمِ النَّارَ فى الفعل السَّيِّىء، اعتبـــرتَ حـــديثى مثـــلَ أدراج الرياح؛ فامضِ .

---

(١) أى : زينتُه طبيعيةٌ ولا تَحتاج لزينة ومزيِّن .

(٢) اسم الصبى معشوق الشاعر كما أشرنا من قبل .

تناولنا معك العشاءَ والفطورَ، فامضِ إلى ذلك الذى حمل إليك الغَدَاءَ .

لقد دُرْتَ بالخبزَ خطيبًا إلينا، فامضِ وحَذَارِ يا خطيبَ " راشت "[١].

حرف (هـ) (ص ٣٢٩)

١ ــ أيها المبيِّض[٢]، لقد سوَّدتَ قلبى فى العشق، فأنت لم تحسن الاتجاهَ إلينا بالبياض .

أنت المبيِّض[٣] وتعرف جيدًا فى غَسْل الثِّياب، ولكن حينما ظفرتَ بالقلب سوَّدْتَه وأتلفتَه .

يدُك مبيِّضةٌ وضفيرتُك مسوَّدةٌ، وأنت بلا ذنب حيالهما أيها البُدرُ .

أنت مبيِّضُ الثياب بيد بيضاء، ومسوِّدُ القلب بضفيرةٍ سوداء .

احملْ نورَ وجهك الشَّبيه بالشمس إلى النهار، فالأبيضُ واليابسُ يطول زمنُه أثناء غسيلك.

حينما كانت قدمُك تدوس الملابسَ فى ماء نبع الشمس، كانت يدُ عاشقك تعوم فى ماء العين[٤] .

جَرِّبْنى فى أىِّ وضع فى الماء؛ فى ضَرْبى بالحجر وإزالة العوالق بها.

أنا أضع رأسى على مشنقتك الخشبية فاضربْ بالمعول، وإنْ أتأوَّه ؛ فلأننى مهمومٌ فى عشق وجهك.

---

(١) اسم مدينة فى أقصى خراسان (الديوان. لغات ص ٤٥٥).

(٢) استخدم الشاعر مصطلح "سپيد كار" وتعنى حرفيًا " مبيِّض النحاس"، ولكن الشاعر فى الغزلية يقصد بها " منظف الملابس والثياب" ولقد حافظت في الترجمة على كلمة " المبيِّض" لأنه يقابل بينها وبين مشتقات "اللون الأسود".

(٣) أى : المنظِّف.

(٤) أى : تمسح الدَّمع.

كفَى ما كان لىَ من عشقك أيها المحبوب، فقد كان لىَ أحيانا عينان وقت مطالعة جمالك.

١٠ـ فلا تمنعْ عبدًا لو يطالع من حين لآخر عن طريق الحب ذلك الوجه الشَّبيه بالقمر .

يا مليحَ اللَّمىَ، لاتظنَّ أنَّنى أتطلع إلى وجهك بعين الخيانة معاذ الله.

* * * (ص ٣٢٩)

١ ــ أيها المشاهدُ " دجلةَ " فى "بغداد" ألا أقبلْ، لو تتذكرها بفؤادك .

وانظرْ إليها بعينى، فإنها تزيد فى عين واحدة لىَ عن سبعين "دجلة " .

فإنَّ "دجلةَ " قد فَتَحَتْ لىَ من العيون ما رأت بالعشق وجْهَ " بغداد" معشوقًا.

و"دجلةَ" قد فتحت لىَ من العيون ما رأت " بغداد" بدونها جهنم .

ما إنْ رأت عيناى بهاءَ " بغداد "، حتى منحتهما " دجلةُ" هواءَها .

لو يصيب قَذَى عينى، تستغيث " دجلةُ" من الجفاف .

وحين تأتى " دجلةُ" فى عينى سرابًا ورياحًا صفصفًا أبكى من عشقها بغزارة .

ولو أرسل إلى " بغداد" رسالةً، تكون : لتكنْ " دجلةُ" مثلَ عينى(١).

حين يأتى الماءُ من " بغداد" إلى عينى، فإنَّه يتوقف خجلاً منك يا "دجلةَ "

١٠ ــ عَسَى أنْ يبقى أساسُ " بغداد" عامرًا فى الدنيا بماء " دجلة " .

فليدمْ لىَ بقاءُ " دجلة" و"بغداد"؛ لأنَّ لهما وقعٌ طَيِّبٌ فى نفسى .

---

(١) أى : مليئةً بالماء.

حرف (ى) (ص ٣٣٠ ــ ٣٣١)

١ ــ أيها الغلامُ، لك طُرَّتان حائرتان، ونارُ وجهك مضرمةٌ فى الطُّرَّة .
طُرَّتُك تجمح حتى إلى عشق عارضك، وأنت تطيح بجموحنا إلى طُرَّتك .
أنا طامحٌ لعشق وجهك مثلُ طُرَّتيك، فحتَّامَ تُزيِّن أيهــا الغــلامُ خــصلات طُرَّتك .
أنت تحمل إلى زُلف اللَّيل وإلى القمر خُلْكةً من طرَّتك وضياءً من وجهك .
حين ترفع رايةَ حُسْن وجنتك، فأنت ترفعها على شمس المشرق .
شفتاك العذبتان على صدف الدُر[1] وعلى السُكَّر[2] تحطِّم مخيمَ العسكر[3]
مثلما تطلق سَهمَ أهدابك على القلب وحده، فأنت تطلقه على الجسد والروح والكبد أيضًا.
يا مَنْ شيَّدتَ بوجنتين من الأرجوان والشَّقائق فى عــشقك قــصْرًا علــى وَجْنَتَىَّ .
وجنتاك الشَّبيهتان بالنَّار سَلَبَتَا منِّى نظرةً واحدةً، فأضرمْتَ النَّارَ فى قلبــى بنظرة واحدة منك .
١٠ ــ حتَّامَ تُطلُّ برأسك من فتحة ثوب لُطْفك وتلابيب دلالك ــ وتفلــت ــ مــن قبضتى؟!
لقد تمنطقتُ بنطاق الخدمة، ولا يتسنَّى القولُ : أىُّ باب تطرقه سوى بــاب الخدمة .
اقبلْنى عَبْدًا ولا تقلْ لعاشقك: إمضِ، واطرقْ بابًا آخر سوى هذا الباب .

---

(١) أى : الأسنان.
(٢) أى : الثغر.
(٣) فى (الديوان . لغات ص ٤٣٦) : هو مخيم فى خوزستان ملىء بالسكر وقــوارير الــسُكَّر وسُكرهُ نال شهرة.

* * * (ص ٣٣١)

١ ــ لو تسلك أيها الغلامُ طريقَ الوفاء إلينا، فلن تطلب منىَّ درعًا لسَهْم جفائك .

لقد أودعتُ طريقَ عشقك إلى الروح ياروحَ أبيك، مع أنك تـودع طريـقَ روحنا إلى العداوة مرةً أخرى .

لم أكنْ قد شاهدتُ جمالَ عارضك فترةً، والآن أنا متطلّعٌ إلى بابـك مثـلُ إنسان العين .

يسهل علىَّ تعدادُ صفات محيَّاك، تارةً بالشِّعر البديع وتارةً باللَّفظ الدُّرِّى

وحين أراك أقول : عليك عينُ الله[١]، باسْم الله ما شاء اللهُ على حُسْنك أيها الغلامُ .

أيها المحبوبُ المقدَّسُ الطَّبع، ما أبهاك، ما أبدع رَسْمَك وما أبدع الرَّسَّامَ .

أنت تتشابه مع السَّرْو والقمر ومع المسْك والوَرْد، وحين أتطلع إليك فأنت الأجملُ فى هذه الدنيا .

أنا لا أقارنك بالسَّرْو والقمر والمسْك والوَرْد، لا.. لا، فهم موضعُ مقارنة مع الآخرين .

كيف أقول إنك قرينٌ للسَرْو وأنت القائدُ ؟!، كيف أقول إنك رفيقٌ للقمـر وأنت الصَّدْرُ؟!.

١٠ ــ لو أقول إنك مسكٌ ووَرْدٌ تصير فى الذَّائبة وتثقل قلبى، وتقول لىَ: انتبـه إلى خِفَّتى .

سواء أسميك سَرْوًا وقمرًا وسواء أدعوك مسْكاً ووَرْدًا، فكيف أدعوك إلى أنْ تعذرنى أيها المحبوب ؟!

---

(١) أى : حفظك الله.

فأىُّ سَرْوٍ وأنت السَّرْوُ الطَّليقُ؟! وأىُّ قمرٍ وأنت بَدْرُ الـتَّم؟! وأىُّ مسْكٍ وأنت مسْكُ "طراز" ؟! وأىُّ وَرْدٍ وأنت الوَرْدُ النَّدى ؟!.

أنت المحبوبُ ذو الوَجْنَة الشقائقية والقمـرُ ذو الذَّائبة المسكيَّة، أنت المعشوقُ الصِّينى الفاتن والحورُ ذو الصَّدْر الفضِّى .

راحةُ الروح فى وجهك ومعاناةُ القلب فى عِذارك، وحنظـلُ النَّـاى فـى غمزتك، ولكنَّ السُّكَّرَ فى شفتك .

فأنت تسلب ألفَ قلب وتنتزع ألفَ روح بدلال واحد وغنج واحد من ثَغْرك العذب ذلك.

أيها المحبوبُ، أنت تتشابه مع الحور والملاك فى اللَّطافة والحُسْن، ومستَقَرُّ الحُور فى الخُلْد، ومستَقَرُّ ذلك الملاك فى الدنيا.

لو أحصى صفات جمالك عليك، فلا تظنَّنَّ أنك تحسب أحدًا يماثلك .

ومثلما أنا بلادراية بشأن قلبى وروحى، فأنت أيها الآسرُ بلا درايـة بقـدر جمالك.

أنت على هذه الدرجة من الجمال، لأنَّك فى الجمال والكمال عظـيمٌ سَـيِّدٌ فاضلٌ.

٢٠ ــ أيها العظيمُ الفاضلُ، الذى له من باب الكمال السيادةُ على السادة .

انمحت تمامًا آثارُ الطمع بسبب يده المعطاء، وولَّت أيامُ الظلم فـى عهـد عَدْله .

من الأزل صار لوليِّه نصيبُ السعادة والحُبور، وصـار لعـدوِّه نـصيبُ المزلَّة والحزن .

العالمُ يعجُّ بشهرة جلاله وهو فى الحَضَر، وبصيت جاهه وهو فى السَّفر

طالما يتنقَّل نسيمُ الصَّبَا دائمًا من باب إلى باب، فليكنْ لعدوِّ دولته نـصيبُ ــ الهروب ــ من باب إلى باب .

* * * (ص ٣٣٢)

١ - لماذا يَتدرَّعُ الوَرْدُ(١) بناصية عِذارك، عندما ينبغى له أنْ يتدرَّع أمام الوَرْد من الرياح.

لا عَجَبَ أنْ يَستسلم المسْكُ والوَرْدُ، أيها الغلامْ، ولونُ الـوَرْد ورائحتُـه لرائحة عِذارك.

لا أدرى لماذا يُهَيِّىءُ دائمًا وَرْدُ وجهك حول القمر دائرةً مليئـةً بالمـسْك والنَّقاء .

لطالما أطالع عِذارَك واستَملحه وأنت تمسك به وتقوم بتصفيفه.

لماذا حين أطبعُ قُبْلةً علـى وَرْد عارضـيك، يأخـذ التَّـصفيفُ بحلقـات عِذارك؟!.

أىُّ قوةٍ وشجاعة يمدُّنى بهما هذا القولُ؟!، لقد أهرقتُ القولَ فى هذا الباب المفتوح .

لماذا فى وصف عِذارك وعارضك، لا أُحْمَد على التَّغَـزُّل بهمـا بـاللَّفظ الدَّرِّى(٢).

مع أنَّنى خادمٌ للُّغةِ الدَّرِّية بروحى أو عَبْدٌ لها من كثرة إعزازى واهتمامى بها أيها الغلام .

لقد قلتُ ألفَ مرَّة إنَّنى أخفى سِرَّ عشقك، فأنا لا أجبنُ وأبوح بالسِّر .

١٠ - وحين تَعْبُر فجأةً على ناصية حَيِّىَ؛ أمضى مرَّةً أخـرى مثـلَ الـوالهين محافظًا على سِرِّى.

تأسَّفَ الخَلْقُ لفراقك؛ لأنَّك أشدُّ حُسْنًا من "يوسف" بكثير .

---

(١) أى : الوجنة.

(٢) يعنى اللغة الفارسية الحديثة، وربما كان يعنى أنَّ التَّغزل فى المعشوق باللغة العربية أنـسب وأبلغ .

لقد عَمَّ العالمَ بلاؤُك وفتنتُك وجُورُك، فكفَى أيها الغلامُ، لماذا تقضى فى الظُّلم عُمْرًا ؟!.

* * * (ص ٣٣٤)

١ ـــ كفَى ما أصابنى من نرجسك النَّدى وشقائق عارضك؛ فنرجسُك يا محبوبى قد أجْرى الشَّقائق على عارضى .

نرجسُ محبوبى، أسودُ وأحمرُ كالشَّقائق، أسودُ مثلُ يومى من العشق وأحمرُ مثلُ وَجْنَته.

نظر ذلك المحبوبُ فى المرآة وطالع فيها نرجسَه النَّدىَّ بالنُّور وعارضَه الشَّقائقى.

صارت عيناه النرجسيتان فتنةً على عارضيه، فيا لى من ذلك المحبوب سَرْوى القَدّ عَنْبرى الشَّعْر .

لقد اندفع الماءُ من الجَزْع على الشَّقائق من جدول النَّرجس، فذرع الدنيا هكذا بلون الشَّقائق ورائحة النَّرجس .

الاسمُ نجمٌ(١) والعارضُ قمرٌ والشَّعرُ غاليةٌ، لقد اكتسب القمرُ والنَّجمُ منك النُّورَ وطيبَ الرائحة.

فأُمطر نجمًا على وجهى فى عشقك؛ لأنَّك تُخفى البَدْرَ بالغالية يا قمرى الوجه .

قلتُ لمنَجِّم : هل يوُجد أمامك فى الفَلك أىُّ نجم مثلُ " نجم كلاهدوز" ؟، قلْ لى.

فأجاب: يوجد فقط فى سماء الحُسْن والجمال واحدٌ هو " "نجم كلاهدوز" وأنت وحدك الذى ترصده .

---

(١) أى : " نجم كلاه دوز"، معشوق الشاعر وهى تعنى " حائك القلانس ".

١٠ ــ أنا منجِّمُك يا نجمَ سماء الجمال، وأنا طالبُ السَّعادة دائمًا من نظر وَصلْك.
انظرْ إلىَّ بعين القلب، ورَاعِ أنَّ جَدْولين يتدفقان من عينى ورأسى على عارضَىَّ.
أنا أغسل نفسى دائمًا بمَاء العين[1]، يا مَنْ تغسل عيناك قلبى من الحب والوفاء.
اكتبْ لىَ رسالةً واحدةً قبل أنْ تحمل وجنتُك الصولجان[2] بالكرة الفضية[3] من الخَطِّ العنبرى[4]
امضِ أيتها الرياحُ إلى "تخشب" وحَرِّكى طُرَّتيه على عارضه إلى أنْ يُشْرق وَرْدُ وجهه لكلٍّ عبيده .
وطالما لن تصل تلك الرسالةُ إلىَّ قبل الرياح، لأنك لن تجد رسولاً منجزًا مطلقًا مثلَ الرياح .
فَغنونْ تلك الرسالةَ بالحَىِّ وصِفْه لها، فأنا أتجرَّع الذُّلَّ فى الحَىِّ قبل وصول رسالتك .

* * * (ص ٣٣٥ ــ ٣٣٦)

١ ــ البارحةَ؛ أقْبَلَ علىَّ، ذو العينين اللَّمَّاحتين، طالبًا ــ منِّى ــ التَّدبيرَ والرأىَّ الفريد .
وأطلق أمامى كلَّ ما اعتَمل به فؤادُه، بلى، هكذا اللَّائقُ بأصول المحبَّة والصداقة .
ماذا قال؟!، قال : سأمضى عنك فترةً، حتى يهدأ رقيبى بفتنته .

---

(١) أى : الدَّمْع.
(٢) أى : الطرَّة.
(٣) أى : الوَجْنة.
(٤) أى : نبت الشَّعر.

فتهدَّجت مقلتاىَ بالماء كالبحر، وانهمر من الأهداب على الوجنة من غَـمِّ الهجر فى تدفُّقٍ.

وتأوَّه رفيقى بما يكفى، وأخذنى فى حِضْنه بما يناسب داعى الهلاك .

وضمَّنى إلى صدره وهَيَّأَ جوادَ الفراق السَّريع، وقال : أيها الحبيبُ، عـلامَ العشقُ؟!.

قلتُ ــ : ماذا حدث؟ وأىُّ ذنبٍ اقترفتُه لديك؟!؛ ولماذا أنت مهيِّـئٌ هكـذا لسَعْى الهجران؟!.

عسَى أنَّ وصالى لم يكن موضعَ رضى لقلبك، فصرتَ فارسَ الهيجاء على بُراق فراقى؟!

لماذا تَطْعَنِّى بخنجر الهَجْر على قدم الوَصْل على هذا البُعاد ولا تمنحنـى شَبَابك؟!.

١٠ ــ لقد كان العَجَبُ؛ أنَّه لم يكن نصيبى، أنا المسكينَ، منك سوى فراق الحبيـب والبُعاد والعشق ــ وضياع ــ الشباب .

أنَّى لك أنْ تعلم أنَّ الهجرانَ ثقيلٌ على الروح، مثلُ خنجرٍ مَـسقىٍّ بالـسُّم بإحكام.

وانخرطتُ فى البكاء وأنا أردِّدُ: أيها المحبوبُ البديعُ، إلى أيـن تمـضى؟! وأين ستكون؟! ومتى تئوب؟!

فقال : المضىُّ عنك ضرورةٌ لىَ، فلا تظنَّنَّ أنَّ هذه رغبتى وإرادتى.

وحيثما أكون فأنا فى وفاءٍ لك وحُبٍّ، فقلتُ: يا قلبى ورُوحى، أيجب مثـلُ هذا؟.

فقال : طالما سأؤب إليك، فهو واجبٌ؛ لأنَّك تُزيِّن ديوانَ مديحى بالغَزل .

فأجبتُه : يا نورَ العين وراحةَ الروح، صار هذا حاصلَ مـرادك، فبمـاذا تأمر؟

فكَلُّ ما أنشده من غزل فى صفات جمالك، أسوقه مديحًا " لناصـــر الـــدين" سيِّدى ومولاى.

جلال الأمة مجد الأئمة " ناصر الدِّين"، أساس الفـضل والمجـد وأصـــل المعرفة.

لو حمل حاسدٌ نارىُّ الطَّبع إليه الحَسَدَ، فهو مثلُ ماء مسفوح على التراب بلا جَدْوى

٢٠ ــ يمضغ ببغاءُ طبعى السُّكَّرَ دائمًا بسبب مدحى لخَلْقِهِ وخُلق محامده ليلَ نهار.

مَنْ يجعل ترابَ أعتابه كُحْلَ الإبصار، يرى فيه ما لا يراه الآخرون .

فلينقطعْ دائمًا حبلُ أنفاس ذلك الـشَّخص الـذى يتحـدث عنــه بــالغرور والخيلاء.

المقطعات

حرف (أ) (ص٣٣٩)

١ – مديحُ "ابن الدِّهقان" يجلو طَبْعى من الصَّدأ، وحين لا أمتدحُه لا يستجيب لىَ الطَّبْعُ.

طالما أنا مخلصٌ لدولته فهو يُريد لىَ الخَيْـرَ، وطالمـا أمتَدحُـه؛ فالأيـامُ تمتدحنى لذلك.

حين أفكِّر ليلاً أنَّنى سوف أضع رأسى غدًا على أعتابه[١]، يمنعنى الفَلَـكُ الغداةَ من تحقيق هذا الشَّرف.

لو أنال صلةً من يد الآخرين فهى شىءٌ كثير، وحتى إنْ لم آخذْ منه – إلاَّ– القليلَ، يستقيم أمْرى.

فقليلُه الكثيرُ يكون أفضلَ من كثير الآخرين، وأنا أعلم دائمًا، أنَّه لا يـأمر لىَ بالقليل.

ولأجل ذلك، فأنا أنال منه "العيديةَ" يوم "العيد"، ولا يجور علىَّ مطلقًا طوال شهر "رمضان" هذا .

لو لم تثقلْ فضتُه جَيْبى؛ فلسَوف تُودى بىَ الرِّياحُ من الخِفَّة.

ولذلك فاعلمْ قَدْرَ ذلك سليل العظماء لدى الخَلْق؛ ولسانى يلهج دائمًا بالثَّناء عليه.

فلا تَزَيَّنَ شِعْرى بغير مديحه، حتى فى ذلك الوقت الـذى يـتمخَّض فيـه خاطرى بالشِّعْر.

---

(١) أى : أزوره.

فى مدح نصير الدين (ص٣٣٩- ٣٤٠)

١ - يا "نصيرَ الدين"، ليس لطبعى البليغ هذا أىُّ عمل سوى مديحك والثَّناء على صَدْرك.

صار طبعى وخاطرى فى مديحكَ البَحْرَ والمنَجَمَ؛ فمديحُك دُرُّ بَحْرى وجوهرُ مَنْجَمى.

يُعَدُّ نَظْمُ مدح صَدْرك غذاءَ رُوحى، وحين لا أمدحك، لا يكون لروحى غذاءٌ.

مع أنَّ شِعْرَ الآخرين أطيبُ من شِعْرى ؛ فإنَّك تفضِّل شِعْرى عن شِعْر الآخرين.

حتى إنَّ "ضياءَ الدين" من كثرة استحسانك لشِعْرى، أمَرَ بجمع غُثاثاتى البسيطة هذه[1].

ودَعَا أنْ يكون مديحُ الصَّاحب العادل هو المتصدِّرَ، يكونَ مزيِّنًا أوراقَ ديوانى.

فإنْ تستحسنْه[2] فإنَّه يمنحك أشعارًا عديدةً، وتنتهى إلى أنَّ غثاثاتى إنْ هى إلاَّ أصيصُ وَرْد بُستان.

وإنْ لم؛ فمنْ كثرة المقاضاة الصحيحة، ينتزع الحاكمُ شَعْرَ لحيتى.

ويرسل الصَّقْرَ الأبيضَ إلىَّ ضيفًا، كى تمضغَ شفاهُه أسنانى كالسُّكَّر.

* * * (ص٣٤٠-٣٤١)

١ - نورَ الدِّين؛ نورَ العين والحبِّ والوفاء، لقد خُلقتَ من اللُّطف والصَّفاء.

أبوك شمسُ فَلَك المكرمة، وأنت أيضًا نَسْلُ الحُبِّ والوفاء.

---

(١) أى : أشعارى.

(٢) أى : ديوانى.

كلُّ مَنْ يُولد عن حُبٍّ ووفاء، لا تنبسُ أفواهُ الأعداء أمامه بكلمة.

رؤياك شفاءُ القلوب، وإشفاءٌ لعين المرضى.

أيها المفضالُ المقبِلُ مفتوحَ الباب، أيها المنعِمُ المُكْرِمُ مبسوطَ الكفِّ.

فى كفِّك كفَّةُ المروءة، أنت المُتبَرَّكُ به مثلُ الصفاء والمروة.

حرفَتُك السَّخاءُ والكرمُ، وهما حرفتا أهل الإبداع.

أنت شمسٌ، ولا يتسنَّى لأحد إخفاءُ تلك الشَّمس.

أنت ذخرٌ للأغنياء والفقراء، وأنت سَنَدٌ للأقرباء والضعفاء.

أنت خَلَفٌ لذلك النَّبى فى الجمال، وإنْ لم تَنْتَسبْ إلى الخلفاء.

إنَّ أباك فى فراق صورتك قد أغمض عينَه وأصابه الأسفُ.

فليكن لأبويك فى وَصْلك طربٌ يَصل إلى حَدِّ الكمال والاستيفاء.

كىْ يتمتَّعَا بنور قلبك وعينيك ويستوفيا المتعةَ.

قد أطلق "السوزنى" فى ثنائك ومديحك خاطرًا حادًّا كالإبرة.

كى يقيمَ قافيةً تتَّسع لأنْ تَنتهى بحَرْفَىْ "الفاء" و"الألف".

فمع أنَّ مديحَك "لا يُخْتَصَر؛ فإنَّه اقتصر الـ"فا" على القافية.

* * * (ص ٣٤١)

١ - أيها السَّيدُ، ما دمتَ لم تُغلقْ طريقَ الخير عن عبيد الحقِّ أمواتًا وأحياءً للحظة واحدة.

فاعلمْ أنَّ "خالقَ الأشياء" يفتح لك من جامع خير الكلام من النَّبى(١) فألاً بالخير فى هذا السَّفر.

---

(١) أى القرآن الكريم.

لقد ظهرت "عسى أن تكرهوا شيئًا" فظهر الخيرُ ؛ لأنَّ الخيرَ ؛ يكون في هذه الآية "عسى أنْ تكرهوا شيئًا"(1)

فليكنْ سَفَرُك ميمونًا، وليكن الفألُ مسَخَّرًا لك؛ لأنَّ الفألَ المسَخَّرَ ينبت على الرخام والفولاذ.

حرف (ب) (ص٣٤١- ٣٤٢)

١ - لجأتُ للروح من غَمِّ الزَّمان، وحين أنوح في مكانٍ فمن هذا العناء والعذاب.

لقد كان الزَّمانُ يؤدِّبني ويلطمني دائمًا؛ ربَّما لأنَّني صرتُ صنَّاجةَ العَصْر وعازفَ أنغامه.

يضربون المثلَ بأنَّ الشَّاعرَ كذَّابٌ، فهذا المثلُ بحقٍّ الله لديَّ خطأٌ وليس صَوابًا (٢).

ففي باب مدح المَلك وقصتَّه، أقسم بروح النَّبِّي الطَّاهر أنَّني لستُ كذَّابًا.

يا موضعَ اختيار أولاد النَّبيِّ الطَّاهر، بجاهه(٣)، أجبْ كتابةَ على هذه القصة.

لقد وصلت جحافلُ الشِّتاء، وهذا "تموز"(٤) قد رَحَل، وصار الخَلْقُ مَشْويِّين دائمًا بغير نار.

فكلُّ ملابسي من برِّك وجُودك، وكلُّ ماليَ ولأبنائي من رونقٍ وصفاءٍ أيضًا.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في (سورة البقرة آية ١٦):"﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ ".

(٢) إشارة إلى ما ورد عند العرب "أجمل الشعر أكذبه. وأنا مع هذا المثل؛ فالكذب هنا معناه ما يسمى "بالصِّدق الفني" أي صدق إحساس الشاعر ورؤيته للأشياء وإنْ خالفَ الواقعَ الذي يسمَّى "بالصِّدق الواقعي" وذلك في التجربة الشعرية للشاعر.

(٣) أي:" أقسم بجاه النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) فصل الصيف.

أرفعُ إلى بلاطك حاجتى من الدنيا، ولو تكون كِسرةَ خبز تسدُّ رمقًا وجَرْعةَ ماء تَبل نفسًا.

فأنا لم أمضِ كالذُّباب من باب إلى باب ولن أفعل، ولو أمضى عن بابك كالذُّباب أكون منافقًا.

١٠ - فأنت شمسٌ، والآخرون شعاعُ قمر وضياؤه، ويتسنَّى الطَّلبُ من الشَّمس وليسَ من ضوء القمر.

ألا فأشْرقْ يا شمسَ الفضل والشَّرف على سماء السَّعادة بعهد الشَّباب أبد الدَّهر.

فليكنْ بناءُ جاهك عامرًا حتى الأبد، وليدرك الخرابُ قَصْرَ أعداء دولتك.

* * * (ص٣٤٢-٣٤٣)

١ - يا مَنْ كلُّ أمْرِ لك فى رونق وصفاء، ويا مَنْ كلُّ رأى لك حَسَنٌ وصوابٌ.

صار العالَمُ معمورًا من عَدْلك، وصار منزلُ الظُّلم والظالم خَربًا بسببك.

أنت سببُ الحياة للخلق- مثلما- يكون سببُ الحياة فى الماء.

يا مَنْ البحرُ المحيطُ أمام جُودك سرابٌ، وقلبُك المعطاءُ بحرٌ بلا قاع.

يبدو بابُ أعلى المحراب بغير حمايتك فى أعين الخَلْق سرابًا.

سعد بك، أيها الصَّاحبُ الأجلُّ، كافةُ العالم من الشيوخ والشَّباب.

أنت "عُمَرُ" العَصْر العادلُ مع أنَّ "الخَطَّابَ" ليس أباك.

الخَلْقُ اليوم يدعون لك[1]، وأنت جالسٌ فى هناءة وشراب.

فليكنْ لدعاء الخَلْق لك إجابةٌ عند خَالق العالم.

---

(١) استخدم الشاعر هنا "برتو" وهى بمعنى "عليك" ويكون المعنى بهذا المفهوم كارثة؛ لأنه يكون دعاءً على الممدوح وليس دعاءً له، ولهذا فضَّلنا ترجمتها "لك" كى يستقيم المعنى طبقا لقاعدة "أن حروف الجر تتبادل المعانى". والغريب أنه كرَّر ذلك فى البيت التالى أيضًا بما يؤكد صدق تفسيرنا لهذه الظاهرة اللغوية.

* * * (ص٣٤٢)

١ - لقد حطَّم ضيقُ الحذاء قدمى يا شهابَ الدين، وسَحقنى معه.

يا ليتَ حذاءَك يتبدَّل بمكان حذائى، فلو تفعل هذا بالنَّاس، أجعل لحيتَك هذه مكنسةً.

أريد أن يجعل اللهُ عتبتَك مذهَّبةً؛ لأنَّ العتبةَ التى تكون هكذا تكوب بـــابَ قصر جميل.

حرف (ت) (ص٣٤٣)

١ - أيها الواعظُ، أيها المنعمُ الذى لا أعلم أحدًا فى العالم محرومًا من نعمتك.

خصالُك وسيرتُك ورسمُك وطريقُك محمودٌ؛ فأنت المنزَّهُ من كلِّ خـــصلة هى مذمومةٌ.

مثلما صارت النبوَّةُ مختومةً على المصطفى؛ فمروؤةُ اليوم مختومةٌ الآن عليك.

صار معلومًا لكلِّ الدنيا أنَّ كلَّ علم فى الدنيا هو معلومٌ لديك.

لقد حلَّ الشِّتاء وسهامُه لامعةٌ حادةٌ، ومعلومٌ لديك كيــف تكـــون الـــسِّنانُ المسمومةُ.

ليس فِى داخل جُبَّتى حَشْوٌ، مع أنَّ الحَشْوَ كثيرٌ فى شِعْرى، والأمْرَ مفهومٌ لديك.

فأرسلْ عن طريق أحدٍ جُبَّةً مناسبةً لىَ، وأنا ذلك الذى يرفل فـــى الجُبَّـــة اللَّائقة.

ألا فعِشْ مديدًا وَفْقَ مراد فؤادك فى الدنيا؛ تلك التى يُتَوَهَّم أنَّه لا يتـــسنَّى الزِّيادةُ منها.

*** * * (ص٣٤٣- ٣٤٤)**

١ - أيها العظيمُ الذى قرع مثلى طبلَ مديحك أمام العدوّ والصديق.
لقد خَطَطْتَ لمديحى بالصِّلة، وأنْ نتلاقى فضَّتُها بأناملى.
فانمحى فى سبيل السَّعى إليها نعلُ حذائى وقدمى عَصبًا وجلدًا.
لقد منحتنى ذلك الخَطَّ للدعاية أو لإظهار حُسْن الخَطّ.

*** * * (ص٣٤٤)**

١ - يا مَنْ يَسْمو جاهُك على السماوات السَّبْع، وينخسف حاسدُ جاهــك تحــت الأراضين السَّبع.
صارت السماواتُ السَّبعُ الآن بمخَيمك ثمانيةً.
فالسماءُ الأولى مخيمُك، والفَلَكُ والقمرُ عَرشُك وكرسيك.
والسَّماءُ الثانيةُ هى وجهى المسحوقُ على أعتاب بلاطك.
أنت بلا نظير كالقمر فى القَدْر، وإنْ لم تكنْ قمرًا فأين نظيرُك؟!.
عارضُك مثلُ القمر وقت الظهور ووقت الاختفاء، طالما أراك من حــين لآخر.
كنْ مثلَ القمر مرشدًا وساطعًا؛ لأنَّ فى طريقك كلَّ الضِّياء.
فليُبْعِدْ كرمُ الله وفضلُه وعونُه عنك الكسوفَ والمحاقَ.

حرف (خ) (ص٣٤٤-٣٤٥)

١ - الشَّخصُ الذى يعرض عليك حاجتَه بوضوح، ارفَعْ فوق القصر رايتَه بغير تضرُّع[1].

---

(١) أى: حقِّقْ رغبتَه دون إذلال له. وعادةُ رفع الراية على القصر دليلاً على قضاء الحاجة كانت موجودةً فى ذلك الوقت.

فيا أيها المتلقى سؤالى، أنا أعلم دائمًا أنك من الذين يشعلون النارَ بحطب "الغَضَا"[1].

وقد أخبرونى بشأن الحَطب أنَّه لم يبْقَ فى البيت أىُّ غصن من الحَطب لأجلنا.

ولكم أخذتُ حطبًا بالنَّسيئ، وبائعُ الحطب اللَّئيمُ يطلب منِّى النقودَ.

وقد وضَعَتْ زوجتى وأطفالى أفواهَهم مثلَ الجَرْو الصَّغير على فوهة المشكاة من شدَّة البرودة.

وكىْ لا تُخْجِلَ الجيرانَ؛ فإنَّ زوجتى تضرب دائمًا بعبثٍ حجرًا على الزِّناد.

ألا فأنقذنى من عدم جَدْوى حَكِّ الزِّناد، وأرسِلْ إلينا حطبًا كى يضع الطَّاهى عليه وعاءً.

فلا تؤاخذْنى الآنَ على لَجَاجتى؛ فلقد جعلنى سَخَاؤُك أزيد منها.

حرف (د) (ص٣٤٥)

١ - صَدْرَ الوزراء الذى لا يستقيم على إمبراطورية " توارن "مَلَكٌ سوى قلمك.
أتريد الحقَّ، لقد قفز هذا الدِّيكُ الذى لا يترك بأى لون نديمًا إلى جوارك.
حتى تلوَّن المَلَكُ من ناحيتك، فمضى صوب الدَّجاج وهو ليس ربَّ البيت.
و يستسمح صَدْرَك بأنْ يرفع دودَ الأرض كالعبد بوَسْم القُبلة[2].

* * * (ص٣٤٥-٣٤٦)

١ - لو يليق شخصٌ أنْ يكون قائدًا على "ما وراء النهر" "وخراسان" عن طريق الأمانة والصيانة؛ فهو "خواجه فخرآور".

---

(١) كناية عن الثراء.

(٢) أى : من النفاق.

" خواجه فخرآور" الذى لو يخاطب أىُّ شخص أىَّ شَعْرة على جَسَده، يليق له عشقُ الذَّهب.
كلُّ مَنْ لا يصفو قلبُه معه بإخلاَص كالذَّهب، يليق له الانصهارُ فى نار الغَمِّ مثلَ الذَّهب فى بوتقة الصَّائغ.
هو صائغُ الذَّهب ومانحُه ويليق له فى صياغة الذَّهب وعطائه أنْ يكون "السَّامرىُّ" تلميذَه و"حاتمٌ" خادمَه.
كلُّ مَنْ يماثله فى امتلاء كفِّه بالذَّهب على طراز كفِّ العَبْهر؛ يليق له أنْ يكون أمامه مثلَ العَبْهر أمام الشَّمس.
العَبْهَرُ يَدُ السَّائل، والشَّمسُ كفُّه[1] مانحةُ الذَّهب، ويليق للشمس بلا شك خلْعُ الخِلعة على العَبْهر.
لـ"كسرى" اعتقادٌ خالصٌ فى أنْ لو تُحضر الذَّهبَ إلى محكِّ الاختبار؛ فيليق أن تكون قيمتُه بمائة جوهر.
وساعد اعتقادُه الخالصُ فى الذَّهب، فى أنْ جعل منه ومن الجوهر تاجًا يليق برأسه.
تَستَمدُّ الأصالةُ زينتَها من الذَّهب والجوهر، وهكذا تكون الأصالةُ لمن يليق له التَّزَينُ بهما.
١٠ - سمعتُ كثيرًا أنَّ الذَّهبَ يكثر تحت التراب، فلو كان هذا معقولاً فيليق تصديقُه.
فليكنْ حاسدُه متكاثرًا تحت التراب كالذَّهب، ولو يكن له كنزُ الذَّهب مثلَ "قارون" فليليق له أن يكون تحت التراب.

---

(١) أى: كفُّ الممدوح.

* * * (ص٣٤٦)

١ – أيها العظيمُ الذى تذهب شَمَّةُ خُلقه بالعَبق إلى كافة الخَلْق.
أمام كفِّك المعطاء، المحيطُ يذهب كالجدول أمام المحيط.
وكلُّ مَنْ يذهب إليك لحاجةٍ، يسمع شكْرَك فى كلِّ مكان.
وكلُّ مَنْ يأتى لديك مادحًا، يذهب عنك وهو يلهج بالشُّكْر لسخائك.
يذهب العبْدُ فى طريق خدمتك دائمًا على طريق يشبه الصراطَ المستقيم(١).
وإنْ لم يفصحْ عن مراد قلبه؛ فإنَّه يذهب إلى البيت أحمرَ الوجه(٢).

* * * (٣٤٦)

١ – يا مَنْ عبدُك الطالبُ لك من الله طولَ العُمْر، ألا يمكن سماعُ مقولةٍ موجزةٍ لىَ.
هذا فصلُ وفرة العنب، وفى هذا الوقت كيف يستطيع العاجزُ أنْ يشترى بذورَ العنب بنصف دانق.

حرف (ر) (ص٣٤٧)

١ – أيها الصاحبُ العادلُ، مع أنَّك قائدُ الكبار وصدرُهم؛ فليسَ لديك ذَرَّةُ كِبْر واحدةٌ.
بلغ جاهُك وشرفُك ومنزلتُك حَدَّ الكمال، ولم يصل إلى التَّصورُّ ما هو أزْيَدُ من ذلك.
ومع هذا الشَّرف والمنزلة والحلم والتَّواضع، فأنت لم تَتَغَيَّرْ، ولا كان لك التَّغيُّرُ.

---

(١) حرفيًا: ضبط الشَّعْرة.
(٢) أى : سعيدًا قانعًا

صار أحرارُ الدنيا عبيدَ إحسانك، مثلما لا يتَسَنَّى لأحـد الحـصولُ علـى الحرية سوى منك.

قلبُك بحرٌ لأنَّ كمالَه الكرمُ والبرُ، كفُّك سحابٌ؛ لأنَّ مثارَه الجوهرُ والدُّرُّ.

لستُ معدمًا من الجوهر والدُّرِّ؛ ذلك لأنَّني في مديحك وإلى بحر الفكر[١].

ليس في منزلي خَبَرٌ عن الجوهر والـدُّرِّ؛ فلـو كانـت جُبَّتـي وجيبـي خاويين[٢]؛ فهما عامران بالقول.

طالما القولُ موجودٌ، فإن ابتعد عنه مثلي بسبب غمِّي؛ فهو في حيرة منِّي.

فلو تفتح الفألَ في الكراسة على اسْمي؛ ترى في السَّطر الأول "قد مَـسَّني الضُرُّ"[٣].

ليسَ ليَ في أيِّ "منزل حبَّةُ بُرٍ واحدة، وأنا أكمل هذا الشِّعْرَ على قافية البرِّ[٤].

فلتعِشْ دائمًا على عرش العزِّ والشَّرف والطَّالع، حتى يموتَ حاسدُ جاهـك من الحيرة.

*** * * (ص ٣٤٧ – ٣٤٩)[٥]**

١ – يقولون لي: آخذِ " نظامي"[٦] ؛ لأنه لم يَنَلْ صِلَةً على شِعْرِه.
فقلتُ: لا أرغب، لأنَّه قال : أريد أن أنشر في طريق الشِّعر عشرات الآلاف.

---

(١) واضحٌ أنَّ المقصود في هذا البيت هو "جوهرُ" اللفظ و"دُرُّ" المعاني.

(٢) أي : من المال.

(٣) جزء من آية (٨٣) من سورة "الأنبياء" وقد وَرَدَت بشأن سيدنا أيوب عليه السلام.

(٤) أي : الإحسان.

(٥) نرى أنَّ هذه القطعةَ قد خرجت عن مفهوم القطعة إلى مفهوم القصيدة حَسْب تعريـف النُّقـاد لمفهوم القطعة وكذلك من حيث الفرق خاصةً من حيث عدد الأبيات. وأعتقد مـن مـضمونها الهجائي أنها من قصائده الهجائية، الهزلية، ووضعت هنا خطأً، وهي مليئةٌ بعيـوب القـوافي وهي أقلُّ أشعاره قيمةً من الناحية الفنية .ويؤكـد قـولي هـذا تبـادل "الـسوزني" الهجـاء مع"نظامي"المذكور في البيت خلافًا لمضامين ديوانه هذا.

(٦) هو "نظامي عروضي سمرقندي" العروضي والشاعر المعروف والمعاصر للسوزني ويـرى محقق الديوان في (مقدمته ص پنجاه ويك) أنهما كانا يتبادلان الهجاء.

فهو مَلِكُ القول ومقبلُ الدين، وهو الملكُ الذى له جحافلُ الشِّعر.
بيتٌ واحدٌ من قصيدة واحدة له، تزيد فى معناها عن عشر قصائد شعرية.
كلُ بيت من شِعْر ذلك المَلك هو مَلِكُ الأبيات، كلُّ شِعْر من شِعره هو مَلِكُ الشِّعر.
وهو يعلم ما هو أساسُ الشُّعراء، إذا ما كان الشِّعرُ حَسَنًا وإذا ما كان سفيهًا.
فلا ينشد أحدُهُم بدون أىِّ طمع فى أىِّ شخص بشِعْرٍ بالغ السَّفاهة.
ومادام الرَّسْمُ كان هكذا فى كلِّ حال؛ فهو يُوصمنى بسَفه الشِّعْر!.
لقد مَدَّ ثانيةً بساطَ الصِّلَة، وأنا أقوم بتَسْفيه شِعْره.
١٠ - لقد حَصَلْتَ على صلةٍ منِّى عن طريقٍ واحدٍ ؛ فاسلكْ طريقًا آخر وآخِذْ الشِّعْرَ ثانيةً(١).
أيها المبدعُ؛ لقد سلكتَ طريقَ الهجاء آه لو تقول عشرةَ آلاف فيها.
أيها الملكُ، حين تنظم الشِّعْرَ وفقًا لقواعده؛ فأنت المَلكُ ولك جحافلُ الشِّعر.
وحين تُطْلق لسانَك بالهجاء؛ فقدِّمْ لىَ الآنَ شِعْرًا غيرَ ما قيل.
فأنت لم تُعْطِنى دانقًا واحدًا، مع أنَّ شِعْرى طيبٌ ولستُ سفيهَ الشِّعْر.
احتفظْ بعقلك فى مكانه؛ فإنَّنى أحمل فى رأسى أيضًا شِعْرًا آخر سفيهًا.
آه لو كانت همَّتُك طيبةً؛ فأنا أعلم أنَّها تُهَيِّئ لك شِعْرًا سفيهًا.
وأنت تعلم أنَّنى حملتُ إلى المَلك ووزيره فى "حضرة سمرقند" شِعْرًا.
وأنَّك فتحتَ لىَ درَّاعتَك، ربَّما لأنها تقدِّم لىَ شِعْرًا سفيهًا.
كفَى شِعْرًا واحدًا من ذلك الرَّدئ المعيب؛ لأنَّك تُسْرِفُ فى ذلك الشِّعر المعوَّج.
٢٠ - فأنا قد خلَّصْتُ البديهةَ من تلك المنَّةَ؛ فلا تَحْفَظْ شِعْرًا قاتمًا آخر.
ولسوف أُبقى على صلتك بالعقل؛ إنْ لم أشأْ أنْ أنشد فيك شِعْرًا سفيهًا.

(١) لأنَّه لم يحققْ به الصِّلَةَ .

وأنا أفترض أنَّك رجلٌ حسَنُ الشِّعْر، وقد كان لىَ شِعْرٌ سفيةٌ فى حقِّك.
وحين تَمْتَنُّ علىَّ بذلك؛ فماذا لو حملتَ للملك ولوزيره شِعْرًا؟!
لماذا يحملون لوزير المَلك عدَّة أشعار قليلة لك ؟!.
ولو تقرأ عليه جحافلَ أشعارك كلَّها فلن تنال نصفَ دانق وإنْ تقدر.
ذلك الشِّعْرُ الذى قلته لك أعدْه لى ثانيةً، لأنَّنى لا ألقى بــه إلــى قارعــة الطريق.
ذلك الشِّعْرُ الكثيفُ الذى أنشدتَه، إنْ لم يَمْنَحْك صلةً، فآخذْه .

* * * (ص٣٤٩)

١ - يا مَنْ خاطرى مشعٌ من نور مديحك، وليس ثمة شىءٌ مصوَّرٌ فى مخيِّلتى سوى مديحك.
ما إنْ أستحضر على لسانى لفظًا عن خُلقك، حتى تصير النَّفسُ معطَّرةً من ذلك اللَّفظ مثلَ خُلُقك.
أنت شمسُ الفَلك والكرم والجود والسَّخاء، نورُك ساطعٌ من كلِّ شرفة وكلِّ باب.
لقد نثرتَ وتنثر من الدينار والدِّرهم على رأس كلِّ خادم وغلام مــا يزيــد عن عدد الذرَّة.
كلُّ خادم وغلام يأتيك مثلى، ينال منك تشريفًا مضاعفًا ومكرَّرًا.
سواء من يدك يا مَنْ يدُك تعلو على الفَلك، أو من خَطِّك يا مَنْ خطُّك حاكمُ الإقليم.
لقد حملتُ إلى "محمود العميد" أكرمه الله – أمْرَك– وقلتُ له: أعْطنى مــا هو محرَّرٌ فيه.

فطبَعَ على خَطِّه مائةَ قُبلة وقال: المقرَّرُ هنا ثلاثمائةُ درهــم عــدل مــن السلطان.

ولا شئ عندى اليوم، وسأرسلها غدًا، ولو يتسنَّى لىَ زيادتُها ثلاثمائةَ أخرى.

فسوف أرسلها غدًا معها وليس هى فقط، وكلُّ يوم يتكرَّر هذا الكلامُ العَذْبُ كالسُكَّر.

أنت الحاكمُ فى مدينتك، وأنا سأحضر غدًا وأرسلها إلى الحاكم اليوم.

هل طلبى منه أو منك؟! أو أنَّه له ولك؟!، أو القرارُ لمَنْ؟ له أم لك؟!

أمْرُك جارٍ علىَّ؛ وليكنْ جاريًا على كلِّ خَلْق البسيطة حتى يوم الحَشْر.

* * * (ص ٣٥٠)

١ - الطَّالعُ الشَّابُ مع حكمة الشَّيخ للصاحب العادل جعلَتْ هــذا البنــاءَ البهــيجَ متناسقًا ومحبوبًا.

صار هذا القَصْرُ من عظمة الصَّاحب الأجَلِّ العادل الكبير فى عــزٍّ مثــلَ الخُلْد الأعلى.

الصَّدْرُ الذى يكون تحت منَّته الخاصُ والعامُّ من الحُــرِّ والعَبْــد والمــرأة والرجل والشَّابِّ والشَّيَخ.

الصَّدْرُ الذى لن يرى مثلَه حتى الأبد لا ملكُ أىِّ مدينة ولا وزيرُ أىِّ مَلك.

مثلما أنَّه لا نظيرَ له لدىَّ بين الصُّدور؛ فأيضًا لا نَظيرَ لقَصْره المبارك هذا.

فليكنْ هذا المكانُ عامرًا به حتى الأبد، ما دام التُّرابُ ساكنًا والأثيرُ دائرًا.

* * * (ص ٣٥٠)

١ - ملكَ آل الأمراء، يا مَنْ لأمراء القول فى ثنائك ومــديحك إشْــراقةُ القلــب وضياءُ الضَّمير.

الصَّدْرُ، بحرَ القلب "نظامَ الدين" الذى عن طريق المقارنة، أمام بحر قلبك الذى لا شاطئَ له، يكون البَحْرُ غديرًا.

يا مَنْ من شدَّة جُودك وكرمك من بَذْل الفضَّة والذَّهب، تُحطِّم يدُك المعطاءُ أغلالَ البائسين.

لو تتألَّم قدمُك مِنْ سَحْق الرِّكاب الذَّهبى، فارتَحْ قليلاً لعدَّة أيام على متكأ عرشك الفضِّى.

حين يرتاح خلقُ العالم من يدك المعطاء، ضَعْ يدَك على قدمك حتى تأنسَ للراحة.

طالما يكون قَسَمُنا بثَرى أعتابك صحيحًا، تَبَخْترْ على الأرض بسعادة كى يصير ثَرى الطَّريق عبيرًا.

حرف (ز) (ص ٣٥٠- ٣٥١)

١ - أيها الملكُ، إنَّ رياحَ الشِّتاء المجنونةَ الغاضبةَ تغير على أرض "سمرقند".
وحين تهبُّ رياحُ الشتاء وتغير عاصفةً؛ فهى تهاب حقًّا شخصين اثنين وكفَى.
الأولُ مَنْ يحظى بابنة الكرْم، والآخرُ مَنْ لديه وعاءٌ من الحطب.
يا ملكَ الروح، أنت هناك فى "مَرْو"، وجيشُ البرد يغير هنا.
وحين يقتحمها(١) جيشُ البرد، ويحمل على خادمك فى أول هجمة له.
فإنْ لم يَجدْ فيها شمَّةً من الرَّاح، وإنْ لم يرَ فيها شُعْلةً من الحطب.
يقول لىَ: ألم تخبر الملكَ؟!، ألم تَخْشَ يومًا من يوم كهذا؟!.
والآن أيها الأحمقُ، اذهبْ واطرقْ الأبوابَ فى حاجةٍ كالشَّحَّاذ.
فلو تريد لخادمك النَّصرَ بجاهك على جحافل فصل الشتاء.
فاحرقْ لأجلى بخطٍّ منك طريقَ الغارة كلَّه من "آموى" حتى "مرو" وأشعلْه نارًا.

---

(١) أى: سمرقند.

وعوِّضْ خطتَنا هنا بوعاء حطب، وعلِّمْ أحدَنا كيفية إشعالَه.
وامنَحْنى فى عيد المهرجان الصَّهبَاءَ المشعَّةَ دائمًا، كى أظلَّ ثملاً من الشتاء حتى عيد النيروز.
ألا فاذهبْ فى هناءة وعُدْ فى عزٍّ ودلال، وادَّخرْ كلَّ رغبات القلب ومراده.
ضَعْ للولى وسادةً واجلسْ على العرش، وانتزعْ للعدوِّ روحَه، وألقِ به فى الجُبِّ.
فليكنْ بيدك تمزيقُ وحياكةُ الدنيا؛ مَزِّقْ قلبَ الحاسد، وحِكْ عينَ العدوِّ.

*** (ص ٣٥١ – ٣٥٢)

١ – يا ناصرَ دين سَيِّد أولاد النَّبىِّ، يا دنيا الجاه والشرف والعلم والتَّمْييز.
من فرط جُودك وكرمك وبِرِّك ومروءتك، تمنح إلى كافة الخَلْق كلَّ شئ غير مطلوب.
ومَنْ ينال غَيْرَ المطلوب هم من لاحظَّ لهم حتى الشَّاعرُ الأبلهُ الذى يكون حظُّه فى ذلك عدَّة حِزَم من البقدونس.
وحين يصل الأمْرُ إلى درجة الطَّلب بحياء وخجل؛ فإنَّه يذوب مثلَ الرصاص على النار.
ذلك اليوم الذى تمنح فيه الشئ غيرَ المطلوب؛ فإنَّ أحدًا لا يمنح الشُّعراءَ ثمرةً فى مَعْبَر.
ولو يفتشون فى ذلك المجلس السَّعيد، يجدونهم رأسَ حمار فى مزرعة بقول ذلك المجلس.
يكون حَظُّ هذه الطائفة، أنْ لو تُهيئَ وعاءً لورودهم، يجرى الماءُ فى المجرى الجاف.

أو يحملون لهم من هذا المحفل وفقَ عادتك حملاً من الذَّهب والدَّراهم الذى لا يطير بسرعة وحدَّة.

إلى مطربٍ ردئ العزف، ومشعوذٍ سيئٍ الفعل، وضاربِ حجـرٍ وحمـرةٍ وكفٍّ ومهرجٍ ومخنّثٍ.

١٠ – ومادامت الأمورُ كلُّها مُنجَزَةً بكرمك؛ فينبغى أن تصير أمورُ الشُّعراء أيضًا منْجَزَةً.

طالما تتحرك نوازعُ الشِّعْر للشاعر بالرَّاح وبالمعـشوق؛ فـانهضْ أيهـا الاحمقُ، واطلبِ الصَّبهاءَ من حَسْناوات "الخَتَن" و "التِّبت".

جَدِّدْ كلَّ يومٍ لباسَ السَّعادة والطرب، كى يتمـزَّق للبـاس الغَـمِّ أطرافُـه وتلابيبُه.

حرف (س) (ص٣٥٢)

١ – أيها الأميرُ الذى لا يُوجد علمٌ مطلقًا لم تَدْرسْه.

لا يصل إليك حصنُ العقل وكمالُ الفضل أيضًا[١]، فلا تَخْشَ أحدًا أيضًا.

فذلك الذى يخاف الأسدُ من رأسه[٢] وذلك الذى ترى أنَّ الأسدَ يهابه.

انْحَنِ لكليهما، وخُطَّ أنَّنى أخاف من شدَّة السَّحْق.

حرف (ش) (ص٣٥٣)

١ – مستوفى الشَّرق، "الملكَ محمود"، محمودٌ ناثرُ الجوهر مفرِّقُ الدُّرِّ.

فى عالم الجُود، جودُك مجالٌ للسَمَر، وسخاؤُك منتشرٌ حول العالم.

فى ظِلِّ طالعك، يضحك الخفَّاشُ على عين الشَّمس.

---

(١) أى: لستَ فى حاجة إلى حماية العقل أو كمال الفضل.

(٢) أى : حكمته.

باستثناء إنسان العين، لا يُوجد عُريانٌ من لباسك فهو للعالِم وللصاحب.
سِنُّ قلمك نقَّاشٌ على أقدام ألف شخص مثلى.
لو تدلُّنى على الكأس أتَرَعُه، ولو تدلُّنى على الغَلَّة أهيِّئ الحسَاءَ.
لو تمنح الفضَّةَ؛ فألفُ أحْسنْتَ ولو تهب الذَّهبَ؛ فألْفُ مَرحَى لك.
فأنا أريد هذه وتلك ولا أريد ألا تأتنى؛ لأننى لستُ صَقْرَ صيدٍ ولا كبيرَ طائفةٍ.
كلَّما أتانى عطاءٌ منك، كان الثناءُ جزاءً لك منِّى.

* * * (ص ٣٥٣ – ٣٥٤)

١ – عند العظماء القطعةُ الحلوةُ والعذْبةُ والخفيفةُ والجَّذابةُ أفضلُ من القصيدة الآسرة.
وكنتُ قد أتيتُ حتى أنقشَ بالمسك مدينةَ " بخارى "من خلال مديحك أيها الصَّدْرُ.
صدْرُ العظماء "نظامُ الدين" تفضَّل أنْ يسمعَ باستحسان على قِطَعى.
فأحيانًا أترنَّم بألحان مديحك وأحيانًا أتغزَّل فى المعشوقات الحسناوات والآسرات.
لقد هَمَّ خاطرى بالشِّعْر، فحلَّتْ به حُمَّى عارضةٌ وأربكته.
وصار جَسَدى الذى كان فى نار من حرارة الحُمَّى الحادة، فى صُفْرةٍ تُشبه الذَّهَبَ المنضودَ.
ولو تزيد الحُمَّى فى جَسَدى عَدَّةَ أيام، لفارقته الروحُ وتمزَّقت فيه أوصالى.
سأمضى إلى المنزل مثلَ الدِّيك المزركش، وأختار دجاجةً وكتكوتًا مناسبًا.
ألا فبدِّلْ لونى الحائل بكسوةٍ مزركشةٍ، وأرسلْها مناسبةَ المقاس وملائمةَ الشَّكل.

١٠ - طالما توجد الهناءةُ وصحةُ المزاج فى الدنيا أيها الصَّدْرُ، فعِشْ هنيئًا وفى صحَّةٍ مع الحسْناوات الحُوريَّات.

* * * (ص٣٥٤)

١ - شهابَ الدين مؤيد، أنت الذى بنور خاطرك تسبق الشمسَ والقمرَ على فَلَك الفضل .

فطبيعتُك تلك التى تفضل الشَّمسَ والقمرَ، تجعل الشَّمسَ كفــلاً لحــصانك وشعاعَ القمر بطانةً لسرجه .

يرحل " عطاردُ " على الفَلك بالغيرة و بالحَسَد منك، حين يمضى خاطرُك سريعَ الوثب ومرتَّبَ الفكر .

تارةً تذيق العسَلَ وتارةً تلدغ ؛ بسِنِّ القلم [١] وبزنبور بيت الخاطر[٢].

مادام توقيعُ عطائك النَّادرُ على هذه الدرجة من الحُسْن ؛ فأين منه السَّلسلةُ المجعَّدةُ ؟، وأين الضَّفيرةُ المصفوفةُ ؟!

لك من نصاب الفضل والحكمة ثراءٌ يصل إلى درجة الكمال، والأثريــاءُ الفضلاءُ بالنِّسبة لك فقراءُ .

انظرْ إلىَّ أنا "السوزنى " بعين همتِّك، مع أنَّنى لا أقلِّ من السَّير في طريق الفضل .

فهو ضروريٌّ ؛ لأنَّنى سوف أُدنى الغريبَ منِّى فى هذا الطَّريق، فأنا سلسٌ دائمًا للغريب وللقريب .

لقَّننى " جبريلُ " أنْ أطلبَ منك عطاءً ؛ فإنْ لم تكن ملاكًا ؛ فلماذا لك قيادةُ هذا المحفل؟!

---

(١) أى : الأول.

(٢) أى : الثانى.

١٠ – لقد كشفتُ في مجلسك السِّرَّ عن حالى وأمورى المضطربة، وانكشف سِرُّ جُرحى .
بسبب جُودك وفضلك ؛ فأنت الأحقُّ بالمديح عن الآخرين مثلما الجُودُ عن البُخْل والدِّينُ عن المذهب .
لقد سحبتُ السِّهامَ من جُعبة السؤال فانطلق مستهدفًا إيَّـــاك، يريــد نُـسْخةً واحدةً من المصحف قربانًا .

حرف (ع) (ص ٣٥٥)

١ – حلَّ شهرُ " رمضان " وكلُّ مفطر – بعد الصوم – علــى ســطح المنــزل وبإحدى يديه وعاءُ اللَّحم وبالأخرى شرابُ الفقاع (١).
لأنَّه – أى رمضان – يجعل النَّارَ طوال نهــار الــصوم متَّقــدةً، ويُهيِّــئ المفطرون الفقاعَ فى لحظة واحدة .
وتكون حافةُ ذلك القدح الخمرىِّ اللَّون والفقاعُ فيه أطيبَ لدى المفطر مــن شفة المعشوق .
بالطبع يأتي السَّمكُ في البحر إلى ناحية الشَّصِّ، لو سقطت قطرةُ فقاع على رأس ذلك الشَّصِّ .
ذلك الشَّهْدُ الذي يتقاطر فى القدح، هو الفقاعُ يتراقص فى عيون الصَّائمين وقلوبهم بسبب شوقهم له .
ياولىَّ نعمتى " أحمدُ سرخ " ؛ لك مائدةٌ، معقودٌ عليها الفقاعُ بمــاء الــوَرْد والسُّكَّر ومسْك " التِّبت " .
من طلعة النَّهار حتى المساء والفقاعُ قد استقر متواريًا في الثَّلج المــدقوق على رأس كلِّ مائدة .

---

(١) أى : مشروب البالوظة أو الفلوذج وهو شرابٌ من الشعير والقمح .

جحافلُ الشوق فى صدور ضيوفك حطَّمت الفقاعَ على رأس مائدتك كلّ مساء .

وأنا ثملٌ طوال العام من شَراب جُودك، ويتوافق هذا مع الخَلْق الثَّملى من الفقاع .

١٠ - أنا لن أغيبَ عن بساطك، ولكنْ اجعلْ لىَ راتبًا ستينَ فقاعًا لثلاثين ليلة.

فأنا أتخلَّص بفقاعك من وطأة حرارة الصوم، وإنْ لم أتمكنْ قَوَّيتُ نفسى به.

لو تأمر، أطبع على القدح قُبْلَةَ شُكْر، حين تلامس شفتى حافةَ قدح الفقاع.

فلتكنْ عينُ حاسدك وسَيِّئُ الطوية تجاهك متعبةً، على تلك الشاكلة التى يقفز بها الفقاعُ فى القدح .

حرف (ف) (ص ٣٥٦)

١ - فليكن اللهُ عونًا لك يا مَلكَ الشَّرف، ولتكن الدنيا وَفقَ رغبتك يا مَلكَ الشَّرف الموفَّق .

أنت من النَّسْل الطَّاهر للأمير " أحمد سپهسالار " أنت الأمبراطورُ على مُلك الشَّرف الخالد .

" آل على " هم المحفلُ على سماء الشَّرف، وأنت شمسُ الكمال على سماء الشَّرف .

يكون منك التَّبخترُ والفخرُ على بُستان الشَّرف ؛ لأنَّك سَرْوٌ طليقُ القَدِّ فى بُستان الشَّرف .

كلُّ السلامة والنَّضارة وعلو الشأن لك ؛ لأنَّ عطاءَك للخَلْق دليلُ الشَّرف عليك.

أنت الروحُ لجسَد الشَّرف، ولا تُوجد حياةٌ لجسد الشَّرف دائمًا سوى بروح الشَّرف .

الضعفاءُ الذين يدعون لأسرة الشَّرف، صاروا أقوياءَ القلب وأصحابَ ثراء من شفقتك .

ويفتحون دائمًا منازلَهم الخربة، ويطلقون ألسنتَهم بالشُّكْر يا مكانَ الشَّرف.

ولا تَتَسنَّى لهم رغبةٌ سوى الدُّعاء فى حقِّك ؛ فالدُّعاءُ الطَّيِّبُ خيرٌ من الخدمة باللِّسانَ الشَّرف .

١٠ - يردِّدون الدُّعاءَ لك من أول العُمْر حتى آخره ؛ فليكنْ اللهُ عونًا لك يا ملَكَ الشَّرف.

حرف (ك) (ص ٣٥٦ - ٣٥٧)

١ - أميرَ العالم، زينَ الدين، يا مَنْ تَغَار الشَّمسُ منك، يا مَنْ شَوكُك عندى وَرْدٌ وترابُك ذَهَبٌ وغابُك الصنوبرُ .

أمَّلْتَنى بالقمح ووعَدْتَنى بالأرز، وأنا بالوَهْم والتَّخيل أطهو الجوذاب[1] والكشك.

اطْوِ الوعْدَ والأملَ وعيِّنْ الصِّلةَ، يا مَنْ روحُ " حاتم الطائى " و" معن" فى جَسدٍ لك .

لأنَّ من طول الوعد والأمل، يصير مسحُوقًا للأسد مخالبُه وأسنانُه وللفيل خرطومُه وأنيابُه .

فليكنْ سيِّئُ الطَّوية لجاهك مدقوقًا مثلَ القمح والبرِّ، ومنهمرَ الدَّمع من عيونه مثلَ حبَّات الأرز .

(١) هو : مرق من لحم وأرز وجوز .

فليكنْ لطفُ الله مغربلاً المسْكَ على مفرقك، والدمُ فى حلْق حاسدك مثلَ الماء من المسك المذاب .

* * * (ص ٣٥٧)

١ - يا صدْرَ الدين، أيها الصدْرُ، يا جوهرَ الأنساب، يا مَنْ جوهرُ السَّخاء فى قلمك.

حينما تُرسل الخيطَ المسْكىَّ بالخبز في داخل الشَّصِّ إلى البحر لأجل الحوت الفضّى .

لا يخرج عن سيطرتك مُلْكٌ ولا مَلَكٌ على وجه البسيطة ولو بقدر عُقلة إصبع.

لك فى المُلك كسوةُ الدولة ؛ فلتكن طرَّةُ الملك هى باقي الطِّراز .

أخذ المَلكُ مُلْكَ العالم بالسَّيف ؛ فخذْ أنت الدنيا كلَّها بقلمك .

عدوُّك يابسٌ وأنت نَدىٌّ، ولا يقارن النَّدىُّ باليابس .

قرأ حاسدوك " قد خلت "(١)، فجاءهم فألٌ فى النَّبى " تلك "(٢).

أيها الصدْرُ الطيِّبُ، حينما صارت " حفظك الله " هى الدُّعاءَ لك ؛ فبماذا أدعو؟!

حرف (ل) (ص ٣٥٧- ٣٥٨)

١ - يا صدْرَ أسرة الرسالة، مضت سنواتٌ ثلاثٌ، لم أصِلْ على الثَّرى أمام أعتابك

لقد رَفَلْتُ بخلعتك وتجرَّعتُ من نعيمك، وكلُّ شخص يحدث له هكذا ؛ فلأنَّه متَّصلٌ بك .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ (سورة "آل عمران" آية ١٤٤).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (سورة " البقرة " آية ٢٥٣).

لكم احتميتُ بظلِّ عونك، وانطويتُ فى تلابيبك عن الجميع مثلَ الظِّلِّ مــع الشَّمس.

يكون طِلاءُ الفَلك بالطِّين أمرًا محتملاً، ولا يكون محتملاً اختفاءُ سَخائك.

ألهجُ بالشُّكْر لك بمائة ألف لسَان ؛ فأنا مفتتَنٌ بخدمتك بثلاثمائة ألف قلب .

فلو أخدمك بالروح مائةَ ألف عام ؛ أكون مع ذلك مقصِّرًا وحَيِّيًا وخجولاً .

فِكْرةُ الكفاف ورغباتُ الأطفال، جعلَتْنى أنفصل عن الزوجة والأبناء ثانيةً.

سأبتعد عنهم ثلاثةَ أشْهر بسبب الفَاقة، ولسوف أرحل إلى " سمرقند" .

ولكنْ لايتَسنَّى لىَ الابتعادُ عن خدمتك ثلاثةَ أيام ؛ لأنَّ هذا الهَجْرَ ســيكون أكثَرَ انصهارًا لرُوحى من السُّلِّ .

١٠ - والآن، أنا أنحنى على أعتابك مودِّعًا، حتى يكون فى حلٍّ منِّى، وأنا منــه فى حِلٍّ .

وإلى أنْ يُعيدنى اللهُ إلى خدمتك مرَّةً أخرى، فسوف أرحل إلــى هنــاك ؛ لأنَّنى مقيَّدٌ بهذا المكان .

فلا انقطعت رحمةُ الحقِّ عنك مطلقًا، ولا انقطعت نعمتُك عَنِّى دائمًا .

* * * (ص ٣٥٨-٣٥٩)

١ - الصَّاحبُ العادلُ، وزيرَ المَلك عدوَّ المال ؛ لأنَّ لك رغبةً وميلاً فى وَهْــب المال.

لك قلمٌ ذهبىٌّ الجَسَد فضىُّ القلب مسكىُّ الرأس، ذلك الذي يكون من كفِّــه عطاءٌ للسائل وللزائر .

تَتَدَفَّق النِّعمةُ من بَذْلك صوب سائلك، مثلما يتدفَّق السَّيلُ من أعلى صــوب المنحدر .

" مَعْنُ بن زائدة " و" حاتمُ الطَّائى " طفيليان بالنِّسبة لأقلِّ فائدة لبرِّك وكراماتك.

يا مَنْ أنت ساطعٌ أطرافَ النَّهار كالشَّمس، أنا فى عشقٍ لمديحك آناء الليل.

أنا والى النَّظْم، ولىَ أفضلُ مديح لك، لقد أتيتُ بالدَّعاء راغبًا في منزلك الرَّحْب.

لقد أصَابَ الويلُ هذا الوالى(١) وجيشَه(٢) من طالعه، بسبب الفقر وضيق أسباب الحياة .

طالما عرضتُ بالسؤال مسألةَ " أوفِ لنا الكيلَ "(٣)؛ فأنت تجيب عليها بأوفى كيل .

فطالما أنت موجودٌ فلا أطلب خُبزْى من عمرو وزيد ؛ فأنا لا أطلب نورَ الشمس من " السُّها " و " سُهيل " .

١٠ - فليكنْ ثابتًا فى دفتر أعمالك طالعُ مالك وفضلُ فضيل من أصل الملك .

فلتكنْ لك كسوةُ العُمْر، ذلك لأنَّ أفضلَ خيَّاط قد جعل أولاً فتحةَ الثوب من الأزل والذَّيلَ من الأبد .

وليكنْ انتزاعُ الروح لسيِّئ الطَّوية نحوك، مقدِّمةً لانتزاع شَعْر اللِّحية والصَّدْر والشَّارب والذَّائبة بالويل والعذاب .

---

(١) أى : الشاعر.

(٢) أى : شِعره.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : " فأوفِ لنا الكيلَ وتصدَّق علينا (سورة يوسف آية ٨٨) .

حرف (م) (ص ٣٥٩)

١ – حينما يدعو اللهُ الميِّتَ ؛ فلأنَّه قد مات، وأنا أيضًا قد عددتُه ميِّتًا .
لقد وضعتُ القلبَ وسلَّمتُ الدينَ فى اعتقادٍ خالصٍ وإيمانٍ لا يتزعزع فى الموت.
ألقي العدوُّ للأحباب خبرَ موتى، معى أنَّنى لم أشُقَّ عليهم في شيئ.
فليعرفْ عدوِّى أنَّنى الآن شديدُ النَّفس، أحمرُ الوجه، صعبُ المراس .
فى مجلس جمالٍ طبيعي جلستُ جلسةً طيِّبةً مع عدد من النُّدماء وأنا سعيدٌ غيرُ مهموم .
فى مجال العظمة أنا ذلك العظيمُ الكبيرُ، وأما مع العظماء نبية بصيرٌ حاذقٌ .
ما أكثَرَ أنْ تَذَّوقتُ السُّلافةَ اللَّطيفةَ الرائقةَ، ما أكثرَ أنْ عـــصرتُ حَـــسْناءَ ظريفةً جميلةَ المحيَّا .
وحين صار الطَّريقُ مفتوحًا للموت، فلنْ أخُطَّ للجميع بأنَّنى أودعهم، بـــل أقول: أنا لم أمتْ بَعْدُ .

* * * (ص ٣٥٩)

١ – إنْ لم يكنْ لجُودك من نتيجة يا "مجَد الدِّين"، فطلبُ عمامة لىَ لا حَدَّ له ولا نهايةَ
لىَ منها الآن اثنتان باليتان، لو لزمنى واحدةٌ جديدةٌ، أبْعهُما حينئذٍ وأحظَى بواحدةٍ جديدةٍ .

* * * (ص ٣٦٠)

١ – أيها العظيمُ ؛ من الحكمة الَّلائقة أنْ أتعلمَ أولاً آدابَ الخدمة على أعتابك .
وبعد ذلك، لو أريد منك شيئًا أتخير الوقتَ حتي يحقِّق فيه كرمُك مُرادى .

فيصير حجابُ سِرِّى عليك ممزَّقًا دائمًا، وكلُّ ما أمزِّقه أمامك، الأفضلُ أنْ أحيكه أمامك .

تناقص زيتُ العشق لمصباح عُمْرى، فلا أنا أموت ولا أنا طيـبٌ ولا أنـا أضيء.

صرتُ أنا مصباحَ الحكماء، مصباحًا بلا زيت، وهكذا كما قال " طيَّـانُ"(١) يكون فيه احتراقى .

لم يبقَ على جَسَدى قَدْرٌ من اللِّباس البسيط ؛ لأنَّنى أنظِّف به عينى وأنفـي وما حول فمى من التَّقَيُّحات .

أُقْسم بروحك، أنَّنى لا أملك اليومَ خُبْزى، وأنا على شـاكلة اليـوم مـن عشرين يومًا .

ليسَ لىَ في هذه الدِّيار بابٌ سوى بابك، ولو كان لىَ بابٌ آخرُ مـا كنـتُ مُسْتجديًا.

افتحْ لىَ بابًا بإقبالك ؛ لأنَّنى بسبب تلك المعاناة، أضع الإدبارَ على كـاهلى وأضغط عليه .

١٠ - فليغرِ الزَّمانُ بحقدٍ على أعداء دولتك، طالما أنا فى دولتك في محنـةٍ مـن غارة الحقد علىَّ .

---

(١) أحدُ الشُّعراء الهزليين الهجائين المعاصرين للشاعر، وتبادل الهجاء كثيرًا معه ومع الـشاعر المعاصر له أيضًا " عمعق البخارى " .

*** * * (ص ٣٦٠)**

١ - يا " نجمَ الدين " ؛ لم يعطنى " عثمانُ " الفضَّةَ التى خططتَ بهـا ؛ فمـاذا أصنع معه وأنا لا أرصده مطلقًا(١) ؟!

أنا أشعل القلبَ بفضَّتك، كى أشعلَ أعضاءَ وجه " عثمان " الشَّبيه بالفـضَّةَ في سبيلها .

فأنت تحطِّم بذلك الذى تخطُّه على النجم، وأنا أيضًا أحطِّم فـضَّتك إنْ لـم أتمكنْ منها .

فـأنت نجمٌ، ويتَسنَّى للنجم أنْ يسْلك الطريقَ المستقيمَ، فافعلْ ذلك ؛ لأنَّنى لا ألقى بنفسى إليك من قارعة الطريق .

حرف (ن) (ص ٣٦١)

١ - حسامَ الدين والدنيا، قائدَ تركستان، أنت الذي ينطوى تحت ركابك بلا شـك آلافُ " رستم بن دستان" .

هكذا يعلم أهلُ " سمر قند " عن عَدْلك فى " تركستان " ؛ لأنَّ تركستانَ هي سمرقند وسمر قند هى تركستان .

فى سوق أعلى جسْر سمرقند وأثناء الدُّعاء لك، أحَدُ اللصوص من أهـل "تبريز" وبخفَّة يدٍ ومهارةٍ .

سرق أموالى حين كان يتظاهر بأنَّه يبيع بطةً على أعلى الجسر ثم خـرج من الباب بكلِّ دهاء .

أنت معروفٌ بالفضل والعَدْل على الجملة، لأنَّ البلابلَ تصدح في البُسْتان بفضلك وعدلك في أرجاء العالم .

---

(١) أى : وهو بلا منجم

تفضّلْ واقرأ هذه القصةَ المؤلمةَ، وحين تقرأها، خُذْ بحقٍّ صاحب القـصَّة من ذلك الظَّالم بعَدْل الإنصاف .

أعلى الجسر يكون مثلَ البُستان، وذلك اللِّصُّ مثلَ الفاكهة، فأرسلْ بفـضلٍ ومروءةٍ تلك الفاكهةَ إلى هذا البُستْان[1].

لقد ترك ألمَ الحلْق مصحوبًا بالسُّعال، والكتبُ تجعل علاجَ ذلك شربةَ مرق اللَّحم مع العِنَّاب وعنب الصحراء .

لو ذهب ذلك المالُ من يدى مثلَ اللَّبن من الثَّدى، فلا عجبَ أنْ يعودَ إلـى الثَّدى ثانيةً بفضل عَدْلك .

١٠ - هم يعلمون أنَّنى بلا رعاية فاجعلْ لىَ فى الروضة مجلسًا، وإنْ لم أسـلكْ طريقَ المجلس أكنْ من الثُّمالى .

الآنَ وقت الشتاء، وقد أرسلتُ هذه القصَّةَ إلـى ذلـك المجلـس، وحـين أصدرتُ آهةً من صَدْرى صار الشِّتاءُ صيفًا .

قَصْرُك من حيث الحُرْمة مثلُ المدينة المحفوظة، ولقد أرسلتُ هذه القـصة إلى تلك المدينة السَّعيدة .

* * * (ص ٣٦١- ٣٦٢)

١ - أيها الماضي إلى " كاشان" خذْ مديحى وأوصلْه إلى مليكى حيث يكون .

قبِّل الأرضَ وقدِّمْ عنِّى أولاً فروضَ الطاعة، وأنشدْ عليه هذه القصيدةَ .

قلْ له : إنَّ " السوزنى " صار نحيفًا هزيلاً كالإبرة من شوقه إلى خدمتك .

---

(١) أى : ما أخذه اللِّصُّ منه ويعيده إليه .

وقلْ له : يا قائدَ العصر وصَدْره، يا مَنْ تزيد سعادةُ خدمتك في قلبه لحظةً بلحظة .
لو تَسْتَقدمنى الآن للخدمة لديك ؛ فمنك الإشارةُ ومنِّى الطاعةُ .
طالما لم يَرَ أحدٌ دائمًا فى العالم شبيهًا له في الأرض الساكنة والفَلَك الدَّائر.
فليكنْ عدوُّ دولته ذليلاً كالأرض، وحائرًا حول وجه البسيطة مثلَ الفَلَك .

* * * (ص ٣٦٢)

١ – الصَّاحبُ، رمزَ المُلك، الذى يقترض مَلكُ النجوم(١) الضِّياءَ منك ومن رأيك السَّاطع .
كذلك تتمرَّد أعينُ النظَّارة على مَلك النجوم بعد التَّمعُن فى جمالك .
لا يخفى على رأيك أنَّ " السوزنى" الشَّيخَ الدَّاعي لك حينما صار مغمومًا من خبز الأدنياء .
مزَّق الثيابَ على جَسَده من الجور، وبقي بلا خبز وممزقَ الثياب فى غمٍّ العرايا وبلا خبز الدَّاعرين .
أنت ملجأُ مساكين أقليم إيران، فيا ملْجأَ المساكين، اصلحْ شأنَ هذا المسكين.

* * * (ص ٣٦٢ – ٣٦٣)

١ – يا صَدْرَ الدِّين والدنيا الخالدُ، ابتهجْ، واصنَعِ الحُسْنَ والمروءةَ مع أهل الدين والدنيا .
أنت السَّيِّدُ والمقدَّمُ على سادة الدنيا، أىُّ قَدْرٍ للدنيا، فكن في الدين مقدَّمًا .
ما دمتَ " آدمَ " بالحُرمة، وأبناؤك الرعيَّةُ ؛ فاظْهر الأبوَّةَ وراعِ البَشَرَ .

---

(١) أى : الشمس.

أنت " عيسى ابنُ مريم "، فاصنعْ من كفَّيك الجوّادتين مع الجُود صَنْعَةَ "عيسى ابن مريم" مع الموتى .

لاطفْ عوامَ الزّمائم واجعلْهم خاصتك، واجعلْ من خاصة العدوِّ عوامَ الزّمائم .

إنْ لم ترَ فى عهدك " البلعمى " و" العتبي "، فاجْعَل البلعمي " و" العتبي " من مرآةٍ مجلوّةٍ .

طالما الغِنَى أفضلُ من الغمِّ فاجعلْ ذلك لأنَّه الأفضلُ ؛ – أى – اجْعَل الغِنَى للأحباب واجْعَل الغمَّ لأعدائك .

إنْ لم تُوجدْ سماءٌ أو أرضٌ، فاجعلْ من قَدْرك سماءً ومن علمك أرضًا .

طالما يتَسنَّى فى الدّهر صنعُ الصهباء من العِنَب، فاجْعَل البشاشةَ من الرَّباب واجعلْ عنبَ الصَّهباء درغميًا(١).

١٠ – أقبل شهرُ " محرم " وأتى بـ " عيد المهرجان "، فاجعلْ عادةَ " المهرجان" عيشًا محرَّمًا .

طالما الطَّربُ أفضلُ من التَّعب، فعشْ مع الطَّرب دائمًا، وطالما البهجةُ أفضلُ من الغمِّ، فابتهجْ أبدًا .

* * * (ص ٣٦٣)

١ – مثلما تَجب لىَ بالثناء على " منتجب الدين " صلةٌ فاخرةٌ من الحرير .

فإنه يجب لىَ الخبزُ والماءُ والذّهبُ والفضّةُ والخَزُّ والبُرْدُ والحريرُ من نظم مديحه وأمثاله .

كلُّ مَنْ ينظر إلىَّ بعين الإعزاز، فهو بالنِّسبة لىَ " المأمونُ " و"المعتصمُ" و"المعتزُّ ".

---

(١) نوع من الشراب منسوب إلى " دَرْغَم " وهو اسمُ موضع . (فرهنگك عميد) .

ذلك الصَّدْرُ له حرفةُ الفضل، وكلُّ شاعر فى حرفة النَّظم بالنسبة لىَ مثلُ التَّيس أمام الأسد الهصور .
ذلك الشخصُ الذي ينال منه ثلاثين ذراعًا من القَصَب، هو في المقارنة معى فى الشعر على بعد ثلاثين ذراعًا وثلاث عقد .
فشِعْرى الأطلسُ والخزُّ والحريرُ، وكان قماشُ المجلس المفتول[١] عوضًا لىَ عن أطلسي وحريرى[٢] .
لقد مضت مدَّةُ ستة أشهر على ذلك الشِّعْر المطول لديه[٣]، فيجب عليه قراءةُ قطعتى الموجزة هذه .
فيرسل صلةَ تناسب ذلك الشِّعْرَ، و إلاَّ يعيد إلىَّ شِعْرى ولا حاجةَ لىَ .
فبعد هذه القطعة العَذْبة الحلوة، لا يأتي إنْ شاء الله أىُّ فجاجة لخاطرى النَّاضج بالعشق .

* * * (ص ٣٦٣ - ٣٦٤)

١ - اطْلبِ الهدايةَ من علم الشَّريعة، لأنَّ علمَ الشريعة ليس دونَه علمٌ .
فى طريق الشَّرع، اقْتَدِ بـ " نجم "، ألستَ المرشدَ لطريق الشَّرع ؟!
مادام " الدِّهقانُ حَسَنُ " هو النجّمَ الهادىَ، تزيد الهدايةُ على الهداية .
إنْ لم تكنْ نجمًا هاديًا، ألم يقل الله تعالى " وبالنَّجْم هم يهتدون "[٤] ؟!

* * * (ص ٣٦٤)

١ - الأجلُّ " ناصرُ الدين " بنُ " ناصر الدين " هو إمبراطورُ العَدْل على " آل ياسين".
كتبت السَّعادةُ باسمه على تاج الشَّرف " سلامٌ على آل ياسين"[٥].

---

(١) لأى : الكليم.
(٢) أى : شِعْرى.
(٣) أى : لدى الممدوح ومجلسه .
(٤) سورة (النحل) آية (١٦) .
(٥) سورة (الصافات) آية (١٣٠) .

أميرُ دار مُلْك النُّبوة، الَّلائقُ للإحسان الجديرُ بالتَّحْسين .
لا يشاركه فى مُلكه بفضل الله ملوكٌ وسلاطينٌ .
" قيصر" فى " بلاد الروم " أقلُّ عبيده، و" فغفور " فى " بلاط الصين " أصغرُ خدمه .
لا تجد أحدًا من خاصة الدنيا وعامَّتها ليس قاطفَ وَرْد من حديقة إنعامه .
صار الدِّينارُ لديه حصادَ يد السَّائل، ولذلك – اصْفَرَّ – وجهُ الدِّينار المكسَّر خجلاً .
لا قرينَ له في الشَّجاعة مثلُ جَدِّه " عليٍّ المرتضى " صاحبِ معركة " صِفِّين ".
يا مَنْ جَدُّك كان ملكًا على الأنبياء منذ أنْ خُلق " آدمُ " من الطِّين .
أنت مَلكُ دار مُلْك السِّيادة، الَّلائقُ للدولة مثل " خسْرو " لـ" شيرين " .
رضاك قَصْرٌ فى صحن الجنَّة، مخالفتُك سجنٌ فى قَعْر سجِّين .
فلْيَستَقرَّ فى قَصْر الجنان، ذلك الذي يتَّخذ أعتابَ رضاك وسادةً له .

حرف (و) (ص ٣٦٤- ٣٦٥)

١ – يا مَلكَ الدَّهاقين وسَيِّدَهم بالمال والمُلْك، ويا شَمْسَ الفتوَّة وقَمَرَها بالنُّور والضوء .
يا مَنْ حلقةُ مُرادك فى أذن الدَّهْر، تَعنى أنَّه(١) الفَلَكُ الدَّائرُ، وتلك الحلقةُ هى الهلالُ .
ما إنْ سَحَبَتْ يَدُ الدَّهر حلقةَ عنايتك فى أذنى، وقالت لىَ : صِرْ عبدًا .
حتى سَحَقْتُ رأسي على الفَلك من صيرورتى عبْدًا، وصارت حريَّتى مشروطةً بتلك العبودية .

---

(١) أى : الدَّهر.

فى قصَّة شكوايَ من أفاعيل الدَّهر، انظرْ بعين الشَّفقة واسمعْ بأذن القلب.
كنتُ أعضُّ بالنَّواجذ على خُبز قمحك سنواتٍ طويلةً مثلَ المنجـل حَسَنِ الحصاد.
وعلى رائحة ذلك القمح كنتُ أسرع لإقامة بَيْدرٍ، وأهيِّئ كلَّ لحظة بقبضتى وساعدى منصَّةً(١).
وكنتُ حينذاك ذا خُبْزٍ وشِعْرٍ، والآن لدَىَّ الشِّعْرُ ولا يُوجد الخبزُ .
اكتبْ براءةَ القمح الشَّهرية لأجلى، واحملْ لىَ خُبزًا لمدة عام من قمحك .
١٠ - فلتكنْ حتى الأبد فارسَ جَواد الإقبال، وليكنْ جَوادُ عُمْرك بطيءَ السَّير ولا يَعْدو مسْرعًا .

* * * (ص ٣٦٥ - ٣٦٦)

١ - صَدْرَ الأمراء " محمدٌ بنُ على "، يا مَنْ يكون علوُّ الفَلك بصَدْرك .
لىَ، أنا العَبْدَ، غُلوٌّ فى طاعتك، على شاكلة الشِّيعة مع " آل على " .
أنت بهذا الشَّكل وحيدٌ بين الكرماء ؛ لأنَّ الزَّمانَ لا يجود بثانٍ مثلك .
لدىَّ رغبةٌ فى أنْ أمْسَحَ أعتابَك بعينى وحاجبي(٢) .
فأنا أحتمى بهذه الأعتاب ؛ لأنَّنى لا آمن كيدَ العدوِّ.
فأزحفُ من بين كلِّ الأحباب قاصدًا إحدى الزوايا .
فأنا بدون صاحب العِذار العَنْبرى أحترق على النَّار كالعُود .
لقد كنتُ دومًا محمَّلاً بجواهر الألفاظ، وأنا الآن محمَّلٌ بلآلئ العيون(٣)
وقد جفَّ اللُّعابُ فى فمى من سوء صنيع الفَلك الدَّائر .
١٠ - فإنَّ رَحَى الحَلْق لا تطحن فمى الجاف ومابه من نفايات .

---

(١) كى تَذْرو الرياحُ حبَّه وتنقيه .
(٢) أى : بوجهى
(٣) أى : الدموع

فهى تلقي بكلٍّ الأشياء وتأخذ صداقى تفاحتين وحبَّةَ مشمش.
أنا لا آتى للسوق لشراء الخُبز، فلو أتيتُ، فأين ثمنُ الخبز ؟!
لقد كانت عادتي وطبعى لعدَّة أيام أنْ أبدأها بتناول الحسَاء .
ومن نبع المروءة والجُود والكرم، وعن طريق الخُلـق الطَّيِّـب والسَّيرة العطرة .
أرسلْ ليحضر إلىَّ يومًا ولو قليلٌ من قطع الشَّحم .
أنا أعتمد على همَّة مروءتك، لا أرجو لها أنْ تفى بما أطمع فيه .
فليكنْ وفاؤك لكلٍّ مَنْ يطمع فيما لديك من مُلك لا إله إلا هو .

حرف (هـ) (ص ٣٦٦)

١ - مكتبةُ القاضى " ضياء دين الله "، الذى يُعَـدُّ الإمبراطـورَ علـى فـضلاء عصره.
تشبه بستانًا بهيجًا هو بستانُ منجم المعرفة، وأفضلُ مـن حديقـة " إرم " بثلاثمائة طريق .
لقد تَزَيَّن فى كلٍّ ناحيةٍ بألوان الوُرود المتنوعة، بحيث تتمرَّد العينُ – على غيره – حين تطالعه .
حين صار البُستانُ آيةً وبهاءً، وصنعوا فيه دَرْءًا للعين قِدْرًا مكسورًا.
أىُّ حاجةٍ لقِدْر البُستان الأسود، فقد تَحَتَّم على ديواني الأَخْذُ به .
مَنْ لم يَمْدَحِ " الصَّدْرَ " وضياءَ دين الله "، فلـيكنْ أسـودَ القلـب الوجـه والدَّهر.
فلتَقْصُرْ يدُ العَناء عن تلابيبى، وتَقْصُرْ يدُ الألم والغَمِّ عن تلابيبه .

* * * (ص ٣٦٧)

١ - لقد جعلتَ هذه الروضةَ منتجعًا لأهل الحُكم، يا مَنْ روضتُك أفضلُ منتجع لأهل الحكم .
يمتدحك أربابُ الحُكم على هذه الروضة، بقدر ما يكون المدحُ أفضلَ من الذَّم لدنْ أهل النُهى .
طالما ينشغل أربابُ القول بمديحك ؛ فإنَّ الفَمَ يكون أفضلَ من كلِّ أعضاء أرباب القول .
الأذنُ التى لا تَصِخ سَمعًا لمديحك ؛ فلتكنْ صمَّاءَ ؛ لأنَّ الصَّمَمَ أفضلُ لها .
ذلك البناءُ الشَّهيرُ الذى شيَّدتَه فى هذه الروضة، زينتُه أفضلُ من رؤية حَسْناء.
فليكنْ بجاهك مثلَ البيت الحرام من حيث الحُرْمة، ولتكنْ سعيدًا فيه طالما كانت السَّعادةُ أفضلَ من الغَمِّ .
لا يُوجد على وجه البسيطة أفضلُ من " سمر قند " حُسْنًا، طالما أنَّ القَنْدَ أفضلُ من السُّم .
أفضلُ علاج جميل للقلب فى مدينة " سمر قند" هو قَنْدُ الشِّفاه فى الوجه الذى هو أفضل من لون "بَقَم "(١).

* * * (ص ٣٦٧)

١ - أيها القاضي المحترمُ، يا مَنْ علَّمتَ الخلقَ الرَّأىَ السَّديدَ والتَّدبيرَ الصَّائبَ.
لقد قضيتَ أعوامًا ترتق ممزَّقَ الأعمال داخل الأعمال .
أريد مُقْرِضًا، كى أدحضَ برودةَ فصل الشِّتاء بنار قرضه .
فلا يُوجد لدىَّ حطبٌ حتى أدفعَ أمامه بهيبةٍ شعلةَ الزِّند والحجر(٢)
ولم يبعْنى البستانىُّ والقروىُّ والمرتعشُ(٣) حطبًا بلا ثمن .
أيتَسنَّى لك صُنْعُ أىِّ تدبير، كىْ أشعلَ نارًا عاليةَ اللَّهب ؟!

---

(١) شجرةٌ سامقة ثمارها وأوراقها حمراء اللون ويؤخذ منها اللون الأحمر . (فرهنگك عميد).
(٢) أى : حتى أشعله.
(٣) كلمة (خلج) فى المعاجم تعنى : طائفة فى بلاد التركستان وتعنى أيضا الشخص المرتعد والمرتعش .

* * * (ص ٣٦٧ – ٣٦٨)

١ – " نظامَ الدين " مَلكَ شباب الأمراء، يا مَنْ ذاتُك ممزوجةٌ بالرحمة .
لقد كتب الله تعالى عشقَ حُبِّك فى قلوب الخَلق .
لا أعلم أحدًا من كلِّ الخلائق، لم يزرعْ بذرةَ حُبِّك في قلبه .
القلبُ وهو يردِّدُ مديحَك بدونك ينفطر من الغَمِّ شطرين مثلَ حبَّة الكمثرى .
فأنت تعانى من ألم العِرْق المدنى[1]، وينساب على وجنتيك من جَزَع عينك خيطٌ ممتدٌ[2] .
فلتجعلْ أنفاسُ " عيسى " ذلك العِرْقَ عهنًا، ولو برقَّة خيط "مريم"[3].
فليكنْ دعاءُ أحبابك لك مجابًا ومختومًا من الملائكة بقول : آمين .

* * * (ص ٣٦٨)

١ – صَدْرَ الدنيا والدين، يا مَنْ يُعَدُّ ثَرى أعتابك كُحْلاً لعَين أهل الدين .
يطرق الملوكُ بابَك العالى، ويلثمون أعتابَه وطبقاتهِ .
كبَّلَ عَدْلُك أيدى الظَّلمة، وحَزْمُك عينَ الفسقة .
لقد نلتَ قصبَ السَّبْق على أهل الدنيا فى حُسْن العمل وطيب السُّمعة .
أنت لأهل الدين والدنيا أبٌ عن طريق المروءة والشَّفقة .
أنفق كلٌّ ابن روحَه عليك لأجل صحَّتك .
حتى تحسَّنْتَ، ووَهَبَ الله روحَك العزيزةَ لعبيدك[4].
فضَحِّ الآنَ فى السِّرداب ببقرة، تصبح فى مطبخك مرقةً .

---

(١) كلمة " رِشته " تعنى : الحبل والسلسلة والسِّلك والصَّف . وتعني أيضًا نوعًا من الأمراض يُسَمى " عِرْق مدنى " وهذا المعنى الأخير هو الذي فضَّله محقق الديوان في قسم " لغات " الملحق بآخر الديوان (٤٦٥) .

(٢) أى : دمع.

(٣) رِشتهٔ مريم : تعنى خيطًا غاية فى الرقَّة قيل إنَّ " السيدة مريم" نسجته، ويضرب به المثل فى رقته .

(٤) أى تفضَّل عليهم بشفائك لأجلهم .

* * * (ص ٣٦٨- ٣٦٩)

١ - " سعدَ المُلك " أيها الوزيرُ السَّخيُّ، يا مَنْ كفُك المعطاءُ سَحابٌ ملئٌ بالنَّدى[١].

تَنْبُتُ الشُّقائقُ على وجه سائليك [٢]، من سَيْل كفِّك المعطاء .

هذه البقرةُ الخجنديَّةُ ذاتُ القرون قد ضَعفتْ وصارت حوليًا .

الحِمْلُ على كاهلها وأنيهُا يصل إلى الفَلك، ولا قدرةَ لها على الشكوى.

والشِّباكُ العَشْرُ صارت على هيئة الشَّرك، خمسٌ منها خاوٍ وخمسٌ منها ملىء.

وأنا وعجلُها معها قد قضينا عدَّةَ سنوات عديدةً .

وأنا أزرع بقرنيها لأجله المالَ والنِّعمةَ والمتاعَ.

وأحمل لأجله كلَّ يوم لبنَ العَمَّة والخالة دِنَانًا.

وهو لا يقدم لنادريسًا ولا عطاءً، فاعلمْ أنَّنى عاجزٌ وهو على هذه الحالة .

١٠ - وكلانا بلا غِطاء ولا دريس، ونترقب قدومَ قافلة العيد .

ليحملَ " سعدُ الدين" لطويلتنا العَلَفَ ؛ نصفُه تبنٌ ونصفُه نخالةُ السِّمسم.

فامضغْ إنْ لم يكن لديك بثورٌ وطفْحٌ فى اللسان والشفة والأنف.

اطلبْ غطاءً ودريسًا وبهجةَ العيد، لأجل الوجيه العجل.

واطلبْ لـــ " سعد المُلك " من المَلك عمرًا يناهز مائةً وعشرة أعياد وستين أيضًا له.

---

(١) الشاعر – على ما أتصور – يستجدى عطاءً من الممدوح ؛ لأن بقرتَه أتت إليه بعجل يكلِّفُه ولا ينفعُه بشىء.

(٢) تَبْدو علامات الصّحة عليه .

* * * (ص٣٦٩- ٣٧٠)(١)

حرف (ى) (ص ٣٧٠)

١ - السَّيِّد " محمدُ بنُ محمد " الذى يُزْهر خُلُقك الطَّيبُ الوَرْدَ فى فصل الـشتاء بغير ربيع .

فإنَّ خُلُقك اللَّطيفَ أطيبُ رائحةٍ بكثير من ذلك العَرق الذى يتـساقط فـى القارورة من النَّار والوَرْد(٢) .

اليوم سيحلُّ العَبْدُ (٣) عليك ضيفًا، حين لا تكون قارورةُ المساء منخفـضةً عن الثلج .

فإنَّه معدَمٌ حتى أضْحى زُويهدًا مثلَ ذلك الأعمى شديد النِّفاق "عبد الله بـن أبي ".

فلو كان يقدر، لأحضرَ معه معشوقةً حَسْناءَ لطيفةً مثـلَ الـصبوح فـى القارورة.

وطالما هو فطنٌ فله الوقارُ ولك القارورةُ، ولو صار ثملاً فلك الوقارُ ولـه القارورةُ.

فهيِّئْ المجلسَ الذى لا يَوجد فيه أحدٌ سوى الحَسْناء التـى تعـزف علـى الرَّباب وسوى الصَّهباء والنَّاى .

و" أحمد" نديم الرَّاح، و" أسعد " عازف النَّاى، أو ذلك الذى يُـردِّد علـيهم حديثَ الحَىِّ.

---

(١) قطعة مكررة، وسبق ورودُها كما هى تماما فى الديوان فى الغزليات ص ٣٢٩، ٣٣٠، تحت حرف الهاء . وسبق ترجمتها كاملة فى موضعها فى الغزليات من هذه الترجمة .

(٢) أى : العنبر.

(٣) أى الشاعر نفسه .

فهذا شرطُ العَبْد، فلو أنَّك ربُّ البيت فصِرْ عبْدًا بهذا الشرط[1] وإلا فأرسلِ الرَّاحَ إليه.

١٠ – حتى يكون العبدُ ضيفَك ؛ فادْعُه إليك، ولا تحتسبْ عدمَ مجيئه غنيمةً.

طالما لا يُطوى الفَلكُ مثلَ الرسالة زمنًا ؛ فلا طُويت رسالةُ عُمْـــرك مـــن دورة الفَلك .

* * * (ص ٣٧١)

١ – تطلَّع الشيخُ الأجلُّ "الرشيدى" إلى القبر فرأى "ســـابقى " و " نجيبـــى"[2] المتَّفقين معه في الرأى.

لم تكترث الدنيا بهؤلاء المخالفين بموت الموافقين " نجيبى" و " سابقى" .

لقد هيَّأوا للموافقين الجنَّةَ، وهكذا يكون الحديثُ بلا نفاق أيها الموافقون.

فياربِّ، اجعلِ الجنَّةَ جزاءً لهؤلاء الموافقين الثلاثة ؛ فأنت الغفورُ عن جُرم الخلائق وذنبهم .

* * * (ص ٣٧١)

١– بالأمس تصادف أنْ نزلتُ على جمْع من الشُّمالى، لم يكن بينهم آلةُ طنبور وعَزْفٌ .

وفجأةً دخل رجلٌ ضخمٌ مختلٌّ أبلهُ لا يعرف العزفَ.

يحتضن ربابًا يشبه " سفينةَ نوح "، ويحمل أمامه صَنْجًا بدائيًّا.

الأوتارُ عليه مثل زنابير النحل، والمضرابُ فى يده يشبه الإبر .

جلس وأسرع فى جدالنا، ولكن لم يبدأ فى العراك معنا .

---

(١) أى : قُمْ بواجبات الضيافة له .

(٢) هؤلاء الثلاثة شعراء معاصرون للشاعر .

وكذلك كان عزفُه فى آذاننا، مثلَ إصابة حجر مفاجئ للأسنان.
وجاء عزفُه لدينا مثلَ حاله، وكان وقْعُ عَزْفه على رُوحنا ليسَ عَزْفًا.
فتحطَّم الوعاءُ على رأسه ويده ولسانه من شدة الضِّيق .

* * * (ص٣٧١- ٣٧٢)

١ – المَلِكُ، سليلَ الأمراء، الوزيرُ عالى القَدْر، الذي لا يُوجد أيُّ أمير ووزير يماثلك.
بسبب عَدْلك لا توجد أيُّ مدينة تماثل " سمرقند"، وحين يكون عزمُك في "بخارى " فلا مثيلَ لها .
لا يقوى العَبْدُ[1] عن ابتعادك عن " بخارى"، مثلما تقول : إنَّ اليوم موجود وغدًا غيرُ موجود .
ولو يزيد تأخُّرُ العَبْد عن خدمتك ؛ فاللهُ يعلم ؛ ستراه ثانيةً أم لا ؟!.

* * * (ص ٣٧٢)

١ – يا مَنْ رواقُ قَدْرك على خَطِّ الاستواء، وصار بعظمتك مستويًا كالخُلد الأعلى.
استوى في الحديقة الطَّربُ وحالُ الحياة، واستوى لحنُ المطربين ذوى الأصوات الشَّجيَّة .
السَّماعُ العَذْبُ والوجهُ الحسَنُ غذاءٌ للروح ؛ فليكن من كليهما غذاءٌ لروحك اللَّطيفة.

---

(١) أى : الشاعر نفسه .

أنت " صاحبُ قران " والدنيا بأسْرها لك، بلى ؛ فأنت في الدنيا " صـــاحبُ قران" للمُلك.
لقد اشتريتَ الدنيا من شرقها إلى غربها بالسُّمعة الحَسَنة،ودَوَّنَ الزَّمانُ خَطَّ الشراء .
ما دامت الدنيا موجودةً ؛ فابدأ كلَّ يوم فيها بالسعادة والطرب .
أنت فى العظمة مقتدى الشَّرق والغرب، وحيثما تكــون العظمــةُ ؛ فإنَّهــا تقتدى بك.
فأنت مَلكُ العصر والوزيرُ الموفَّقُ وعدوُّك مثلُ " الملك فى العرى"[١].
صَدْرُ وزارتك مزيَّنٌ باسمك، مثلما مقامُ النُّبوة بسَيِّد الوَرَى .
١٠ – هكذا وضع اللهُ العلوَّ فى الفَلك، ولم يساو الفَلكَ بهِّمتك .
لقد بنى اللهُ سراىَ دولتك وجاهك، فتخال أنَّه أسَّسَها وفقَ همَّتك .
طالما يُمثِّل الجميعُ بالثَّرى والثُّريَّا فلتكنْ أنت فوق الثُّريَّا وخصمُك تحــت الثَّرى.

---

(١) جملة "شاه در عرى " تعنى فى لعبة " الشطرنج " الملك الواقف مكانه بلا حركة . (فرهنـــگك معين) .

المسمطات

فى مدح افتخار الدين على (ص ٣٧٥- ٣٧٧)

١ - أظهر فصلُ الربيع النَّضيرُ لونَه واريجَه، وأزاحت أزاهيرُه النِّقابَ عن وجهها بفعل النَّسيم العليل .

وما إنْ جَلا البُستانُ الوَرْدَ على أطراف جداوله، حتى أبانَ على وجْهه النَّضر أنَّه عاشقٌ للدنيا .

والطائرُ الصَّدَّاحُ ينتقل من أصيص إلى أصيص وهو يدعو بصوته الشَّجى محبوبَه إليه .

كيْ يمنحنى حُسْنُ طَبْعه الرائعُ هذا اليومَ السرورَ

لمدح المحبوب والتَّغزل فيه

صار الماءُ الصَّقيلُ داكنًا من بَرَد سُحب الربيع، وأضْحى التُّرابُ الدَّاكنُ لامعًا من ضياء مَنْبت الشَّقائق .

١٠ - وتُمطر سُحبُ الربيع الدُّرَّ النَّفيسَ، فتحتضنُه البرعومةُ فى صَدْرها بوقاحة وجرأة .

والشَّقائقُ النَّديَّةُ فى الربيع تعجُّ بالألوان والنقوش ؛ فتكون بالعقيق الصَّافي[1] دُرْجَ الدُّرِّ النفيس.

فتخال أنَّ للشَّقائق ثَغْرًا يناجى الحبيبَ

إنْ لم تكُ مكدَّرَ الفؤاد مثلَ خصم الدِّهقان الأجلِّ .

استيقظ النَّرجسُ عبقُ الرائحة من نومه الهنيء، وصارت عينُه الوسنانةُ ذات بصر.

وتصادق مع زَهْرَتَىْ الشَّنبليد والبنفسج فى الخميلة، وصارت الخضرةُ ملساءَ كالدِّيباج والوَرْدُ عَبقًا كنافجة المسْك التَّترى .

---

(١) أى : حُمرة لونها.

وأصبح البستان ذليلاً بين يدى عطر ولون سنبله ودبياجه، فالبستانُ الهادئُ صار بزّازًا وعطارًا بنفس الوقت .

وأمطرت سُحبُ الربيع اللؤلؤَ للغواص بلا ثمن

طالما يضربون لها المَثَلَ بكفٍ ممدوحى المعطاء

" افتخار الدين على " ابنُ " فخر الدين خال "، ذلك الذى تزيَّنت الدنيا به مثلما يتزيَّن الوجهُ بالطُّرَّة والخال .

" فخر الدين خال "الذى يتساوى مع قَدْر الفَلك فى الكمال،"افتخار الدين على " الشبيه بالشَّمس فى الجمال .

ليس محالاً لو تظهر شمسٌ مثلُه من فَلك الرئاسة والاحترام والجاه والجلال.

ذلك الفلكُ الذى لا يفنى وهذه الشمسُ التى لا تزول

فليكنْ حتى قيام الساعة، ذلك بلا غبار وتلك بلا زوال

ذلك السَّيِّدُ الذي يكون طَبْعُه مزيَّنًا مثلَ الربيع، انطلق من جاهه سَرْوُ بُسْتان الرئاسة.

تَنَزَّهت يَدُه عن المكاره والمعايب كلِّها، وسأله العدوُّ راغبًا فى محبَّته .

صفحةُ طالعه دائمًا مثلُ بَدْر التِّم، وخطُّ أمره يُهيِّئ حُسْنَ الأمن للخَلْق .

للخَلْق تعلُّقٌ به مثلُ المطر لتحقيق حاجاتهم

وأمام كفَّيه المعطاوين وابلُ المطر أقلُّ من الطَّلِّ

ذلك السَّيِّدُ الذي تكون مدينةُ " نسف " به الفردوسَ، ولأهل الحَضْرة من إقباله الجاهُ والشَّرفُ .

لا يصدر نحو الخَلْق منه سوى المراعات واللُّطف، وتُستخرج المروءةُ من خُلقه مثل اللؤلؤ من الصَّدَف .

ليس ثمَّةَ محاربٌ سواه فى معركة الحريَّة، ويُضحِّى بالمال بقلمه وكفِّه جُودًا وكرمًا .

فى الفضل تخال أنَّه خَلَفٌ " لصاحب الرَّى"

فى الكرم تقول : إنَّه بَدَلٌ " لحاتم الطَّائى "

العظمةُ التى نالت منه رونَقَها، صار عملُها أنْ يقرع طَبْلُها نوبةَ العظمة أمام بلاطة.

يتمنطق العظماءُ لخدمته بنطاق العظمة، فقد جدَّدت العظمةُ به سيرتَها ورسْمَها وشعارَها .

حينما يكون بلاطُه عزَّ العظمة وافتخارَها، يكون تعاملُ العظمة كلُّه فى بلاطه .

فلتكن السَّعادةُ والتَّوفيقُ فى عهد عظمته

حتى يصير حاسدُه مهمومًا وذليلاً ومختلاً

ياذا الطَّالع الشَّابِّ، إنَّ طالعَك الشَّابَّ يعلو " زُحَل "، ورأيُك هو "المشتَرى" الحاكمُ فى الفَلَك .

يبسط " المريخُ " حقدَه على سَيِّئ الطَّوية نحوك، و " الشمسُ " المشعَّةُ قدحُ مجلس محفلك .

حين تأخذ بالقدح فى المجلس تكون " الزُّهرةُ " مثلَ المطرب، وحين تمسك بالقلم يكون " عطاردُ " مثلَ الغلام .

يصير " القمرُ " فى كلِّ دورة قمر على هيئة نَعْل ذَهَبى(١)

على أمل أنْ يصير ذلك الياقوتُ(٢) نَعْلاً لجَوادك

أيها الفريدُ العظيمُ الحكيمُ الكريمُ النبيلُ، يا مَنْ كفُّك المعطاءُ كفيلةٌ بأرزاق الخلائق.

---

(١) أى : هلال.

(٢) أى : الهلال.

أنت فى الفضل والجُود بلا عديل وبلا بديل، أنت لـصاحب الصَّمْـصام[1] سَمِيٌّ وعديلٌ .

يفتخر بك دينُ المَلك الجليل، ولا يريد " فخرُ الدين " سيِّئَ النيَّـة لجاهـك سوى الذليل .

ويريد لك جاهًا عريضًا وعمرًا طويلاً

ويريد لك عزًّا وإقبالاً أبديًّا لا يزول

فلتكن أسرةُ " فخر الدين" معمورةً بك دائمًا، وليكن طبـعُ " فخـر الـدين" مسرورًا بك العُمْرَ كلَّه .

وليكن لقلبك ولعينك منك السرورُ والنُّورُ، وليكن الحبُّ لك مـستويًا فـي القلب مثلَ سرٍّ القلب .

ولتبتعدْ عينُ السُّوء عن محبٍّ دولتك، وليكن حاسدُ جاهك متـأذى القلـب عليلَ البدن .

وليكن الدَّهرُ على أعدائك وأحبابك مثلَ الزنبور

نصيبُ الأعداءِ منه منه لسْعُ الزنبار والأحبابِ طعمُ العَسَل .

---

(١) أى : علىٌّ.

فى مدح صدر الدين (ص ٣٧٧- ٣٧٩)

١ - خرج ملكُ النجوم[١] من برج الحَمَل ؛ فنال برجُ الثور مقدارًا من عظمة المَلك ومكانًا .

قسَّمَ المالَ والكنزَ والعرشَ على السَّهل والجبل، ومَنْطَقَ البستانَ بفرشٍ من الجواهر الملوَّنة .

وصارت الحديقةُ مرصَّعةً بالجواهر، والبستانُ قبل هذا يكون على سبيل المثال شديدَ النُدرة وبلا شبيه .

الملكُ[٢] في السماء ويبدو عملُهُ هنا

مثلما أنَّ الصَّاحبَ هنا وإقبالُه على السماء

هبَّت رائحةُ رياح ذائبة المعشوقات على الصحراء ؛ فَنَبَتَت الخضرةُ من التراب مثلَ خَطِّ الفاتنات[٣] .

وتقاطر ماءُ عين السحاب[٤] على البُسْتان كالعاشق ؛ فتفتح الوَرْدُ فى البُسْتان مثلَ عارض الحسْناوات .

وصار البلبلُ فى البستان ثملاً بغير احتساء النَّبيذ، وأخرج كالثَّمل ما لديه من صَدْحٍ وشَدْوٍ فى عشق الوَرْد .

وبانَ الشَّبابُ على الدنيا من بعد شيخوخة

فتخال أنها بإقبال الصَّاحب قد صارت جنَّةً

١ - طالع الحديقةَ والبُسْتانَ من باب متعة المشاهدة، وهَيِّئْ أسبابَ المتعة وتعاملْ مع الأمور الأخرى بحُسن.

---

(١) أى : الشمس.

(٢) أى : الشمس

(٣) أى : نَبْت الشَّعْر

(٤) أى : المطر

وزدِ اللَّهوَ والسَّعادةَ والحبورَ والنَّشْوى، واتَّجه صوبَ الروضة فى صُحْبَة المعشوقات والحَسْناوات .

دَبِّرْ أمورَ السَّعادة واسْلكْ طريقَ المتعة، وأيقظِ العندليبَ الوَسْنانَ من نومه اللَّذيذ .

وصاحبِ العندليبَ حاذقَ الصَّدْح .

وأتلُ مديحَ صدر الدين والدنيا الصاحب العادل .

الصَّاحب العادلُ الذى ينصهر الظُّلْمُ من عَدْله، فقد صار بابُ تحقيق العَدْل وردْع الظُّلْم مفتوحًا وعلى مصراعيه من عَدْله .

ليس للظالم تَصلُّتٌ على المظلوم من عَدْله، ويضع المظلومُ مقراضًا على قلب الظَّالم من عَدْله .

تجدَّد مرَّةً أخرى رَسْمُ ومَذْهَبُ "عُمَر " من عَدْله، ويقترن فى القطيع الذِّئبُ والتَّيسُ من عَدْله .

وتَبْنى القطاةُ والحمامةُ أعشاشَها بكلِّ أمان

على هامة الشَّاهين وجناح الصَّقر من عَدْله .

ذلك السَّيِّدُ الذى بطالع الشَّاب ورأى الشَّيخ له المُلْكُ على الملوك بقلم يشبه "عطارد " .

الحقُّ أنْ ليس ثمة مَلكٌ مختارٌ لمُلك " توران " يشبهه، فهو معمَّمٌ (فقيه) بلا عديل ولا نظير يشبهه .

يكون لمَلك التَّاج والعرش سعادةٌ ويُمنٌ من صريم قلم "صدر الدين " منشرح الضمير.

مَنْ يكون للمُلك الصَّاحبُ العادلُ الوزيرُ .

فإنَّه يصبح من الإقبال صاحبَ المَلك صاحبِ القران .

يا مَنْ لم تَرَ عينُ الدولة عظيمًا مثلَك، كلُّ مَنْ يطالع وجهَك لنْ يَرى بعد ذلك محنَةً .

ليس في الدنيا صَدْرٌ مباركُ الطَّلعة مثلَك، وليس على وجه البسيطة فَلَكُ المعنى مثلَك .

ليس بين الخلائق حَسَنُ الخُلق والسِّيرة مثلَك، فأنت في الدنيا المعنى والآخرون مثلُ الصورة .

أنت من الله تعالى للعبيد نعمةٌ

وأنا أشكره لك حتى تَبقى خالدًا لأجلنا

كلُّ مَنْ يريد أنْ يُجاور السَّماءَ شرَفًا، يتعلَّقُ بسرج عظيمٍ مثلك .

وكلُّ مَنْ يحيد خطوةً واحدةً عن خَطِّ أمرك، لا يتركه الفَلَكُ حتى يحيك له لجامًا .

الدَّهْرُ يطعن أعداءَك بالسَّيف بقلبه وساعده، وحين يفعل الدَّهْرُ ذلك فهو يُحْسن الطَّعْنَ .

وذلك الذي يضع عنقَه وعَظْمَةَ ساعده تحت حُكْمك .

يدخله الطَّالعُ السَّعيدُ تحت فخذ مركب الدولة .

يا مَنْ الدنيا بأسْرها جَذْلَةٌ بإقبالك، كنْ جَذْلاً، أضحى بنيانُ الدِّين قويًّا بك، كنْ قويَّ البُنيان .

يصبح العالمُ عامرًا بعَدْلك، كنْ عادلاً، اجعل العالَمَ عامرًا وكنْ مُعَمِّرًا فيه.

يَنْعَم الخَلْقُ بالحريَّة معك من الغَمِّ، كنْ حُرًّا، يكون العطاءُ للعامة المساكين من باب الكرم، كنْ معطاءً .

كنْ صِهْرًا لعروس دولة الخلود

وقدِّمْ صداقًا ثمينًا للرعية المساكين

طالما العالَمُ موجودٌ ؛ فليكنْ وفْقَ مُرادك ورأيك، وليكن المُلْكُ تحت إمْــرة قلمِك زينةِ المملكة .

وليكن ثَرى أعتابك كُحْلاً لعيون العظماء، ولا جَلَسَ أحــدٌ مــن العظمــاء مكانَك .

ولتكنْ أنت فى حفظ مُلْك الدين والدنيا، ولتكن الدولةُ والإقبالُ ؛ هذه عبــدةً وذلك مولًى لك .

وليكنْ مفرقُ فَلكك الصَّاقل مثلَ الفَلك الأخضر(١)

وليكن جَسَدُك ورُوحُك فى أمان من سوء صنيع الفَلك

---

(١) أى : السماء.

الرباعيات

رباعيات (ص ٣٨٣- ٣٩٠)

* (ص٣٨٣)

كُلُّ حديث المدينة عن ذلك الوجه المليح، كلُّ قلوب أهل الدنيا متعلِّقةٌ به .
نحن نجاهد دائمًا والآخرون يجاهدون ؛ فلمنْ سَيَمُدُّ الحبيبُ له يَدَه ؟!

*

لقلبي كلَّ يوم لسانٌ آخرُ، ومعشوقي يتعامل معى بكلِّ لسان آخر .
وروحُ الدنيا ذلك لا يفكِّرُ مطلقًا أنَّ بعد هذا العالم في النهاية عالمًا آخَرَ .

*

أيها الصَّدْرُ، فليكنْ لك يوم الحَشْر كتابٌ أبيضٌ، ولا كان لك حتى الحَشْر سِنُ قلم أبيض[1] .
لأنَّك تُخضع القَلَمَ الأسودَ بالمدد لأجلى بالعطاء ؛ فأنت تجعل لك قلمًا أسودَ[2] ولىَ لباسًا أبيضَ .

*

كلُّ مَنْ لديه خبزٌ فمن جُود كفِّك، كلُّ مَنْ لديه روحٌ فهى فى خدمتك .
لو أخطأ الجَوادُ فلا تَعِبْ عليه ؛ فأىُّ طاقةٍ لجَوادٍ واحدٍ بالدُّنيا .

*

صار زينةُ العالم السَّديدُ برأيه السَّديد، الآمرَ السَّديدَ للفَلَك الدائر .
والشَّمسُ تختفى فى الليْل، ولا يظهر وجْهُها حتى النَّهار خجلاً من رأيه السَّديد.

*

(١) أى : بلا مداد.
(٢) أى : به مداد.

يا مَنْ وَجْهى " السّفرجلُ"[١][٢] بسبب "تفاحة" ذقنك، قلبي ملــىء بثمــارٍ[٣] تشبه " الرُّمانَ " بسبب عشقك .

يا قاصدَ بائعى الفاكهة، حَذَارِ، لا تطلبْ " سَــفَرْجَلَ " و " رُمَّانًــا" ســوى وجهى وقلبي .

* (ص ٣٨٤)

لا تزال حتى الآن مَزَّةُ اللَّبن فى تلك الشَّفة بضة، ولم يُنْسَخْ حتى الآن من ذلك الخَطِّ الشَّبيه بالقير[٤] .

دَعْه[٥] ؛ فإنَّ لَحْظَك حتى الآن يُطلق من حاجبك سهامًا يُمْنَةً وشمالاً .

*

منذ استقرَّ عشقُ وَجْنَتك الورديةِ في قلبي ؛ فلى قَدَمٌ منغرسَةٌ فــى الطِّــين كالوَرْده بسبب حزنك .

وطالما أتَّخذ منزلى تحت ثنيَّة طُرَّتك ؛ فأمورى قد تعقَّدت مثلَ تجعيدتك .

*

مهما كان قلبي لا يلقاك مطلقًا ؛ فلن يصيرَ باردًا فى عشقك مطلقًا .

فأنت قد ذهبْتَ، ولكنَّه قد صار من فراقك منزلاً لمائة ألف ألم منك .

*

البارحةَ، كان قلبي فى ألم ومعاناة منك وكنتُ أقاسى من هجرك القاسى .

---

(١) شجرة ثمارها صفراء اللون .
(٢) أى : شاحبٌ.
(٣) أى : قطع ملتهبة.
(٤) أى : الطرة.
(٥) أى : أطلقْ سراحَ هذه الطُرة ودَعْها تتحرك على عارضك .

ألمُك الذى أعانيه من أول عَهْدى بك ؛ فلينقصْ، ولو كان مالدىَّ منــه ذرَّةٌ بسيطةٌ .

*

مادمتَ قد مَدَدْتَ يَدَ الجُور إلى رُوحى ؛ فلا تُهدِّدْ قلبى كثيرًا بالغَمِّ .
حيث نكون أنا وعشقُك معًا ؛ لا أكون محْرمًا لك أيها المعبود .

*

قلتُ : إنَّ غَمَّ عشقك يجعلنى ميمونًا، متى علمتُ أنَّه يجعلنى دمويَّ العين.
يا رُوحَ دُنْيايَ متى أعود إليك ؟! فقط الأجلُ المفاجئُ هو الــذى يُبعــدنى عنك.

*

فى عشْقك صارت الأرضُ الداكنةُ فراشى، هَجْرُك جعل عيــشى الهَنــيءَ عَلْقَمًا.
من كثرة جبروت فراقك يا محبوبي ؛ صارت مقلتى هراقةً بالماء من نارى.

* (ص ٣٨٥)

مَنْ أنت أيها المعبودُ الجذَّابُ ماضغُ السُّكَّر، ومن أنت يا مَنْ اعتدْتَ الجورَ والعداوةَ والسَّلْبَ .
يكون جُورُك وظلمُك هناك حيث أكون، فروحُ عَبْدك وقلبه هناك حيث تكون.

*

يا مَلك العالم لقد أقمتَ محْفَلَ " أفريدون"، وطلبتَ الخمرةَ القانيةَ اللَّون.
أين " قارونُ " بآلاف كنوزه، حتى يَرى أنَّك جعلتَ القَصْرَ من الجُود "كنْزَ قارون" ؟! .

*

يا مَنْ تحملتُ من الخَلْق اتهاماتٍ عديدةً بسببك، لا طاقةَ لى على وَصْلك .
ما إنْ أصاب رأسى جنونٌ من عشقك، طالما لا أنقاد لك فلا أبقي لأحد .

*

يا إلهي، احفظْ وَرْدَ بُسْتان ديني فى عصمتك من الذّبول وقتَ رحيل الروح.
فأنا أحتفظ في قلبي بفاكهة هى رعايةُ القلب، آمَنُ بها من خريف موت الكافر.

*

أضْحَى قَصرُ المَلك مكانًا لـ " عيسى "، وأصبح غَرْقُ عدوِّ المَلك مثلَ عدوِّ "موسى" .
وصار مُلكُ المَلك له معنى مُلك " سُليمان "، وصارت صفحتُه خاليةً من الذّنوب مثل صفحة "يحيى" مع الخصوم .

*

أيها الملكُ، لك سيرةُ "محمد" وجمالُ "يوسف" وشجاعةُ "داود" وعرشُ "سليمان".
وموسى " و" الخليل" فى الماء والنار[١] ؛ فعِشْ مثلَ "إلياس" و"الخَضر" هنيئًا سعيدًا .

*

أيها الملكُ، لخيَّاطِ الغَمِّ إبرةٌ في قلب عدوِّك، ودائمًا ما يتركها فيه .
لقد مَزَجَ خَيْطَ الإبرة بدمه ومعاناته وأخرجه من صَدْره .

---

(١) إشارة إلى نجاة سيدنا موسى من فرعون وقومه ؛ عندما فرق الله له البحر، وأغرق فرعون فيه، وإشارة إلى نجاة سيدنا إبراهيم من النار التى ألقاه فيها قومه ؛ فنجَّاه الله منها، وقال لها: (يانار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم) سورة الأنبياء آية ٦٩ . .

* (ص ٣٨٦)

طالما صار واضحًا نَصْرُ العدوِّ(١) على الروح، وطالما جاء تحطيمٌ منه لجيشها .

فقد حملوها وسلَّموها ليَد الرَّدَى ؛ فمَرْحَى لجيشها، فليس فيه رجلٌ ولا امرأةٌ .

*

طار " بَبَّغاءٌ "[٢] من قفس " بلخ " إلى " مرو"، حين رأى بوصَ المزمار فى مَنْبت غاب السُكَّر .

كان " كالبلبل " ينتقل من وَرْدة إلى وَرْدة ومن سَرْوٍ إلى سَرْو، والآن "كالدِّيك البَّرى " يطلُّ برأسه على الحسَك

*

أشاح الفَلَكُ نقابَ الخجل عن وجهه، وألقى بلعبته فى الحارة دفعةً واحدةً .

تَحَرَّ عن أفعال الفَلَك الجائر الحاقد، اعلمْ واصمتْ، اعلمْ ثانيةً واصمتْ .

*

أيها المَلكُ، ما إنْ نَظَرْتَ إلى مَلك الفَلك[٣]، حتى جعلتَها تصبغ الآفاقَ بحُمْرة سيف الصَّباح[٤] .

لقد جعلتَ شمسَ المُلك الآنَ مسلَّمةَ القياد ؛ فقد أخرجتَها من مُلْكها بسيف الظِّلِّ.

*

أيها المَلكُ، بنظرةٍ واحدةٍ أرسلتَها الآن ؛ زدْتَ بها من سعادة جيش "خلخ".

لقد اتخذتَ تاجَ رأس " كيقباد" و "كيخسرو" نَعْلاً لحافر جَواد " آل ساعون".

*

---

(١) أى : الموت.

(٢) يقصد نفسَه.

(٣) أى : الشمس.

(٤) أى : أشعتها.

أيها الصَّدْرُ سعيدَ الطَّالع، لقد صرتُ من شدَّة تجرُّع الغَمِّ لانعدام الرِّزق ذا حِمْلٍ ثقيلٍ على الكاهل .

لا زَادَ لديَّ بالحياة لا نهايةَ ليَ بالموت، أنَّى ليَ أنْ أعرف ما أفعله وأنا بلا زَاد وبلا موت ؟!

*

يا مَنْ خَلْقُ جَسَدك من طين المكرمة، صار الحَمَلُ المناسبُ مثلَ عـدوِّك لأهل السَّيف[1] .

إراقةُ دَمه في عنقي، لكنَّ ديَّتَه في عنقك .

* (ص ٣٨٧)

الإلقاءُ بقِدْرٍ أسودَ من أعلى السَّقف، عادةٌ للعَوام في احتفالاتهم مـن عـين السُّوء[2] .

والصَّاحبُ يلقي في محفله بدلاً من القِدْرِ الأسودِ فاتنةً حسناءَ باسم الإمام .

*

يا مَنْ حظيَ دينُ ذي الجلال منك بالضِّياء وبـالكرم الطَّبيعـي والـصِّدق والصَّفاء.

لا تَغِبْ أيها الحبيبُ ؛ فلم يَغِبْ عن نظم المديح – لك – أيُّ حـرف عـن طريق الخطأ .

*

أيها الصاحبُ، لأنَّ ضياءَ العدل لم تفحْ علينا، ويستحلب الظَّبْيُ لبنَ الأسـد الهصور .

---

(١) أي : مباحًا للذبح.

(٢) أي : اتِّقاءً لها.

فإنَّ زمنَ الثعلب المخادع قد اقترب ؛ فهو يتمسَّح كالهرَّة ويعضُّ كالكلب .

*

لأجل سلامة جسدك أتعامل مع عدوِّك، على أساس أنَّه عدوُّك .

أتعلم أيها المعبودُ، أنَّ شوكةً فى عينى أحبُّ من وجود قَذَى على طرف ثوبك.

*

منَحنى صُحْبةَ وَرْدٍ وأغارَ علىَّ بالعشْق، وطَبَعَ قُبْلَةً علىَّ وأطاح بىَ ثانيةً.

فتخال إنَّ معبودى قد عرف داءَ قلبى، فهيَّأ لأجله وَرْدَ العسل [1].

*

ما إنْ وَجَّه الفَلكُ لطْمَته إلى وجهى، حتى تقاطرت قافلةُ دَمْع عينى دَمًا .

الفَلكُ والطَّالعُ يُهيِّئان حالى عن طريق الدَّمْع، طالما عشقُك ملازمٌ لىَ .

*

ضحك ثغْرى على دُرْج العقيق والفضَّة[2]، حين استْحسنَ يَدك وقلبَك[3] .

فقد رأى يدَك وشفتَك منافعَ ؛ إذ اشْترى قُبْلَةً واحدةً بمائة لطمة .

* (ص ٣٨٨)

يَتَحتَّم علىَّ أنْ أحمل الحبيبَ بين جوانحى مثلَ الدَّم ؛ فالبعادُ عن الحبيب ليس الاختيارَ المفضَّلَ .

فمرادى من الحبيب قُرْبُه، ولو سيبعد فيتساوى لدىَّ الحبيبُ والعدوُّ .

*

---

(١) فضلتُ ما جاء به " همائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢٦) بخصوص هذه الرباعية لوضوح المعنى .

(٢) أى : الشفاه والأسنان.

(٣) أى : سَعِدَ بك.

لو أنك عدوٌّ لىَ أيها المحبوبُ أو صديقٌ ؛ فلا وجودَ دائمًا لىَ فى داخلك .
فلو تَمنحنى قُبْلةً ولو تلطمنى لطمةً ؛ فأنت فى داخلى جميلٌ مثلُ يدك وشفتك(١) .

*

حين تحدث حفرةٌ(٢) فى وجه الحبيب فى ضحكته، أسكبُ كالأعمى فى بكائى الدمعَ قَطْرًا .
والأعمى يسقط فى الحفرة فى النهاية دفعةً واحدةً مجبرًا من ضحكة الحبيب ومن بكائى .

*

الغازى(٣) كبَّلَ مدينةً بوهق ذائبته، وفى الوقت نفسه جَرَحَ خَلْقًا بسنان غمزته.
لىَ قلبٌ مجنونٌ والهٌ ثَملٌ ؛ لأنَّه شاهد المكبَّلَ والمجروحَ ثُمَّ قَصَدَ بابَ الغازى .

*

دَفعونى فى إثْرك ياذا العينين الوسنانتين، وعقدوا كلَّ طُهْر ببهتان .
أيها المحبوبُ، لاتُبِحْ حُرْمةَ هذه اللِّحية البيضاء، الأمْرَ الذى يُضحك خَطَّك الأسْوَدَ(٤) عليها .

*

لقد جلبتَ بسرعة طوقًا لىَ "كالفاختة "، الطَّوقَ الذى طَوَّقَ من البداية ألف مرَّة.

---

(١) أى : التى تُقَبِّل.
(٢) أى : غمَّازتان.
(٣) أى : المعشوق.
(٤) أى : نبْت شَعْرك.

ورفع محيَّاك عَلَمَ الحُسْن للعالم، لقد كنتَ جميلاً وأنت الآن جميلٌ وستظلُّ جميلاً .

*

عشْقُ وجهك نصفِ المغطَّى يعيد قلوبَ الوالهين المضطربين مهمومين .
فأبدالُ معبد الرُّهبان لهم نسناسٌ حارسٌ نصف مغطًّى .

*

يا مَنْ قَدِّى قد صار من عشقك مثلَ قَدِّ المنجل[1]، وعيناى قد صارت بدم الكبد مثلَ الوعاء المليئ دمًا .
أحْضِرْ لىَ ياقوتَ الذَّهب[2] ومزِّقْ نصفَ مــرقَّعَتى لأجلك ؛ فأنت نفــسُك لا تَعلم ولا تَدْرى .

* (ص ٣٨٩)

ياذا القلب المستهتر والروح المستهينة بالناس، لقد أقــسمتَ كثيــرًا علــى الأخوَّة.
فيابنى، مع أننى لستُ الأصغَرَ بين هؤلاء الأخوة، و مع أنَّنى لــسْتُ فــى النهاية " يوسف بن يعقوب "، فحتَّام ؟

*

حملنى القلبُ إلى طالع " إسْكافى " كالقمر، صار أثيرًا لدىَّ مثلَ " نجم كلاه دوز "[3].

---

(١) أى : منحنيًا.
(٢) أى : دَمْعى.
(٣) الغلامُ المعشوق للسوزنى " كما أشرنا آنفًا .

لقد جاء ذلك " النَّجمُ " أفضلَ من هذا القمر " مائةَ مرة، مثلما الرأسُ من القَدم والذَّهبُ[١] من الحذاء والقلنسوة .

*

الخَلْقُ فى غمٍّ من أحداث " خلخ" ورُعْب "الغُزّ "، مع الهموم والأحزان .

لنا تيسٌ وهَمُّنا أنَّه لا يَتَسَنَّى شُكْرُه ؛ لأنَّه أقرعٌ بلا وَبَر[٢] .

*

مقلتاىَ بحيرةٌ دائمةٌ بسبب طَلْعَة غلامٍ مغَسِّلٍ لها إشراقةُ الشَّمس .

وأملُ الغُلام من أنْ تصير الملابسُ بيضاءَ بالماء وبالشَّمس .

*

غلامٌ حائكٌ يتعلَّق بالتطَّريز باللَّون الذَّهبى، حتى يتحقَّقَ له شهرةٌ طيبةٌ.

وا أسفاه، أىُّ بلاء وثورة تحدث بتلك التى يطَرِّزها ذلك الحبيبُ الطَّيِّبُ .

*

يا مَنْ هجاؤك لكلِّ عظيم يحمل شوكًا، وكلُّ شوكة تشبه أفعى وتشبه حوتًا على النَّهر .

لقد حطَّمتَ الانحناءَ والحَبْوَ [٣]، فاطلبْ لنفسك طُهْرًا، وإلاَّ ليكنْ مكانُك فى الماء العكر والطيِّن اللاَّزب .

*

" أبا نصر" الطَّبيبُ، لو تُعطى خَمْرًا بسرعة، تَسْعد بك " مريمُ و"والمسيحُ".

أرسلْ شَرابًا مرًّا، لكن المرارةُ هى أننَّى لن أبْدى لك ألمًا حتى عام قادم .

*

(١) فضلتُ ما جاء به " همائى " فى (مستدركاته على الديوان ص ٤٢٦) فى ذلك لتمام المعنى ووضوحه رغم عدم تناسب التشبيه وضعفه فى تصوُّرى .

(٢) أى : بلا فائدة.

(٣) أى : الخنوع.

" محمود جمال الدين "، أنت الذى لا يَتَغَيَّر لونُ وَعْدك للعدوِّ ولا للحبيب .
وَعْدُك بالقمح حلَّ اليوم موعدُه أيها الصديقُ ؛ فأحْسِنْ وظُلَّ علينا كوَعْدك من داخل الأستار .

* (ص ٣٩٠)

يا مَلكَ ملوك العالم يا سليلَ الملوك، أساسُ مُلْكك من ثَرَى الانتصار .
ما دامَ العالَمُ قد أضْحَى عامرًا برونق دولتك، فقد ولَّت دولةُ مُلْك " الملـك ناصر" أدراجَ الرِّياح .

*

يا مَنْ صارت حَضْرَتُك(١) جامعًا ومنبرًا ومحرابًا مفعمةُ بالرَّونق منك.
الشَّيئُ الذى بَدَا فى هذا الباب منك ؛ فليتَقَبَّله الله الوهَّابُ .

*

يا مَنْ أنت مثلُ " محمد " و" حسن" مع التَّمييز، الابنُ " حَسَنُ " مثلُ الأب، فاعتَزَّ به .
طالما هو يُسَمِّى ابنَه على اسْمك ؛ فله – إعزازٌ – مثلُ " محمد " و "حسن" أيضًا.

*

صار "رُوحى"(٢) راثيًا لمماتى، بكى من أنَّ رُوحى فارقت جَسَدى.
فابْنى هو مَنْ يكون مأتمى سَبَبَ نواحه، ويصبح فى صحتَّى الانتحابُ محفلاً.

*

ما دام قد وَضَعَتْ يَدُ القَدرَ قَمْحى وشعير(٣) فى زقٍّ " عمرو " و"زيد".
فلا تَلُمْ ؛ حين يصير خُروجى من هذه المزبلة (٤) عَدْوًا لهذا السَّبب .

---

(١) أى : إيوانك وقصرك ..
(٢) أحد تلامذة الشاعر، وهو " الحكيم رُوحى ولواجى " من شعراء القرن السادس وهو من "ولواج " التابعة " لبلاد ما وراء النهر "، وأشعارُه يغلب عليها الطابع الهزلى .
(٣) أى : رزقى.
(٤) أى : الدنيا.

الشاعر فى سطور :

- هو الشاعر الفارسى "السوزنى السمرقندى" ت ٥٦٩ هـ.
- أحد شعراء العصر السلجوقى وعاش فى "بخارى" و"سمرقند"
- مشهور بأشعاره الهزلية والهجائية وصار مبدعا وأستاذًا لهذا الفن.
- له ديوان يحتوى على أشعاره الجادة بعيدًا عن الهزل والهجاء هو هذا العمل الذى قمنا بترجمته ودراسته.
- كتب فى أغراض شعرية أخرى مثل المديح والغزل والرثاء والتوبة والاستغفار.

المترجم فى سطور:

محمد محمد محمود يونس

أستاذ ووكيل دار العلوم (جامعة القاهرة) لشئون خدمة المجتمـع وتنميـة البيئة ، من أهم مؤلفاته وترجماته:

١ – منظومة "مصيبت نامة" للشاعر الفارسى الكبير، فريد الدين العطـار، دراسة وترجمة.

٢ – حول وزن الشعر، د. برويز ناتل خانلزى، ترجمة ودراسة وتعليق.

٣ – حكاية الملك والساحر، لميرزا عبد القادر بيدل، ترجمة وتعليـق ووكشف لرموزها.

٤ – بحر "الهزج" بين الأصالة العربية والاستعمال الفارسى، (بحث).

٥ – الألفاظ الفارسية فى شعر "ابن الرومى"، (بحث).

التصحيح اللغوى : محمــد الشربينى
الإشــراف الفنى : حســن كــامــل

سوزنى سمرقندى

منَحنى صُحْبةَ وَرْد وأغَارَ علىَّ بالعشْق،
وطَبَعَ قُبْلَةً علىَّ وأَطاح بىَ ثانيةً.
فتخال إنَّ معبودى قد عرف داءَ قلبى،
فهيَّأَ لأجله وَرْدَ العسل.

تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي